# كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

## المجلد العشرون

دار صادر

بيروت




20



الطبعَة الأولى

1423هـ -2002 م

الطبعة الثانية

1426هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429هـ - 2008م






تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25

*(Abu al-Faraj al-Isphahānī)*

ISBN 9953-13-045-0

# [ 413] ـ أَخبار التيميّ ونسبه

[أحد الخلعاء المجان]

هو عبدُ الله بنُ أَيّوب ، ويكنى أَبا محمد مولى بني تيم ثم مولى بني سُلَيم . ذكر ذلك ابن النّطاح ، وكان له أخ يقال له أبو التَّيَّحان ، وكلاهما كان شاعراً ، وهما من أهل الكوفة ، وهما من شعراء الدّولة العبّاسيّة ؛ أحدُ الخلعاء المُجّان الوصّافين للخمر ؛ وكان صديقاً لإبراهيم الموصليّ وابنه إسحاق ، ونديماً لهما ، ثم اتّصل بالبرامكة ومدحهم ، واتّصل بيزيدَ بن مَزْيد فلم يزل منقطعاً إليه حتى مات يزيد .

[أكثر شعره في الخمر]

واستنفد شعره أَو أُكثره في وصفه الخمر ، وهو الذي يقول : [من المتقارب]

شَربتُ من الخمرِ يوم الخميـ ـسِ بالكأسِ والطّاسِ والقَنْقَلِ[1]
فمـا زالتْ الكأس تغتالنـا وتَذهـبُ بـالأَوّل الأَوّلِ
إلى أَن توافَـت صلاة العشا ونحـن مـن السُّكرِ لم نعقلِ
فمَن كان يعرفُ حقَّ الخميس وحـقَّ المُـدام فـلا يجهلِ
وما إن جـرَت بيننا مَزحـة تهيـج مِـراءً على السلسلِ

وهو القائل : [من الطويل]

ولن أَنتهي عن طيِّب الرّاحِ أَو يَرى بَوادي عظامي في ضريحيَ لاحدُ
أَضعتُ شبابي في الشرابِ تلذّذاً وكنتُ امـرءاً غِرّ الشّباب أَكابدُ

أَخبرني محمدُ بنُ يحيى الصوليُّ قال : حدَّثني أبو العيناء عن محمد بن عمر ، قال : أبو محمد التيميُّ اسمه عبدُ الله بنُ أيّوب مولى بني تَيم .

[رثاؤه ابنه]

أَخبرني أَحمد بن عُبَيد الله بنِ عمّار عن محمد بن داود بنِ الجرّاح قال : قال دعبل : كان للتيميّ أبي محمد ابنٌ يقال له حيّان ، ومات وهو حديث السِنّ ، فجزع عليه ، وقال يرثيه : [من البسيط]

**صوت**

أَودى بحَيّـانَ مـا لم يتركْ النّاسا فامنح فؤادَك من أحبابك الياسا

---

1 الخمر في ل : الراح . والقنقل : المكيال الضخم .

لمـا رَمته المنايـا إذ قصدن له أُصبن منّي سواد القلب والراسا
وإذ يقـول لي العُوّاد إذ حضروا لا تأس أَبشر أَبـا حيان لا تاسى
فبتُّ أَرعى نجومَ الليـل مكتئباً إخال سُنَّتـه في الليـلِ قرطاسا[1]

غنّى في الأَوّل والرابع من هذه الأبيات حَكَم الوادي ، ولحنُه رمَل مطلَق في مجرى البِنصر عن إسحاق . وأوّل هذه القصيدة : [من البسيط]

يا دَيرُ هند لقد أَصبحت لي أَنَسا وما عهدتكِ لي يـا دَيرُ مِئْناسا

وهي مشهورة من شعره .

[يجيز بيتاً لإسحاق عجز عن إتمامه]

أَخبرني حبيبُ بنُ نصر المهلّبيّ قال : حدَّثني هارونُ بنُ محمدِ بنِ عبد الملك الزيّاتُ قال : حدَّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : قلت :

وُصف الصدُّ لَمن أَهوى فَصَدَّ

ثم أَجْبَلْتُ ، فمكثت عدّة ليال لا يستوي لي تمامه . فدخل عليٌّ التيميّ فرآني مفكّراً ، فقال لي : ما قصَّتُك ؟ فأَخبرتُه ، فقال :

وبـدا يمزح بالهجـر فجَدّ

ثم أَتممتها . فقلت : [من الرمل]

ما لَـهُ يَعدلُ عنّي وجهَه وهو لا يعدِله عندي أَحدْ

وخرجْت إلى مدح الفضل بن الرَّبيع ، فقلت :

قـد أَرادوا غِرّة الفضل وهل تُطلب الغِرّة في خِيس الأَسدْ[2]
ملِكٌ ندفَـع مـا نخشى به وبِـه يَصلُح منّـا مـا فسدْ
يفعل النّاسُ إذا مـا وعـدوا وإذا مـا فعـل الفضلُ وعدْ

لإسحاق في هذا الشعر صَنْعَة ، ونِسْبتُها :

**صوت**

وُصف الصدُّ لِمن نهوى فصدْ وبـدا يمـزحُ بالهجرِ فجَدْ
مـا لَـهُ يَعدِلُ عنّي وجهَه وهـو لا يعدِلـه عندي أَحدْ

الشعر والغناء لإسحاق ، خفيفُ رمل بالبِنصر ، وله فيه أَيضاً ثقيل أَوّل ، وفيه لزكريّا بن

1 سنته : وجهه أو جبهته .
2 من المثل «كمبتغي الصيد في عريسة الأسد» : جمهرة العسكري 2 : 150 ، 175 وفصل المقال : 363 .

يحيى بنِ معاذ هزَج بالبِنصر عن الهشاميّ وغيره . قال الهشاميّ : وقيل إنّ الهزَج لإسحاق ، وخفيف الرمَل لزكريّا .

أخبرني جحظة عن علي بن يحيى المنجّم عن إسحاق قال : اشتركت أنا وأبو محمد التيميّ في هذا الشعر : [من الرمل]

وُصف الصد لِمَن نهوى فصدْ

وذكر البيتين .

[يطلب الرشيد إنشاء مرثيته في يزيد بن مزيد]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا عبدُ الله بنُ أبي سعد قال : حدَّثني محمدُ بنُ عبدِ الله بنِ طَهمان قال : حدَّثني محمد الرّاوية الذي يقال له البيذق وكان يقرأ شعر المحدَثين على الرشيد ، قال : قال لي الرّشيد يوماً : أنشدني مرثية مروان بنِ أبي حفصة في معنِ بن زائدة التي يقول فيها[1] : [من الوافر]

كأن الشمس يوم أُصيب معنٌ ... من الإظلامِ مُلْبَسة جِلالا

هو الجبل الذي كانت معدّ ... تَهُدّ من العَدُوّ به الجبالا

أقمنا باليمامةِ بعدَ معنٍ ... مُقاماً لا نريدُ به زِيالا

وقلنا أين نذهبُ بعد معنٍ ... وقد ذهب النَّوالُ فلا نَوالا

قال : فأنشدته إيّاها ، ثم قال لي : أنشدني قصيدة أبي موسى التيميّ في مرثية يزيدَ بن مَزْيد ، فهي والله أحبّ إليَّ من هذه ، فأنشدته[2] : [من الوافر]

أحقٌّ أنّه أودى يَزِيدُ ... تبيّن أيّها النّاعي المُشيدُ

أتدري مَن نعيتَ وكيف فاهتْ ... به شفتاك ، كان بِك الصعيدُ

أحامي المجد والإسلام أودى ... فما للأرض ويحكَ لا تميدُ

تأمَل هل ترى الإسلام مالت ... دعائمه وهل شابَ الوليدُ

وهل شِيمت سيوف بني نزار ... وهل وُضعَتْ عن الخيلِ اللُّبودُ

وهل تسقي البلادَ عِشارُ مُزنٍ ... بدِرّتها وهل يخضرُّ عودُ[3]

أما هُدت لِمصرَعه نِزارٌ ... بَلى وتقوّض المجد المَشيدُ

---

1 ديوان مروان بن أبي حفصة : 270–271 .

2 نسبت القصيدة إلى مسلم بن الوليد (انظر ترجمته وديوانه : 147–149) .

3 العشار : النوق الحديثات النتاج ، ونقله مجازاً إلى الغيم .

وحَلَّ ضريحَــه إذ حَــلَّ فيه طريفُ المجدِ والحسبُ التَّليدُ
أمَــا والله مــا تنفــكّ عَيني عليك بدمعهــا أبــداً تجودُ
فإن تجمُــد دموع لئيم قومٍ فليس لدمع ذي حسب جُمودُ
أبعد يزيــد تَختزنُ البواكي دموعاً أو تُصانُ لها خدودُ ؟
لِتبكِــك قبّــةُ الإسلام لمــا وهت أطنابُها ووهَى العمودُ
ويبكِكَ شاعــرٌ لم يُبقِ دهرٌ له نَشَباً وقــد كسَد القصيدُ
فمَنْ يدعو الإمامُ لكلِّ خطبٍ ينــوبُ وكلِّ معضلةٍ تئودُ ؟
ومَن يحمي الخميسَ إذا تعايا بحيلــة نفسه البطــلُ النجيدُ
فإن يهلك يزيــد فكلّ حيٍّ فَريسٌ للمنيَّــةِ أو طريــــدُ
ألَم تعجب لــه أنّ المنايــا فتكْنَ بــه وهُــنَّ له جنودُ
قصدن لــه وهنّ يَحِدن عنه إذا ما الحرب شبَّ لها وقودُ
لقــد عــزَّى ربيعــةَ أنَّ يوماً عليها مثــلَ يومــك لا يعودُ

قال : فبكى هارون الرّشيد بكاء اتّسع فيه حتى لو كانت بين يديه سُكُرّجة[1] لملأها من دموعه .

[يجيز أبياتاً للأمين]

أخبرني محمدُ بنُ يحيى قال حدَّثنا أبو العيناء قال حدَّثنا محمدُ بن عمرَ قال : خرج كوثرٌ خادمُ محمدِ الأمين ليرى الحرب ، فأصابته رَجْمة في وجهه ، فجلس يبكي ، فوجَّه محمدٌ مَن جاءه به ، وجعل يمسح الدَّم عن وجهه ، وقال : [من مجزوء الرمل]

ضربوا قُــرّة عيني ومن آجلِـي ضربوهُ
أخــذ الله لِقلبــي مــن أُنــاس أحرقوهُ

قال : وأراد زيادة في الأبيات فلم يواته ، فقال للفضل بن الرَّبيع : من هاهنا من الشعراء ، فقال : الساعةَ رأيت عبد الله بنَ أيّوبَ التيميَّ ، فقال : عليَّ به . فلمّا أُدخل أنشده محمد هذين البيتين ، وقال : أجزهما ، فقال : [من مجزوء الرمل]

مــا لِمــن أهوى شبيهٌ فبِــــه الدُّنيــا تتيــهُ
وصْلُه حلــو ولكــن هجــره مُــرّ كريــهُ
مَن رأى الناسُ له الفضـ ـــلَ عليهــم حسدوهُ

---

1 السكرجة : الصَّحْفة .

مثلَ ما قد حسد القا ئمَ بالملك أخوهُ

فقال محمد : أَحسنتَ ، هذا والله خير ممّا أردنا ، بحياتي عليك يا عبّاسيّ[1] إلاّ نظرت ، فإن جاء على الظَّهر ملأتَ أحمال ظهره دراهم ، وإن كان جاء في زورق ملأته . فأوقرتُ له ثلاثة أبغلٍ دراهم .

[يمدح المأمون فيعفو عنه]

قال محمد بن يحيى : فحدَّثني الحسنُ بنُ عُلَيل العَنَزيّ قال : حدَّثني محمد بن إدريس قال : لمّا قُتِل محمدُ الأمين خرج أبو محمد التيميُّ إلى المأمون وامتدحه ، فلم يأْذن له ، فصار إلى الفضل بن سهل ولجأ إليه وامتدحه ، فأوصله إلى المأمون ، فلمّا سلَّم عليه قال له المأمون : إيه يا تيميّ . [من مجزوء الرمل]

مثلَ ما قد حسد القا ئمَ بالملك أخوهُ

فقال التيميّ : بل أَنا الذي أَقول يا أَمير المؤمنين : [من مجزوء الرمل]

نُصر المأمون عبدُ اللـ ـهِ لما ظلموهُ
نقضوا العهدَ الذي كا نوا قديماً أكَّدوهُ
لم يعامله أخوه بالذي أوصى أَبوهُ

ثم أَنشده قصيدة له امتدحه بها أَوّلها : [من الطويل]

جزِعتَ ابنَ تيم أن أَتاك مشيبُ وبانَ الشبابُ والشبابُ حبيبُ[2]

قال : فلمّا أنشده إيّاها وفرغ منها قال : قد وهبتك لله ، عزَّ وجلَّ ، ولأَخي العبّاسيّ ، يعني الفضل بن سهل ، وأمرت لك بعشرة آلاف درهم .

[الأمين يأمر له بمائتي أُلف درهم]

أَخبرني محمد بن يحيى قال : حدَّثني عونُ بن محمد الكنديّ قال : حدَّثني عبّاد بنُ محمد الكاتب عن أَبي محمد التّيميّ الشاعر قال : أَنشدتُ الأَمين محمداً أَوّل ما وَلي الخلافة قولي : [من المنسرح]

لا بُدَّ من سَكرةٍ على طربِ لعلَّ رَوحاً يُديلُ من كُرَبِ

الأَبيات المذكورة في الغناء . قال ، فأمر لي بمائتي أُلف درهم ، صالحوني منها على مائة أُلف درهم .

---

1 يا عباسي : المقصود هو الفضل بن الربيع .
2 أتاك في ل : علاك ، وبان الشباب في ل : وبان شبابُ .

[تمنّى عليه الأمين مديحاً]

وأخبرني جعفرُ بن قُدامة قال : حدَّثني محمدُ بنُ يحيى المنجّم قال : وحدَّثني حسين بن الضّحاك قال : قال لي أبو محمد التّيميّ : دخلتُ على محمدٍ الأمين أوّل ما وَلي الخلافة ، فقال : يا تيميّ ، ودِدت أنّه قيل فيّ مثل قول طُريح بن إسماعيل في الوليد بن يزيد : [من المنسرح]

طوبى لفرعَيك مـن هنا وهنا طوبى لأعراقـك التي تَشجُ

فإنّي واللهِ أحقُّ بذلك منه . فقلت : أنا أقول ذلك يا أمير المؤمنين ، ثم دخلت إليه من غد فأنشدته قصيدتي : [من المنسرح]

لا بُـدَّ من سَكرةٍ على طـربِ لعلَّ رَوحـاً يُدِيل من كُربِ

حتى انتهيت إلى قولي :

أَكرِمْ بفرعـين يَجريـان بـه إلى الإمامِ المنصورِ في النسبِ

فتبسَّم ، ثم قال لي : يا تيميّ قد أَحسنت ، ولكنّه كما قيل : مرعى ولا كالسَّعدان[1] ؛ ثم التفتَ إلى الفضلِ بنِ الرَّبيع فقال : بحياتي أوقِرْ له زورقَه مالاً . فقال : نعم يا سيِّدي . فلمّا خرجت طالبت الفضل بذلك ، فقال : أنتَ مجنون ؟ مِن أين لنا ما يملأ زورقك ؟ ثم صالحني على مائة ألف درهم .

[الفضل بن يحيى يجيزه]

أَخبرني وَكيع قال : حدَّثني ابنُ إسحاق قـال : حدَّثني أَبي قـال : كنت على بابِ الفضلِ بن يحيى ، فأتاني التيميّ الشاعر بقصيدة في قرطاس ، وسألني أن أوصلها إلى الفضل ، فنظرتُ فيها ثم خرقت القرطاس ؛ فغضب أبو محمد وقال لي : أما كفاك أن استخففْت بحاجتي حتى منعتَني أن أدفعها إلى غيرك ؟ فقلت له : أنا خير لك من القِرطاس ، ثم دخلت إلى الفضل ، فلمّا تحدَّثنا قلت لـه : مَعي هديّة وصاحبها بالباب ؛ وأَنشدته ؛ فقال : كيف حفِظتها ؟ قلت : الساعةَ دفعها إليَّ على الباب ، فحفِظتها . فقال : دع ذا الآن . فقلت له : فأدخله ، فأُدخِل ، فسأله عن القصّة فأخبره . فقال : أنشدني شيئاً من شِعرك ففعل ، وجعلت أُردد أَبياته ، وجعلت أُشيّعها بالاستحسان . ثم خرج التيميّ فقلت : خُذ في حاجة الرجل ، فقال : أمّا إذ عُنيت به فقد أمرت له بخمسة آلاف درهم . فقلت له : أمّا إذ أقللتَها فعجِّلها ، فأمر بها فأُحضرت . فقلت له : أليس لإعناتك إيّاي ثمن ؟ قال : نعم . قلت : فهاتِه . قال : لا أبلغ بك في الإعنات ما بلغت بالشاعر في المديح . فقلت : فهات ما شئت ، فأمر بثلاثة

1 المثل «مرعى ولا كالسعدان» في مجمع الميداني 2 : 275 وفصل المقال : 199 وجمهرة العسكري 242:2 .

آلاف درهم ، فضممتُها إلى الخمسة الآلاف ، ووجَّهتُ بها إليه .

[سكرة شنعاء]

وذكر أحمدُ بنُ طاهر عن أَبي هِفّان عن إسحاق قال : كان التيميّ وأَخوه أَبو التَّيَّحان وابن عمٍّ له يقال له : قَبيصة يشربون في حانة حتى سكروا وانصرفوا من غد ، فقال التيميّ يذكر ذلك ويتشوّق مثله : [من الخفيف]

**صوت**

هل إلى سَكرةٍ بناحيــةِ الحـ ـيرةِ شنعاءَ يـا قَبيصُ سبيلُ

وأَبــو التَّيَّحانِ في كَفِّــه القر عــةُ والرأس فوقـــه إكليلُ

وعَرار كأنّه بيـذق الشِّطرنـ ـج يفتنُّ فيــه قـــالٌ وقيلُ

الشعر للتيميّ والغناء لمحمد بن الأشعث ، رَمل بالوسطى .

[يشتري ضيعة بجائزة الأمين]

أَخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا أَبو العيناء عن أَبي العالية ، قال : أَمر محمدٌ الأَمينُ لعبد الله بنِ أَيّوبَ بجائزةٍ عشرةِ آلاف دينار ثواباً عن بعض مدائحه ، فاشترى بها ضيعة بالبصرة ، وقال بعد ابتياعه إيّاها : [من الكامل]

إنِّي اشتريتُ بما وهبتَ لِيَـهْ أَرضاً أَمــونُ بهـــا قرابَتِيَهْ[1]

فبحسن وجهك حين أَسأَل قُل يـــا ابن الرَّبيع احمل إليه مِيَهْ

فغُنِّيَ بها الأمين ، فقال للفضل : بحياتي يا عبّاسيّ ، احمل إليه مائة ألف . فدَعا به فأَعطاه خمسين ألفاً ، وقال له : الخمسون الأُخر لك عليّ إذا اتسعَت أيدينا .

[المأمون يعطيه ثمن جارية]

أَخبرني الحسن ، قال : حدَّثني أَبو العيناء ، عن أَبي العالية قال : عشق التيميّ جارية لبعض النخاسين ، فشكا وجده بها إلى أَبي عيسى بن الرّشيد ، فقال أبو عيسى للمأمون : يا أمير المؤمنين ، إنّ التيميَّ يجد بجارية لبعض النخاسين ، وقد كتب إليّ بيتين يسأَلني فيهما ثمنها ، فقال : وما هما ؟ فقال : [من الرمل]

يــا أَبا عيسى إليك المُشتكى وأَخــو الصبرِ إذا عيــل شكا

ليس لي صبر على فقدانِهـــا وأعـــاف المَشربَ المشتركا

قال : فأَمر له بثلاثين ألف درهم فاشتراها بها .

1 أمون : أوفر المؤنة .

[يمدح الفضل بن الربيع يوم عيد]

أخبرني الحسن قال : حدَّثني أبو العيناء عن أبي العالية قال : دخل التيميّ إلى الفضل بن الرَّبيع في يوم عيد فأنشده : [من الطويل]

ألا إنّما آلُ الرَّبيع ربيعٌ وغيثُ حَيَاً للمرمِلين مَريعُ
إذا ما بدا آل الرَّبيع رأيتَهم لهم دَرَج فوق العبادِ رفيعُ

فأمر له بعشرة آلاف درهم .

[ثلاثة آلاف على ثلاثة أبيات]

أخبرني عيسى بن الحسن قال : حدَّثنا أحمد بن أبي خيثمة قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : مدح أبو محمد التيميّ الفضلَ بن يحيى بثلاثة أبيات ودفعها إلى إسحاق الموصليّ ، فعرضها على الفضل بن يحيى ، فأمر له بثلاثة آلاف درهم ، والأبيات : [من الطويل]

لعمركَ ما الأشرافُ في كلِّ بلدة وإن عظمـوا للفضل إلاّ صَنائِعُ
تَرى عظماء النّاسِ للفضلِ خُشَّعاً إذا ما بدا والفضلُ للهِ خاشِعُ
تواضَع لمّا زادَهُ اللهُ رفعةً وكلُّ جليلٍ عندَه متواضِعُ

[ينظم في معنى للحجّاج]

أخبرني جَحظةُ قال : حدَّثني عليُّ بن يحيى المنجّم قال : حدَّثني إسحاقُ الموصليُّ عن محمد بن سلاّم قال : كتب الحجّاجُ إلى قُتَيبة بنِ مسلم : إنِّي قد نظرت في سِنِّي ، فإذا أنا ابنُ ثلاث وخمسين سنة ، وأنا وأنت لِدة عام . وإنّ امرءاً قد سار إلى منهل خمسين سنة لَقريب أن يَرِده ، والسلام .

فسمع هذا أبو محمد التيميّ منّي فقال : [من الطويل]

إذا ذهب القَرْن الذي أنتَ فيهمُ وخُلِّفتَ في قَرن فأنت غريبُ
وإن امرءاً قد سار خمسين حِجّةً إلى منهل مِن وِرده لقريبُ

[إجازة المأمون على شعر في الأمين]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني أحمدُ بنُ أبي طاهر ، قال : حدَّثني أبو دِعامة عليُّ بنُ يزيدَ قال : حدَّثني التيميُّ أبو محمد قال : دخلتُ على الحسنِ بنِ سهل ، فأنشدته مديحاً في المأمون ومديحاً فيه ، وعنده طاهر بن الحسين ، فقال له طاهر : هذا والله أيّها الأمير الذي يقول في محمد المخلوع : [من المنسرح]

لا بُدَّ من سَكرةٍ عَلى طرَبِ لعلَّ رَوحاً يُديل من كُرَبِ

خليفةُ الله خير منتجَبِ لِخيرِ أُمّ من هاشمٍ وأبِ
خلافة الله قد تَوارثها آباؤه في سوالف الكُتُبِ
فهْي له دونكم مورَّثة عن خاتم الأَنبياء في الحِقبِ
يا ابن الذُّرى من ذوائب الشرف الـ أقدم أَنتم دعائم العربِ

فقال الحسن : عرَّض والله ابن اللَّخناء بأمير المؤمنين ، والله لأعلِّمنَّه . وقام إلى المأمون فأخبره ، فقال المأمون : وما عليه في ذلك ؟ رجل أمَّل رجلاً فمدحه ، والله لقد أحسن بنا ، وأساءَ إليه إذ لم يتقرّب إليه إلاّ بشرب الخمر ؛ ثم دعاني فخلَع عَلَيّ وحملني ، وأمر لي بخمسة آلاف درهم .

[أوّل شعر له وصل به إلى الخليفة]

أَخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدَّثني محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أَبو الشِّبل البُرجُميّ عن أبيه قال : قال لي أبو محمدٍ التيميُّ : أَوّل شعر عُرِفت به فشاع فيه ذِكري ووصَلْت به إلى الخليفة قولي : [من مجزوء الرمل]

**صوت**

طاف طَيفٌ في المنامِ بِمحبٍّ مستهامِ
زَورة أبقت سَقاماً وشفت بعض السَّقامِ
لم يكن ما كان فيها من حرامٍ بِحرامِ
لم تكن إلاّ فُواقاً وهْي في ليل التِّمامِ

الغناء لإسحاق . فقال : فصنع فيها إسحاقُ لحناً وغنّى به الرشيد ، فسأَله عن قائل الشعر ، فقال له : صديق لي شاعر ظريف ، يُعرف بالتيميّ ، فطُلبت وأُمرت بالحضور ، فسألت عن السبب الذي دُعيتُ له فعرفته ، فأتممت الشعر وجعلته قصيدة مدحت بها هارون . ودخلت إليه فأنشدته إيّاها ، فأمر له بثلاثين ألف درهم ، وصرتُ في جملة مَن يدخل إليه بنَوبة وأمر أن يدوَّنَ شعري .

[إسحاق يطعمه ويسقيه ويغنيه]

أُخبرني محمد بنُ مَزْيدِ بن أَبي الأَزهر قال : حدَّثنا حمّاد بنُ إسحاق قال : حدَّثني عمِّي طَيّابِ بنُ إبراهيمَ الموصليُّ قال : حدَّثني أبو محمد التيميّ الشاعر قال : اجتزتُ يوماً بأخيك إسحاق فقال : ادخل حتى أُطعِمَك طعاماً صِرْفاً ، وأُسقيَك شراباً صِرفاً وأُغنِّيَك غِناءً صِرفاً ، فدخلتُ إليه ، فأطعمني لحماً مكبّباً ، وشواء حارّاً وبارداً مبزّراً ، وأسقاني شراباً عتيقاً صِرفاً ، وغنّاني وحده مرتجلاً : [من الطويل]

ولـو أنّ أَنفاسي أَصابت بحرِّها حديداً إذاً كاد الحديدُ يذوبُ
ولـو أَنّ عيني أُطلقَت من وِكائها لَما كان في عام الجُدوبِ جُدوبُ[1]
ولو أَنَّ سلمى تطلع الشمس دونها وأُمسي وراء الشمس حين تغيبُ
لحدَّثْتُ نفسي أَن تَريع بها النَّوى وقلتُ لقلبـي إنّهـا لقريبُ[2]

فلم تَزَل تلك حالي حتى حُمِلتُ من بيتِه سكران .

[عمرو بن مسعدة يعطي حق الإذن للموصليّ]

أُخبرني جَحظةُ قال : حدَّثنا حمّادُ بنُ إسحاقَ عن أَبيه ، قال : دخلتُ يوماً على عمرو بنِ مَسعدة ، فإذا أبو محمدٍ التيميُّ واقف بين يديه يستأذنه في الإنشادِ ، فقال : ذاك إلى أبي محمد ، يعنيني ، وكان عَلى التيميّ عاتباً ، فكَرِه أن يمنعه لِعِلمِهِ بما بيننا من المودَّة ، فقلت له : أنشد إذ جعل الأمر إليَّ ، فأرجو أن يجعل أمر الجائزة أيضاً إليَّ .
فتبسّم عمرو ، وأنشده التيميّ : [من الخفيف]

يـا أَبا الفضل كيف تغفُل عنِّي أَم تخَلِّي عنـد الشدائـدِ منّي ؟
أَنسيتَ الإخاءَ والعهدَ والودَّ حـ ـديثاً مـا كان ذلـك ظنِّـي
أَنا مَن قد بلوتَ في سالف الدَّهـ ـرِ مضَت شِرّتي ولم تفنَ سنّي
فاصطنعني لمـا ينوب بـه الدَّهـ ـر فإنّـي أُجـوز في كلِّ فنِّ
أَنا ليـثٌ على عـدوّك سِلْـمٌ لكَ في الحربِ فابتذلني وَصُنّي
أَنا سيفٌ يـوم الوَغى وسنانٌ ومجـنٌّ إن لَـم تَثـق بمِجنِ
أَنا طَبٌّ في الرأْيِ في موضع الرأْ ي معـين على الخصيمِ المِعَنِّ
وأَمـينٌ عـلى الودائـع والسـ ـرّ إذا مـا هويت أَن تأتمني
ونديـمٌ إذا أَردت نديمـاً ومغـنٍّ إن لم يـزُرك مغنِّ

قال : فأقبل عليّ عمرو وهو يضحك ، وقال : أتعلّم هذا الغناء منك أم كان يَعلمهُ قديماً ؟ فقلت له : لم يكذب ، أعزَّك الله . فقال : أفي هذا وحده أو في الجميع ؟ فقلت : أما في هذا فأنا أحُقُّ كذبَه ، والله لأعلم بالباقي . ثم أنشدَه : [من الخفيف]

وإذا مـا أَردتَ حجّاً فرحّا لٌ دليـلٌ إن نـام كلّ ضِفَنِّ[3]

---

1 الوكاء في الأصل : رباط القربة ، فأطلقه مجازاً على العين .
2 تريع : ترجع .
3 الضفنّ : الأحمق العظيم الخَلق .

فقال له : إذا عزمنا على الحجِّ امتحنّاك في هذا ، فإنّي أَراك تصلح له ، ثم أَنشده :

ولبيبٌ على مقال أَبي العبـ ـاس إنّي أَرى به مسَّ جِنِّ

فقال : ما أراه أبعد ، فقال :

وهو النّاصح الشفيق ولكن خاف هَيْجَ المرارِ فازورّ عنّي
وظريفٌ عندَ المزاحِ خفيفٌ في الملاهي وفي الصِّبا متثنِ
كيف باعدتَ أَو جفوتَ صديقاً لا ملولا ، لا لا ولا متجنِّ
صرتُ بعد الإكرام والأنس أَرضى منك بالتّرهاتِ ما لم تُهنِّي
لم تخنّي ولم أَخنك ولا واللـ ـهِ ربِّي لا خنتُ من لم يخنّي
إن أَكن تُبتُ أَو هجرت الملاهي وسُلافاً يُجنُّها بطنُ دَنِّ
فحديثي كالدّرِّ فُصِّل باليا قوت يجري في جيد ظبي أَغنِّ

فأمر له بخمسة آلاف درهم ، فقال له : هذا شيء تطوّعتَ به ، فأين موضع حُكمي ؟ فقال : مثلها ، فانصرف بعشرة آلاف درهم .

[حنين إلى الشراب]

أَخبرني عمِّي قال : حدَّثني محمدُ بنُ الحسن بن مسعود قال : حدَّثني عليُّ بنُ عمرو قال : مرَّ التيميّ بالحِيرة على خمّار كان يألفه ، وقد أسنَّ التيميّ وأُرعش ، وترك النبيذ . فقال له الخمّار : ويحك ! أبلغ بك الأمر إلى ما أرى ؟ فقال : نعم واللهِ ، لولا ذلك لأكثرتُ عندك ، ثم أنشأ يقول : [من الخفيف]

**صوت**

هل إلى سَكرةٍ بناحية الحـ ـيرة يوماً قبل المماتِ سبيلُ ؟
وأَبو التَّيَّحانِ في كفِّه القر عةُ والرأْسُ فوقَه الإكليلُ
وعَرارٌ كأَنّه بَيذق الشِّطـ ـرنج يفتنّ فيه قالٌ وقيلُ

في هذه الأبيات لمحمدِ بنِ الأشعث رَمل بالوسطى عن الهشاميّ .

[يهوى غلاماً يهوى جاريته]

أَخبرني هاشم بنُ محمدٍ الخزاعيُّ قال : حدَّثنا عيسى بنُ إسماعيل قال : كان أَبو محمد التيميّ يهوى غلاماً ، وكان الغلام يهوى جارية من جواري القيان ، فكان بها مشغولاً عنه ، وكانت القَينة تهوى الغلام أيضاً فلا تفارقه ، فقال التيميّ : [من السريع]

ويلي على أَغيدَ ممكورِ وساحرٍ ليس بمسحورِ

تؤثـره الحُـور علينا كما نؤثـره نحـنُ على الحورِ
عُلّق مَن علّق فيه هوى منتظـم الألفـة مغمورِ
وكلٌّ مَن تهواه في أَمره مقلّـبٌ صفقـة مقمورِ

[الأمين يأمر بملء زورقه دراهم]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا ابنُ أَبي سعد قال : حدَّثني أَحمدُ بن محمدٍ الفارسيُّ قال : حدَّثنا غسّان بنُ عبد الله عن أبي محمدٍ التيميٍّ قال : لمّا أنشدت الأمين قولي فيه : [من المنسرح]

خليفـــةُ اللهِ خيرُ منتجـبِ لِخيـر أُمّ مـن هاشم وأَبِ
أَكـرمْ بعِرقيْنِ يجريانِ بـه إلى الإمامِ المنصورِ في النسبِ

طرب ، ثم قال للفضل بن الرَّبيع : بحياتي أُوقرْ له زَورقه دراهم ، فقال : نعم يا سيِّدي : فلمّا خرجنا طالبته بذلك ، فقال : أمجنون أنت ؟ من أين لنا ما يملأ زورقك ؟ ثم صالحني على مائة ألف درهم ، فقبضتها .

[الخضوع لله]

أخبرني حبيبُ بنُ نصر المهلبيُّ ، قال : حدَّثني محمد بن عبد الله المدنيُّ قال : حدَّثني عبدُ الله بنُ أَحمد التيميُّ ابن أُخت أبي محمد التيميّ الشاعر ، قال : أنشدني خالي لنفسه قوله : [من البسيط]

لا تخضعنّ لمخلـوقٍ على طمعٍ فإن ذاك مُضرٌّ منـكَ بالدِّينِ[1]
وارغبْ إلى اللهِ ممّـا في خزائنه فإنّمـا هـو بـين الكافِ والنونِ
أَما تـرى كلَّ مَن ترجو وتأملُه من الخلائقِ مسكينُ ابن مسكينِ

## صوت

[من الوافر]

أَلـم تَـرَ أنّني أُفنيتُ عُمـري بمَطلَبهـا ومطلبُهـا عسيرُ ؟
فلمّـا لم أَجِـدْ سبباً إليهـا يُقرِّبنـي وأعيتنـي الأمـورُ
حججْتُ وقلْت قد حَجَّت جِنان فيجمعُنـي وإياهـا المسيرُ

الشعر لأَبي نواس[2] ، والغناء للزِّبير بن دَحْمان ، رمَلٌ بالوُسطى من روايةِ أَحمدَ بنِ المكّيّ وبَذْل ، وغنّاني محمدُ بنُ إبراهيم قريضَ الجرّاحي ، رحمه الله ، فيه لحناً من خفيف الثقيل ، فسألته عن صانعه فلم يَعرف .

---

1 لا تخضعن في ل : لا تضرعن .
2 ديوان أبي نواس (الغزالي) : 230 .

# [ 414] ـ أخبار أَبي نُواس وجنان خاصة
## إذ كانت أَخباره قد أُفردت خاصة

[أبو نُواس صادق في حبّ جنان]

كانت جِنانُ هذه جاريةَ آل عبدِ الوهابِ بنِ عبدِ المجيد الثَّقَفيِّ المحدِّث الذي كان ابنُ مُناذِرٍ يصحب ابنَه عبدَ المجيد ، ورثاه بعد وفاته ، وقد مَضت أَخبارهما .

وكانت حُلوةً جميلةَ المنظرِ أديبة ، ويقال : إنّ أبا نواسٍ لم يَصدُق في حبّه امرأةً غيرَها .

[حجّت فحجّ]

أَخبرني محمدُ بنُ خلَفِ المَرْزُبان قال : حدَّثني إسحاقُ بن محمدٍ عن أَبي هِفّان عن أَصحابِ أبي نُواس قالوا : كانت جِنانُ جاريةً حسناءَ أديبةً عاقلةً ظريفةً ، تعرف الأخبار ، وتَرْوِي الأشعار . قال اليؤيؤ خاصة : وكانت لبعض الثقَفيِّين بالبصرة ، فرآها أبو نُواسٍ فاستحلاها ، وقال فيها أَشعاراً كثيرةً ، فقلتُ له يوماً : إنَّ جِنانَ قد عزمَتْ على الحجّ ، فكان هذا سببَ حَجّه ؛ وقال : أما والله ، لا يفوتني المَسِير معها والحجُّ عامي هذا إن أقامت على عزيمتها ، فظننتُه عابثاً مازحاً ؛ فسبَقها والله إلى الخروج بعد أن علِم أنّها خارجة ، وما كان نوى الحجّ ، ولا أحدث عزمَه له إلاّ خروجُها ، وقال وقد حجّ وعاد : [من الوافر]

أَلم تَرَ أَنَّني أَفنيتُ عُمري ... بمطلَبِها ومطلبُها عسيرُ ؟

فلمّا لم أَجِدْ سبباً إليها ... يقرِّبني وأَعيتني الأُمورُ

حججْت وقلتُ قد حجَّت جِنان ... فيجمعُني وإيّاها المسيرُ

قال اليُؤيؤ : فحدَّثني مَن شهِده لّما حجّ مع جنانَ وقد أحرم ، فلمّا جنّه الليل جعل يلبي بشعر ويَحدو به ويُطرِّب ، فغنّى به كلّ مَن سمِعه ، وهو قوله[1] : [من مجزوء الرجز]

إلهنا ما أَعدلَكْ ! ... مليكَ كلِّ مَن ملكْ

لبَّيكَ قد لبَّيتُ لكْ ... لبَّيك إنَّ الحمدَ لكْ

والملكَ لا شريكَ لكْ ... والليلَ لما أَن حلَكْ

والسابحاتِ في الفلك ... على مجاري المُنْسَلَكْ

1 ديوان أبي نواس : 623 مع اختلاف في الرواية .

ما خـاب عَبدٌ أَمَّلك أنتَ لـه حيثُ سلَكْ
لولاك يـا ربِّ هلك كلُّ نبـيّ وملَكْ
وكلُّ مَـن أهـلّ لك سبَّـح أَو لبَّـى فلَكْ
يا مخطئاً مـا أغفلك ! عجِّل وبـادرْ أَجَلَكْ
واختِـمْ بخيرٍ عملك لبَّيك إنّ الملـكَ لَكْ
والحمـدَ والنعمةَ لك والعـزَّ لا شريك لكْ

أَخبرني أَحمدُ بن عُبيد الله بن عمّار وأَحمدُ بنُ عبد العزيز الجَوْهريُّ قالا : حدَّثنا عمرُ بن شَبَّةَ قال : كانت جنانُ التي يذكرها أبو نواس جاريةً لآل عبدِ الوهّاب بن عبد المجيد الثَّقفيِّ ، وفيها يقول[1] : [من مجزوء الخفيف]

جَفنُ عيني قد كاد يَسْـ ـقُط من طُولِ ما اختلَجْ
وفؤادي مـن حَرِّ حُبـ ـك والهجرِ قـد نَضِجْ
خبِّريـني فدَتـك نفـ ـسي وأَهلي : متى الفرجْ ؟
كان ميعادُنـا خـرو جَ زيـاد فقـد خرجْ
أَنتَ مِـنْ قتـل عائذ بـكِ في أُضيق الحرجْ

[رآها منصرفة من عرس فارتجل شعراً]

أُخبرني أَحمدُ بنُ عُبَيد اللهِ بن عَمّار قال : حدَّثني إسحاقُ بنُ محمدٍ النخعيُّ قال : حدَّثني الجَمّاز ، قال ابن عَمّارٍ : وحدَّثني به قُلَيبُ بنُ عيسى قال : كانت جِنانُ قد شَهِدت عُرْساً في جِوارِ أبي نُواسٍ ، فانصرَفتْ منه وهو جالس معنا ، فرآها فأنشدَنا بديهاً قولَه[2] : [من الخفيف]

شَهِدتْ جَلْوَةَ العَروس جِنانٌ فاستمالـت بِحُسنِها النظارَهْ
حسِبوها العَروسَ حين رأوها فإليهـا دون العَروسِ الإشارَهْ
قال أَهلُ العروسِ حينَ رأوها ما دهانـا بهـا سواكِ عُمارَهْ

قال : وعمارة زوجُ عبد الرحمن الثقفيِّ ، وهي مولاة جِنان .

[يعتذر لها فكان ردّها جافياً]

أُخبرني محمدُ بنُ يحيى الصُّوليُّ ومحمدُ بنُ خلَف قالا : حدَّثنا يزيدُ بنُ محمد المُهلبيُّ عن

1 ديوانه : 230 .
2 ديوانه : 241 .

محمدِ بن عمر ، قال : غضِبتْ جِنانُ من كلامٍ كلّمها به أَبو نُواسٍ ، فأَرسل يعتذرُ إليها ، فقالت للرسول : قُل له : لا بَرِح الهِجْرانُ رَبْعَك ، ولا بَلغْتَ أملك من أحبَّتِك ، فرجع إليه ، فسأله عن جوابها ، فلم يخبره فقال[1] : [من الوافر]

فدَيتُكَ فيمَ عَتبُك مِن كلامٍ ... نَطقت بـه على وجهٍ جميلِ ؟

وقولُك للرسولِ عليكَ غَيري ... فليس إلى التواصلِ من سبيلِ

فقـدْ جاءَ الرسولُ له انكسارٌ ... وحـالٌ مـا عليهـا من قَبولِ

ولـو رَدَّت جِنانُ مَردَّ خيرٍ ... تَبيَّنَ ذاكَ في وجـهِ الرّسولِ

[عتاب واستمالة]

قال أَبو خالدٍ يزيدُ بنُ محمدٍ : وكان أَبو نواسٍ صادقاً في محبّتِه جِنانَ مِن بين مَن كان يَنسُب به من النساءِ ويداعبه ، ورأيت أصحابَنا جميعاً يُصحِّحون ذاك عنه ، وكان لها مُحِبّاً ، ولم تكن تُحبّه ، فمِمّا عاتبها به حتى استمالها بصحّة حبِّهِ لها فصارت تُحِبّه بعد نُبُوِّها عنه قوله[2] : [من المنسرح]

جِنـانُ إنْ جُدتِ يا منايَ بما ... آمـلُ لم تَقطُـرِ السماءُ دَمـا

وإن تَمـادَيْ ، ولا تَمادَيـت في ... منعِـك ، أُصبحْ بِقَفْـرةٍ رمِما[3]

عَلِقْتُ مَن لو أَتى على أَنفُس المـ ... ـاضين والغابريـن مـا نَدِما

لـو نظـرَتْ عينُـه إلى حجَر ... وَلّـد فيـه فُتورُهـا سَقَما

[رحمته من إلحاحه]

أَخبرني محمدُ بنُ جعفرٍ النحويُّ صِهرُ المبرِّد قال : حدَّثني محمدُ بنُ القاسم عن أَبي هِفّانَ عن الجَمّاز ، وأخبرني محمدُ بنُ يحيى الصوليُّ قال : حدَّثني عَوْن بن محمدٍ قال : حدَّثني الجمّاز قال : كنت عند أبي نُواس جالساً إذ مرّت بنا امرأةٌ مِمّن يداخل الثقفيين ، فسألها عن جِنانَ وألحف في المسألة واستقصى ، فأخبرَتْه خبرَها وقالت : قد سمِعتُها تقول لصاحبة لها من غيرِ أن تعلَمَ أنّي أسمَع : وَيْحك ! قد آذاني هذا الفتى ، وأبرمَني ، وأحرج صدري ، وضيّق عليَّ الطرقَ بحدةِ نظرِه وتَهتّكِه ؛ فقد لهج قلبي بذِكْره والفكرِ فيه من كثرة فِعله لذلك حتى رحمته ، ثم التفتت فأمسكَت عن الكلام ؛ فسُرَّ أبو نواس بذلك ، فلمّا قامت المرأة أنشأ يقول[4] : [من البسيط]

---

1 ديوانه : 249 .

2 ديوانه : 233 .

3 رمم : عظام بالية .

4 ديوانه : 248 .

يا ذا الذي عن جِنانٍ ظَلَّ يُخبِرنا ... باللهِ قُلْ وأَعِدْ يــا طيِّبَ الخبَرِ
قال اشتَكتكَ وقالت ما ابتُليتُ به ... أراه مِــن حَيثُما أَقبلتُ في أَثَري
ويُعمِل الطرفَ نحوي إن مررتُ به ... حتى لَيُخجِلني مــن حِدّة النظرِ
وإن وقفْــت لـــه كيما يكلِّمُني ... في الموضع الخِلْو لم ينطِقْ من الحَصَرِ
مــا زال يفعلُ بــي هذا ويُدْمِنه ... حتى لقد صار من همِّي ومن وَطري

[رسالة إلى القاضي الناصح]

أَخبرني أَحمدُ بنُ عُبَيد الله بنِ عمّار قال : حدَّثني عليٌّ بن محمدٍ النَّوْفليُّ وأَحمدُ بن سليمانَ بن أبي شيخٍ قالا : قال ابن عائشة : وأخبرني الحسنُ بن عليٍّ وابن عمَّار عن الغَلابيّ عن ابن عائشةَ : قال ابن عمَّار : وحُدِّثت به عن الجمَّاز ، وذكَره لي محمدُ بن داودَ الجرّاح عن إسحاقَ النَخعيِّ عن أحمدَ بنِ عُمَير[1] : أنَّ محمدَ بن حَفصِ بن عُمَر التميميّ ، وهو أبو ابن عائشة ، انصرفَ من المسجدِ وهو يتولَّى القضاء ، فرأى أبا نواس قد خلا بامرأة يُكلِّمها . وقال أحمدُ بن عُمَير في خبره : وكانت المرأةُ قد جاءته برسالة جِنانَ جاريةِ عُمارةَ امرأة عبدِ الوهّابِ بن عبدِ المجيدِ ، فمرَّ به عُمرُ بنُ عثمانَ التيميُّ وهو قاضي البصرة ، هكذا ذكر دحمدُ بن عُمَير وحده ، وذكر الباقون جميعاً أنّه محمدُ بنُ حَفصٍ .

قال الجمّاز : وكانت عليه ثياب بَياض ، وعلى رأسِه قَلَنْسُوة مُضَرَّبة فقال له : اتَّقِ اللهَ ، قال : إنّها حرمتي ، قال : فصُنْها عن هذا الموضع . وانصرف عنه ، فكتب إليه دبو نُواس[2] : [من مجزوء الكامل]

## صوت

إنّ التـــي أَبصرْتَهــــا ... بِكْـــراً أُكلّمهــا رسولُ[3]
أَدَّت إليّ رسالـــــــةً ... كادت لهــا نَفْسي تسيلُ
مِــن ساحـــرِ العينـــين ... يَجذِب خَصرَه رِدْفٌ ثقيلُ
متقلِّــد قَـــوسَ الصِّبــا ... يَرْمي وليس لـــه رَسيلُ[4]
فلـــو انّ أُذْنَـــك بيننــا ... حتـــى تَسمَّع مــا تقــولُ

1 انظر «أخبار أبي نواس» لأبي هفان ، (فراج) .
2 ديوانه : 270 .
3 بكراً أكلمها في الديوان : سحراً أكلمها .
4 الرسيل : الموافق في النضال .

لرأيتَ ما استقْبحتَ من أمري هو الأَمرُ الجميلُ[1]

في هذه الأبيات لحنان من الرملِ وخفيفِه ، كلاهما لأبي العَنْبَس بنِ حمدونَ .

قال ابنُ عُمَير : ثم وجَّه بها فأُلقِيت في الرِّقاع بين يدي القاضي ، فلمّا رآها ضحك ، وقال : إن كانت رسولاً فلا بأسَ .

وقال ابنُ عائشة في خبره : فجاءَني برُقعة فيها هذه الأَبيات ، وقال لي : ادفعها إلى أَبيك ، فأَوصلتها إليه ، ووضعتُها بين يديه ، فلمّا قرأها ضحك ، وقال : قُل له : إنّي لا أتعرّضُ للشعراء .

[التعمية عنها لا تنطلي]

حدَّثني عليُّ بنُ سليمانَ الأَخفشُ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ يزيدَ قال : كان أَبو عثمان أَخا مولى جِنانَ ، وكان مولاها أبو مَيَّة زوج عُمارةَ وهي مولاتها ، وكانت له بحَكمان ضَيعةٌ كان ينزلها هو وابنُ عمٍّ له يقال له : أبو مَيَّة ، فقال أبو نواس فيه قوله : [من الخفيف]

أَسأَلُ القادِمَين من حَكَمانِ كيف خلَّفتما أَبا عثمانِ

وأَبا مَيَّةَ المهذَّب والما جدَ والمرتَجى لِرَيب الزّمانِ

فيقولان لي : جِنانٌ كما سرَّ كَ في حالها فَسَلْ عن جِنانِ

ما لَهمْ لا يباركُ اللهُ فيهمْ كيف لم يُغنِ عندَهمْ كِتماني

[عبث لا عشق]

فأَخبرني ابنُ عمّار قال : حدَّثني محمدُ بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني محمدُ بنُ عبد الملكِ بن مروان الكاتبُ قالا : كنت جالساً بِسُرَّ مَنْ رأى في شارع أبي أحمد ، فأنشدني قول أبي نُواس : [من الخفيف]

أَسأَلُ المقبِلَيْن من حَكَمانِ كيف خَلَّفتما أَبا عثمانِ ؟

وإلى جانبي شيخٌ جالسٌ فضحك ، فقلت له : لقد ضحكتَ من أمر ، فقال : أجلْ ، أنا أبو عثمان الذي قال أبو نُواس فيه هذا الشعر ، وأبو مَيَّة ابنُ عمِّي ، وجِنانُ جاريةُ أخي ، ولم تكن في موضع عِشْق ، ولا كان مذهَبَ أبي نواسٍ النساءُ ، ولكنّه عبَثٌ خرج منه .

[سبقه النابغة الجعديّ إلى التكنية في شعره بغير اسم صاحبته]

أَخبرني عليُّ بنُ سليمان قال : قال لي أَبو العبّاسِ محمدُ بنُ يزيدَ : قال النّابغة الجَعديّ : [من الخفيف]

---

1 أمري في الديوان : أمرنا .

أُكْني بِغَير اسمها وقد عَلِم اللـ ـهُ خَفِيّاتِ كلِّ مُكْتَتَمِ

وهو سَبق النّاسَ إلى هذا المعنى ، وأخذوه جميعاً منه ، وأحسنُ مَن أخذه أبو نُواس حيث يقول : [من الخفيف]

أسأَلُ المُقبلَينَ من حكمانِ كيف خلّفتُما أبا عثمانِ ؟

فيقولان لي جنانٌ كما سرّ كَ في حالِها فَسَلْ عن جنانِ

ما لَهم لا يباركُ اللهُ فيهمْ كيف لم يُغْنِ عندَهمْ كِتماني

[أنست المآتم أشجانه]

أخبرني أحمدُ بنُ عُبَيد الله بنِ عمّار ، أنشدني أحمدُ بنُ محمدٍ بن صَدقةَ الأنباريُّ لأبي نواسٍ يذكر مأتماً بالبصرة ، وحضرتْه جِنان[1] : [من السريع]

يا مُنسيَ المأتمِ أشجانَه لمّا أتاهمْ في المُعزّينا

سَرَتْ قِناعَ الوشيِ عن صُورة ألبسها اللهُ التّحاسينا[2]

فاستفتَنتهنّ بتمثالها فهنّ للتكليفِ يبكينا

حَقٌّ لِذاك الوجهِ أن يزدهي عن حزنه مَنْ كان محزوناً

[أبرزها له المأتم]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني إسحاقُ بنُ محمدِ النخَعيُّ ، قال : حدَّثنا عبدُ الملك بنُ عمرَ بنِ أبان النخعيِّ ، وكان صديقاً لأبي نواس : أنّ أبا نُواسٍ أشرفَ مِن دارٍ على منزل عبدِ الوهّاب الثقفيِّ ، وقد مات بعض أهله وعندهم مأتم ، وجِنانُ واقفة مع النساء تَلطِم وجهها وفي يدها خِضاب ، فقال[3] : [من السريع]

يا قَمراً أبرَزه مأتَمٌ يَندُب شجواً بين أتراب

يَبكي فيُذري الدُّرَّ من عينِه ويَلْطِم الوردَ بعُنّاب[4]

لا تَبْكِ ميْتاً حلَّ في حُفرةٍ وابْكِ قتيلاً لَكَ بالباب

أبرَزه المأتمُ لي كارهاً برَغْمِ دايات وحجّاب

لا زال موتاً دَأبُ أحبابه ولا تَزَل رؤيتَه دابي

1 ديوانه : 242 .

2 سرت في الديوان : حلّت ، وسرت : ألقت .

3 ديوانه : 242 .

4 يذري : ينشر .

[سفيان بن عيينة يستحسن هذا الشعر]

فحدَّثني أَحمدُ بنُ عُبَيد الله بنِ عَمَّار ، قال : حدَّثني محمد بنُ القاسم ، حدَّثني محمد بنُ عائشة قال : قال لي سفيانُ بن عُيَيْنَةَ : لقد أحسن بَصْريُّكم هذا أبو نُواسٍ حيث يقول ، وشدّد الواو وفتح النون : [من السريع]

يــا قَمَراً أَبصرْتُ في مأتــمٍ  يَنــدُب شَجْواً بــين أَتراب
يَبكي فيُذري الدُّرَّ مــن عينِهِ  ويلْطِــم الــوردَ بعُنّــاب

قال : وجعل يعجَب من قوله : ويلطِم الوردَ بعُنَّاب .

وأَخبرني الحسنُ بن عليٍّ قال : حدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ أبي سعدٍ قال : حدَّثني محمدُ بنُ محمدٍ قال : حدَّثني حسَينُ بنُ الضّحّاك قال : أنشد ابنُ عُيَيْنَةَ قولَ أبي نواس : [من السريع]

يَبكي فيُذْري الدُّرَّ من طَرْفِه  ويلْطِــمُ الــوَرْدَ بعُنَّــاب

فعجبتُ منه ، وقال : آمنت بالذي خلَقه . وقد قيل : إنّ أَبا نواس قال هذا الشعر في غير جِنان .

[ربّما كانت أَبياته في غير جنان]

أَخبرني بذلك الحسنُ بن عليٍّ قال : حدَّثنا محمدُ بن القاسم بنُ مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني بعض الصيارف بالكَرْخ ، وسمّاه ، قال : كان حارسُ دَرْبِ عَوْن يقال له : المبارَك ، وكان يلبس ثياباً نظيفةً سَرّيةً ، ويركَب حماراً ، فيطوف عليه السوق بالليل ويَكريه بالنّهار ، فإذا رآه مَن لا يَعرفه ظنَّ أنّه من بعض التجار ، وكان يصل إليه في كلّ شهر من السُّوق ما يسَعُه ويفْضُل عنه ، وكانت له بنت من أجمل النساء ، فمات مباركٌ وحضره النّاس ، فلمّا أُخرجَت جَنازته خرجَتْ بنتُه هذه حاسرةً بين يديه ، فقال أبو نواس فيها : [من السريع]

يا قمراً أَبــرَزه في مأْتمٍ  يندُبُ شَجْواً بين أَتراب

وذكر الأَبيات كلَّها .

[تطلب ألاَّ يزورها أيّاماً]

أَخبرني محمدُ بن جعفر قال : حدَّثني أَحمدُ بنُ القاسم عن أَبي هَفّان عن الجَمّاز واليؤيؤ وأصحابِ أبي نُواسٍ أنّ جِنانَ وجَّهتْ إليه : قد شَهَرتني ، فاقطع زيارتَك عَنِّي أيّاماً لينقطعَ بعضُ القالةِ ، ففعل ، وكتب إليها[1] : [من المنسرح]

1 ديوانه : 290 .

إنَّا اهتجرنا للنّاسِ إذ فَطِنوا ... وبينَنا حين نلتقي حَسَنُ[1]
نُدافع الأَمر وهْو مُقتبِلٌ ... فشبَّ حتى عليه قد مَرنوا
فليس يُقذِي عينا مُعايَنةٌ ... له وما إنْ تمُجّه أُذنُ
ويحَ ثَقيفٍ ماذا يَضرّهمُ ... أنْ كان لي في ديارهمْ سكَنُ[2]
أُرْيَبُ ما بيننا الحديثُ فإن ... زِدنا فزيدوا وما لِذا ثَمنُ

[رسالة لجنان من بغداد]

أخبرني الحسنُ بن عليٍّ قال: حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه، قال: حدَّثني ابنُ أَبي سَعْدٍ قال: بلغني أَنَّ أبا نُواس كتب إلى جِنان من بغداد[3]: [من الطويل]

كَفى حَزناً أَلاّ أَرى وجهَ حِيلةٍ ... أَزورُ بها الأَحبابَ في حَكَمانِ
وأُقسِمُ لولا أن تَنال مَعاشرٌ ... جِناناً بما لا أَشتهي لِجِنانِ
لأَصبحتُ منها دانيَ الدارِ لاصقا ... ولكنّ ما أَخشى، فُدِيتِ، عداني
فواحَزناً حُزْناً يؤدِّي إلى الرّدى ... فأَصبحَ مأثوراً بكلِّ لِسانِ
أُراني انقضَتْ أَيّامُ وصليَ منكمُ ... وآذَن فيكم بالوَداعِ زماني

[شتمته وتنقصته]

أخبرني الحسنُ قال: حَدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه عن يحيى بنِ محمدٍ عن الخُرَيْميِّ قال: بلغ أَبا نُواسٍ أَنَّ امرأةً ذَكَرت لِجنانَ عِشقَه لها، فشتمته جِنانُ وتنقصته وذكرَتْه أقبحَ الذِّكر، فقال[4]: [من المنسرح]

وا بأَبي مَنْ إذا ذُكرتُ له ... وطولُ وَجدي به تنقّصني
لَوْ سأَلوه عن وَجهِ حُجّته ... في سبِّه لي لقال: يَعشقني
نَعم إلى الحشرِ والتّنادِ نَعَمْ ... أَعشقُه أَو أُلفَّ في كفَني
أَصيحُ جَهراً لا أَسْتَسِرُّ به ... عَنّفني فيه مَن يُعنفني
يا معشرَ النّاسِ فاسمعوه وعُوا: ... أَنَّ جِناناً صديقةُ الحَسَنِ

---

1 اهتجرنا: تقاطعنا.
2 السكن: ما يسكن إليه.
3 ديوانه: 254.
4 ديوانه: 291.

[رآها في المنام بعد الهجر]

فبلغها ذلك . فهجرته ، وأطالت هجره ، فرآها ليلة في منامه وأنّها قد صالحَته ، فكتب إليها[1] : [من السريع]

إذا التقى في النّومِ طَيفانا عاد لَنا الوصلُ كما كانا
يا قرَّةَ العينِ فما بالنا نَشقى ويلتذُّ خيالانا
لو شئتِ إذ أحسنْتِ لي في الكرى أتمَمْتِ إحسانك يقظانا
يا عاشقَين اصطَلحا في الكرى وأصبَحا غَضبى وغضبانا
كذلك الأحلامُ غَدّارةٌ وربّما تَصْدقُ أحيانا

الغناء في هذه الأبياتِ لابنِ جامعٍ ، ثقيلٌ أوّل بالوُسطى عن عمرو .

وقال الخُريميّ : ورآها يوماً في ديار ثقيف فجَبَهَتْه بما كَرِه ، فغضب وهجرها مدّة ، فأرسلت إليه رسولاً تصالحه فردّه ، ولم يصالحها ، ورآها في النّوم تطلب صلحَه ، فقال[2] : [من السريع]

دَسَّتْ له طَيفها كيما تصالِحُه في النَّومِ حين تأبَّى الصلحَ يقظانا
فلم يَجدْ عند طَيفي طَيفُها فَرَجاً ولا رثى لتشكّيه ولا لانا
حَسبتِ أنّ خيالي لا يكون لِما أكون من أجلِه غضبانَ غضبانا
جِنانُ لا تَسأليني الصلحَ سُرعةَ ذا فلم يكن هيّناً منك الذي كانا

وأنشدني عليّ بنُ سليمانَ الأخفشُ لأبي نُواس في جِنان[3] : [من الوافر]

أما يَفنى حديثُك عن جِنانِ ولا تُبقي عَلى هذا اللسانِ
أكُلَّ الدَّهرِ قلتُ لها وقالت فكَمْ هذا أما هذا بِفانِ
جعلْتَ النّاسَ كلَّهمُ سواءً إذا حدَّثْتَ عنها في البيانِ
عدوُّك كالصديق وذا كهذا سواءٌ ، والأباعدُ كالأداني
إذا حدَّثتَ عن شأنٍ توالتْ عجائبُه أتيتَهمُ بشانِ[4]

1 ديوانه : 244 .

2 ديوانه : 283 .

3 ديوانه : 288 .

4 عن شأن توالت في الديوان : عن شيء فولت .

فلو مَوَّهت عنها بآسم أُخرى  علِمنا إذ كَنَيتَ مَن انتَ عانِ ؟

[بيعت ورحلت]

أَخبرني الحسنُ بن عَليٍّ قال : حدَّثني يحيى بنُ محمدٍ السُّلَميّ قال : حدَّثني أَبو عِكرمةَ الضَّبِّيُّ : أنّ رَجلاً قدِم البصرةَ فاشترى جِنانَ من مواليها ، ورحل بها ، فقال أَبو نُواس في ذلك[1] : [من الكامل]

أَمَّا الدِّيـارُ فقلَّما لبثوا بهـا  بين استياق العِيسِ والرُّكْبانِ[2]

وضَعوا سِياطَ السّوْق في أَعناقها  حتى اطّلعْن بِهم على الأَوطانِ

أَخبرني عيسى بنُ الحُسين الورّاقُ قال : حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ الكُرانيُّ قال : حدَّثني أَبو عثمان الأشنانداني قال : كتب أبو نُواس إلى جِنان[3] : [من الخفيف]

أَكثري المَحْوَ في كتابك وامحيـ  ـه إذا مـا محَوْتـه باللسانِ[4]

وأَمِـرِّي السحاة بـين ثنايا  كِ العذابِ المُفلَّجات الحسانِ[5]

إنّنـي كلّمـا مـررتُ بِسَطرٍ  فيـه مَحـوٌ لطعتـه بلِساني

تلك تَقبيلةٌ لكـمْ مـن بَعيد  أُهدِيتْ لي وما بَرِحتُ مكاني[6]

## صوت

[من الطويل]

تجَنَّـى علينـا آلُ مكتوبةَ الذّنبا  وكانوا لنا سلْما فأَضحَوْا لنا حَرْبا

يقولون عـزِّ القلبَ بعـد ذَهابه  فقلت أَلا طُوبـايَ لو أَنَّ لي قلبا

عروضه من الطويل . الشعر لابن أَبي عُيَيْنَةَ ، والغناء لسليمانَ أخي جَحْظَةَ ، رمَل بالوُسطى عن عمرو بن بانة .

1 ديوانه : 292 .
2 الركبان في الديوان : بالركبان .
3 ديوانه : 277 .
4 الديوان :

كثّري السهو في الكتاب ومجّـ  ـيه بريـق اللسان لا بـالبنان

5 في الديوان : وأمرّي الحزام .
6 الديوان :

فـأرى ذاك قبلـة مـن بعيـد  أهديـت لي ومـا برحت مكان

# [ 415] ـ نسب ابن أبي عُيينة وأَخباره[1]

[من المقصود بالاسم]

أبو عُيَيْنَة ، فيما أَخبرنا به عليٌّ بن سليمانَ الأخفشُ عن محمدِ بن يزيدَ ، اسمُه وكنيتُه أبو المِنهال ، وكلُّ مَن يدعى أبا عُيَيْنَةَ من آل المهلَّب فأبو عُيَيْنَةَ اسمُه وكنيته أبو المنهال ، وكلُّ مَن يدعى أبا رُهمْ من بني سَدُوس فكنيته أبو محمدٍ .

وابنُ أبي عُيَيْنَةَ هو محمّدُ[2] بن أبي عُيَيْنَةَ بن المهلَّبِ بن أبي صُفرة . وقال أبو خالدٍ الأسلميُّ : هو أبو عُيَيْنَةَ بن المِنجابِ بن أبي عُيَيْنَةَ ، وهو الذي كان يهجو ابن عمِّه خالداً .

واسم أبي صُفرةَ ظالمُ بن سَرَّاقٍ ، وقيل : غالبُ بن إسراق بن صبح بن كِنديٍّ بن عمرو بن عديّ بن وائل بن الحارثِ بن العَتيك بنِ الأسدِ بن عِمرانَ بن الوضَّاحِ بن عمرو بن مُزَيْقياء بن حارثةَ الغِطْرِيفِ بن امرىء القيس البِطْرِيقِ بن ثعْلَبةَ البُهلول بن مازنٍ زادِ الرَّاكب بن الأزْد .

هذا النسب الذي عليه آل المهلَّب ، وذكر غيرهم أنَّ أصلهم من عجم عُمان[3] وأنَّهم تولّوا الأزدَ ، فلمّا ساد المهلَّب وشرُف وعلا ذِكْرُه استلْحَقوه . وممَّن ذكَرَ ذلك الهيثَمُ بن عديّ وأبو عُبَيْدة وابن مَزْرُوع وابن الكَلبيّ وسائر مَن جَمَع كتاباً في المثالب وهجتهم به الشّعراء فأكثرت .

[أبو المهلّب ليس عربيّاً]

أَخبرني محمد بن عِمْران الصَّيْرَفيّ قال : أَخبرني الحسن بنُ عُلَيْل العَنَزيّ قال : حدَّثني أَبو عبد الله أحمدُ بن محمدٍ بن حميدِ بن سُلَيمان العَدَويّ قال : أخبرني الهيثَمُ بن عَدِيّ ، عن

1 ترجمة أبي عيينة بن محمد بن أبي عيينة في طبقات ابن المعتزّ (288–294) ومعجم المرزباني (110–111) . وفي الشعر والشعراء (750–755) ترجمة لأخيه عبد الله بن محمد بن أبي عيينة . ويورد المبرّد في الكامل (516–554) شعراً كثيراً للأخوين . وجميع المصادر المذكورة تتطرق إلى الأخ الآخر وتورد شيئاً من شعره ، ولكنها تشير إلى أبي عيينة باسمه وإلى عبد الله باسم «ابن أبي عيينة» . غير أن أبا الفرج يشير إلى الأوّل باسمه وبابن أبي عيينة ، وكذلك يفعل عندما يتطرق إلى عبد الله ، مما سبّب اضطراباً في عائدية الخبر والشعر . وللإيضاح بصورة عامة نقول إنّ ما نسب إلى ابن أبي عيينة وكان في دنيا (فاطمة) أو في هجاء خالد بن يزيد بن حاتم أو قبيصة بن روح بن حاتم فهو لأبي عيينة بن محمد ، وما كان في طاهر بن الحسين مدحاً أو ذمّاً فهو لعبد الله بن أبي عيينة ما لم يكن واضحاً بصريح التسمية .

2 محمد بن أبي عيينة هو والد أبي عيينة ، فينبغي أن تكون العبارة «هو ابن محمد . . .» .

3 انظر معجم البلدان (خارك) في أصل أبي صفرة وتسميته .

عبد الله بن عيّاش الهَمْدانيّ قال : وفَد ابن الجلندى في الأزْد ، أزْدِ عُمان ومواليهم وأحلافِهم ، فكان فيمَن وفَد منهم أبو صُفرة ، وكان يُلقَّب بذلك ، لأنّه كان يُصفِّر لِحْيَته ، فدخل على عمر مع ابن الجلندى ولحيتُه مَخْضُوبةٌ مُصْفرَّة ، فقال عمر لابن الجلندى : أكُلُّ مَنْ معك عَرَبيّ ؟ قال : لا ، فِينا العَربيّ وفينا غَيرُ ذلك ، فالتفت عُمرُ ، رحمه الله ، إلى أبي صُفْرة ، فقال له : أعَربيٌّ أنتَ ؟ قال : لا ، أنا مِمَّن مَنَّ الله عليه بالإسلام .

[ختن أبي صفرة وهو شيخ]

قال : وقدِم الحكمَ بن أبي العاصي الثَّقَفِيّ أخو عُثمان بأعلاج من شهرك[1] في خلافة عمر قد أسْلَمُوا ، فأمر عُمَرُ عثمان بن أبي العاصي أن يَخْتِنُهم ، وقد كان أبو صفرة حاضراً فقال : ما لهؤلاء ؟ يُطَهَّرون ليُصلّوا ؟ قال : إنّهم يختنون .

قال : إنّا والله هكذا مِثلُهم ؛ قال : فسَمِع ذلك عثمانُ بن أبي العاصي ، فأمر بأبي صُفْرة فأُجلس عَلى جَفْنةٍ فختُن وإنّه لشيخٌ أشمَط فكان بها مَنْ قال : لسنا نشُكّ في أنّ زوجته كذلك ؛ فأُحضِرت وهي عجوز أدماء ، فأمر بها القابلةَ فنظرت إليها وكشفتها ، وإذا هي غير مختونة ، وذلك منها قد أحشَفَ[2] ، فأمر بها فخُفِضت .

وقال في ذلك زياد الأعجم ، وقد غضب عَلى المهلّب[3] : [من السريع]

نحن قطعنا مـن أبي صُفْرةٍ ... قُلْفَته كي يدخـلَ البَصْرَهْ

لمّـا رأى عُثمانُ غُرمولَـه ... أحنـى عَلى قُلْفَتـه الشَّفْرَهْ

[كتاب المثالب]

وليس هذا من الأقوال المعوَّل عليها ، لأنَّ أصلَ المثالب زِيادٌ لعنه الله ، فإنّه لَمَّا ادُّعي إلى أبي سُفيان ، وعَلِم أنَّ العرب لا تُقرّ له بذلك مع علمها بنسبه ومع سوء آثاره فيهـم ، عمل كتاب المَثالـب ، فألصقَ بـالعَرب كلِّهـا كلَّ عَيْب وعار ، وحق وباطل ، ثم بنى على ذلك الهَيثَمُ بن عَديّ ، وكان دَعِيّاً ، فأراد أن يَعُرّ[4] أهلَ البيوتات تَشَفِّياً منهم ؛ وفعل ذلك أبو عُبيدة مَعْمَرُ بن المُثَنّى ، وكان أصلُه يهوديّاً ، أسلم جدُّه عَلى يَدَي بعضِ آل أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه ، فانتمى إلى ولاء بنـي تَيْم فجدَّد كِتابَ زِياد وزاد فيه ؛ ثم نشأ غَيْلان الشُّعُوبيّ لَعنه الله ، وكان زِنْدِيقاً ثنَوِيّاً لا يُشَكُّ فيه ، عُرِف في حياته بعضُ مذهبه ، وكان يورِّي عنه في

1 لعلّها بلدة فارسية حرف اسمها .

2 أحشف : تقبّض وصار كالحشف .

3 شعر زياد بن الأعجم (بكار) : 71 .

4 يعر : يسوء .

عوراته للإسلام بالتشعّب والعصبيّة ؛ ثم انكشف أَمرُه بعد وفاته ، فأَبدع كتاباً عمله لطاهر بن الحسين ، وكان شديدَ التَّشعُّب والعَصَبيّة ، خارجاً عن الإسلام بأفاعيله ، فبدأ فيه بمثالب بني هاشم وذكر مناكحهم وأُمّهاتِهم وصَنائعهم ، وبدأ منهم بالطّيّب الطّاهر ، رسول الله ﷺ فغَمَصه[1] وذكره ؛ ثم والى بين أهلِ بَيْته الأَذْكياء النجباء عليهم السلام ، ثم ببطون قريش على الوِلاء ، ثم بسائر العرب ، فألصق بهم كلَّ كذب وزور ، ووضع عليهم كلّ خبر باطل ، وأعطاه طاهر على ذلك مائتي ألف درهم فيما بلغني .

وإنّما جرَّ هذا القول ، ذكرُ المهلّب وما قيل فيه ، وأنّي ذكرتُه فلم أَجِد بُدّاً من ذكر ما رُوي فيه ؛ وفيما مرَّ عن أهل النسب ، ثم قُلتُ ما عِنْدي .

[عبد الملك يحرق كتاب المثالب]

أَخبرني حبيبُ بن نَصْر قال : أَخبرني عُمر بن شَبَّة قال : حدَّثني محمد بن يحيى أَبو عُثمان عن أبيه قال : دخل بعضُ النّاس عَلى عبدِ الملك بن مروان فقال له : هل عِنْدك كتابُ زِياد في المَثالب ؟ فتلكَّأ ، فقال له : لا بأس عليك ، وبحقّي إلاّ جئتَني به . فمضى فجاء به ، فقال له : اقرأْ عليَّ ، فقرأَه ، وجَعَلَ عبد الملك يتغيَّظ ويَعْجَب ممَّا فيه من الأَباطيل ، ثم تَمَثَّل قولَ الشاعر . [من الوافر]

وأجرأُ مَنْ رأَيتُ بظَهْر غَيْبٍ  عَلى عَيْب الرّجال أُولُو العُيُوبِ

ثم أَمَر بالكتاب فأُحْرِق .

## رجع الخبر إلى سياقة أخبار ابن أَبي عُيَيْنَةَ

[شاعر مطبوع غزل هجّاء]

وهو شاعرٌ مطبوعٌ ظريفٌ غَزِل هَجّاءٌ . وأنفدَ أَكثرَ أَشعارِه في هجاء ابن عمِّه خالد . وأَخبارهما تُذكر على أَثر هذا الكلام وما يَصْلُح تصديرُ أخباره به . وكان من شعراء الدّولة العبّاسيّة من ساكني البصرة .

حدَّثني عمِّي والصُّوليُّ قالا : حدَّثنا أَحمدُ بن يزيدَ المهلَّبيُّ قال : حدَّثني أَبي قال : أَبو عُيَيْنَةَ اسمه كنيته ، وهو ابنُ محمدِ بنِ أبي عُيَيْنَةَ بن المهلَّب بن أبي صفرة .

[أبوه تولّى الريّ ثم قبض عليه]

وأَخبرني محمدُ بنُ عِمران الصَّيرفيُّ قال : حدَّثني العَنزيّ قال : حدَّثني أَبو خالد الأَسلميُّ قال : أبو عُيَيْنة الشاعرُ هو أبو عُيَيْنة بنُ المِنجابِ بن أَبي عُيَيْنَةَ بن المهلَّب ، وكان محمدُ بن أبي عُيَيْنَةَ أبو أبي عُيَيْنَةَ الشاعر يتولّى الرَّيّ لأبي جعفر المنصور ، ثم قبض عليه وحبسه وغرّمه .

---

1 غمصه : قلل من شأنه وتهاون بحقّه .

وأخبرني محمدُ بن خلفِ بن المَرزُبانِ قال : حدَّثني يزيدُ بن محمدٍ المهلَّبيُّ قال : قال وَهبُ بن جرير : رأيتُ في منامي كأن قائلاً يقول لي : [من الهزج]

ما يلقى أبــو حربِ تعالى اللهُ مــن كربِ

فلم ألبَث أن أخذ المنصورُ أبا حرب محمد بن أبي عُيَيْنَةَ المهلّبي فحبسه ، وكان ولاّه الرَّيّ فأقام بها سنين .

[يتغزَّل بفاطمة ويكني بدنيا]

أخبرني عيسى بن الحُسين الورَّاقُ ومحمدُ بن يحيى الصوليُّ وعمِّي قالوا : حدَّثنا الخَزَنْبَلُ الأصبهانيّ قال : حدَّثني الفَيضُ بن مخلَّد مولى أبي عُيَيْنةَ بن المهلَّب قال : كان أبو عُيَيْنةَ بن محمدِ بن أبي عُيَيْنة يهوى فاطمةَ بنتَ عُمرَ بن حفصٍ الملقَّبِ هَزارَ مَرْدَ ، وكانت امرأة نبيلة شريفة ، وكان يخاف أهلَها أن يذكرَها تصريحاً ، ويَرهبُ زوجَها عيسى بن سليمانَ ، فكان يقول الشعر في جارية لها يقال لها : دُنيا ، وكانت قيِّمة دارها ، ووالِيةَ أُمورها كلِّها . وأنشدنا لابنِ أبي عُيَيْنةَ فيها ، ويَكنى باسم دنيا هذه : [من الخفيف]

مــا لِقَلْبي أرقَّ مـــن كلِّ قلبِ ولِحُبِّي أَشدَّ مـن كلِّ حبٍّ !
ولدنيـــا على جُنونـــي بدنيا أَشتَهي قُربَهـــا وتكرهُ قُربي
نَزلَتْ بي بليّـــةٌ مِـن هواها والبلايا تكون من كلِّ ضَربِ
قُل لدنيا إن لم تُجبك لِما بي رَطبةً مِن دمــوع عينيّ كُتْبي
فعــلامَ انتهرتِ بــالله رسْلي وتهددتِهـــم بحبس وضــربِ
أيُّ ذنبٍ أذنبتُه ليتَ شِعري كان هــذا جزاءه أيُّ ذنبِ ؟

أخبرني عليُّ بن سليمانَ قال حدَّثني محمدُ بن يزيدَ قال : كان أبو عُيينة من أطبع النّاس وأقربهم مأخذاً ، من غير أدب موصوفٍ ولا روايةٍ كثيرة ، وكان يقرِّب البعيد ، ويحذِف الفضول ، ويُقِلّ التكلّف . وكان أصغرَ من أخيه عبدِ الله ومات قبله .

[مَن التي كان يعشقها]

وقيل لعبد الله : أَنت أَشعرُ أَم أَخوك ؟ فقال : لو كان له عِلمي لَكان أَشعرَ منِّي . وكان يَتعشَّق فاطمةَ بنتَ عُمرَ بن حفص هزارَ مَرْدَ التي تَزوَّجها عليُّ بن سليمان ، ويُسِرُّ عشقها ، ويلقِّبها دُنيا كتماناً لأمرها . وكانت امرأة جليلة نبيلة سَرِيّة من النساء ، وكان أبوها من أشدِّ الفُرسان وشُجعانِهم . فذكر عيسى بن جعفرٍ أنّ عيسى بن موسى قال للمهلّب بن المغيرةِ بن المهلّب : أكان يزيدُ بن خالدٍ أشجعَ أم عُمرُ بن حفص هَزارَ مَرْدَ ؟ فقال المهلّب : لم أشهد من يزيد ما شهِدته ، من عُمَر بن حفص ، وذلك أنّي رأيته يركُض في طلب حمارٍ وحشيٍّ حتى إذا

حاذاه جمع جَراميزَه[1] وقفز فصار على ظهره ، فقمص الحمار ، وجعل عُمر بنُ حفص يَحُزّ مَعرفتَه إمّا بِسيفٍ وإمّا بسكّين معه حتى قتله .

قال محمد بن يزيدَ : وحُدِّثتُ عن محمدِ بن المهلّب أنّه أنكر أن يكون أبو عُيينةَ يهوى فاطمة ، وقال : إنّما كان جنديّاً في عِدادِ الشُّطّار ، وكانت فاطمة من أنبلِ النِّساء وأسراهنّ ، وإنّما كان يتعشّق جاريةً لها ، وهذه الأبياتُ التي فيها الغِناءُ من قصيدةٍ له جيّدةٍ مشهورةٍ من شعره ، يقولها في فاطمةَ هذه أو جاريتِها ، ويَكني عنها بدُنيا ، فممّا اختير منها قوله : [من الطويل]

وقالـوا تَجنّبْنا فقلت أَبْعدَ مـا ... غَلبتُمْ على قلبي بسُلطانكم غصبا
غِضابٌ وقـد مَلّوا وقوفي ببابهمْ ... ولكنّ دنيـا لا ملولاً ولا غضبى
وقـد أرسلَتْ في السرِّ أنّي بريّة ... ولم تَـرَ لي فيما تَـرى منهمُ ذَنبا
وقالت لكَ العُتبى وعِندي لك الرِّضا ... وما إنْ لهمْ عندي رضاءٌ ولا عُتبى
ونُبئتهـا تلهـو إذا اشتدَّ شوقُها ... بشعري كما تُلهي المغنِّيـةُ الشَّربا
فأحببتُهـا حُبّـاً يقَـرُّ بعينِهـا ... وحُبّي إذا أحببتُ لا يشبه الحبا
فيـا حسرتا نَغّصتُ قُربَ ديارها ... فـلا زُلفَةً منها أرجّي ولا قُربا
لقد شَمِت الأعداءُ أن حِيل بينها ... وبينـي ألا للشامتين بنـا العُقْبى

ومِمّا قاله فيها وغُنّي فيه : [من الكامل]

### صوت[2]

ضيَّعتِ عهدَ فتىً لِعهدكِ حافظٍ ... في حفظِـهِ عَجَـبٌ وفي تضييعكِ
ونأيت عنـه فما لـه من حِيلة ... إلاّ الوقـوفُ إلى أوانِ رجوعكِ
متخشِّعاً يُـذْري عليكِ دموعَه ... أسفاً ويَعجَب من جُمودِ دموعكِ
إن تقتليـه وتذهبـي بفـؤادِه ... فبِحُسن وجهك لا بحسن صنيعكِ[3]

عروضه من الكامل ، الغناء في هذه الأبيات من الثقيل الأوّل بالوُسطى . ذكَر عَمرو بنُ بانةَ أنّه له ، وذكر الهشاميُّ أنّه لمحمدِ بن الحارث بن بسخنّر ، وذكر عبدُ الله بنُ موسى بن محمدِ بن إبراهيم الإمامُ أنّه لإبراهيمَ المَوصليّ .

فذَكر العتّابيُّ ومحمدُ بن الحسنِ جميعاً ، أنَّ محمدَ بن أحمدَ بن يحيى المكّيَّ حدَّثهما قال :

---

1 جراميزه : أطرافه .

2 في الشعر والشعراء : 754 والمرزباني : 111 لعبد الله .

3 إن تقتليه في الشعر والشعراء والمرزباني : إن تفتنيه .

حدَّثني عمرُو بنُ بانةَ قال : ركبت يوماً إلى دارِ صالح بن الرّشيد ، فاجتزتُ بمحمدِ بنِ جعفرِ بنِ موسى الهادي ، وكان مُعاقِراً للصَّبوح ، فألفيتُه في ذلك اليوم خالياً منه ؛ فسألته عن السبب في تعطيله إيّاه ، فقال : نيرانُ عليّ غضبى ، يعني جارية لبعض النخّاسين ببغداد ، وكانت إحدى المحسنات ، وكانت بارعةَ الجمال ظريفةَ اللسان ، وكان قد أفرط في حُبّها حتى عُرِف به ، فقلت له : فما تحبّ ؟ قال : تجعل طريقَك على مولاها فإنّه يستخرجها إليك ، فإذا فعل دفعتَ رقعتي هذه إليها ـ ودفع إليّ رقعة فيها : [من الكامل]

ضيعتِ عهـدَ فتًى لعهدِك حافظٍ ... في حفظِـه عَجَب وفي تضييعكِ

إن سُمتِـه أن تذهبـي بِفؤادِه ... فبِحُسن وجهك لا بِحُسنِ صنيعكِ

فقلت له : نعم ، أنا أتحمّل هذه الرسالةَ وكرامةً ، على ما فيها ، حفظاً لروحك عليك ، فإنّي لا آمَن أن يتمادَى بك هذا الأمر . فأخذتُ الرّقعة وجعلتُ طريقي على منزلِ النخّاس ، فبعثتُ إلى الجارية : اخرجي ، فخرجت ، فدفعت إليها الرقعةَ ، وأخبرتها بخبري فضحكت ، ورجعت إلى الموضع الذي أقبلَتْ منه فجلستْ جِلسةً خفيفةً ، ثم إذا بها قد وافتني ومعها رقعة ، فيها : [من الطويل]

## صوت

وما زلت تَعصيني وتُغري بيَ الرّدى ... وتهجُرني حتى مَرنـتَ على الهجرِ

وتَقطـع أسبابـي وتنسـى مودّتـي ... فكيف تَرى يا مالِكي في الهوى صبري

فأصبحـتُ لا أدري أيأساً تصبُّري ... على الهجرِ أم جِـدَّ البصيرة لا أدري

غنّى في هذه الأبياتِ عمْرو بنُ بانةَ ، ولحنه ثقيل أوّلُ بالبِنصر ، ولِمقاسةَ بنِ ناصح فيها ثقيل آخر بالوُسطى . لحن عمرو في الأوّل والثالث بغير نشيد .

قال : فأخذتُ الرّقعة منها وأوصلْتها إليه ، وسرت إلى منزلي ، فصنَعْتُ في بَيتَي محمدِ بن جعفر لحناً وفي أبياتها لحناً ، ثم صرتُ إلى الأمير صالحِ بنِ الرشيد ، فعرّفته ما كان من خبَري ، وغنَّيته الصوتين . فأمر بإسراج دوابه فأُسرجت ، وركب فركبت معه إلى النخّاس مولى نِيرانَ ، فما بَرِحْنا حتى اشتراها منه بثلاثة آلاف دينار ، وحملها إلى دار محمد بن جَعفر فوهبها له ، فأقمنا يومنا عنده .

أخبرنا محمدُ بنُ يحيى الصُّوليُّ قال : حدَّثني يزيدُ بن محمدٍ المهلَّبيُّ قال : دخلت على الواثق يوماً وهو خليفةٌ ورَبابُ[1] في حِجره جالسة ، وهي صبيّة ، وهو يلقي عليها قوله : [من الكامل]

1 بيروت : زرياب .

ضيّعتِ عهدَ فتًى لِعهدكِ حافظٍ … في حفظه عجَب وفي تَضييعكِ

وهي تغنّيه ويردّده عليها ، فما سمعت غناء قطّ أحسن من غنائهما جميعاً ، وما زال يردّده عليها حتى حفظتَه .

## رجع الخبر إلى حديث أبي عيينة

[عبد الله يذمّ زواج فاطمة]

أخبرني عليُّ بنُ سليمان قال : حدَّثنا محمدُ بنُ يزيدَ قال : قال عبد الله بن محمد بن أبي عُيَيْنةَ أخو أبي عُيَيْنَةَ في فاطمة ، التي كان يُشبّب بها أخوه ، بنتِ عمرَ بن حفص لمّا تزوّجها عيسى بن سليمانَ بن عليّ ، وكان عيسى مبخّلاً ، وكانت له محابسُ يَحبس فيها البِياح ويبيعه ، وكانت له ضيعة تُعرف بِدالية عيسى يبيع منها البقولَ والرياحينَ ، وكان أوّلَ مَن جمع السَّمادَ بالبصرة وباعه ، فقال فيه أبو الشمقمق[1] : [من الوافر]

إذا رُزق العبادُ فإنّ عيسى … لـه رِزقٌ مـن استاه العِبادِ

فلمّا تزوّج عيسى فاطمةَ بنتَ عُمرَ بنِ حفص قال عبد الله بن محمد بن أبي عُيَيْنَةَ في ذلك[2] : [من الطويل]

أفاطمَ قد زُوِّجْتِ عيسى فأبشري … لديه بِـذُلٍّ عاجـلٍ غيرِ آجلِ[3]

فإنَّكِ قد زُوّجْتِ عن غير خبرةٍ … فتًى مـن بني العبّاسِ ليس بعاقلِ

فإن قُلـتِ مِن رَهط النبيّ فإنّه … وإن كان حرَّ الأصلِ عبدُ الشمائلِ

وقـد قـال فيـه جعفرٌ ومحمد … أقاويـلَ حتـى قالهـا كلُّ قائلِ

ومـا قلتُ مـا قالا لأنّكِ أختُنا … وفي البيتِ منّا والذُّرا والكواهلِ

لعَمري لقـد أثبتّـه في نِصابِه … بأن صرْتِ منـه في مَحلِّ الحلائلِ

إذا مـا بَنو العبّاسِ يومـاً تنازعوا … عُرا المجد واختاروا كرامَ الخصائلِ[4]

رأيتَ أبا العبّـاس يسمو بِنفسِه … إلى بَيـع بَيّاحاتـه والمبـاقلِ[5]

قال مؤلّف هذا الكتاب : وكان عبدُ الله ، أخو أبي عُيينةَ شاعراً ، وكان يقدّم على أخيه ،

---

1 شعراء عباسيون (غرونباوم) : 134 .

2 في الكامل عشرة أبيات منها .

3 الكامل : فأيقني بذلّ لديه .

4 في الكامل :

إذا مـا بنـو العباس يومـاً تبادروا … عرى المجد وابتاعوا كرام الفضائل

5 البياح : نوع من السمك .

فأخبرني جَحْظةُ قال : حدَّثني عليُّ بنُ يحيى المنجّمُ قال : قال إسحاق الموصليّ : شعرُ عبدِ الله بن أبي عُيَينةَ أحبُّ إليَّ من شِعرِ أبيه وأخيه . قال : وكان عبدُ اللهِ صديقاً لإسحاق .

[تصريح بالقرابة]

قال محمدُ بن يزيدَ : ومِمّا قاله في فاطمة وصرَّح بذكر القرابة بينهما ، وحقّق على نفسه أنّه يعنيها قوله[1] : [من الوافر]

دعَوتُــكِ بالقرابـةِ والجِـوارِ ... دعـاءَ مصرِّحٍ بـادي السِّرارِ

لأنِـي عنكِ مشغولٌ بنفسي ... ومحتـرِقٌ عليــكِ بغيرِ نـارِ

وأنت توَقَّرين وليس عندي ... على نــارِ الصّبابـةِ مِن وقارِ

فأنتِ لأَن ما بكِ دونَ ما بي ... تُداريــن العــدوَّ ولا أُداري

ولَــوْ واللهِ تشتاقين شوقي ... جَمحْتِ إليَّ خالعــةَ العِذارِ

ألا يا وهبُ فيمَ فضحْتِ دُنيا ... وبُحتِ بسِرِّها بين الجواري

أمــا والراقصات بِكــلّ وادٍ ... غـوادٍ نحوَ مكّــةَ أو سَواري

لقد فضلتْكِ دنيــا في فؤادي ... كفضل يَدي اليمين عَلى اليسارِ

فقُولي مـــا بدا لكِ أن تقولي ... فإنّي لا أَلومَــكِ أن تضاري

[من ظريف شعره فيها]

قال وقال فيها ، وهو من ظريف أشعاره : [من الخفيف]

رَقَّ قلبي لكِ يا نــورَ عَيني ... وأَبــى قلبُــكِ لي أن يَرِقّا

فــأراكِ اللهُ موتــي فإنّــي ... لستُ أرضى أن تموتي وأَبقى

أنا مِن وجــدٍ بدنيايَ منها ... ومِــنَ العُــذّالِ فيهــا مُلَقّى

## صوت

زعمــوا أنّي صديــقٌ لدُنيا ... ليت ذا الباطلَ قد صارَ حقّا

في هذا البيت ثُمّ الذي قبله ، ثم الأوّل لإبراهيم لحنٌ ماخوريّ بالوُسطى عن الهِشاميّ .

قال : وقال فيها أيضاً في هذا الوزن ، وفيه غناء محدَث رَمل طُنبوريّ[2] : [من الخفيف]

عَيشُها حُلــو وعيشُك مُــرُّ ... ليس مسرورٌ كمَــن لا يُسَرُّ

---

1 في الكامل خمسة أبيات منها منسوبة إلى ابن أبي عيينة .

2 الثالث والرابع في الشعر والشعراء : 753 لعبد الله بن أبي عيينة .

كمَـدٌ في الحـبِّ تَسخُن فيه عينُــهُ أكثرَ مِمّــا تَقَــرُّ
قلتُ للائِم فيهـا آلْــهُ عنْها لا يَقَــعْ بينـي وبينك شَرُّ
أَتُراني مُقْصراً عــن هواهـا كلُّ مملــوكٍ إذاً ليَ حــرُّ

وقال فيها أيضاً ، وأنشدَناه الأخفشُ عن المبرِّد ، وأنشدَناه محمدُ بنُ العبّاس اليزيديُّ قال : أنشدني عمِّي عُبَيد الله لأبي عيينة : [من الخفيف]

حين قالت دنيـا عَلامَ نهارا زُرتَ هلا انتظرتَ وقت المساء
إن تكن مُعْجَباً برأيكَ لا تَفْـ ـرَق فاستحْي يـا قليلَ الحياء
ذاك إذ رُوحها ورُوحي مِزاجا نِ كأصفى خمرٍ بأعذَب ماء

[البحتريّ يأخذ معنى له]

قـال محمدُ بنُ يزيـدَ : وقـد أخذ هـذا المعنى غيرُه منه ولم يسمّه ، وهو البحتريّ ، فقـال[1] : [من البسيط]

**صوت**

جَعلتُ حبَّكِ من قلبي بمنزلةٍ هي المصافاةُ بين المـاءِ والرَّاحِ
تهتزّ مثلَ اهتزاز الغصنِ حرّكه مرورُ غيثٍ من الوَسْمي سَحّاحِ

الغناء في هذين البيتين لِزَذاذٍ ثقيل أوّلُ مطلَق في مجرى البِنصَر .

[غزل وفخر]

ومِمّا قاله أبو عُيَيْنةَ في فاطمة هذه ، وكَنى فيه بدنيا قوله[2] : [من المتقارب]

**صوت**

أَلَــمْ تَنْــهَ قلبَـك أن يعشَقا وما لَــك والعشقَ لولا الشَّقا
أمِن بَعـدِ شُربِك كأسَ النُّهى وشَمِّـك ريحـانَ أهـلِ التُّقى
عشِقتَ فَأصبحتَ في العالَميـ ـنَ أشهرَ مِـن فـرسٍ أبلقا
أدُنيايَ من غَمرِ بَحْـرِ الهوى خذي بِيدي قبــل أن أغرقا
أنـا ابــنُ المهلَّب مـا مثلـه لو انَّ إلى الخلــدِ لي مرتقى

غنّى فيه أبو العَنبَس بنُ حمدونَ ، ولحنُه ثاني ثقيلٍ مطلقٌ ، وفيه لِعَريبَ ثقيل أوّل ، رواه أبو العَنْبَس عنها .

---

1 ديوان البحتري : 442 .
2 في الكامل اثنا عشر بيتاً منها منسوبة لأبي عيينة .

وهذه قصيدة طويلة يَذكر فيها دنيا ويفخر بعَقِبِ النسيب بأبيه ، ويذكر مآثر المهلَّب بالعراق ، ولكن ممّا قاله في دنيا منها قوله : [من المتقارب]

أدُنياي من غَمـر بحرِ الهوى ... خُـذي بيدي قبـل أن أغرَقا
أنـا لـكِ عبـدٌ فكوني كمَن ... إذا سرّه عبـدُه أعتقـا
ألَم أخدعِ النّاسَ عن وصلِها ... وقـد يَخـدعُ العاقلُ الأحمقا
بـلى فسبقتُهـمُ إنّـي ... أحـبّ إلى الخيرِ أن أسبقا
ويـومَ الجَنـازةِ إذ أرسلَتْ ... على رُقعـةٍ أن جُـزِ الخَندقا
وعُجْ ثَـمَّ فانظر لنا مجلِساً ... برِفـق وإيّـاكَ أن تخـرَقا
فجئنا كغُصنَين مِـن بانـةٍ ... قَرينَيْنِ خِدْنَيْنِ قـد أورَقا
فقالت لأختٍ لهـا استنشدِيـ ... ـه من شِعرِه المحكَمِ المنتَقى
فقلْـتُ أَمـرتِ بكتمانِـه ... وحذَّرتِ إن شاعَ أن يُسرَقا
فقالـت بعيشِكِ قولي لـه ... تمنَّع لعلّـكَ أن تنفقـا

ومن مشهور قوله في دنيا ، وهو ممّا تهتك فيه وصرَّح وأفحش ، وهي من جيِّد قوله قصيدتُه التي يقول فيها : [من الطويل]

أنا الفارغُ المشغولُ والشوقُ آفتي ... فلا تسألوني عن فَراغي وعن شُغلي
عجبْتُ لِترك الحُبّ دنيـا خليّةً ... وإعراضـه عنهـا وإقبالـه قَبْلي
وما بالُهـا لمـا كتبْتُ تهاونت ... بكُتْبي وقد أرسلْتُ فانتهرَتْ رُسلي
وقـد حلفَـتْ ألاّ تَخُطّ بكفّها ... إلى قابـلٍ خطـاً إليّ ولا تُملي
أبخْـلاً علينـا كلُّ ذا وقطيعـةً ... قضيتِ لدَينـا بالقطيعـة والبخلِ
سلُوا قلبَ دنيا كيف أطلقَه الهوى ... فقد كان في غُلٍّ وثيقٍ وفي كَبْـلِ[1]
فإن جَحَدَتْ فاذكر لها قصرَ مَعبَد ... بمَنْصَفِ مـا بين الأُبُلّة والجبلِ[2]
ومَلعَبنا في النهـرِ والمـاءُ زاخرٌ ... قَرينَين كالغصنَين فَرْعين في أصلِ
ومِن حولِنا الرّيحانُ غَضّاً وفوقنا ... ظِلالٌ من الكَرْمِ المعرَّش والنخلِ
إذا شئتُ مالت بـي إليها كأنّني ... إلى غصن بانٍ بين دِعْصَين من رَملِ

---

1 الكبل : القيد .

2 منصف : منتصف . والأبله : بلدة على شاطىء دجلة . والجبل : موضع بالبصرة .

لَيالِيَ أَلْقاني الهوى فاستضفتُها ... فكانت ثناياها بِلا حِشمة نُزْلي

وكم لذّةٍ لي في هواها وشهوةٍ ... ورَكْضي إليها راكباً وعلى رِجلِ

وفي مأتمِ المهديّ زاحمْتُ ركنَها ... بِرُكني وقد وطَّنتُ نفسي على القتلِ

وبِتنا عَلى خوفٍ أُسكّن قلبها ... بِيُسرايَ واليُمنى على قائم النَّصلِ

فيا طِيبَ طعمِ العيش إذ هي جارةٌ ... وإذ نفسُها نَفْسي وإذ أَهلُها أَهلي

وإذ هي لا تعتلّ عنّي بِرِقبَةٍ ... ولا خوفِ عينٍ من وُشاة ولا بَعلِ

فقد عَفَت الآثارُ بيني وبينها ... وقد أَوحشَت منّي إلى دارِها سُبْلي

ولمّا بلوتُ الحبَّ بعد فِراقها ... قضَيتُ عَلى أُمّ المحبِّين بالثُّكلِ

وأَصبحْتُ معزولاً وقد كنتُ والياً ... وشتانَ ما بين الولايةِ والعَزلِ

[غزل ووصف لقصر]

ومِمّا قاله فيها وفيه غناء[1] : [من الطويل]

**صوت**

أَلا في سبيل اللهِ ما حلَّ بي منكِ ... وصبرُكِ عنّي حين لا صبرَ لي عنكِ

وتركُكِ جِسمي بعد أَخذِكِ مهجتي ... ضئيلاً فهلاَّ كان من قَبْل ذا تركي

فهل حاكِمٌ في الحبِّ يَحكمُ بيننا ... فيأْخذَ لي حقّي ويُنصفَني منكِ

لسُلَيم في هذه الأبيات هزَج مطلَق في مجرى الوُسطى ، وفي هذه القصيدة يقول يصف قصراً كانوا فيه ، وهي من عجيب شعره : [من الطويل]

لقد كنتُ يومَ القَصرِ مِمّا ظَننْت بي ... بريئاً كما أنّي بريءٌ من الشِّرْكِ

يذَكّرني الفِردَوسَ طوراً فأَرعَوي ... وطَوراً يواتيني إلى القَصفِ والفتكِ

بِغَرسٍ كأَبكار الجواري وتُرْبةٍ ... كأَن ثراها ماءُ وَردٍ على مسكِ

وسِرْبٍ من الغِزلانِ يَرتعْنَ حولَه ... كما استُلَّ منظومٌ من الدُّرِّ من سِلكِ

وورقاءَ تحكي المَوصليّ إذا غَدت ... بتغريدها أَحببْ بها وبِمَن تحكي

فيا طِيبَ ذاك القصرِ قصراً ومنزلاً ... بأَفيحَ سهلٍ غيرِ وَعْر ولا ضَنْكِ

كأَن قصورَ القومِ ينظرن حولَه ... إلى مَلِكٍ مُوفٍ عَلى مِنبرِ المُلكِ

يُدِلّ عليها مستطيلاً بِظِلّه ... فيَضحكُ منها وهْي مُطرقةٌ تبكي

---

1 في الشعر والشعراء أربعة أبيات من هذه القصيدة وهي التاسع والسادس والعاشر والحادي عشر .

[أشعر أهل زمانه]

أخبرني أحمد بن عُبيدِ الله بن عمّار قال : حدَّثني عليّ بنُ عمرو الأنصاريّ ، قال : سمِعت الأصمعيّ يذكر أنّ الفضل بن الرَّبيع قال لجلسائه : مَن أشعر أهل عصرِنا ؟ فقالوا فأكثروا ، فقال الفضل بن الربيع : أشعَر أهلِ زماننا الذي يقول في قصرِ عيسى بن جعفر بالخُرَيْبة[1] ، يعْني أبا عُيَيْنةَ : [من البسيط]

زُرْ واديَ القَصرِ نِعم القَصرُ والوادي وحبّذا أهلُه من حاضرٍ بادي

تُرْفا قَراقيرُه والعِيسُ واقفةٌ والضبُّ والنُّونُ والملاّحُ والحادي

[يحذر من الزواج لأجل المال]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا محمدُ بن مُجمع قال تزوَّج سَعيد بن عَبادِ بن حبيب بن المهلَّب بنتَ سفيانَ بن معاويةَ بن المهلّب ، وقد كان تزوَّجها قبله رجلان فدفنتهما ، فكتب إليه دبو عُيَيْنَةَ[2] : [من الوافر]

رأيتَ أثاثَها فرغبتَ فيه وكم نَصبتْ لغيرِك بالأثاثِ[3]

إلى دار المنونِ فجهَّزَتْهم تَحُثُّهم بأربعةٍ حِثاثِ

فَصَيِّرْ أمرَها بيدَيْ أبيها وعَيشِك من حِبالِك بالثَّلاثِ[4]

وإلاّ فالسلامُ عليك منِّي سأبدأ من غدٍ لكِ بالمراثي

[يعاتب إسحاق لتأخّره عن دعوته]

أخبرني محمد بنُ مَزْيد الصُّوليُّ قال : حدَّثنا حَماد بنُ إسحاق عن أبيه ، قال : كان عليُّ بن هشام قد دعاني ودَعا أبا عُيَينة وتأخّرْتُ عنه حتى اصطبحنا شديداً ، وتشاغلْتُ برجُل كان عندي من الأعراب ، وكان فصيحاً لأكتبَ عنه ، وكان عنده بعضُ من يعاديني ، قال حماد : كأنّه يوميء بهذا القول إلى إبراهيمَ بنِ المهديّ ، فسأل أبا عُيَيْنةَ أن يعاتبني بشعرٍ يَنسُبني فيه إلى الخُلف فكتب إليّ : [من الخفيف]

يا مليئاً بالوعد والخُلف والمَطْـ ـلِ بطيئاً عن دَعوةِ الأصحابِ

لَهِجاً بالأعرابِ إنَّ لدينا بعضَ مَن تشتهي من الأعرابِ

---

1 الخريبة : موضع بالبصرة .

2 في الشعر والشعراء عدا الثاني .

3 فرغبت فيه في الشعر والشعراء : فطمعت فيه .

4 وعيشك في الشعر والشعراء : وسرح .

قـــد عرفنا الذي شُغلتَ به عـــ ـــنَّا وإن كان غير مـا في الكِتابِ

قال : فكتبْت إلى الذي حَمل أبا عُيَيْنةَ على هذا ، يعني إبراهيم بن المهديّ : [من الخفيف]

قد فهِمْتُ الكتابَ أُصلحك اللـ ـــهُ وعندي إليـكَ ردُّ الجوابِ

ولَعَمري مـــا تُنصفـونَ ولا كا نَ الذي جاءَ منكمُ في حِسابي

لَسْتُ آتيـــك فاعلَمَـــنّ ولا لي فيك حظٌّ مِن بَعدِ هـذا الكتابِ

[نسب إليه شعر منقوش على حجر]

أخبرني عيسى بنُ الحُسين الورّاقيّ قال حدَّثني عبدُ الله بنُ أبي سعد قال : حدَّثني إبراهيمُ بن إسحاق العُمَريّ قال : حدَّثنا أبو هاشم الإسكندرانيُّ ، عن ابن أبي لَهِيعة قال : حُفِر حَفرٌ في بعضِ أفنيةِ مكّةَ ، فوُجد فيه حَجرٌ عليه منقوش : [من الكامل]

ما لا يكون فلا يكون بحيلةٍ أبـداً ومـا هـو كائنٌ فيكونُ

سيكون مـا هو كائنٌ في وقتِه وأخو الجهالـةِ مُتعَبٌ محزونُ

يَسعى القويُّ فلا يَنالُ بسعيه حظّاً ويحظـى عاجـزٌ ومَهينُ

قال ابنُ أبي سعدٍ : هكذا في الحديث ، وقد أُنشدني هذه الأبياتَ جماعةٌ لأبي عُيَيْنة .

[أشعر من أبي نواس]

حدَّثني عمِّي قال ، حدَّثني عمرُ بن محمدِ بنِ عبد الملك ، قال : حدَّثني عليّ بن عمروس الأنصاريُّ عن الأصمعيّ قال : قال لي الفضلُ بنُ الرَّبيع : يا أصمعيّ ، مَن أشعرُ أهل زمانك ؟ فقلت : أبو نُواس قال : حيث يقول ماذا ؟ قلت : حيث يقول[1] : [من المنسرح]

أما تَرى الشمسَ حَلَّت الحَملا وقـام وزنُ الزّمـانِ فاعتدلا

فقال : واللهِ إنّه لَذِهنٌ فطِن ، وأشعر عندي منه أبو عُيَيْنةَ .

[حاله عند زواج دنيا]

حدَّثني عمِّي ، قال : حدَّثني فضلٌ اليزيديُّ : عن إسحاق أنّه أنشده لأبي عُيَيْنة في دُنيا التي كان يُشبِّب بها ، وقد زوِّجت وبلغه أنّها تُهْدَى إلى زوجِها ، وكان إسحاقُ يستحسن هذا الشعر ويستجيده : [من الطويل]

أرى عهدَهـا كالورْد ليس بِدائـمٍ ولا خيرَ فيمـن لا يدومُ لـه عهدُ

وعهدي لهـا كالآس حسناً وبهجةً له نَضْرةٌ تبقى إذا مـا انقضى الوردُ

1 ديوان أبي نواس (الغزالي) : 63 .

فما وَجَــد العُذريُّ إذ طال وَجدُه بعَفْراء حتــى سَلَّ مهجتَــه الوجدُ[1]
كوَجدي غداة البيـنِ عنــدَ التفاتها وقــد شفَّ عنها دون أَترابها البُردُ
فقلْتُ لأَصحابي هي الشمس ضوؤها قريــبٌ ولكــن في تناوُلِهـــا بُعدُ
وإنِّــي لِمَــن تُهــدَى إليه لَحاسدٌ جرى طائري نَحساً وطائـره سعدُ

[دنيا هي فاطمة]

أخبرني عمِّي قال حدَّثني أَحمدُ بنُ يزيدَ المهلَّبيُّ قال : سأَلتُ أَبي عن دُنيا التي ذَكَرها أَبو عُيَيْنَة بنُ محمدِ بن أبي عُيَيْنة في شعرِه ، وقلت : إن قوماً يقولون : إنها كانت أَمَة لبعض مُغنِّي البصرة ، فقال : لا ، يا بنيّ ، هي فاطمةُ بنتُ عُمرَ بنِ حفصٍ هَزارَ مرْدَ بنِ عثمانَ بنِ قَبيصة أخي المهلَّب ، وكان عيسى بنُ سليمان بن عليٍّ أخو جعفرٍ ومحمدٍ ابني سليمان تزوّجها ، وهجاه عبدُ الله بنُ محمدِ بن أبي عُيَيْنة ، أخو أبي عُيَيْنة فقال : [من الطويل]

أَفاطمَ قد زُوِّجتِ عيسى فأَبشري لديـهِ بِــذُلٍّ عاجــلٍ غيرِ آجلِ
فإنّكِ قد زُوِّجتِ عــن غيرِ خِبرةٍ فتًــى مِن بني العبّاسِ ليس بعاقِلِ

وذكر باقيَ الأبيات ، وقد مضَت متقدّماً .

قال أَحمد بن يزيد : ثم أَنشدني أَبي لأَبي عُيَيْنة يُصرِّح بنَسبِه الجامع له ولفاطمةَ من أَبياتٍ له : [من الكامل]

ولأَنْـتِ إن مُتُّ المصابةُ بـي فتجنَّبي قتــلي بــلا وِتــرِ
فلئن هلكْــتُ لَتَلْطِمِنْ جزَعاً خدَّيـكِ قائمــةً على قبري

قـال أَحمـد : وأَنشدني أَبي أَيضاً في تصديق ذلـك ، وأنّه كان يَكني بدُنيـا عـن غيرهـا : [من الخفيف]

مـا لِدُنيــا تجفوكَ والذنْبُ منها إنَّ هــذا منهــا لَخَــبٌّ ومَكرُ
عرفَـــتْ ذنبَهـــا إليَّ فقالــت ابْدَءوا القــومَ بالصيــاحِ يَفرّوا
قــد أَمــرْتُ الفؤادَ بالصبرِ عنها غيرَ أَنْ ليس لي مــع الحبِّ أَمرُ
وكتمْتُ اسمَهــا حِـذاراً من النا سِ ومِن شرِّهم وَفي النّاسِ شرُّ
ويقولون بُــحْ لنــا باسم دُنيا واسمُ دنيــا سرٌّ على النّاس ذخرُ

---

1 العذري المعني هنا : عروة بن حزام صاحب عفراء .

ثم قالـــوا لِيعلمـــوا ذات نفسي أَعَـــوانٌ دنيـــاك أم هـــيَ بِكرُ
فتنفسْتُ ثـــم قلـــتُ أبكـــر شبَّ يا إخوتي عن الطَّوق عمرو[1]

[ينصح جارة بترك الالحاح]

أخبرني جعفر بنُ قدامةَ قال : حدَّثني هارونُ بنُ محمدِ بنِ عبد الملك الزيّات قال : حدَّثني أبو خالد الأسلميّ قال : كان ابنُ أبي عُيَيْنة المهلّبيّ صديقي ، وهو أبو عُيَيْنة بنُ المِنجاب بنِ أبي عُيَيْنة ، فجاءه رجل من جيرانه كان يستثقله ، فسأله حاجة فقضاها ، ثم سأله أُخرى فوعده بها ، ثم سأله ثالثة فقال : [من الكامل]

خفِّــف عَلى إخوانــك المُؤنا إن شئت أن تَبْقى لهـم سكَنا
لا تُلحفنَّ إذا سألت ففي الـ ـإلحافِ إجحاف بهـــم وعنا

فقام الرجل وانصرف .

[يطلب عزل أمير البصرة ويصرّ على الطلب]

أخبرني أبو دُلَف هاشمُ بنُ محمدٍ ، قال : حدَّثني المبرِّد قال : وفَد ابن أبي عُيَيْنة إلى طاهر بنِ الحُسين يسأله أن يعزل أمير البصرة ، وكان من قِبَله فدافعه ، وعرض عليه عِوَضاً خطيراً من حاجته ، ووعده أن يستصلحَ له ذلك الأمير ويزيلَه عمّا كرهه ، فأبى عزله وأجزل صلتَه ، فقال ابن أبي عيينة فيه : [من البسيط]

يـا ذا اليمينَين قـد أوقرتَني مِننا تَترى هي الغايةُ القصوى من المَنَنِ[2]
ولستُ أستطيع مِن شكر أجيء به إلاّ استطاعةَ ذي رُوح وذي بدنِ
لو كنتُ أعرف فوقَ الشكر منزلة أوفى مِن الشكر عند اللهِ في الثمنِ
أخلصتُها لــك مـن قلبي مهذَّبةً حَذْوًا عَلى مثل ما أوليتَ من حسنِ

أخبرني محمدُ بن القاسم الأنباريّ قال : حدَّثني أبي عن أبي عِكرمةَ عامرِ بن عمران ، وأخبرني به عمّي عن أحمدَ بنِ يزيدَ المهلَّبيّ عن أبيه قال : كان إسماعيلُ بن سليمانَ والياً على البصرة خَليفة لطاهرِ بنِ الحُسين ، فأساء مجاورةَ ابنِ أبي عُيَيْنة حتى تباعد بينهما وقبح ، وأظهر إسماعيل تنقّصَه وعيبَه ، فخرج إلى طاهر ليشكو إسماعيل ، ويسعى في عزلِه عن البصرة ، فبَعُد ذلك عليه بعض البُعد ، وسافر طاهرُ بن الحُسين إلى وجهٍ أمر بالخروج إليه ، فصحِبه ابنُ أبي

1 المثل «شب عمرو عن الطوق» في جمهرة العسكري 1 : 537 ومستقصى الزمخشريّ 2 : 126 وفصل المقال : 125 .
2 أوقرتني في ل : أوليتني .

عُيَيْنة في سفره ، فتَذمّم من ذلك ، وأمر بإيصاله إليه ، فلمّا دخل ابنُ أبي عُيَيْنة إليه سأله عن حوائجه وأدناه ، وأمره برفعها فأَنشده[1] : [من المنسرح]

مَـن أُوحشَته البـلادُ لم يُقِـمِ … فيهـا ومَـن آنَسَتْهُ لم يَـرِمِ[2]

ومَـن يَبتْ والهمـومُ قادحة … في صدرِه بـالزِّنادِ لم ينـمِ

وَمَن يَـرَ النقصَ مـن مَواطئه … يُزل عن النقصِ مَوطِىء القدمِ

والقربُ مِمّـن ينـأَى بجانبه … صدع عَلى الشعبِ غير ملتئمِ

ورُبّ أمـرٍ يعيـا اللبيبُ به … يظـلُّ منـه في حيرة الظُّلمِ

صَبرٌ عليـه كَظْمٌ عَلى مَضَضٍ … وَتَرْكـهُ مـن مواقـع الندمِ

يـا ذا اليمينَيْنِ لم أُزرْك وَلَم … آتـك مـن خَلّة ومـن عَـدَمِ

إنّي مـن اللهِ في مَراح غِنى … ومُغتـدًى واسعٍ وفي نِعـمِ

زارتك بِـي هِمّـةٌ مُنازِعة … إلى العلا مِـن كرائم الهِمَمِ[3]

وإنّنـي لِلجميـلِ محتمِـل … في القَدْرِ مِن مَنصِبي ومِن شيمي

وقد تعلَّقت منـكَ بالذّمِ الـ … ـكبرى التي لا تَخيبُ في الذّمِمِ

فإن أَنَـلْ بُغيتي فأَنـت لهـا … في الحقِّ حقِّ الرجاءِ والرَّحِمِ[4]

وإن يَعُـقْ عائقٌ فلستَ على … جميـلِ رأيٍ عنـدي بمتّهَمِ

في قـدرَ اللهِ مـا أُحمِّلُـه … تعويقُ أمري في اللَّوحِ والقلمِ[5]

لم يَضق الصبرُ والفِجاجُ على … حُـرّ كريمٍ بالصبرِ معتصِمِ[6]

ماضٍ كحدِّ السنانِ في طَرفِ الـ … ـعامِلِ أَو حَـدِّ مصلَت خَذِمِ[7]

إذا ابتـلاه الزّمـانُ كشَّفه … عن ثـوب حُرّيةٍ وعـن كرمِ

---

1 في الشعر والشعراء اثنا عشر بيتاً من هذه القصيدة 1–3 ، 7–9 ، 12–17 .

2 الشعر والشعراء :

من آنسته البلاد لم يـرِمِ … عنها ومن أوحشته لم يقم

3 الشطر الثاني في الشعر والشعراء : إلى جسيم من غاية الهمم

4 الشعر والشعراء : أنل همتي . . . حق الإخاء

5 الشعر والشعراء : تعويق أمري واللوح والقلم

6 الشعر والشعراء : لم يطق السبل . . .

7 العامل : طرف الرمح مما يلي السنان . وخذم : قاطع . وفي الشعر والشعراء : أو حدّ مرهف .

مـــا ساء ظنّـي إلاّ بِواحدةٍ في الصدرِ محصورةٍ عن الكلمِ

ليَهْنَ قومٌ جُزْتَ المـدى بهمُ ولم تقصّـر فيهــم ولم تُلمِ

وليس كلُّ الـــدّلاء راجعـــةً بالنِّصف من مَلئها إلى الوَذمِ[1]

تَرجع بالحَمْـأة القليلة أَحـ ـياناً ورَنْـــق الصُّبابةِ الأَمَمِ[2]

ما تُنبتُ الأَرضُ كلَّ زَهرتهـا ولا تَعُـمُّ السمـاءُ بالدِّيَمِ

مـــا فيّ نَقص عن كلِّ منزلةٍ شريفةٍ والأُمـــورُ بالقِسَمِ

فأجابه طاهر : [من المنسرح]

مَن تستضِفْه الهمــومُ لم يَنَمِ إلاّ كَنومِ المريض ذي السّقَمِ[3]

ولا يــزَلْ قلبُـــه يكابِد ما تُولِـد فيــه الهمومُ مـن أَلمِ

وقد سمِعْــتُ الذي هتفْتَ به ومـــا بأُذني عنك من صممِ

وقد عَلمنا أَنْ لستَ تَصحبنا لِفاقــةٍ فيـك لا ولا عَدمِ

إلاّ لِحَـــقٍّ وحُرمــةٍ وعلى مثلك رَعيُ الحقوقِ والحُرَمِ[4]

أَنتَ امرُؤٌ لا تزول عن كرمٍ إلاّ إلى مثلِـــه مـــن الكرمِ

وأَنت مـــن أُسرةٍ جَحاجِحة فازوا بحسنِ الفعـالِ والشِّيَمِ

فمـا تَـرُمْ مِن جسيم منزلةٍ فالحكم فيـــه إليك فاحتكِمِ

إن كنـــت مُستسقياً سَماحتنا منّـــا تَجُدْكَ اليـــدان بالدِّيَمِ

أَو تَـرْمِ في بَحرنا بدَلوك لا نُعدمْـك مَلئاً لهـا إلى الوَذمِ

إنّـــا أُنـاس لنـــا صنائعُنا في العُرْب معروفةٌ وفي العجمِ

مغتَنِمو كسبِ كلِّ مَحْمَـدةٍ والكسبُ لِلحمـدِ غيرُ مغتَنمِ

[شعره في عزل والي البصرة]

فاحتكم عليه أَبو عُيَيْنة في عزلِ إسماعيلَ بنِ جعفر عن البصرة ، فعزله عنها وأَمَر له بمائة أَلفِ درهم . فقال أَبو عُيَيْنة في عزله إسماعيل بنَ جعفر عن إمارة البصرة[5] : [من المنسرح]

---

1 الوذم : السيور بين آذان الدلو إلى الخشبتين .

2 الحمأة : الطين الأسود . والصبابة : بقية الماء . والأمم : اليسير .

3 المريض في ل : السليم .

4 الحُرَم في ل : والذمم .

5 القصيدة في الكامل (543) لابن أبي عيينة وهو الذي كانت تربطه علاقة بطاهر بن الحسين لا أخوه أبو عيينة .

لا تَعدَمِ العَزْلَ يا أَبا الحسنِ ولا هُزالاً في دولـة السِّمَنِ
ولا انتقـالاً مـن دارِ عافية إلى ديـارِ البـلاءِ والمِحنِ[1]
أَنا الذي إن كفـرْتَ نِعمته أَذاب ما في جنبَيك من عُكَنِ[2]

[ردّ ابن زعبل على هجائه لنزار]

حدَّثني عيسى بنُ الحسين قال : حدَّثني محمدُ بنُ عبدِ الله الحَزَنْبَلِ الأَصبهانيّ قال : كان ابنُ أبي عُيَيْنة قد هجا نِزاراً بقصيدة له مشهورةٍ ، وفضَّل عليها قحطان ، فقال ابن زَعْبل يهجوه ويردّ عليه ، واسمه عمرُو بن زَعْبل : [من الهزج]

بُنَيّ أَبـي عُيَيْنة مـا نطقْتَ بـه مـن اللَّغطِ
على مـا أنـت ملتحِف من الأَوجاعِ في الوسطِ
لِما في الدُّبْرِ مـن نَغَلٍ وما في العِرْضِ من سَقَطِ
أَتتنـا الخَمسُ والمائتـا نِ بالنَّعمـاءِ والغِبَـطِ
أَميرٍ مـن هلالٍ مسـ ـتطيل البـاعِ منبَسِطِ
شريـفٍ ليس بالمدخـو لِ في عِرضٍ ولا رَهَطِ[3]
أَظنّك مِـن يديـه وا قعاً لا شكّ في وَرَطِ
ووالي الخَرجِ فياض الـ ـيَدَيْن بنائـلٍ سَبِطِ[4]
لـه نِعَـم حباك بهـا فلـم تَحفظ ولم تَحُطِ
وقاضٍ مـن أَمير المؤ منـين يقـوم بالقِسَطِ
يَسرُّكَ أَنّـه مـن آ لِ قحطانٍ على شحَطِ[5]
وأَنّك إن ذُكرتَ يقـا لُ شيخٌ فاسقُ الشمَطِ
أَعبدٌ مـن عَبيد عُمـا ن عابَ مناقبَ السّبطِ
وتهجو الغرّ مـن مُضر كفى هـذا من الشَّططِ

1 المحن في الكامل : والفتن .
2 لم يرد هذا البيت في الكامل .
3 عِرض في ل : حسب .
4 سبط : ممتد .
5 آل في ل : حي .

تَيمّـــمْ في مُقَيَّـرة مَسيراً غيـــر مغتبطِ[1]
مجوّفـــةٍ مزيَّنـــة بِـوَدْع لاحَ كالـرَّقَطِ[2]
بنُـوك تَجرّهـــا بالقَلْـ ـس مؤتزرين بالفُوَطِ[3]
متى غمسوا مَراديَهـمْ لِجِـدّ السير تَحتلِطِ[4]
وأنـتَ بموضع السُّكا نِ يُمسِكه بـلا غلطِ
عليـك عبـاءةٌ مشكو كـةٌ بالشَّوكِ لم تُخَطِ
فطيِّـبَ ريحَ بلدتنـــا فِـرارُك خيفةَ الشُّرَطِ
وأنّك قد عُرفتَ بكثـ ـرة التخليـط والغلطِ
ترى الخُسران إن لم تَزْ نِ في يـومٍ ولم تَلُطِ

[نذر المأمون دمه]

قال : وكان ابنُ أبي عُيَيْنة لمّا هجا نِزاراً بلغ شعرُه المأمون ، فنذر دمَهُ ، فهرب من البصرة وركب البحر إلى عُمانٍ ، فلم يزَل بها متوارياً في نواحي الأزد حتى مات المأمون .

أخبرني أحمدُ بن عُبيد الله بنِ عَمّار قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه عن أبيه بقِصّة ابنِ أبي عُيَيْنة مع ابنِ زَعْبلٍ ، فذكر نحو الخبرِ المتقدّم .

[يشبّب بوهبة ثم بدنيا]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني أحمدُ بن يزيدَ المهلّبيُّ ؛ قال : قال : حدَّثني أبي قال : كان ابنُ أبي عُيَيْنة يشبّبُ بوَهبةَ جاريةِ القَرويّ ، وهي التي يقول فيها فروج[5] الزنى قوله : [من البسيط]

يا وهب لم يَبقَ لي شيء أُسَرّ به إلاّ الجلوس فتسقيني وأسقيكِ

ثم عدل عن التشبيب بها إلى دُنيا ، وذكرهما جميعاً في شعره فقال : [من الخفيف]

أرسلَتْ وَهبـــةُ لمـــا رأتني بَعـد سُقْم مـــن هواهـا مُفيقا
أتغيّـرْتَ كأن لم تكـــن لي قبـل أن تعرفَ دُنيـا صديقا

---

1 المقيرة : سفينة مطلية بالقار . مغتبط : مغبوط .
2 الودع : خرز أبيض يخرج من البحر .
3 القلس : حبال السفينة .
4 مرادي : جمع مرادة ، وهي المجداف . تحتلط : تسرع .
5 في معجم المرزباني (495) : فروخ الطلحي المدني ، ويقال فرخ الزنا واسمه يعقوب بن إسماعيل . وقد تقدم ذكره في الأغاني باسم فروج الرفاء الطلحي .

قـد لَعَمري كان ذاك ولكن قَطعَتْ دُنيـا عليك الطريقا

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني أَحمدُ بنُ يزيدَ عن أبيه قال : لَمّا وُلِّي عُمر بنُ حفص هَزارَ مَرْدُ البصرة ، قال ابن أبي عُيَيْنة في ذلك وفي دنيا يكني بها عن فاطمة بنتِ عُمر بن حفص صاحبته : [من المتقارب]

هنيئـاً لِدنيـا هنيئاً لهـا قـدومُ أَبيها على البَصْرَهْ
على أَنّـها أَظهرتْ نَخْـوة وقالت لِيَ المُلكُ والقدرَهْ
فيا نورَ عَيني كذا عاجلاً عـليّ تطاولْـتِ بالإمرَهْ

قال : وهذا دليل على أنّه كان يَكني عن فاطمةَ بدُنيا ، لا أنّه كان يَهوى جاريتها دُنيا .

قال أَحمدُ بن يزيدَ : وفيها يقول أيضاً : [من البسيط]

يـا حسنَها يومَ قالت لي مُودِّعة لا تنسَ ما قلت ، مِن فيها إلى أُذني
كأنّـني لم أَصِلْ دُنيـا علانيَـةً ولم أَزُر أَهلَ دُنيـا زَورةَ الخَتَنِ
جِسمي معي غيرَ أَنّ الرُّوحَ عندَكُمُ فالرُّوحُ في وطنٍ والجسمُ في وطنِ
فلْيعجب النّاسُ منّي أَنَّ لي جسداً لا رُوحَ فيه ولي رُوحٌ بلا بدَنِ

وفي هذه الأَبيات هزَج طُنبوريّ مُحدَث .

[رثاء أخيه داود]

أَخبرني عمِّي قال : حدَّثني أَحمدُ بنُ يزيدَ عن أَبيه قال : وَرد على ابنِ أَبي عُيَيْنة كتابٌ من بعض أهله بأن أخاه داودَ خرج إليه ببريد ، فمات بهَمذان ، فقال ابنُ أَبي عُيَيْنة عند ذلك يرثيه : [من الوافر]

أَنائحـةَ الحَمـامِ قفـي فنوحـي عـلى داودَ رَهنـاً في ضريحِ
لدى الأَجبال من هَمذان راحت بـه الأَيّـام للمـوتِ المُريحِ
ولَم يشهـدْ جنازتَـه البواكي فتبكيَـه بمُنهَـلٍّ سَفـوحِ
وكوني مثلَـه إذ كان حيـاً جـواداً بالغَبـوقِ وبـالصَّبوحِ
أَنائحةَ الحَمـامِ فـلا تشحّي عليـه فليس بالرجـلِ الشحيحِ
ولا بمُثمِّـرٍ مـالاً لِدُنيـا ولا فيهـا بِمِغمـار طموحِ
يبيعُ كثير مـا فيهـا ببـاقٍ ثمـينٍ مـن عواقبـه ربيـحِ
ومـن آل المهلّـب في لُبـاب لُبـابِ الخالـص المحْضِ الصريحِ

همــو أبنــاءُ آخــرةٍ ودُنيــا وأَهــدافُ المراثـــي والمديحِ

[يحبّ قينة في الكوفة]

أخبرني عمِّي ، قال : حدَّثنا أَحمد بنُ يزيدَ عن أبيه قال : قدِمَ أَبو عُيَيْنة إلى الكوفةِ في بعض حوائجه ، فعاشره جماعة من وجوه أهلها ، وأقام بها مدّة ، وأَلِف فيها قَينة كان يعاشرها وأحبَّها حُبّاً شديداً ، فقال فيها : [من الطويل]

لَعَمري لقـــد أُعطيتُ بالكوفةِ المُنى وفـوق المُنـــى بالغانيـاتِ النَّواعمِ

ونادمْتُ أَختَ الشمس حسناً فوافقت هــوايَ ومثــلي مثلَهـــا فَلْيُنادمِ

وأَنشدْتُها شعري بدُنيـــا فعربَدَت وقالــت : مَلـولٌ عهــدُه غيرُ دائمِ

فقلْتُ لهــا يــا ظبيَة الكوفة اغفِري فقــد تبْــتُ مِمّا قلْــتُ توبـةَ نادمِ

فقالت قـــد استوجَبْتَ منّـا عقوبة ولكن سنَرعى فيك رُوحَ ابنِ حاتمِ

[شعره في بستانه وضيعته]

قال أَحمدُ بن يزيد ، قال لي أَبي : كان لابنِ أَبي عُيَيْنة بُستانٌ وضَيعةٌ في بعض قطائع المهلَّب بالبصرة ، فأوطَنَها[1] وصيَّرها منزلَه ، وأقام بها ، وفيها يقول[2] : [من المنسرح]

يــا جنَّــةً فاقت الجِنان فما تَبلغُهـــا قيمــةٌ ولا ثَمَــنُ

أَلِفتُهـــا فاتّخذْتُهـا وطنـــاً إنَّ فــؤادي لأَهلِهـــا وطنُ

زُوِّج حيتانُهـــا الضِّبابَ بهـا فهــذه كَنَّـــةٌ وذا خَتَـــنُ

فانظرْ وفكِّـــر فيما نطقْتُ بـه إنَّ الأَريــبَ المفكِّـر الفطـنُ

مِـن سفـن كالنَّعـــامِ مُقبلة ومــن نَعــامٍ كأَنّهـــا سفنُ

أَخبرني عيسى بن الحُسين قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ المَوصليُّ ، أنَّ أبا عُيينةَ أنشده لنفسه : [من الخفيف]

**صوت**

لا يَكنْ منكِ ما بدا لي بعينيـ ـكِ من اللَّحظِ حِيلةً واختداعا

إن يكن في الفؤادِ شيء وإلاّ فدَعِينـي لا تقتلينـــي ضَياعا

فلَعلِّـي إذا قربــتُ تباعــدْ تِ وأَظهرْتِ جَفوة وامتناعا

---

1 أوطنها : اتخذها وطناً .

2 الأبيات في الشعر والشعراء (755) لأبي عيينة .

حين نفسي لا تستطيع لِما قد ... وقَعَت فيه مِن هواها ارتجاعا

في هذه الأبيات رمَل مطلَق محدَث .

[عبد الله يعاتب محمد بن خالد البرمكيّ]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني أحمدُ بنُ يزيدَ قال : حدَّثني أبي قال : كان عبدُ الله بن محمدِ بن أبي عُيَيْنة أخو أبي عُيينة شاعراً ، وهو القائل يعاتب محمدَ بنَ يحيى بنِ خالدٍ البرمكيِّ بأبيات رائية أوّلها : [من مخلّع البسيط]

اسلَمْ وإن كان فيك عنّي ... قَبْضٌ لِكفَّيْـك وازورارُ
تَلحظني عابساً قطوباً ... كأنّما بـي إليك ثارُ
لو كان أمـر عتبتَ فيه ... يجـوز منـه لِيَ اعتذارُ
أو كنتُ سأّلـة حريصاً ... لحـانَ مِنّـي لك الفِرارُ
أو كنتُ نَذلاً عَديمَ عقل ... لا مَنصِبٌ لي ولا نِجارُ
أوْ لَم أكُنْ حاملاً بِنفسي ... ما تحملُ الأنفُس الكبارُ
وأنّني مـن خِيارِ قومي ... وكلُّ أهـلي فتـى خيارُ
عـذرْتُ إن نالنـي جفاءٌ ... منـك وإن نالني ضِرارُ
لكـنّ ذنبي إليك أنّي ... قحطانُ لي الجَدّ لا نِزارُ
عليكَ منّـي السّلام هذا ... أوانُ يَنـأى بـيَ المزارُ
ما كنتُ إلاّ كلَحم مَيْت ... دَعا إلى أكلـه اضطرارُ
راحَت عَلى النّاس لابنِ يحيى ... محمـدٍ دِيمـةٌ غِـزارُ
ولم يَكُن مـا أنلْتُ منه ... بقدْر مـا يَنجلي الغبارُ
قد أصبح النّاسُ في زمان ... أعلامُـه السِّفْلـة الشِّرارُ
يستأخر السابـقُ المُذكِّي ... فيـه ويَستقدِم الحِمـارُ
وليس لِلمرء مـا تمنّى ... يوماً ومـا إنْ له اختيارُ
مـا قـدَّر اللهُ فهْو آت ... وفي مقاديـره الخيـارُ

[يهجو قبيصة ابن روح المهلّبيّ ، ويمدح داود ابن عمّه]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثنا أبو هَفَّان ، قال : كان ابنُ أبي عُيَيْنَة قد قصد قَبِيصة بن رَوحِ بن حاتمٍ المهلَّبيَّ واستماحه ، فلم يجد عنده ما قدَّر فيه ، فانصرف مُغاضِباً ، فوجَّه إليه داودُ بن مَزْيدٍ بنِ حاتم بنِ قَبيصة ، فترضّاه ، وبلغ ما أحبّه ورضيه من بِرّه ، ومعونته ،

فقال يمدحه ويهجو قبيصة[1] : [من الكامل]

أَقَبيصَ لستَ وإن جهَدَتَ بمُدرك سعيَ ابنِ عمِّك ذي العلا داودِ
شتان بينَك يا قبيصَ وبينه إن المذمَّمَ ليس كالمحمودِ
اختار داودٌ بناءَ محامد واخترتَ أُكلَ شَبارقٍ وثَريدِ[2]
قد كان مَجدُ أَبيكَ لو أُحييته رَوْحٍ أَبي خَلَف كمَجد يزيدِ
لكن جرى داودُ جَريَ مبرِّز فحوى المَدى وجريتَ جريَ بليدِ
داودُ محمودٌ وأَنتَ مذمَّم عجباً لذاك وأَنتما من عودِ
ولرُبّ عود قد يُشقّ لِمسجد نِصفاً وسائرُه لِحُشّ يهودِ[3]
فالحشُّ أَنتَ له وذاك لِمسجد كم بين موضع مَسْلَحٍ وسجودِ
هذا جزاؤكَ يا قبيصَ لأَنّه جادَتْ يداه وأَنتَ قُفل حديدِ

[شعره في مجلس صاحب بستان الجارية]

حدَّثني جعفرُ بنُ قُدامة قال : حدَّثنا حَماد بنُ إسحاقَ قال : حدَّثني أَبي قال : كانت لأبي حُذَيفة مولى جعفرِ بن سليمانَ جاريةٌ مُغنِّية يقال لها : بُستانُ ، فبلغه أنّ أبا عُيَيْنة بنَ محمّدِ بنِ عُيَيْنة ذكر لبعض إخوانه محبّتَه لها ولاستماعِ غنائها ، فدَعاه ، وسأله أن يطرح الحِشمة بينه وبينه ، فأجابه إلى ذلك ؛ وقال لما سكِر وانصرف من عنده في ذلك : [من الوافر]

أَلَم تَرَني على كَسَلي وفَتري أَجبت أَبا حُذيفة إذْ دَعاني
وكنتُ إذا دُعيت إلى سماع أَجبْتُ ولم يكُن منّي تواني
كأَنّا من بشاشتِنا ظِللنا بيومٍ ليس من هذا الزّمانِ

[يهجو مَن لم يعطه سماداً]

أَخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني محمدُ بنُ عثمان قال : كانت لِعيسى بنِ موسى ضَيعةٌ إلى جانبِ ضَيعةِ ابن أبي عُيَينة بالبصرة ، وكان له إلى جانبِ ضَيعتِه سَماد كثير ، فسأله أن يعطيَه بعضَه لِيَعْمُرَ ابنُ أبي عُيَيْنة به ضَيعته ، فلم يفعل فقال فيه : [من الوافر]

1 الأبيات 1 و6–8 في معجم المرزباني : 110 و 6–8 في الشعر والشعراء : 755 وطبقات ابن المعتزّ .
2 محامد في ل : مكارم . والشبارق : جمع شِبرق ، وهو نبات منتن يلقيه البحر .
3 المرزباني : وباقيه لحش .

رأَيتُ الناسَ هَمُّهـم المعالي ... وعيسى همُّه جمع السَّمادِ
ورزق العالمين بِكَفّ ربِّي ... وعيسى رزقُه في اسْتِ العبادِ[1]

[هجاؤه ابن عمه خالد]

هكذا ذكره ابنُ مَهْرُوَيْه ، وهذا بيت فاسد ، وإنّما هو : [من الوافر]

إذا رُزِق العبادُ فإنّ عيسى ... له رِزق من استاه العبادِ

ولابن أبي عُيَيْنة مع ابن عمِّه خالدٍ أخبارٌ جَمّةٌ أذكرها هاهنا والسببَ الذي حَمله عَلى هجائه : أخبرني عليُّ بن سليمانَ الأخْفشُ ببعضِها ، عن محمدِ بنِ يزيدَ المبرِّدِ ، وببعضها عن أحمدَ بن يزيدَ المهلَّبيِّ عن أبيه ، وقد جمعتُ روايتهما فيما اتّفقا عليه ، ونسبْت كلَّ ما انفرد به أحدُهما أو خالفَ فيه إليه ، وذكرْتُ في فُصولِ ذلك وخِلالِه ما لم يأتيا به مِمّا كتبْتُه عن الرّواة ، قالا جميعاً : وَلِيَ خالدُ بنُ يزيدَ بنِ حاتمِ بنِ قَبيصة بنِ المهلَّبِ جُرْجانَ ، فسأل يزيدُ بنُ حاتمٍ أبا عُيَيْنة أن يَصحبَه ويخرج معه ، ووعدَه الإحسانَ والولاية ، وأوسع له المواعيد ، وكان أبو عُيَيْنة جنديّاً ، فجَرَد اسمه في جريدته ، وأخرج رزقه معه ، فلمّا حصل لِجُرجان أعطاه رِزقه لشهر واحد ، واقتصر على ذلك ، وتشاغل عنه وجفاه . فبلغه أنّه قد هجاه وطعَنَ عليه ، وبسط لسانه فيه ، وذكره بكلّ قبيح عند أهل عملِه ووجوهِ رعيّته ، فلم يقدِر على معاقبته ، لموضع أبيه وسنّه ومَحلّه في أهلِه ، فدَعا به ، وقال له : إنّه قد بلغني أنّك تريد أن تَهرُبَ فإمّا أن أقَمْتَ لي كفيلاً برزقِكَ أو رددته ، فأتاه بكفيل فأعنَتَه ، ولم يقبله ، ولم يَزَل يردِّده حتى ضجِر ؛ فجاءه بما قبض من الرزقِ فأخذَه ، ولجَّ أبو عُيَيْنة في هجائِه وأكثر فيه حتى فضحه . فقال في هذا عن أحمدَ بنِ يزيد المهلّبيّ : [من الكامل]

دُنيا دعوتك مُسرِعاً فأَجيبي ... وبِما اصطفَيتُكِ في الهوى فأَثيبي
دومي أَدُمْ لكِ بالصَّفاءِ على النَّوى ... إنِّي بِعهدِكِ واثقٌ فثقي بي
ومِن الدَّليلِ على اشتياقي عَبْرتي ... ومَشيبُ رأْسي قبلَ حينِ مشيبي
أَبْكي إليكِ إذا الحَمامةُ طَرَّبَتْ ... يا حسنَ ذاك إليَّ من تطريبِ
تبكي على فَنَنِ الغصونِ حزينةً ... حُزنَ الحبيبةِ من فِراقِ حبيبِ
وأَنا الغريبُ فلا أُلامُ على البُكا ... إن البُكا حسَنٌ بكلِّ غريبِ
أفلا يُنَادى لِلقفولِ برحلةٍ ... تَشفي جَوًى من أَنفسٍ وقلوبِ

1 تقدم هذا البيت بالرواية الأخرى لأبي الشمقمق في عيسى بن سليمان .

ما لي اصطفيت على التعسّفِ خالداً … واللهِ ما أنا بعدَها بأريبِ
تبّاً لصحبة خالدٍ من صحبة … ولِخالدِ بن يزيدَ من مصحوبِ
يا خالدَ بنَ قبيصةٍ هيَّجتَ بي … حَرْباً فدُونك فاصطبرْ لحروبي
لّما رأيتُ ضميرَ غِشّك قد بدا … وأبَيْتَ غير تَجَهُّمٍ وقُطوبِ
وعرفْتُ منكَ خلائقاً جرّبتُها … ظهَرَتْ فضائحُها على التجريبِ
خلَّيْتُ عنك مُفارقاً لك عن قِلًى … ووهبْتُ للشيطانِ منكَ نصيبي
فلئن نظرْتُ إلى الرُّصافةِ مرّة … نظراً يُفَرّجُ كُربةَ المكروبِ
لأمزّقنّك قائماً أو قاعداً … ولأروينّ عليك كلَّ عَجيبِ
ولتأتينَّ أباكَ فيكَ قصائدٌ … حبَّرتها بَتَشكُّرٍ مقلوبِ
ولَيُنْشَدَنَّ بها الإمامُ قصيدة … ولَتُشْتَمَنَّ وأنتَ غيرَ مهيبِ[1]
ولأوذِينّك مثلما آذيتَني … ولأشلِيَنَّ على نعاجِك ذيبي[2]

قال أحمد بنُ يزيدَ في خبره : حدّثني أبي قال : أَعْرَس داودُ بنُ محمدِ بن أبي عُيَيْنة أخو أبي عُيَيْنة بالبصرة ، وأخوه غائب يومئذٍ مع ابنِ عمِّه خالدٍ بِجُرجان ، فكتب داودُ إلى أخيه يخبره بِسلامته وسلامةِ أهلِ بيتِه ، وبِخَبرٍ نقلَه أهلَه إليه ، فقال أبو عُيَيْنَة في ذلك : [من الهزج]

ألا ما لِعَيْنِك معتلَّهْ … وما لِدموعِك منهلَّهْ
وكيف بِجُرجان صبرُ امرىءٍ … وحيدٍ بها غيرِ ذي خُلَّهْ
وأطْوِلْ بِلَيْلِك أطْوِل به … إذا عسكر القوم بالأَثْلَهْ[3]
وراعَك مِن خيلِه حاشر … مِن القومِ ليستَ له قِبلَهْ
يسوقُك نحوهمُ مكرهاً … وداودُ بالمِصرِ في غفلَهْ
عَروس ينعَّمُ مِن تحته … سَريرٌ ومن فوقه كِلَّهْ
وما مُذْنَفٌ بين عُوّاده … ينادى وفي سمعه ثِقْلَهْ
بأوجعَ منّي إذا قيل لي : … تأهَّبْ إلى الريِّ بالرِّحْلَهْ

1 ل : وليسمعن بها الأنام . . .
2 أشلى : أغرى كما تغرى الدابة أو الناقة بالمخلاة .
3 الأثلة : قرية بالجانب الغربي لبغداد .

وما لي وللسرِّيّ لولا الشقا ... ءُ إن كنت عنها لفي عُزلَهْ
أُكلَّف أَجبالَها شاتياً ... على فَرَس أَو على بَغْلَهْ
وأَهْونُ مِن ذاك لو سهَّلوه ... ركوبُ القَراقيرِ في دِجلَهْ[1]
تَروح إلينا بها طَرْبة ... رواحَ النّدامى إلى دلَّهْ
أَخالدُ خذْ مِن يدي لَطمة ... تَغيظُ ومن قدَمِي رَكْلَهْ
جمعْتَ خصالَ الرَّدى جملة ... وبعْتَ خصال النَّدى جملَهْ
فما لَك في الخيرِ مِن خَلّة ... وكَم لك في الشرِّ مِن خلَّهْ
ولَمّا تَناضَل أَهلُ العلا ... نُضلْتَ فأَذْعنْتَ للنَّضلَهْ
فما لَكَ في المجدِ يا خالدٌ ... مُقَرْطَسة لا ولا خصلَهْ[2]
وأَسرعْتَ في هدمِ ما قد بَنى ... أَبوك وأَشياخُه قبلَهْ
وكانت من النَّبْعِ عيدانُهم ... نُضاراً وعودُك من أَثْلَهْ
فيا عجباً نَبْعةٌ أَنبَتَتْ ... خِلافاً وريحانةٌ بقَلَهْ[3]
ثيابُك لِلْعبدِ مطويّة ... وعِرضكَ للشتمِ والبِذلَهْ
أَجعْتَ بَنيك وأَعرَيْتَهم ... ولم تُوئتَ في ذاك مِن قِلّهْ
إذا ما دُعينا لِقبضِ العطاءِ ... وهيأْت كيسَك للغلَّهْ
وجُلَّةُ تَمْرٍ تُغادى بها ... فتأْتي على آخر الجلَّهْ[4]
وتُقصي بَنيك وهمُ بالعرا ... ءِ نُزْلُهمُ الملحُ والمَلَّهْ[5]
ولو كان خُبز وتَمر لَديك ... لَما طمِعوا منك في فَضلَهْ
وتُصبح تَقْلِس عن تُخْمة ... كَأَنَّ جُشَاءكَ عن فُجْلَهْ[6]
إذا الحيّ راعَهمُ رائع ... فأَوهَنُ من غادة طَفلَهْ

---

1. القراقير : نوع من السفن ، واحدها قُرقور .
2. المقرطسة : الرمية الصائبة .
3. الخلاف : شجر كالصفصاف .
4. الجلة : القفة الكبيرة .
5. أي طعامهم خبز الملة والملح . والملة : الرماد الحار .
6. القلس : خروج الطعام أو الشراب إلى الفم سواء أُلقي أو أُعيد إلى المعدة .

وليــثٌ يصــول على قِرْنــه إذا مــا دُعيــتَ إلى أُكلَهْ
فللــهِ دَرّكَ عنــد الخُــوا نِ مِن فــارسٍ صادقِ الحملَهْ
وإن جــاءَك النّاسُ في حاجة تفكّــرْتَ يومــين في العِلّـهْ
وتلقاهُـــم أبــداً كالِحــاً كأَنْ قد عَضَضْتَ على بَصْلَهْ
فهذا نصيبــيَ مــن خالــدٍ لكــم هَنــة بَتّــةٌ بتلَهْ[1]
وإنّــي لِصحبتــهِ مبغــضٌ ولا خيــرَ في صحبــةِ السِّفْلَهْ

[مسلم بن الوليد يستكثر هجاءه لابن عمّه]

حدَّثني أَحمدُ بنُ عُبيد الله بنِ عَمّار الثقفيُّ قال : حدَّثني أَبو الحسن بن المنجِّم قال : رأيت مسلمَ بنِ الوليد الأنصاريَّ يوماً عند أبي ، ثم خرج من عنده ، فلقيه ابنُ أبي عُيَيْنة ، فسلَّم عليه وتحفّى به ، ثم قال له : ما خبرُك مع خالد ؟ قال : الخبر الذي تعرفه ، ثم أنشده قوله فيه[2] : [من مجزوء الكامل]

يا حفصُ عاطِ أَخاك عاطِهْ كأساً تُهيّـج مــن نشاطِهْ

قال : ومسلمٌ يتبسم من هجائه إيّاه حتى مرَّ فيها كلّها ، ثم ختمها بقوله :

وإذا تطاولــتِ الــرؤو سُ فغطٌ رَأسكَ ثم طاطِهْ

فقال مسلم : مَه ، إنّا لله ! هتكته والله وأُخزيته ، وإنّما كنتُ أظنّ أنـّك تمزح وتهزِل إلى آخر قولك حتى ختمته بالجِدّ القبيح ، وأفرطتَ فيما خرجتَ به إليه ، ثم مضى وهو يقول : فضحتَه والله ، هتكتَه والله !

[ودعبل يستكثره]

أُخبرني عمّي قال : حدَّثني أَحمدُ بنُ يزيدَ قال : حدَّثني أَبي قال : لَقي دِعبلُ أَبا عُيَينةَ فقال له : أنشدني قولك في ابن عمِّك فأنشده : [من مجزوء الكامل]

يا حفصُ عاط أَخاكَ عاطِهْ كأساً تُهيّج مــن نشاطِهْ
صِرْفــاً يعــودُ لِوقعِهــا كالظّبي أُطلـق من رِباطِهْ
صَبّاً طــوَتْ عنــه الهمو مُ نَعيمــه بعــد انبساطِهْ

1 لكم هنة في بيروت : لكم هبة . وبتله : مقتطعة .
2 في معجم المرزباني : 110 البيت الأول من القصيدة الطائية وفي طبقات ابن المعتزّ : 289 الأبيات الثلاثة الأولى والخامس .

فبكـــى وحـــقّ لــه البكا لشقائـــه بعـــد اغتباطِهْ
جَـــزِع المخنَّـــثُ خالـــد لمّــــا وقعـــتُ على قِماطِهْ
فانظـــــرْ إلى نزواتـــــه مـــن مَنطقي وإلى اختلاطِهْ
دَعنــــي وإيّــا خالـــدٍ فلأقطعـــنّ عُـــرى نِياطِهْ[1]
إنّــي وجـــدْتُ كلامَـــه فيـــه مَشابهُ مـــن ضُراطِهْ
رجُــلٌ يَعــدّ لك الوعيـــ ـــد إذا وطئتَ عَلى بساطِهْ
وإذا انتظـــرتَ غـــداءه فخَـفِ البوادر من سياطِهْ
يا خـــالِ صَدّ المجدُ عنـ ـك فلن تجوزَ عَلى صراطِهْ
وعَرِيتَ مـــن حُلل النَّدى عُرْيَ اليتيم ومِن رياطِهْ[2]
فـــإذا تطاولَـــتْ الـــرؤ وس فغَطّ رأْسَكَ ثم طاطِهْ

فقال له دِعبلٌ : أغرقت والله في النَّزْع وأسرفت ، وهتكتَ ابنَ عمّك وقتلتَه وغضضت منه ، وإنّما استنشدْتك وأنا أظنّ أنّك قلتَ كما يقول النّاسُ قولاً متوسطاً ، ولو علمتُ أنّك بَلَغْتَ به هذا كلّه لما استنشدْتك .

أخبرني بهذا الخبر الحسنُ بنُ عليٍّ وعمّي قالا : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني الحسين بنُ السريّ قال : لقي دِعبل أبا عُيَيْنَةَ فقال له : أنشدني بعضَ ما قلتَ في ابن عمّك ، ثم ذكر الخبرَ مثل ما ذكره أحمدُ بن يزيدَ ، وقال فيه : إنّما ظننتُ أنّك قلتَ فيه قولاً أبقيتَ معه عليه بعضَ الإبقاء ، ولو علمْتُ أنّك بَلَغْتَ به هذا كلَّه وأغرقتَ هذا الإغراقَ ما استنشدتك ، وجعل يعيد «فغطّ رأسَك ثم طاطه» ، ويقول : قتله والله !

[مزيد من هجائه في خالد]

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال : حدَّثني محمدُ بنُ يزيدَ قال : ومن مختار ما قاله في خالد قوله : [من البسيط]

قُــل لِدُنيـــا بـــاللهِ لا تقطعينـــا واذكرينا في بعضِ مـــا تذكرينا
لا تَخوني بالغيبِ عهـــدَ صديـــقٍ لم تخافيـــهِ ساعــــةً أن يخونا
واذكري عيشنا وإذ تنفض الرِّيـ ـــحُ علينـــا الخِيريّ والياسَمينا[3]

---

1 النياط : عرق يشد القلب فإذا قطع مات صاحبه .
2 الرياط : جمع ريطة ، وهي ثوب يشبه الملحفة .
3 الخيري : نبات أصفر الزهر ذو رائحة ذكية .

إذ جعلْنـا الشاهِسْفَـرام فِـراشاً ... مِن أذى الأَرض والظلالَ غصونا[1]

حفظ اللّهُ إخوتـي حيث كانـوا ... مـن بِـلادٍ ساريـن أم مُدْلجينا

فتِيـةٌ نازحـون عـن كلِّ عَيب ... وهـمُ في المكـارم الأوّلونا

وهـم الأكثرون يَعلمُ ذاك النّـ ... ـاسُ والأطيبـون لـلأطيبينا

أزعجَتْني الأَقدار عنهم وقد كنـ ... ـتُ بقُربي منهم شحيحاً ضنينا

وتَبدلْـتُ خالـداً لعنـةُ اللـ ... ـهِ عليـه ولعنـةُ اللاعنينا

رجـلٌ يقهـرُ اليتيـمَ ولا يؤ ... تـي زكـاةً ويَنهـرُ المسكينا

ويصونُ الثيابَ والعِرضُ بـالٍ ... ويرائـي ويمنـعُ المـاعونا

نـزع اللّهُ منـه صالح مـا أعـ ... ـطاه آمـين عاجـلاً آمينا

فلَعَمـر المبادِريـن إلى مكـ ... ـةَ وفـداً غاديـن أو رائحينا

إنّ أَضيـافَ خالـدٍ وبنيـه ... لَيجوعـون فوق مـا يشبعونا[2]

وتراهمْ مـن غير نُسْكٍ يصومو ... نَ ومـن غيرِ عِلّـةٍ يحتمونا

يـا بنـي خالدٍ دعُوه وفرُّوا ... كم على الجوعِ ويْحَكم تصبرونا

قال محمد بن يزيد : ومن مشهور شعره فيه قصيدته التي أوّلها : [من الطويل]

ألا خبّـروا إن كان عندكُمُ خَبَرْ ... أَنقفلُ أم نَثوِي على الهمّ والضَّجَرْ ؟

نفى النومَ عن عيني تعرُّض رحلة ... بها الهمُّ واستولى بها بعده السهرْ

فإن أَشكُ من ليلي بجُرْجان طولَه ... لقد كنتُ أَشكو فيه بالبصرة القِصرْ

فيـا حبَّـذا بطـنُ الخَرير وظَهرُه ... ويا حسنَ واديه إذا ماؤه زَخرْ[3]

ويـا حبّـذا نهـرُ الأُبلَّةِ مَنظراً ... إذا مَـدَّ في إبّانه النهرُ أو جَزَرْ

وفتيانُ صدق همُّهـم طلبُ العلا ... وسيماهمُ التحجيل في المجدِ والغَرَرْ

لعمري لقد فارقتُهـم غيرَ طائعٍ ... ولا طيِّبٍ نفساً بـذاك ولا مُقِرْ

وقائلـةٍ ماذا نـأى بـك عنهمُ ... فقلتُ لهـا لا عِلمَ لي فَسَلي القدرْ

فيـا سفَراً أَودى بِلَهوي ولذّتي ... ونغّصني عيشي عَدِمتك مِن سفرْ

---

1 الشاهسفرام : الريحان .

2 هذا البيت والذي يليه في الشعر والشعراء : 753 .

3 الخرير : المكان المطمئن بين ربوتين .

دعـوني وإيّا خالدٍ بعـد ساعة    سيَحمله شِعري على الأبلق الأغرّ
كأنّي بِصدقِ القـولِ لمّـا لقيتُه    وأعلمته مـا فيـه ألقمتُه الحجرْ
دنِيء بـه عـن كلِّ خير بَلادةٌ    لِكلٍّ قبيحٍ عن ذراعيه قـد حَسَرْ
لـه منظرٌ يُعمـي العيونَ سماجة    وإن يُختَبر يوماً فيا سوء مُختَبَرْ[1]
أبـوكَ لنـا غيثٌ يعاشُ بوَبْلِـه    وأنتَ جَرادٌ ليس يُبقي ولا يذرْ
لـه أثـرٌ في المكرماتِ يسرّنا    وأنتَ تُعفّـي دائمـاً ذلك الأثرْ
لقد قُنِّعَتْ قَحطانُ خزياً بخالد    فهل لكِ فيه يُخزك الله يا مضرْ

أخبرني عيسى بنُ الحسين قال : حدّثني الزّبير بن بكّار قال : حدّثني عمّي قال : أُنشد الرشيد قولَ ابن أبي عُيينة : [من الطويل]

لقد قُنِّعتْ قحطانُ خزيـاً بِخالد    فهل لم فيـه يُخزِكَ اللهُ يا مضرْ

فقال الرشيد : بل يُوَقَّرون ويُشكرون .

أخبرني محمدُ بن يحيى الصوليُّ قال : قال لنا أبو العبّاس محمدُ بن يزيد : لم يجتمع لأحد المحدَثين في بيت واحد هجاءُ رجل ومديحُ أبيه كما اجتمع لابن أبي عُيينة في قوله : [من الطويل]

أبـوك لنـا غيثٌ نعيشُ بِوَبْلِه    وأنتَ جرادٌ ليس يُبقي ولا يذرْ

وقال محمد بن يزيد : ومن جيّد قوله أيضاً يهجو خالداً هذا : [من الطويل]

على إخوتـي منّـي السلامُ تحيّةً    تحيّـةَ مُثـنٍ بالأخـوة حامِـدِ
وقُل لهـمُ بعـد التحيّـةِ أنتمُ    بِنفسي وما لي من طَريف وتالدِ
وعَـزَّ عليهـمْ أن أقيـمَ بِبلدة    أخا سَقَمٍ فيهـا قليـلَ العوائدِ
لئن ساءَهم ما كان مِن فِعل خالد    لقد سرَّهم ما قـد فعلْتُ بخالِدِ
وقد علموا أن ليس منّي بِمُفلت    ولا يومُـه المسكينِ منّـي بواحدِ
أخالـدُ لا زالـت مـن اللهِ لعنةٌ    عليكَ وإن كنتَ ابن عمّي وقائدي
أخالـدُ كانت صحبَتِيك ضلالةً    عَصيتُ بها ربِّي وخالفْتُ والدي
وأرسل يَبغي الصلحَ لما تكنّفت    عوارضَ جنبَيـه سيـاطُ القصائدِ
فـأرسلتُ بعـد الشرِّ أنّي مسالمٌ    إلى غيرِ مـا لا تشتهي غيرُ عـائدِ

1 وهذا البيت والبيتان بعده في الشعر والشعراء : 753 . وأضاف رابعاً لم يرد هنا :
تسيء وتمضي في الإساءة دائباً    فلا أنت تستحيي ولا أنت تعتذر

[أهجى شعراء عصره]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا الكُرانيّ قال : زعم القَحْذَميّ أنّ الرشيد قال للفضل بن الرَّبيع : مَن أهجى المحدَثين عندك يا فضلُ في عصرنا هذا ؟ قال : الذي يقول في ابن عمِّه[1] : [من مجزوء الرمل]

لـــو كما يَنقصُ يزدا دُ إذاً نـال السماءَ
خالـدٌ لولا أبـــوه كان والكلبَ سواءَ
أنا مـا عشتُ عليه أسوأُ النّـاس ثناءَ
إنّ مَنْ كان مسيئاً لحقيــقٌ أن يُساءَ

فقال الرشيد : هذا ابن أبي عُيَينة ، ولعمري لقد صدقتَ .

[الهادي يرده من جيش خالد]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسم بن مَهرُوَيْه قال : حدَّثني أبي قـال : كان ابنُ أبي عُيينة مع ابنِ عمِّه خالد بجُرْجانَ ، فأساء به وجفاه . وكان لابن أبي عُيينة صديقان من جُندِ خالدٍ من أهل البصرة ، أحدهما مُهلَّبيّ والآخرُ مَولى للأزْد ، وكلّهم شاعر ظريف ، فكانوا يمدحون السَّراة من أهلِ جُرْجان فيصيبون منهم ما يقُوتهم . ووليَ موسى الهادي الخِلافةَ فكتب ابنُ أبي عُيَينة إلى مَن كان في خدمة الخلفاء من أهله بهذه القصيدة : [من الخفيف]

كيف صَبري ومنزلي جُرْجانُ والعـراقُ البـلادُ والأوطانُ ؟
نحـــنُ فيهـا ثلاثــةٌ خُلَفـاءُ ونَدامـى على الهـوى إخوانُ
نتساقى الهوى ونَطربُ لِلذّكـ ـرِ كما تُطرِبُ النشاوى القِيانُ
وإذا مـا بكـى الحمامُ بكَينا لِبُكـاه كأنّنـا صبيـانُ
يا زماني الماضي ببغدادَ عُدْ لي طالمـا قـد سَررْتَني يـا زمانُ
يا زماني المسيءَ أحسنْ فقِدْماً كان عندي مِن فعلك الإحسانُ
ما يريـدُ العُذّالُ منّي أمَا يُـد ـرَك أيضاً بِغَمِّـه الإنسانُ
ويقولون أملكْ هواك وأقصِر قلتُ ما لي على الهوى سلطانُ[2]
أيُّها الكاتِمُ الحديثَ وقد طا لَ بـه الأمرُ وانتهى الكتمانُ

---

1 البيتان الأول والثاني في الشعر والشعراء : 754 مع عكس الترتيب ، وفي طبقات ابن المعتزّ : 289 سبعة أبيات آخرها البيتان الأولان وليس منها الثالث والرابع .

2 أملك في ل : أمسك .

قد لعَمري عرّضْتَ حيناً فبيّنْ ليس بعد التعريض إلاّ البيانُ
واتّخِذ خالداً عدوّاً مبيناً ما تَعادى الإنسانُ والشيطانُ
والْهُ عنه فما يضرّك منه عَضُّ كلبٍ ليست له أسنانُ
ولعَمْري لولا أبوه لنالَتـ ـه بسوءٍ منّي يدٌ ولسانُ
قل لفِتياننا المقيمين بالبا بِ ثِقوا بالنجاح يا فتيانُ
لا تخافوا الزمانَ قد قام موسى فلَكُمْ من ردَى الزّمانِ أمانُ
أوَلَم تأته الخلافةُ طوعاً طاعةً ليس بعدها عصيانُ
فهْي منقادة لموسى وفيها عن سواه تَقاعسٌ وحِرانُ
قُل لموسى يا مالكَ المُلك طوعاً بقِياد وفي يديك العِنانُ
أنت بحر لنا ورأيك فينا خيرُ رأيٍ رأى لنا سلطانُ[1]
فاكفِنا خالداً فقد سامنا الخسـ ـفَ رماه لحتفه الرحمنُ
كَمْ إلى كم يُغضى على الذلّ منه وإلى كم يكون هذا الهوانُ

قال : فلمّا قرأ هذه القصيدة موسى الهادي أمر له بصلة ، وأعطاه ما فات من رزقه ، وأقفله من جيش خالد إليه .

## صوت

[من السريع]

أين محَلُّ الحيِّ يا وادي خبِّر سقاك الرائحُ الغادي
مُستصحِبٍ لِلحربِ خَيفانةً مثلَ عُقاب السَّرحة العادي[2]
بين خُدور الظُّعْن محجوبةٌ حَدا بِقلبي معها الحادي
وأَسْمَراً في رأسه أزرق مِثلُ لِسان الحيّة الصادي[3]

الشعر لدِعبلِ بن عليّ الخُزاعيِّ ، والغناء لأحمدَ بن يحيى المكِّي ، خفيف ثقيل مطلَق في مجرى الوُسطى عن أبي عبد الله الهِشامي .

---

1 سلطان في ل : إنسان .

2 خيفانة : فرس أو ناقة خفيفة الحركة . والسرحة : الدوحة .

3 الأزرق : النصل الشديد الصفاء . ونصب أسمراً على العطف على خيفانة .

# [ 416] ـ أخبارُ دِعبل بن عليّ ونسبه[1]

[هجّاء خبيث اللسان]

هو دِعْبلُ بنُ عليٍّ بنِ رَزين بنِ سليمان بنِ تميم بن نَهشلِ بنِ خِداشِ بن خالد بنِ عبدِ بنِ دِعْبلِ بنِ أَنسِ بنِ خزيمةَ بنِ سلامانَ بنِ أسلَم بنِ أفصى بن حارثةَ بنِ عمرٍو عامرِ بن مُزَيْقيا ، ويكنى أبا علي .

شاعرٌ متقدِّم مطبوع هجاءٌ خبيثُ اللسان ، لم يَسلم منه أَحدٌ من الخلفاء ولا من وزرائهم ولا أولادهم ولا ذو نباهةٍ ، أحسنَ إليه أو لم يحسن ، ولا أفلَت منه كبيرُ أحد . وكان شديد التعصّب على النِّزاريّة لِلقحطانيّة ، وقال قصيدة يردّ فيها على الكُميتِ بن زيد ، ويناقضه في قصيدته المُذهَبة التي هجا بها قبائل اليمن .

أَلا حُيِّيتِ عنّا يا مرينا

فرأى النبيّ ﷺ في النوم ، فنهاه عن ذكر الكُميت بسوء .

وناقَضه أَبو سعد المخزوميُّ في قصيدته وهاجاه ، وتطاول الشرّ بينهما ، فخافتْ بنو مخزوم لسانَ دِعبل وأن يعمَّهم بالهجاء ، فنَفوا أبا سعد عن نسبهم ، وأشهَدوا بذلك على أنفسهم .

[خلع عليه علي بن موسى الرّضا من ثيابه]

وكان دِعبلٌ من الشيعة المشهورين بالميل إلى عليّ ، صلواتُ اللهِ عليه ، وقصيدته : [من الطويل]

مدارسُ آياتٍ خَلَتْ من تلاوةٍ

من أَحسن الشعر وفاخر المدائح المقولة في أَهلِ البيت ، عليهم السلام ، وقَصد بها أَبا الحسن عليّ بن موسى الرّضا ، عليه السلام ، بخُراسان ، فأعطاه عشْرة آلاف درهم من الدراهم المضروبة باسمه ، وخلع عليه خِلعة من ثيابه ، فأعطاه بها أهلُ قُمٍّ ثلاثين ألفَ دِرهم ،

1 ترجمة دعبل الخزاعيّ في الشعر والشعراء : 727–730 ووفيات الأعيان 2 : 226–230 ومعاهد التنصيص 2 : 190 وتاريخ بغداد 8 : 382 والفهرست : 229 والموشح : 299 وطبقات ابن المعتز : 264–269 ومعجم الأدباء (عباس) : 1284–1287 وتهذيب ابن عساكر 5 : 227 وشذرات الذهب 2 : 11 والرجال للكشي : 313 وسير الذهبي 11 : 519 والوافي 14 : 12 ولسان الميزان 2 : 430 وروضات الجنات 3 : 306 وانظر بروكلمان 2 : 39–41 ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية . وقد طبع ديوانه عدّة مرات ، ونحن نعتمد طبعة بيروت بتحقيق د . محمد يوسف نجم .

فلم يَبِعْها ، فقطعوا عليه الطريق فأخذوها ، فقال لهم : إنّها إنّما تراد لله عزّ وجلّ ، وهي محرَّمة عليكم ، فدَفعوا إليه ثلاثين ألف دِرهم ، فحلفَ ألاّ يبيعها أو يعطوه بعضَها ليكون في كفَنه ، فأعطوه فَرْد كُمّ ، فكان في أكفانه .

وكتب قصيدتَه : «مدارسُ آياتٍ» فِيما يقال على ثوب ، وأحرَم فيه ، وأمر بأن يكون في أكفانه . ولم يزَل مرهوبَ اللسان وخائفاً من هجائه للخلفاء ، فهو دهرَه كلَّه هاربٌ مُتوارٍ .

[يحمل خشبته فلا يجد مَن يصلبه عليها]

حدَّثني إبراهيم بن أيّوبَ قال : حدَّثنا عبدُ الله بنُ مسلم بن قُتَيبة قال : رأيت دِعبلَ بنَ علي وسمعتُه يقول : أنا أحمل خشبَتي على كتفي منذ خمسين سنة ، لست أجد أحداً يصلبني عليها .

[هجاء إبراهيم بن المهديّ وأبي عباد]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثنا ميمونُ بن هارونَ قال : قال إبراهيمُ بن المهديّ للمأمون قولاً في دِعبل يحرّضه عليه ، فضحك المأمون ، وقال : إنّما تحرِّضني عليه لقوله فيك[1] : [من السريع]

يـا معشرَ الأجنادِ لا تَقنطوا وارضَوْا بما كان ولا تسخطوا
فسوفَ تعطَـونَ حُنَيْنِيّـة يلتذهـا الأمـرَد والأشمطُ[2]
والمَعْبَدِيّـات لِقُـوّادِكم لا تَدخلُ الكِيس ولا تُربطُ[3]
وهكـذا يَـرزق قُـوّادَه خليفـةٌ مصحفُـه البَرْبطُ[4]

فقال له إبراهيم : فقد والله هجاك أنت يا أمير المؤمنين ، فقال : دَعْ هذا عنك فقد عفَوتُ عنه في هجائه إيّاي لقوله هذا ، وضحك . ثم دخل أبو عبّاد ، فلمّا رآه المأمون من بُعْد قال لإبراهيم : دِعبلٌ يَجسُر على أبي عبّادٍ بالهجاء ويُحجم عن أحد ؟ فقال له : وكأنّ أبا عبّاد أبسط يداً منك يا أمير المؤمنين ؟ قال لا ، ولكنّه حَديد جاهل لا يؤمنُ ، وأنا أحلُم وأصفَح . واللهِ ما رأيتُ أبا عبّاد مقبلاً إلاّ أضحكني قول دعبل فيه[5] : [من الكامل]

أَوْلى الأُمـور بضَيعةٍ وفسادِ أمـرٌ يدبِّـره أبـو عبّـادِ
وكأنّه مـن دَيرِ هِزْقَل مُفلِت حَرِدٌ يجـرُّ سلاسلَ الأقيادِ[6]

1 ديوان دعبل : 97 .
2 حنينية : من أغاني حنين .
3 المعبديات : أغاني معبد .
4 البربط : العود .
5 ديوان دعبل : 71 .
6 دير هزقل : دير بقرية شرقي واسط . وحرد : غضبان .

[أبيات لأبيه]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال : حدَّثني محمد بن القاسم بنِ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أبي قال : أخبَرني دِعبلُ بن عليٍّ قال : قال لي أبي عليُّ بنُ رَزِين : ما قلت شيئاً من الشعر قَطّ إلاّ هذه الأبيات : [من الطويل]

خليلَيّ ماذا أَرتجي مِن غد امرىء … طوى الكشحَ عنِّي اليومَ وَهْو مكينُ

وإنّ امرءاً قد ضَنَّ منه بمَنطقٍ … يُسَدّ به فقرُ امرىء لضنينُ

وبيتين آخرين وهما : [من البسيط]

أَقولُ لّما رأَيتُ الموتَ يطلبني … يا ليتني دِرهمٌ في كِيسِ ميّاحِ

فيا له درهماً طالت صيانتهُ … لا هالكٍ ضَيعةً يوماً ولا ضاحِ

[اشتقاق دعبل ومعناه]

أَخبرني عليُّ بنُ صالحِ بن الهيثم الكاتبُ قال : حدَّثني أَبو هَفّان قال : قال لي دِعبلٌ قال لي أَبو زيد الأنصاريّ : مِمَّ اشتق دِعبل ؟ قلت : لا أدري ، قال : الدِّعبل ، النّاقة التي معها ولدُها .

أَخبرني محمدُ بنُ عِمران الصّيرفيُّ قال : حدَّثني العَنَزي قال : حدَّثني محمدُ بنُ أَيّوبَ قال : دِعبلٌ اسمه محمد ، وكنيته أبو جعفر ، ودعبل : لَقب لُقّب به .

وحدَّثني بعض شيوخنا عن أبي عمرو الشَّيبانيّ قال : الدِّعبل ، البعير المُسِنّ .

[بمن ختم الشعر ؟]

أَخبرني الحسن بنُ عليّ قال : حدَّثني محمدُ بنُ القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : سمعتُ حُذَيفة بنَ محمد الطائيِّ يقول : الدِّعبل : الشيء القديم . قال ابن مَهْرُوَيْه : سمعت أبي يقول : خُتم الشعر بدِعبل ، قال : وقال أبي : كان أبو محلِّم يقول : خُتِم الشعر بعُمارة بنِ عقيل .

[نقيضة تحدث رد فعل]

أَخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حَدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : سمعْتُ أَبي يقول : لم يَزَل دِعبِل عند النّاس جليل القدر حتى رَدَّ على الكمَيت بنِ زيد :

أَلا حُيِّيت عنّا يا مرينا

فكان ذلك مِمّا وضعه . قال : وقال فيه أَبو سعد المخزوميّ : [من الوافر]

وأَعجبُ ما سمعنا أَو رأَينا … هجاءٌ قالَه حيّ لمَيْتِ

وهذا دِعبل كَلِفٌ مُعَنًّى … بتسطير الأَهاجي في الكُمَيتِ

وما يهجو الكُميت وقد طواه الر … دى إلاّ ابن زانية بزيتِ

[ظنّ لقبه شتماً]

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال : حدَّثني محمدُ بن زَيد قال : حدَّثني دِعبل قال : كنتُ جالساً مع بعض أصحابنا ذاتَ يوم ، فلمّا قمتُ سأل رجل لَمْ يَعرفني أصحابَنا عنّي ، فقالوا : هذا دِعبل ، فقال : قولوا في جليسِكم خيراً ، كأنّه ظنَّ اللقب شتماً .

[إفاقة مصروع باسمه]

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ قال : حدَّثني محمدُ بن يزيدَ قال : حدَّثني دِعبل قال : صُرِع مجنون مرّة فصِحت في أذنه : دِعبلٌ ، ثلاث مرّات ، فأفاق .

وأخبرني بهذين الخبرين الحسنُ بنُ عليّ عن ابن مَهْرُوَيْه عن محمد بنِ يزيدَ عن دِعبل ، وزاد فيه : قال دِعبل : وصُرِع مرّة مجنون بحضرتي فصِحْت به : دِعبل ، ثلاث مرّات فأفاق من جنونه .

[صحبته الشطار]

أخبرني محمدُ بنُ عِمران الصَّيرفيُّ أبو أحمدُ قال : حدَّثنا الحسن بن عُلَيل العَنزيّ قال : حدَّثني عليُّ بن عمرو بن شيبان قال : حدَّثني أبو خالد الخُزاعيُّ الأسلَميُّ ، قال العَنزيّ : وقد كتبْتُ عن أبي خالد أشياء كثيرة ولم أكتب عنه هذا الخبر ، قال : كان سبب خروج دِعبل بن عليّ من الكوفة أنّه كان يَتشطَّر ويصحب الشُّطار ، فخرج هو ورجل من أشجعَ فيما بين العِشاء والعتَمة ، فجلسا على طريق رجل من الصيارفة ، وكان يروح كلّ ليلة بكيسه إلى منزله ؛ فلما طلع مقبلاً إليهما وثَبا إليه فجَرحاه ، وأخذا ما في كُمِّه ، فإذا هي ثلاث رُمّانات في خِرقة ، ولم يكن كيسُه ليلتئذٍ معه . ومات الرجلُ مكانَه واستتر دِعبلُ وصاحبُه ، وجَدَّ أولياء الرجل في طلبهما ، وجَدّ السلطان في ذلك ، فطال على دِعبل الاستتار ، فاضطُرّ إلى أن هرب من الكوفة . قال أبو خالد : فما دخلها حتى كتبْتُ إليه أُعلمه[1] أنّه لم يبقَ من أولياء الرجل أحد .

[يهجو الناس ليخافوه]

أخبرني محمدُ بن عِمرانَ قال : حدَّثني أبو خالدُ الخُزاعيُّ الأَسْلميُّ قال : قلت لدِعبل : ويحَك ! قد هجَوْت الخلفاء والوزراء والقوّاد ووترتَ النّاس جميعاً ، فأنتَ دهركَ كلَّه شَريدٌ طريدٌ هاربٌ خائفٌ ، فلو كففْتَ عن هذا وصرفْتَ هذا الشرَّ عن نفسك ! فقال : ويحك ؟ إنّي تأمّلْتُ ما تقول ، فوجدْتُ أكثرَ النّاس لا يُنتَفعُ بهم إلاّ على الرهبة ، ولا يُبالى بالشاعر وإن كان مُجيداً إذا لم يُخَف شرُّه ، ولَمَنْ يتّقيك على عرضه أكثرُ مِمَّن يرغب إليك في تشريفه ، وعيوبُ النّاس أكثر من محاسنهم ، وليس كلّ مَن شَرَّفتَه بشعر شرُف ، ولا كلُّ مَن وصفتَه

1 ل : وكتب إليه أهله .

بالجُودِ والمجدِ والشجاعةِ ولم يكن ذلك فيه انتفَع بقولك ، فإذا رآك قد أُوجعْتَ عرضَ غيره وفضحتَه ، اتقاك على نفسه وخاف من مثلٍ ما جرى على الآخر ؛ ويحك ، يا أبا خالد إنّ الهجاء المقذع آخذٌ بِضَبع الشاعر من المديحِ المضْرِع . فضحكْتُ من قوله ، وقلت : هذا والله مقالُ مَن لا يموت حَتْفَ أنفِه .

أُخبرني الحسنُ بن عليّ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني الحمدويّ الشاعر قال[1] : سمِعْت دِعبل بنَ عليّ يقول : أنا ابن قولي : [من الكامل]

لا تَعجبي يـا سلمَ مِن رجلٍ ضحكَ المَشيبُ برأسِهِ فبكى

وسمعتُ أَبا تمّام يقول : أَنا ابن قولي : [من الكامل]

نَقّل فؤادكَ حيثُ شئتَ من الهوى مـا الحـبُّ إلاّ للحبيبِ الأَوَّلِ

قال الحمْدَويّ : وأَنا ابن قولي في الطَّيْلَسانِ : [من الخفيف]

طـال تَردادُه إلى الرَّفْو حتى لـو بعثنـاه وحـدَهُ لتهدّى

قال الحمْدَويّ : معنى قولِنا : أنا ابنُ قولي ، أي أنـِّي به عُرِفتُ .

[يسرقُ بيتاً ويتفوّق فيه على صاحبه]

أُخبرني عليُّ بنُ صالحٍ قال : حدَّثني أَبو هفَّان قال : قال مسلم بن الوليد[2] : [من السريع]

مستعبِرٌ يبكـي على دِمنـة ورأسه يضحك فيه المَشيبْ

فسرَقه دِعبل ، فقال : [من الكامل]

لا تعجبي يـا سلمَ مـن رَجلٍ ضحكَ المَشيبُ برأسِهِ فبكى

فجاء به أجود من قول مسلم ، فصار أحقَّ به منه .

قال أَبو هَفَّان : فأَنشدت يوماً بعض البصريين الحَمقى قول دِعبل .

ضحك المَشيب برأسِهِ فبكى

فجاءَني بعد أَيّام ، فقال : قد قلتُ أَحسن من البيت الذي قاله دِعبل ، فقلت له : وأَيَّ شيء قلت ؟ فتمنّع ساعة ، ثم قال : قلت :

قهقَـه في رأسِك القَتيـرُ[3]

أُخبرني بهذه الحكاية الحسنُ بنُ عليّ عن ابن مَهْرُوَيْه عن أَبي هفَّان ، قال : ذكر نحوه ،

---

1 انظر هذا الخبر برواية مغايرة في ترجمة محمد بن وهيب في الجزء 19 : 57 .

2 ديوان مسلم : 306 .

3 القتير : الشيب .

وزاد فيه ابن مَهْرُوَيْه وحدَّثني الحَمْدَوِيّ قال : سمِع رجل قول المأمون : [من المجتثّ]

قبّلتُـــه مــن بَعيـــدٍ فاعتـلَّ مـــن شفتيــهِ

فقال : [من الخفيف]

رَقَّ حتى تورَّمَتْ شفتاه إذ توهَّمْتُ أن أقبِّلَ فاه

[جارية تغنّي بشعر قاله قبل سبعين سنة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أبو ناجية ، وزعم أنّه من وَلد زُهَير بن أبي سُلمى ، قال : كنتُ مع دِعبل في شَهْرَزُورَ[1] ، فدعاه رجل إلى منزله وعنده قَيْنة محسنة فغنّت الجارية بشعر دِعبل : [من الكامل]

أَيــنَ الشبابُ وأَيّــةً سَلكا ؟ لا ، أين يُطلبُ ؟ ضلَّ ، بل هَلكا

قال : فارتاح دِعبل لهذا الشعر وقال : قد قلت هذا الشعر منذ سبعين سنة .

## نسبة هذا الصوت

## صوت[2]

[من الكامل]

أيــن الشبابُ وأيّـــةً سَلكا لا ، أين يُطلبُ ضلَّ ، بل هَلكا

لا تعجَبي يــا سَلمَ من رجلٍ ضحِكَ المشيبُ برأسِهِ فبكى

يا ليتَ شِعْري كيف نَوْمُكما يــا صاحبيّ إذا دَمــي سُفِكا

لا تأخـــذوا بِظُلامتي أَحداً قلبي وطرْفي في دَمي اشتركا

قال : والغِناء لأحمدَ بن المكّيّ ، ثقيل أوّلُ بالوُسطى مطلقَ .

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أبو المثنّى أحمدُ بنُ يعقوبَ بنِ أختِ أبي بكرٍ الأصمِّ قال : كنّا في مجلس الأصمعيّ ، فأنشده رجل لدِعبِل قوله : [من الكامل]

لا تَعجَبي يــا سَلم من رجلٍ ضحِك المشيبُ برأسه فبكى

فاستحسناه ، فقال الأصمعيّ : إنّما سرقه من قول الحُسَين بنِ مُطَير الأسَديّ[3] : [من الخفيف]

أيــن أهـــلُ القِبابِ بالدَّهناءِ ؟ أيــن جيراننـــا عــلى الأحساءِ

---

1 شهرزور : كورة في بلاد فارس أحدثها زور بن الضحاك . ومعنى شهر بالفارسية : مدينة .

2 ديوان دعبل : ٢٢٦-٢٢٨ .

3 شعر الحسين بن مطير (غياض) : 31 .

فارقونا والأرضُ مُلْبَسةٌ نَوْ رَ الأَقاحي تُجادُ بالأنواء
كلَّ يوم بأُقحُوان جديدٍ تَضحك الأرضُ من بُكاء السماء

[يهجو جماعة أكلوا ديكاً له وقع لهم]

أخبرني أحمدُ بن العبّاسِ العسكريُّ قال : حدَّثني الحسنُ بن عُلَيل العَنَزيّ قال : حدَّثني أحمدُ بنُ خالدٍ قال : كنّا يوماً بِدار صالح رجل من عبد القيس ببغدادَ ، ومعنا جماعة من أصحابنا ، فسقط على كُنينة[1] في سطحه ديك طار من دار دِعبل ، فلمّا رأيناه قلنا هذا صَيدُنا ، فأخذناه . فقال صالح : ما نصنع به ؟ قلنا : نذبحه ، فذبحناه ، وشويناه . وخرج دِعبل فسأل عن الديك فعَرف أنّه سقط في دار صالح ، فطلبه منّا ، فجحَدناه ، وشربنا يومنا ، فلمّا كان من الغدِ خرج دِعبل فصلّى الغداة ، ثم جلس على المسجد ، وكان ذلك المسجدُ مجمعَ النّاس ، يجتمع فيه جماعة من العلماء ، وينتابهم النّاس ، فجلس دِعبل على المسجد وقال[2] : [من الكامل]

أَسرَ المؤذِّنَ صالحٌ وضيوفُه أَسْرَ الكميّ هفا خلال الماقِطِ[3]
بَعثوا عليه بَنيَّهمُ وبناتِهم من بين ناتفةٍ وآخرَ سامطِ
يتنازعون كأنّهم قد أُوثقوا خاقان أو هزموا كتائبَ ناعطِ[4]
نهشوه فانتُزعَت له أسنانهم وتهشَّمَت أقفاؤهم بالحائطِ

قال : فكتبها النّاس عنه ومضوا . فقال لي أبي وقد رجع إلى البيت : ويحكم ، ضاقت عليكم المآكل ، فلم تجدوا شيئاً تأكلونه سوى ديك دِعبل ؟ ثم أنْشدنا الشعر ، وقال لي : لا تدَع ديكاً ولا دجاجة تقدر عليه إلاّ اشتريته ، وبعثْتَ به إلى دِعبل ، وإلاّ وقعنا في لسانه ، ففعلت ذلك . قال وناعطُ قبيلة من هَمْدان ومُجالد بنُ سعيد ناعطيٌّ قال : وأصله جَبَل نزلوا به ، فنُسِبوا إليه .

[ينظم الهجاء قبل أن يعرف من ينطبق عليه]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أحمد بن أبي كامل قال : كان دِعبل يُنشدني كثيراً هجاء قاله : فأقول له : فيمن هذا ؟ فيقول ما استَحقّه أحدٌ بعَينه بعد ، وليس له صاحب ، فإذا وَجِد على رجل جعل ذلك الشعر فيه ، وذكر اسمه في الشعر .

وقد أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ عن ابنِ مَهْرُوَيْه عن أحمدَ بنِ أبي كامل بهذا الخبر بعَينه ، وزاد

1 كنينة : تصغير كُنّة ، وهي المظلة ، وفي طبعة بيروت : كنية .
2 ديوان دعبل : 99 .
3 الماقط : المضيق في الحرب .
4 الخاقان : ملك الترك . وناعط : قبيلة من همدان .

فيه ، فيما ذكر ابن أَبي كامل ، أَنّه كان عند صالح هذا في يوم أُخْذِه ديكَ دِعبل ، قال : وهو صالح بنُ بِشرٍ بن صالحِ بنِ الجارودِ العَبْديُّ .

[أبو نضير الطوسيّ لم يرضه فهجاه]

أُخبرني محمدُ بنُ عِمران قال حدَّثني العَنَزيّ قال حدَّثني أُحمدُ بنُ محمدِ بن أَبي أُيّوبَ قال : مدح دِعبلٌ أَبا نَضيرِ بنِ حُمَيدٍ الطُّوسيَّ ، فقصَّر في أمرِه ، ولم يُرضه من نفسه ، فقال عند ذلك دِعبِل فيه يهجوه[1] : [من البسيط]

أَبا نَضِير تَحلْحلْ عــن مجالسِنا ... فإنّ فيك لِمَن جــاراك منتَقَصا
أَنت الحِمار حرونا إن وقعْتَ به ... وإن قصدْتَ إلى معروفه قَمَصا
إنِّي هززْتُــكَ لا آلوك مجتهِداً ... لو كنتَ سيفاً ولكنِّي هززْت عصا

[أبو تمّام يهجوه ويتوعّده]

قال : فشكاه أَبو نَضير إلى أَبي تمّام الطائيِّ ، واستعان به عليه ، فقال أَبو تمّام يجيب دِعبلاً عن قوله ، ويهجوه ويتوعّده[2] : [من الوافر]

أَدِعبِــلُ إن تطاولَت الليــالي ... عليك فإن شِعري سمّ ساعَهْ
وما وَفــد المشيب عليك إلاّ ... بأَخــلاق الدنــاءة والضّراعَهْ
ووجهُك إن رضيتَ به نَديماً ... فأَنتَ نَسيجُ وحدِكَ في الرّقاعَهْ
ولــو بُدّلتَــه وجهــاً بوَجه ... لمــا صلَّيتَ يومــاً في جماعَهْ
ولكن قــد رُزِقْت به سِلاحاً ... لو استَعصيتَ ما أُعطيتَ طاعَهْ[3]
مَناسِب طيىءٍ قُسِمَت فدعها ... فليسَتْ مثلَ نِسبتك المُشاعَهْ
وروّح مَنْكِبيك فقــد أُعيــدا ... حُطاماً من زِحامك في خُزاعَهْ

قال العنزيّ : يقول إنّك تزاحم خُزاعة ، تدّعي أنّك منهم ولا يقبلونك .

[يردّ على هجاء الخاركي]

أُخبرني محمدُ بنُ عِمران قال حدَّثني العَنَزيّ قال : حدَّثني محمدُ بنُ أَحمدَ بنِ أَيّوبَ قال : تعرَّضَ الخارَكيّ[4] البصريّ ، وهو رجل من الأزد ، لدعبِل بن عليٍّ فهجاه ، وسبّه ، فقال فيه

1 ديوان دعبل : 95 .
2 ديوان أبي تمام (عزام) 4 : 387 . وفيه «أعتبة . . .» .
3 أعطيت في ل : أدّيت .
4 نسبة إلى جزيرة خارك بالخليج العربي .

دِعبل[1] : [من السريع]

وشاعــرٍ عــرَّض لي نفسَه لخــارك آبــاؤه تَنْمــي
يَشتُم عرضي عند ذكري وما أُمسى ولا أصبحَ مِــن همِّــي
فقلــتُ لا بــل حبّــذا أمُّه خيّــرة طاهــرة عِلمــي
أكــذِبُ واللهِ على أمِّــه ككِذبــه كان على أمِّــي

[أجسر الناس]

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدّثني إبراهيم بنُ المدبّر قال : لقيتُ دِعبِلَ بنَ عليٍّ ، فقلت له : أنت أجسر النّاس عندي وأقدمهم حيث تقول[2] : [من الكامل]

إنّــي مِــن القوم الذين سيوفُهم قتلَتْ أخــاك وشرّفتك بمقعدِ[3]
رَفعوا محلّك بعــد طولِ خُموله واستنقذوك من الحَضيضِ الأوهدِ

فقال : يا أبا إسحاقَ ، أنا أحمِل خشبتي منذ أربعين سنة ، فلا أجِد مَن يصلِبْني عليها .

[رثاؤه ابن عمّه]

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفشُ قال : حدَّثنا محمدُ بن يزيدَ قال : قال دِعبِل بنُ عليٍّ يرثي ابنَ عمٍّ له من خُزاعة نُعي إليه ، قال محمدُ بنُ يزيدَ : ولقد أحسن فيها ما شاءَ[4] : [من البسيط]

كانت خُزاعة مِلءَ الأرض ما اتّسَعت فقَصَّ مَــرُّ الليــالي مــن حواشيها
هذا أبــو القاسم الثــاوي ببَلْقعة تَسفي الرِّياحُ عليه مــن سوافيها
هبّت وقد علمَتْ أن لا هُبوب به وقــد تكــون حَسِيراً إذ يباريها[5]
أضحى قِرًى للمنايا إذ نَزَلْنَ به وكان في ســالــفِ الأيّامِ يَقريها

حدَّثني الحسن بنُ مَهْرُوَيْه عن أبيه ، فذكر أنّ المَنعيّ إلى دِعبلٍ أبو القاسم المطَّلِبُ بنُ عبدِ الله بنِ مالك ، وأنّه نُعي إلى دِعبل ، وكان هو بالجَبل ، فرثاه بهذه الأبيات .

[يعيّر أمير الأهواز بالهرب]

أخبرني الأخفش قال : حدَّثنا محمدُ بنُ يزيدَ ، قال : بلغ إسماعيلَ بنَ جعفرِ بنِ سليمانَ أنّ دِعبلاً هجاه ، فتوعّده بالمكروه وشتمه ، وكان إسماعيل بن جعفر على الأهواز ، فهرب من

1 الأبيات في ديوان دعبل : 194 ، برواية أخرى مختلفة في هجاء أبي تمام .
2 ديوان دعبل : 70 .
3 إشارة إلى طاهر بن الحسين الذي قتل الأمين ، وكان ولاؤه إلى خزاعة .
4 ديوان دعبل : 165 .
5 حسيراً : كليلاً .

زيدِ بنِ موسى بنِ جعفر بنِ محمد لما ظهر وبيّض في أيّام أبي السرايا ، فقال دعبلُ بن عليّ يعيّرُ إسماعيلَ بذلك[1] : [من الطويل]

لقد خلّف الأهوازَ من خلف ظَهره   يريدُ وراء الزابِ من أرضَ كَسْكَرِ[2]

يهوِّلُ إسماعيـلُ بالبِيضِ والقنـا   وقد فرَّ من زيد بن موسى بن جعفرِ

وعاينتـه في يـوم خلّـى حريمَه   فيا قبحَها منه ويـا حسنَ منظرِ

[حكاية تشطره وهربه مرّة أخرى]

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدَّثني ابنُ الأعرابيّ عن أبي خالدٍ الأسلميِّ قال : كان دِعبِل بنُ عليٍّ الخُزاعيِّ بالكوفة يتشطّر وهو شابّ ، وكانت له شَعرة جَعْدة ، وكان يَدْهنها ويُرجّلها حتى تكاد تَقطر دهناً ، وكان يُصلت[3] على النّاسِ بالليل ، فقتل رجلاً صَيرفيّاً ، وظنَّ أنَّ كيسَه معه ، فوجد في كُمِّه رمّاناً ، فهرب من الكوفة ، وكنتُ إذا رأيتُ دِعبلاً يَمشي رأيت الشطارة في مِشيته وتبختُره .

[تطيّره من قبيح الوجه]

أخبرني الحسنُ قال : حدَّثنا ابنُ مَهرُوَيْه قال : حدَّثني الحَسَنُ بنُ أبي السَّريّ قال : كان عُميرٌ الكاتب أقبحَ النّاس وجهاً ، فلقِي دِعبلاً يوماً بكْرةً وقد خرج لحاجة له ، فلمّا رآه دِعبل تَطيَّر من لقائه ، فقال فيه[4] : [من الوافر]

خَرجْتُ مبكراً من سُرَّ مَن را   أُبـادرُ حاجـةً فـإذا عُمَيرُ

فلَم أُثنِ العِنان وقلتُ أُمضي   فوجهكَ يـا عميرُ خَراً وخَيرُ

[لم يرض البرذون فهجا وتوعّد]

أخبرني الحسنُ قال حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني الحسنُ بن أبي السَّريّ قال حدَّثني دعبلُ قال : مدحتُ عبد الرحمن ابنَ خاقان ، وطَلَبْت منه بِرْذوناً ، فبعث إليَّ بِبِرْذَونٍ غامز ، فكتبت إليه[5] : [من المتقارب]

حملتَ على قـارحٍ غامزٍ   فلا لِلركوب ولا للثمَنْ[6]

1 ديوانه : 84–85 عن الأغاني .
2 كسكر : كورة من كور العراق قصبتها واسط .
3 يصلت : يرفع السيف .
4 ديوان دعبل : 83 عن الأغاني .
5 ديوانه : 138 .
6 القارح : الذي شق نابه من ذوات الحافر . والغامز : الذي يظلع في مشيه .

حمِلتَ على زَمــنٍ ظالع فسوف تُكافا بشُكر زَمِنْ

فبعث إليّ ببرذون غيره فاره بسرجه ولجامه ، وألفَي درهم .

قال ابن مَهْرُوَيْه وحدَّثني إسحاقُ بنُ إبراهيم العُكْبَريّ عن دِعبلٍ أنّه مدح يحيى بنَ خاقان ، فبعث إليه بهذا البِرذَوْن .

[يهجو خريجه لأنّه عابه]

أخبرني الحسنُ قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال : قال الحُسين بنُ دِعبل : كان أَبي يختلف إلى الفضل بن العبّاسِ بنِ جعفرِ بنِ محمدِ بنِ الأشعث ، وهو خرّجه وفهّمه وأدّبه ، فظهر له منه جفاء ، وبلغه أنّه يَعيبه ويذكره ، وينال منه ، فقال يهجوه[1] : [من البسيط]

يا بؤسَ للفضلِ لو لَم يأتِ ما عابه يستفرغُ السُمَّ من صماءِ قرضابَهْ[2]

مــا إن يزال وفيه العيبُ يجمعه جهلاً لأعراضِ أهلِ المجدِ عيّابَهْ

إن عابنــي لم يَعِــبْ إلاّ مؤدِّبَه ونفسَه عــاب لّمـا عــاب أَدَّابَهْ

فكــان كالكلبِ ضَرّاه مكلِّبُـه لِصيده فعــدا فــاصطاد كَلاّبَــهْ

[يهجو أحمد بن أبي دواد]

أخبرني الحسنُ قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أَبو جعفرٍ العِجليُّ قال : كان أَحمدُ بنُ أبي دُوادٍ يَطعن على دِعبل بحَضرة المأمون والمعتصم ، ويسبّه تقرّباً إليهما لِهجاء دِعبل إيّاهما ، وتزوّج ابنُ أبي دُواد امرأتين من بَني عِجل في سنة واحدة ، فلمّا بَلغ ذلك دِعبلاً قال يهجوه : [من البسيط]

غَصبْتَ عِجــلاً على فَرجَـين في سنة أَفسدْتَهمْ ثمّ مـا أَصلحْتَ من نَسبِكْ

ولــو خَطبْتَ إلى طَـوق وأسرتِـه فزوّجــوك لمـا زادوك في حسَبِكْ

نِكْ مَن هَوِيت ونَلْ ما شئت من نَشَب أَنتَ ابنُ زِرياب منسوباً إلى نَشبِكْ

إن كان قــوم أَرادَ اللهُ خزيهــمُ فزوّجوك ارتغابــاً منــك في ذهبِكْ

فذاك يوجــبُ أن النَّبْعَ تجمعـــه إلى خلافكَ في العيــدانِ أَو غَرَبِكْ[3]

---

1 ديوانه : 15 .

2 صماء قرضابه : داهية تأكل كل شيء .

3 النبع : شجر تتخذ منه القسي . والخلاف : شجر يشبه الصفصاف . والغرب : نوع من النبت الضعيف .

ولو سكَتّ ولم تخطبْ إلى عربِ لما نبشْتَ الذي تطويه من سببِكْ
عُدّ البيوتَ التي ترضى بخِطبتها تجد فَزارةَ العكليَّ من عرَبِكْ

قال : فلقيه فَزارة العُكليّ ، فقال له : يا أبا عليّ ، ما حملك على ذكري حتى فضحتني ، وأنا صديقك ؟ قال : يا أخي واللهِ ما اعتمدتُك بمكروه ، ولكن كذا جاءَني الشعر لبلاءٍ صبّه اللهُ عزَّ وجلَّ عليك لم أعتمدك به .

[عبثت به جارية فهجاها]

أخبرني جعفرُ بن قُدامة قال : حدَّثني هارونُ بنُ محمدِ بنِ عبد الملك الزيّاتِ قال : حدَّثني أبو خالد الأسلميُّ الكوفيّ قال : اجتمعتُ مع دِعبل في منزل بعض أصحابنا ، وكانت عنده جارية مغنّية صفراء مليحة حسنة الغناء ، فوقع لها العَبث بدِعبل والعنَت والأذى له ، ونهيناها عنه ، فما انتهت ، فأقبل علينا فقال : اسمعوا ما قلت في هذه الفاجرة ، فقُلنا : هات ، فقد نهَيناها عنك ، فلم تنته ، فقال[1] : [من الرجز]

تَخضِبُ كفاً قُطعتْ من زَندِها فتخضِب الحنّاءَ من مُسودِّها
كأنّها والكحلُ في مِرْودها تكحَلُ عينيها بِبعضِ جلدِها
أشبهُ شيءٍ استُها بخدِّها

قال : فجلست الجارية تبكي ، وصارت فضيحة ، واشتهرت بالأبيات ، فما انتفعت بنفسها بعد ذلك .

[جنى جناية في الكوفة فضرب ثلاثمائة سوط]

أخبرني جعفرُ بنُ قُدامة قال : حدَّثني هارون قال : حدَّثني أبي وخالدٌ قالا : كان دِعبلُ قد جَنى جنايةً بالكوفة وهو غلام ، فأخذه العَلاءُ بنُ منظور الأسديُّ ، وكان على شُرْطة الكوفة من قِبَل موسى بن عيسى ، فحبسه ، فكلّمه فيه عمُّه سليمان بن رَزِين ، فقال : أضربه أنا خيرٌ من أن يأخذه غريب فيقطعَ يده ، فلعلّه أن يتأدَّبَ بضربي إيّاه ، ثم ضربه ثلثمائةِ سوط ، فخرج من الكوفة ، فلم يدخلها بعد ذلك إلاّ عزيزاً .

[الشراة والصعاليك لا يؤذونه]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أحمدُ بنُ أبي كامل قال : كان دِعبل يخرج فيغيب سنين ، يدور الدّنيا كلّها ، ويرجع وقد أفاد وأثرى . وكانت الشُّراة والصعاليك يلقَوْنه فلا يؤذونه ، ويؤاكلونه ويشاربونه ويَبرّونه . وكان إذا لقيهم

---

1 ديوان دعبل : 74 عن الأغاني .

وضَع طعامَه وشرابه ، ودَعاهم إليه ، ودعا بغلاميه ثَقيف وشعف ، وكانا مغنيين ، فأقعدهما يغنّيان ، وسقاهم وشربَ معهم ، وأنشدَهم ، فكانوا قد عرفوه ، وألِفوه لكثرة أسفاره ، وكانوا يواصلونه ويصلونه . وأنشدني دِعبل بنُ عليّ لنفسه في بُعْدِ أسفاره[1] : [من الطويل]

حللْتُ مَحلا يقصُر البرقُ دونَه ويعجزُ عنه الطيفُ أن يتجشّما

[البحتريّ يعده أشعر من مسلم]

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال حدَّثنا محمدُ بنُ القاسِمِ بنِ مَهْرُوَيْه قال : قال لي البحتريّ : دِعبل بنُ عليّ أشعر عندي من مُسلمِ بنِ الوليدِ ، فقلت له : وكيف ذلك ؟ قال : لأنّ كلام دِعبلٍ أدخل في كلام العرب من كلام مسلم ، ومذهبُه أشبه بمذاهبهم ، وكان يتعصّب له .

[شيخ فان يدبّ على ضيفه]

أخبرني الحسنُ قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثنا الفضلُ بنُ الحسنِ بنِ موسى البصريُّ قال : باتَ دِعبلُ ليلةً عند صديق له من أهل الشامِ ، وباتَ عندَهم رجلٌ من أهلِ بيت لَهياني يقال له حَويّ بنُ عمرو السكسكيّ جميلُ الوجه ، فدبّ إليه صاحب البيت ، وكان شيخاً كبيراً فانياً قد أتى عليه حينٌ ، فقال فيه دِعبلٌ[2] : [من السريع]

لولا حُـوَيٌّ لبيت لهياني ما قامَ أيرُ العزب الفاني
لـــه دواةٌ في سراويلـــه يَليقهـــا النازحُ والدّاني[3]

قال : وشاع هذان البيتان ، فهرب حويّ من ذلك البلدِ ، وكان الشيخ إذا رأى دِعبلاً سبّه ، وقال : فضحتَني أخزاكَ اللهُ .

أخبرني الحسن بنُ عليّ قال : حدَّثني ابنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني محمدُ بن الأشعث قال : سمعْتُ دِعبِلاً يقول : ما كانت لأحد قطّ عندي مِنّةٌ إلا تمنّيتُ موتَه .

[دِعبل والثلج]

أخبرني الحسن قال حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدَّثنا محمدُ بن عُمر الجُرجانيُّ قال : دخل دِعبلُ بنُ عليٍّ الرّيّ في أيّام الربيع ، فجاءهم ثَلج لم يَرَوا مثله في الشتاء ، فجاءَ شاعر من شعرائهم فقال شعراً ، وكتبه في رقعة هو : [من الخفيف]

جاءنا دِعبل بِثلْج من الشعـ ـرِ فجادت سماؤنـــا بالثلوجِ

1 ديوان دعبل : 139 .
2 ديوان دعبل : 158 .
3 يليقها : يصلح مدادها ويجعلها ليقة .

نزلَ الرّيّ بعدَ ما سكنَ البَر دُ وقد أينعَتْ رياضُ المروجِ
فكسانا بِبرده لا كساه اللـ ـهُ ثوباً من كُرْسُف محلوجِ[1]

قال : فألقى الرقعة في دِهليز دِعبِل ، فلمّا قرأها ارتحل عن الرّيّ .

[قصر صالح الأضجم عن حاجته فهجاه]

أخبرني محمدُ بنُ عِمران قال : حدَّثنا العَنَزيّ قال : حدَّثنا أبو خالد الأسلميُّ قال : عرضَتْ لدِعبِل حاجةٌ إلى صالح بنِ عطيّة الأضجمِ ، فقصَّرَ عنها ، ولم يَبلغ ما أحبّه دِعبِل فيها ، فقال يهجوه[2] : [من السريع]

أحسنُ ما في صالحٍ وجهه فقِسْ على الغائبِ بالشاهِدِ
تأمَّلَتْ عيني لـه خِلقةً تدعو إلى تَزنيةِ الوالدِ

فتحمل عليه صالحٌ بي وبجماعة من إخوانه حتى كفّ عنه ، وعَرض عليه قضاء الحاجة ، فأباها .

[يهجو بني مكلم الذئب]

أخبرني الحسن بنُ عليٍّ قال حدَّثني محمد بنُ القاسم بنِ مَهْرُوَيْه قال حدَّثني أبي قال : فَخرَ قوم من خُزاعة على دِعبِل بن عليّ يقال لهم : بنو مُكلِّم الذئب ، وكان جدّهم جاء إلى النبيّ ، ﷺ ، فحدَّثه أنّ الذئب أخذ من غنمِه شاة فتبعه ، فلمّا غشِيه بالسيف قال له : ما لي ولك تمنعني رزقَ الله ؟ قال : فقلت : يا عَجَباً لِذِئب يتكلّم ! فقال : أعجَبُ منه أنّ محمداً نبيّ قد بُعث بين أظهُركم وأنتم لا تتبعونه ، فبنوه يفخرون بتكليم الذئبِ جدَّهم ، فقال دِعبل بنُ عليّ يهجوهم[3] : [من البسيط]

تِهتُمْ علينا بأنّ الذئبَ كلّمكمْ فقد لَعَمري أبوكم كلّم الذيبا
فكيف لو كلّم الليثَ الهصورَ إذاً أفنَيتم الناسَ مأكولاً ومشروبا
هذا السُّنَيدي لا أصلٌ ولا طُرَفٌ يكلّم الفيلَ تصعيداً وتصويبا

[هجاؤه ابن الزيّات]

حدَّثني الحسن بن عليٍّ قال حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه قال حدَّثني أبي قال : كان دِعبل قد مدح محمد بن عبد الملكِ الزيّاتَ ، فأنشده ما قاله فيه ، وفي يده طُومارٌ[4] قد جعله على فمِه كالمتكيء

1 كرسف : قطن .
2 ديوان دعبل : 76 .
3 ديوانه : 168–169 .
4 طومار : صحيفة .

عليه وهو جالس ، فلمّا فرغ أَمَر له بشيءٍ لم يرضه ، فقال : يهجوه[1] : [من البسيط]

يا مَــن يُقلِّب طُومــاراً ويلثمــه ... ماذا بِقلبك مــن حُبِّ الطواميرِ

فيــه مَشابه مــن شيءٍ تُسَرُّ به ... طُــولاً بطولٍ وتدويــراً بتدويرِ

لو كنْتَ تجمع أَموالاً كَجَمْعِكها ... إذاً جمعْــتَ بيوتــاً من دنانيرِ

[يهجو حمصيين قصرا في برّه]

أَخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أَبي قال : نزل دِعبلٌ بِحِمص على قوم من أهلها ، فبرّوه ووصلوه سوى رجلين منهم يقال لأحدهما : أشعث وللآخر أبو الصَّناع ، فارتحل من وقته من حمص وقال فيهما يهجوهما[2] : [من الوافر]

إذا نَزل الغريبُ بأَرض حِمصٍ ... رَأيتَ عليــه عِــزَّ الإمتناعِ

سُموُّ المكرماتِ بآل عيسى ... أَحَلَّهــمُ على شرفِ التّلاعِ

هناكَ الخــزّ يلبَسه المُغالي ... وعيسى منهــمُ سَقَط المتاعِ

فَسدِّدِ لاستِ أَشعثَ أَيرَ بَغل ... وآخرَ في حِــرِ امّ أَبي الصناعِ

فليس بِصانــع مَجــداً ولكن ... أَضاعَ المجدَ فهْو أَبو الضياعِ

[شعره في الفضل بن مروان]

أَخبرني الحسنُ قال : حدَّثنا محمدُ بن القاسمِ بن مَهْرُوَيْه عن الحسين بن دِعبل قال : قال أَبي في الفضل بنِ مروان[3] : [من الطويل]

نصحْتُ فأخلصْتُ النصيحةَ للفضلِ ... وقلتُ فسيَّرْتُ المقالــةَ في الفضلِ

أَلا إنَّ في الفضلَ بــن سهل لَعِبرة ... إن اعتبر الفضلُ بنُ مروان بالفضلِ

وللفضل في الفضل بنِ يحيى مواعظ ... إذا فكَّر الفضل بنُ مروان في الفضلِ

فأبقِ جميلاً مــن حديثٍ تَفُز بــه ... ولا تدَع الإحسان والأَخذَ بالفضلِ

فإنّك قــد أَصبحتَ للمُلكِ قيِّماً ... وصرْتَ مكانَ الفضلِ والفضلِ والفضلِ

ولم أَرَ أَبياتــاً مــن الشِّعرِ قبلهــا ... جميعُ قوافيها على الفضلِ والفضلِ

وليس لهــا عَيبٌ إذا هي أُنشدَتْ ... سوى أَن نصحي الفضلَ كان من الفضلِ

فبعث إليه الفضلُ بنُ مروانَ بِدَنانيرَ ، وقال له : قد قبلْتُ نصحك ، فاكفني خيرَك وشرَّك .

---

1 ديوانه : 86 .

2 ديوانه : 106 .

3 ديوانه : 129 .

[نقد شاعر]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني ميمونُ بنُ هارونَ قال : حدَّثني أَبو الطِّيب الحرّانيُّ قال : أُنشد رجل دِعبِلَ بن عليّ شعراً له ، فجعل يعيبه وينبِّهه على خطئه فيه بيتاً بيتاً ، ويقول : أيَّ شيء صنعْتَ بنفسك ؟ ولِم تقول الشعر إذا لم تقدر إلاّ على مثل هذا منه ؟ إلى أن مَرَّ له بيت جيِّد ، فقال دِعبِل : أحسنتَ ، أحسنتَ ما شئت . فقال له يا أبا عليّ : أتقول لي هذا بعدما مضى ؟ فقال له : يا حبيبي لو أنَّ رجلاً ضَرَط سبعين ضَرطة ما كان بمنكر أن يكون فيها دَسْتنبوية[1] واحدة .

[المأمون لا يعجب من هجائه إيّاه]

أُخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال حدَّثني محمدُ بن حاتمٍ المؤدِّبُ قال : قيل للمأمون : إنَّ دِعْبل بنَ عليّ قد هجاك ، فقال : وأيّ عجب في ذاك ؟ هو يهجو أبا عبّاد ولا يهجوني أنا ! ومن أَقدَمَ على جُنون أبي عبّاد أقدم على حِلمي ، ثم قال للجلساء : مَن كان منكم يحفظ شعره في أبي عبّاد فليُنشِدْنيه ، فأنشده بعضهم : [من الكامل]

أَولى الأمـورِ بضَيعةٍ وفسادِ ... أَمـرٌ يدبِّـره أَبـو عبّـادِ
خَـرِقٌ على جلسائِه فكأنّهم ... حضروا لمَلْحَمَةٍ ويـومَ جِلادِ
يَسْطـو على كُتّابـه بِدواتـه ... فمُضَمَّخٌ بِـدَمٍ ونَضْحِ مدادِ
وكأنّه من دَيْـر هِزْقِلَ مُفلِت ... حَـرِدٌ يَجـرُّ سلاسلَ الأَقيادِ
فاشدد أَميرَ المؤمنـينَ وثاقَـه ... فَأَصَحُّ منـه بقيّـةُ الحدادِ

قال : وكان بَقِيّة هذا مجنوناً في المارَسْتان ، فضحك المأمون . وكان إذا نظر إلى أَبي عبّاد يضحك ، ويقول لِمَن يقرب منه : واللهِ ما كذب دِعبِل في قوله .

حدَّثني جَحْظَةُ عن ميمونِ بنِ هارونَ فذكر مثله أو قريباً منه .

[الجنّ تستنشده تائيته]

أُخبرني أَحمدُ بنُ عُبيد الله بنِ عَمّار ومحمدُ بن أَحمدَ الحكيمُ قالا : حدَّثنا أَنسُ بنُ عبدِ الله النبْهانيُّ قال : حدَّثني عليُّ بنُ المنذرِ قال : حدَّثني عبد الله بنُ سعيدٍ الأشقريُّ قال : حدَّثني دِعبِل بنُ عليّ قال : لمّا هَرَبْتُ من الخليفة بتّ ليلة بنَيْسابورَ وحدي ، وعزمْتُ على أن أعمل قصيدة في عبد الله بنِ طاهر في تلك الليلةِ ، فإنّي لفي ذلك إذ سمِعْتُ والباب مردود عليّ : السلام عليكم ورحمة الله ، انج يرحمُك الله ، فاقشعرّ بدني من ذلك ، ونالني أمر عظيم . فقال لي : لا تُرَع عافاك الله ؛ فإنّي رجل من إخوانك من الجنّ من ساكني اليمن طرأ إلينا طارىء

1 دستنبوية : نوع من البطيخ الأصفر صغير مستطيل .

من أَهلِ العراق فأَنشدَنا قصيدتك : [من الطويل]

مدارسُ آياتٍ خلَتْ من تلاوةٍ ومنزلُ وحي مقفرُ العرَصاتِ[1]

فأَحببْت أَن أَسمَعها منك ، قال فأَنشدتُه إيّاها ، فبكى حتى خرّ ، ثم قال : رحمكَ اللهُ ! أَلا أَحدثك حديثاً يَزيدُ في نيّتِك ويُعينك على التمسّك بمذهبك ؟ قلت : بلى . قال : مكثْت حيناً أَسمع بذِكر جعفرِ بنِ محمدٍ عليه السلام ، فصرْتُ إلى المدينة فسمعْتُه يقول : حدَّثني أبي عن أَبيه عن جدِّه أنّ رسول الله ، ﷺ ، قال : عليٌّ وشيعتُه هم الفائزون ، ثم ودَّعَني لينصرف . فقلت له : يرحمك الله ، إن رأيتَ أن تخبرني باسمك فافعل ، قال : أنا ظَبْيانُ بنُ عامر .

[دعا أعرابيّاً وأَسمعه هجاءه في كلاب]

أَخبرني الحسين بنُ القاسمِ الكوكبيُّ قال : حدَّثني إسحاق بنُ محمدٍ النخَعيُّ وأَخبرني به الحَليميّ عن يعقوبَ بنِ إسرائيلَ عن إسحاق النخَعيّ قال : كنت جالساً مع دِعبِل بالبصرة وعلى رأسه غلامه ثَقيف ، فمرَّ به أعرابيّ يرفُلُ في ثيابِ خزّ ؛ فقال لغلامه : ادعُ لي هذا الأَعرابيّ . فأومأَ الغلام إليه ، فجاء . فقال له دِعبِلٌ : مِمّن الرّجل ؟ قال : من بني كِلاب . قال : من أيٍّ ولَد كِلاب أنت ؟ قال : من ولد أبي بكر ، فقال دِعبِل : أتعرف القائل[2] : [من الطويل]

ونُبِّئْتُ كلباً من كلاب يسبّني ومحض كلاب يقطعُ الصلواتِ[3]

فإن أَنا لم أعلمْ كلاباً بأنّها كلابٌ وأَنّي باسلٌ النَّقماتِ

فكان إذاً من قيس عَيلان والدي وكانت إذاً أُمِّي من الحَبَطاتِ[4]

قال : وهذا الشعر لِدِعبِل يقوله في عمرو بن عاصم الكلابيّ ، فقال له الأعرابيّ : مِمّن أَنت ؟ فكرِه أن يقول له من خُزاعة فيهجوَهم ، فقال : أنا أنتمي إلى القوم الذين يقول فيهم الشاعر[5] : [من الطويل]

أُناس عليٌّ الخيرُ منهم وجعفرٌ وحمزةُ والسَّجَّادُ ذو الثَّفِناتِ[6]

1 انظر تائيته في مدح آل البيت في ديوانه : 35–44 .

2 ديوانه : 45 .

3 المحض : الخالص من كل شيء ، ويريد أن الكلابيّ الخالص النسب يقطع الصلاة بنجاسته .

4 الحبطات : أبناء الحارث بن مالك لقب بذلك لأنه أكل صمغاً كثيراً فحبط بطنه أي ورم .

5 البيتان من تائيّته .

6 رواية الديوان للصدر : ديار علي والحسين وجعفر . وذو الثفنات هو علي بن الحسين . لقّب بالسجاد وذي الثفنات لأنّ مساجده كانت كثفنة البعير ، أي ركبته وما يمسّ الأرض من أعضائه .

إذا فخَروا يومـاً أَتَوا بمحمدٍ وجبريلَ والفرقانَ والسُّوراتِ

فوثب الأعرابيّ وهو يقول : ما لي إلى محمد وجبريلَ والفرقان والسُّورات مرتقى .

[هجاء بني بسام]

أَخبرني الكوكبيّ قال حدَّثني ابن عبدوسٍ قال : سأَل دعبلٌ نصرَ بنَ منصورِ بنِ بَسّام حاجة ، فلم يَقضِها لشغلٍ عرضَ له دونها ، فقال يهجو بني بَسّام[1] : [من المنسرح]

حواجـبٌ كالجبالِ سودٌ إلى عثانـين كالمخـالي

وأوجُـهٌ جَهْمة غِـلاظٌ عُطْلٌ من الحسنِ والجمالِ

أَخبرني الكوكبيُّ قال حدّثني ميمونُ بن هارون قال : لما ولي أحمدُ بن أَبي خالدٍ الوزارة في أيّام المأمون قال دِعبِلُ بنُ عليّ يهجوه[2] : [من المتقارب]

وكان أَبو خالـد مَـرَّة إذا باتَ متّخِماً عاقدا[3]

يضيقُ بـأَولادِهِ بطنُـه فيخراهـمُ واحداً واحدا

فقد ملأ الأرضَ من سَلْحه خنافسَ لا تشبـه الوالدا

[هرب من المعتصم وهجاه]

أَخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدَّثنا محمد بنُ القاسم بن مَهْرُوَيْه قال حدَّثنا أَبو ناجيةَ قال : كان المعتصمُ يُبغض دعبِلاً لطول لسانه ، وبلغ دِعبلاً أنّه يريدُ اغتياله وقتْلَه ، فهرب إلى الجبل ، وقال يهجوه[4] : [من الطويل]

بكـى لِشتات الدِّين مكتئب صبّ وفاضَ بفَرْطِ الدمعِ من عينهِ غربُ[5]

وقـام إمـامٌ لم يكـن ذا هدايـةٍ فليس لـه ديـنٌ وليس له لبُّ

ومـا كانت الآبـاءُ تأتـي بمثلِه يُملَّك يومـاً أَو تَدينُ لـه العُربُ

ولكـن كما قـال الذيـن تتابعوا مِن السلَف الماضين إذ عظُم الخطبُ

ملوك بني العبّاس في الكُتْبِ سبعـةٌ ولم تأتنـا عـن ثامنٍ لهمُ كُتْبُ

---

1 ديوانه : 130 .

2 ديوانه : 58 .

3 عاقدا في الديوان : قاعدا . والعاقد : الناقة التي أقرت باللقاح فهي تعقد ذنبها . وفي رواية حاقدا : من حقد المطر إذا انحبس .

4 ديوانه : 18–19 .

5 غرب : دلو عظيمة .

كذلك أَهلُ الكهفِ في الكهفِ سبعةٌ خيـارٌ إذا عُـدّوا وثامنهمُ كلبُ
وإنّـي لأُعـلي كلبَهم عنـكَ رفعةً لأنّكَ ذو ذَنْب وليس لـه ذَنْبُ
لقد ضاع ملكُ النّاسِ إذ ساس ملكَهم وَصيف وأَشناسٌ وقد عظُم الكربُ[1]
وفضلُ بـنُ مـروانٍ يُثلِّم ثَلمةً يظلُّ لها الإسلامُ ليس لـه شَعْبُ[2]

[معارضة ابن الزيّات في رثاء المعتصم]

أَخبرني عمِّي قال حدَّثني ميمونُ بنُ هارون قال : لمّا مات المعتصم قال محمدُ بنُ عبد الملك الزيّاتُ يرثيه[3] : [من المنسرح]

قـد قلتُ إذ غيّبوه وانصرفوا في خَيرِ قبرٍ لِخَير مدفـونِ
لـن يَجبُر اللهُ أُمّةً فقدتْ مثلَك إلاّ بمثـلِ هـارونِ

فقال دعبلُ يعارضه[4] : [من المنسرح]

قـد قلْتُ إذ غيّبوه وانصرفوا في شرِّ قبـرٍ لشرِ مدفـونِ
اذهبْ إلى النارِ والعذابِ فما خِلْتُـك إلاّ مـن الشياطينِ
ما زلْتَ حتى عقدتَ بيعة مَن أَضـرَّ بـالمسلمينَ والدِّينِ

[يكتم رثاء محمد بن الزيّات]

قال عمّي حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدّثني محمدُ بنُ عُمرَ الجُرجانيّ قال : أَنشد دِعبِلُ بنُ عليّ يوماً قول بعض الشعراء : [من المنسرح]

قـد قلتُ إذ غيّبوه وانصرفوا

وذكر البيتين والجوابَ ولم يُسمِّ قائل المرثيّةِ ولا نسبَه إلى محمدِ بنِ عبد الملك الزيّات ولا غيره .

[ينكر نسبة شعر إليه فيه هجاء بني العبّاس]

أَخبرني عليُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال حدَّثنا محمد بنُ يزيدَ قال : سأَلْت دِعبِلاً عن هذه الأَبيات : [من الطويل]

ملوكُ بنـي العبّاس في الكتْبِ سبعة

---

1 وصيف وأشناس : من الأتراك الذين جعلهم المعتصم قواداً وحكّاماً .
2 الشعب : إصلاح الصدع .
3 ديوان ابن الزيات (سعيد) : 76 ورواية البيت فيه :
أقول إذ غيّبوك وأصفقت عليك أيـدٍ باللبن والطين
4 ديوانه : 158 .

فأنكر أن تكون له ، فقلتُ له : فمَن قالها ؟ قال : من حشا الله قبرَه ناراً ، إبراهيمُ بن المهديّ ، أراد أن يُغرِيَ بي المعتصمَ فيقتلني لهجائي إيّاه .

[ابن المدبر يعجبه هجاؤه ابن أبي دواد]

أخبرني عمّي والحسنُ بن عليّ جميعاً قالا : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسمِ بن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أبي قال : كنتُ عند أحمدَ بنِ المدبَّر ليلة من الليالي ، فأنشدته لدِعبِل في أحمدَ بن أبي دُواد قوله[1] : [من الخفيف]

إنَّ هــذا الذي دُوادُ أبــوه وإيــاد قــد أكثرَ الأنبــاءَ
ساحقَتْ أمّه ولاطَ أبــوه ليتَ شعري عنه فمِن أين جاءَ !
جاء مِن بين صخرَتين صلودَيْـ ـنِ عَقامَـين يُنبِتان الهَباءَ
لا سِفاحٌ ولا نِكاح ولا ما يوجِـبُ الأمّهـاتِ والآباءَ

قال : فاستعادها أربعَ مرّات ، فظننت أنّه يريد أن يحفظها ، ثم قال لي : جئني بدِعبِل حتى أُوصلَه إلى المتوكّل ، فقلت له : دِعبِل موسوم بِهجاء الخلفاء والتشيّع ، وإنّما غايته أن يُخمِلَ ذكره ، فأمسك عنّي ، ثم لقيتُ دِعبِلاً فحدّثْتُه بالحديث ، فقال : لو حضرْتُ أنا أحمدَ بنَ المدبِّر لما قدرْتُ أن أقولَ أكثر مِمّا قلْتَ .

[بيت في هجاء المتوكّل]

أخبرني الحسن قال حدَّثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُوَيْه قال حدَّثني محمدُ بنُ جَرير قال : أنشدَني عُبيد الله بنُ يعقوبَ هذا البيتَ وحده لدِعبِل يهجو به المتوكّل ، وما سمعتُ له غيره فيه[2] : [من الوافر]

ولستُ بقائـــل قَذْعاً ولكن لأمرٍ ما يُعَــدُّ لــكَ العبيدُ[3]

قال : يرميه في هذا البيت بالأبنة .

[هجاء المعتصم والواثق]

أخبرني الحسنُ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُوَيْه قال : كنتُ مع دِعبِل بالصَّيْمَرة[4] وقد جاء نَعي المعتصم وقيامُ الواثق ، فقال لي دِعبِل : أمعَكَ شيء تكتب فيه ؟ فقلت : نعم ، وأخرجْتُ قِرْطاساً ، فأملى عليّ بديهاً[5] : [من البسيط]

1 ديوانه : 11 .
2 ديوانه : 62 .
3 الديوان : لأمر ما تعبّدك العبيد .
4 ل : بالبصرة . والصيمرة من ديار الجبل .
5 ديوانه : 59 .

الحمدُ للهِ لا صبرٌ ولا جلَدُ ولا عزاءٌ إذا أَهلُ البِلى رَقدوا
خليفةٌ ماتَ لم يَحزنْ له أَحدٌ وآخرٌ قـام لم يَفرحْ به أَحدُ

[مزق قصيدة في الحسن بن وهب]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثنا أَحمدُ بنُ عبيدَ الله بنِ ناصح قال : قلتُ لِدِعبِل ، وقد عرض عليّ قصيدة له يمدح بها الحسنَ بنَ وَهْب ، أوّلها :

أَعاذِلَتي ليس الهوى من هوائيا

فقلت له : ويحك ، أَتقول فيه هذا بعد قولك : [من السريع]

أَين مَحَلّ الحي ِيـا حادي خبِّر سقاكَ الرائحُ الغادي

وبعد قولك[1] : [من البسيط]

قالت سلامةُ أَين المـالُ قلتْ لها المالُ ويحكِ لاقى الحمدَ فاصطحبا

وبعد قولك[2] : [من الرمل]

فَعَلى أيمانِنا يجري النَّدى وعلى أَسيافنا تجري المُهجْ

والله إنِّي أُراك لو أَنشدْتَه إيّاها لأَمر لك بصَفع قفاك ، فقال : صدقْتَ واللهِ ، ولقد نبّهتني وحَذَّرتني ، ثم مزّقها .

[يهجو تلميذاً له فيهجو أباه]

أَخبرني عمِّي قال : حدَّثني العَنَزيّ قال حدَّثني الحسينُ بنُ أَبي السّريّ قال : غضِب دِعبِل على أَبي نصرِ بن جعفرِ بنِ محمدِ بنِ الأشعثِ ، وكان دِعبِلٌ مؤدبه قديماً ، لشيء بلغه عنه ، فقال يهجو أباه[3] : [من الكامل]

ما جعفرُ بنُ محمدِ بنِ الأَشعثِ عندي بخيرِ أُبوّةٍ من عَثعثِ
عبثاً تُمارسُ بي مُمارسَ حيّة سَوّارة إن هِجتَها لم تلبـثِ
لم يَعلمْ المغرورُ ماذا حازَ مـن خـزي لوالده إذاً لم يعبثِ

قال : فلقيه عثعث ، فقال له : عليك لعنةُ الله ، أَيُّ شيءٍ كان بيني وبينك حتى ضربْتَ بي المثل في خِسة الآباء ، فضحك ، وقال : لا شيءَ والله ، اتفاق اسمك واسمِ ابنِ الأشعث في القافية . أولا ترضى أن أجعلَ أباك ، وهو أسود ، خيراً من آباء الأشعث بنِ قيس ؟

---

1 ديوان دعبل : 13 .
2 ديوانه : 51 .
3 ديوانه : 51 .

[العيش الذي يريده]

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدَّثنا محمدُ بن القاسم بنِ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني إبراهيمُ بنُ سهل القاري ، وكان يلقّب أُرُزة قال : حدَّثني دِعبِلُ بنُ عليٍّ الخُزاعيّ قال : كتبْتُ إلى أبي نَهْشَلٍ بنِ حُمَيد الطوسيّ قوله[1] : [من الخفيف]

إنّمـا العَيشُ في مُنادمــةِ الإخـ ـوان لا في الجلوسِ عندَ الكَعابِ

وبِصِرْفٍ كأنّهـا ألسُن البـرَ ق إذا استعرضَت رقيق السحابِ

إن تكونـوا تركتمُ لـذَّة العيـ ـش حِـذار العِقابِ يومَ العقابِ

فدَعُـوني ومـا ألـذّ وأهـوَى وادفعوا بي في صدر يومَ الحسابِ

[يثيبه علي بن موسى الرضا على تائيته]

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدَّثَنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني موسى بنُ عيسى المَرْوَزِيّ ، وكان منزله بالكوفة في رَحَبَة طيّيء ، قال : سمِعْت دِعبِلَ بنَ عليّ وأنا صبيّ يتحدّث في مسجد المَرْوَزية قال : دخلْتُ على عليٍّ بن موسى الرّضا ، عليهما السلام ، فقال لي : أنشدني شيئاً ممّا أحدثت ، فأنشدته : [من الطويل]

مدارسُ آياتٍ خلَتْ من تلاوةٍ ومنزلُ وحيٍّ مقفرُ العرَصاتِ

حتى انتهيت إلى قولي : [من الطويل]

إذا وُتِروا مـدّوا إلى واتريهمُ أكفّـاً عن الأَوْتـارِ منقبضاتِ

قال : فبكى حتى أُغمِي عليه ، وأومأ إليّ خادم كان على رأسه : أن اسكتْ ، فسكتُّ ساعة ؛ ثم قال لي : أعِد ، فأعدْت حتى انتهيتُ إلى هذا البيتِ أيضاً ، فأصابه مثلُ الذي أصابه في المرّة الأولى ، وأومأ الخادم إليّ : أن اسكت ، فسكتّ ؛ فمكث ساعة أُخرى ثم قال لي : أعِد ، فأعدْت حتى انتهيتُ إلى آخرها ، فقال لي : أحسنت ، ثلاث مرّات ؛ ثم أمَر لي بعشرة آلاف درهم مِمّا ضُرِب باسمه ، ولم تكن دفعت[2] إلى أحد بعدُ ، ثم أمَر لي مَن في منزله بحَلْي كثير أخرجه إليَّ الخادم . فقدِمْتُ العراق ، فبعت كلّ درهم منها بعشرة دراهم ، اشتراها مِني الشيعة ، فحصل لي مائةُ ألفِ درهم ، فكان أوّل مال اعتقدْتُه[3] .

1 ديوانه : 34 .

2 ل : وقعت .

3 اعتقدته : جمعته .

[ثوب الرضا لكفنه]

قال ابن مَهْرُوَيْه وحدَّثني حُذَيفةُ بنُ محمد[1] : أَنّ دِعبِلاً قال له : إنّه استوهَب من الرِّضا عليه السلام ثوباً قد لبِسه ليجعله في أكفانه فخلع جُبّة كانت عليه ، فأعطاه إيّاها وبلغ أهلَ قمٍّ خبرُها فسألوه أن يبيعهم إيّاها بثلاثين ألفَ درهم ، فلم يفعل ؛ فخرجوا عليه في طريقه ، فأخذوها منه غصباً ، وقالوا له : إن شئتَ أن تأخذ المال فافعل ، وإلاّ فأنت أعلَم . فقال لهم : إنّي والله لأُعطيكم إيّاها طَوعاً ، ولا تنفعكم غصباً ، وأشكوكم إلى الرِّضا عليه السلام . فصالحوه على أن أعطَوه الثلاثين الألفَ الدرهمِ وفرْدَ كُمٍّ من بطانتها فرضي بذلك .

[هجاء إبراهيم بن المهديّ]

أُخبرني محمدُ بنُ مزْيدٍ قال حدَّثنا حمادُ بن إسحاق عن أَبيه قال : بويع إبراهيمُ بنُ المهديّ ببغدادَ ، وقد قلّ المالُ عنده ، وكان قد لجأ إليه أعراب من أعراب السواد وغيرهم من أوغاد النّاس ، فاحتبس عنهم العطاء ، فجعل إبراهيم يسوّفهم ولا يرَون له حقيقة إلى أن خرج إليهم رسولُه يوماً وقد اجتمعوا وضجُّوا فصرَّح لهم بأنّه لا مال عنده . فقال قوم من غوغاء أهل بغداد : أخرجوا إلينا خليفتنا ليغنّي لأهل هذا الجانبِ ثلاثةَ أصوات ، ولأهل هذا الجانبِ ثلاثةَ أصوات ، فتكونَ عطاءً لهم ، فأنشدني دِعبِل بعد ذلك بأيّام قوله : [من السريع]

يـا معشرَ الأجنـادِ لا تقنَطوا وارضَوْا بما كان ولا تَسخطوا

فسوفَ تعطَـون حُنَيْنِيـة يلتذّهـا الأَمـردُ والأَشمطُ

والمعبَدِيّـات لقـوّادكم لا تدخـل الكِيس ولا تُربطُ

وهكـذا يَـرزق قـوّاده خليفـةٌ مُصحفُـه البَرْبطُ

وزادني فيها جعفر بن قدامة[2] :

قـد ختَـم الصكّ بأرزاقكم وصحّح العزمَ فـلا تسخطوا

بَيعـة إبراهيـم مشئومـة يُقتَل فيهـا الخلق أو يُقْحَطُ

[متخلف يقول الشعر]

أُخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أَبو عليٍّ يحيى بنُ محمد بن ثَوابة الكاتبُ قال : حدَّثني دِعبِل قال : كان لي صديق متخلّف يقول شعراً فاسداً مرذولاً وأنا أُمهاه عنه إذا أنشدني ، فأنشدني يوماً : [من مجزوء الرمل]

إنّ ذا الحُبَّ شديـدٌ ليس يُنجيـه الفِـرارُ

---

1 تقدم هذا الخبر في هذه الترجمة .

2 لم يرِد هذان البيتان في ديوانه .

ونجا مَن كان لا يعشـ ـق مـن ذلّ المخازي

فقلت لـه : هذا لا يجوز ، البيت الأوّل على الراء ، والبيت الثاني على الزاي . فقال : لا تَنقُطْه ، فقلت له : فالأوّل مرفوع ، والثاني مخفوض . فقال : أنا أقول له لا تَنقُطْه وهو يَشكُله .

[يستشهد بالحديث]

أخبرني الحسن قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثنا محمدُ بنُ زكريّا بن ميمونٍ الفَرْغانيّ قال : سمعْتُ دِعبلَ بنَ عليٍّ يقول في كلام جرى : لَيْسَك ، فأنكرتُه عليه . فقال : دخل زيدُ الخيلِ على النبيّ ، ﷺ ، فقال له : يا زيدُ ما وُصِف لي رجل إلاّ رأيته دون وصفِه ليسك ، يريد غيرَك .

[يحسد شاعراً على معنى]

أخبرني الحسن قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثنا عليُّ بنُ عبدِ الله بنِ سعدٍ قال : قال لي دِعبلٌ ، وقد أنشدته قصيدةَ بكرِ بنِ خارجة في عيسى بن البَراءِ النصرانيّ الحربيّ : [من الرجز]

زُنّارُه في خصره معقودُ كأنّه من كبدي مقدودُ

فقال : واللهِ ما أعلَمُني حسدْتُ أحداً على شعر كما حسدْتُ بَكراً على قوله : كأنّه من كبدي مقدود .

[يقول الشعر كلّ يوم خلال ستّين سنة]

أخبرني هاشمُ بنُ محمدٍ الخُزاعيُّ قال : سمعْتُ الجاحظ يقول : سمعتُ دِعبِل بن عليٍّ يقول : مكثْت نحوَ ستّين سنة ليس مِن يوم ذَرّ شارقُه إلاّ وأنا أقول فيه شعراً .

[يعجب لخفّة روح مفلوج عاده]

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال : حدَّثني محمدُ بن القاسم بنِ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أَبي قال : سمعْتُ دِعبلَ بنَ عليٍّ يقول : دخلْت على أبي الحارث جُمّيْن ، وقد فُلجَ ، لأعوده ، وكان صديقي ، فقلت : ما هذا يا أبا الحارث ؟ فقال : أخذْتُ من شَعري ودخلت الحمّام ، فغلِط بي الفالجُ ، وظنَّ أنّي قد احتجمْتُ . فقلت له : لو تركْتَ خِفّة الرُّوح والمُجون في موضع لتركتهما في هذا الموضع وعلى هذه الحال .

[المأمون يستنشد شعر دعبل]

أخبرني الحسينُ بنُ القاسم الكوكبيُّ قال : حدَّثنا أَحمدُ بن صَدَقة قال : حدَّثني أَبي قال : حدَّثني عمرُو بنُ مَسْعدة قال : حضرْت أَبا دُلَف عند المأمون ، وقد قال له المأمون : أيَّ شيء تَروِي لأخي خُزاعة يا قاسمُ ؟ فقال : وأيُّ أخي خُزاعةَ يا أمير المؤمنين ؟ قال : ومَن تعرف فيهم شاعراً ؟ فقال : أمّا مِنْ أنفُسِهم فأبو الشِّيص ودِعبل وابنُ أبي الشِّيص وداودُ بن أبي رَزِين ، وأمّا مِن مواليهم فطاهرٌ وابنُه عبدُ الله . فقال : ومَن عسى في هؤلاء أن يُسأل عن

شعره سوى دِعبِل ؟ هات أَيّ شيء عندك فيه . فقال وأَيَّ شيء أَقول في رجل لم يَسلمْ عليه أَهل بيته حتى هجاهم ، فقَرن إحسانهم بالإساءة ، وبذْلهم بالمنع ، وجودَهم بالبخل ، حتى جعل كلّ حسنة منهم بإزاء سيئة ! قال : حين يقول ماذا ؟ قال : حين يقول في المطّلب بن عبد الله بن مالك ، وهو أصدق النّاس له ، وأقربهم منه ، وقد وفَد إليه إلى مصر فأعطاه العطايا الجزيلة وولاّه ، ولم يمنعه ذلك من أن قال فيه[1] : [من البسيط]

اضرِبْ ندى طلحةِ الطّلحاتِ متئداً ... بِلُؤمِ مطّلبٍ فينا وكن حكما

تخرجْ خزاعة من لؤمٍ ومن كرمٍ ... فلا تُحسُّ لها لؤماً ولا كرما

قال : فقال المأمون : قاتلَه الله ! ما أغوصَه وألطفه وأَدهاه ! وجَعل يضحك ، ثم دخل عبد الله بنُ طاهر ، فقال له : أيَّ شيء تحفظ يا عبدَ الله لدِعبِل ؟ فقال : أحفظ أبياتاً له في أهلِ بيت أمير المؤمنين ، قال : هاتها ويحك . فأنشده عبدُ الله قولَ دِعبل[2] : [من البسيط]

سَقياً ورَعياً لأيّام الصباباتِ ... أيّام أرفلُ في أَثواب لذّاتي

أيّام غصني رَطيب من لَيانته ... أَصبو إلى غيرِ جاراتٍ وكَنّاتِ

دعْ عنك ذكرَ زمان فاتَ مطلبُه ... واقذِف بِرِجلِك عن مَتن الجهالاتِ

واقصِدْ بكلِّ مديحٍ أَنتَ قائله ... نحو الهُداة بني بَيتِ الكراماتِ

فقال المأمون : إنّه قد وَجد واللهِ مقالاً فقال ، ونال ببعيد ذكرهم ما لا يناله في وصف غيرهم ، ثم قال المأمون : لقد أحسن في وصف سَفرٍ سافره ، فطال ذلك السفر عليه ، فقال فيه[3] : [من الطويل]

أَلَمْ يأنِ للسَّفْر الذين تَحملوا ... إلى وطنٍ قبل المماتِ رجوعُ

فقلتُ ولم أَملِك سوابق عَبرة ... نطقنَ بما ضُمت عليه ضلوعُ

تبيّنْ فكم دار تفرّق شَمْلها ... وشملٍ شتيت عاد وهو جميعُ[4]

كذاك الليالي صرفُهنّ كما ترى ... لكلِّ أُناس جَدْبةٌ وربيعُ

ثم قال : ما سافرت قطّ إلاّ كانت هذه الأَبيات نُصب عيني في سفري ، وهِجِّيراي[5] ومسلِّيتي حتى أَعود .

---

1 ديوانه : 139 .

2 ديوانه : 49 .

3 ديوانه : 104 .

4 الديوان : تأنّ .

5 هجيراي : دأبي .

[المكاريّ يتغنّى بشعره]

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال : حدَّثني المبرِّد ومحمد بن الحسن بن الحرون قالا : قال دِعبِل : خرجتُ إلى الجبل هارباً من المعتصم ، فكنت أسير في بعض طريقي والمُكاري يسوق بي بغلاً تحتي ، وقد أتعبني تعباً شديداً ، فتغنّى المُكاريّ في قولي : [من الكامل]

لا تَعجبي يا سلمَ مِـن رجلٍ ضحِكَ المشيبُ برأسِه فبكى

فقلت له ، وأنا أُريد أن أتقرَّبَ إليه وأكفَّ ما يستعمله من الحثِّ للبغل لئلاّ يتعبني : تَعرِف لِمن هذا الشعرُ يا فتى ؟ فقال : لِمن ناك أُمّه وغرِم درهمين . فما أدري أيّ أُموره أَعجب : من هذا الجوابِ أم من قلة الغُرْم على عِظم الجناية !

[مغنّية حاضرة الجواب]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني أَحمدُ بن الطيِّب السرْخَسيّ قال : حضرْت مجلسِ محمدِ بْن عليٍّ بنِ طاهرٍ وحضَرَتْه مغنّية يقال لها : شنين مشهورة ، فغنت : [من الكامل]

لا تعجبي يا سلمَ من رجلٍ ضحكَ المشيبُ برأسِه فبكى

ثم غنَّت بعده :

لقد عَجبَتْ سلمى وذاك عجيب

فقلت لها : ما أَكثر تعجبَ سلمى هذه ! فعلِمَتْ أنّي أعبث بها لأَسمع جوابها ، فقالت متمثلة غير متوقفة ولا متفكرة : [من الطويل]

فهُلكُ الفتى أَلا يَراح إلى نَدًى وأَلا يَرى شيئاً عَجيباً فيعجبا

فعجبْتُ واللهِ من جوابها وحِدّته وسرعته ، وقلت لَمن حضر : والله لو أَجاب الجاحظ هذا الجواب لكان كثيراً منه مستظرفاً .

## نسبة هذا الصوت

## صوت[1]

[من الطويل]

لقد عجبَتْ سلمى وذاك عجيبُ رأَتْ بيَ شيباً عجّلته خُطوبُ

ومـا شيَّبَتْني كَبرةٌ غيرَ أَنّني بِدَهر بـه رأسُ الفطيم يشيبُ

الغناء ليحيى المكّيّ ، ثقيل أوّل بالوُسطى من كتاب أبيه أحمدَ .

1 ديوان دعبل : 22 عن الأغاني .

[صنعة أحمد المكّيّ في شعره]

حدَّثني جعفرُ بنُ قُدامةَ قال : حدَّثني محمدُ المرتجلُ بنُ أَحمدَ بن يحيى المكِّيُّ قال : كان أَبي صديقاً لدِعبِل ، كثيرَ العِشرة له ، حافظاً لِغَيبه ، وكلُّ شِعرٍ يُغَنَّى فيه لِدِعبل فهو من صنعة أبي ، وغنّاني من صنعة أبيه في شعر دِعبِل ، والطريقةُ فيه خفيف ثقيل في مجرى البنصر[1] .

## صوت

[من الطويل]

سَرى طيفُ ليلى حين آن هُبوب وقضَّيتُ شوقاً حين كاد يذوبُ

فلم أَرَ مطروقاً يُحَلّ بِرَحله ولا طارقاً يَقري المنى ويُثيبُ[2]

وأَنشدني عمِّي هذيْن البيتين عن أحمدَ بنِ يحيى بنِ أبي طاهرٍ وابنِ مَهْرُوَيْه جميعاً لدِعبِل .

[يتنصل من أبياته في هجاء المعتصم]

حدَّثني حبيبُ بنُ نصرٍ المهلَّبيُّ قال : حدَّثنا عبد الله بن أَبي سعد قال : سأَلتُ دِعبِلاً مَن الذي يقول : [من الطويل]

مُلوك بنـي العبّاس في الكُتْـبِ سبعةٌ

فقال : مَن أضرم الله قبرَه ناراً ، إبراهيم بنُ المهديّ . قال ابن أبي سعد : وحدَّثني عبدُ العزيز بنُ سهل أنّه سأله عنها فاعترف بها .

[هجاء طاهر بن الحسين]

حدَّثني عمِّي قال : أَنشدني ابنُ أَخي دِعبل لعمِّه في طاهرٍ بنِ الحسين ، وكان قد نَقَم عليه أمراً أنكره منه[3] : [من الرجز]

وذي يمينَـين وعـينٍ واحدهْ نُقصانُ عَـين ويمـينٌ زائدَهْ

نَـزْرُ العطياتِ قليـلُ الفائدهْ أَعضّـه اللهُ بِبَظْـرِ الوالـدَهْ

[لم يرض فعلهما فهجاهما]

حدَّثني جحظةُ قال : حدَّثني ميمونُ بنُ هارون قال : كان دِعبِل قد مدح دِينارَ بنَ عبد الله وأخاه يحيى ، فلم يَرْضَ ما فعلاه ، فقال يهجوهما[4] : [من البسيط]

مـا زالَ عصياننا للهِ يُرذِلنـا حتى دُفعنـا إلى يحيـى ودينارِ

---

1 ديوانه : 23 .

2 يحل برَحله في الديوان : يحل بطارق .

3 ديوانه : 172 .

4 ديوانه : 88 .

وَغْدَين عِلْجَين لم تُقطَعْ ثمارهـا قد طالَ ما سَجدا للشمسِ والنّارِ[1]

[هجاء بالجملة]

قال : وفيهما وفي الحسن بن سهل يقول أيضاً دِعبل يهجوهم ، والحسنِ بنِ رجاء وأبيه أيضاً[2] : [من الطويل]

أَلا فاشتروا منّي ملـوك المخزمِ أَبِعْ حسَناً وابنَي رجـاء بدرهمِ[3]

وأُعطِ رجـاء فـوق ذاك زيـادة وأَسمـحْ بدينـار بغيرِ تنـدُّمِ

فإن رُدّ مـن عيبٍ عليّ جميعُهم فليس يَردُّ العيبَ يحيى بنُ أَكثمِ

[هجاء الطاهريين بعد إحسانهم إليه]

أَخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أَبو الطيِّب الحرانيُّ قال : كان دِعبِل منحرفاً عن الطاهريّة مع ميلهم إليه وأَياديهم عنده ، فأَنشدني لنفسه فيهم[4] : [من الوافر]

وأَبقـى طاهـر فينا ثلاثاً عجائبَ تُستَخَفّ لها الحلومُ

ثلاثـةَ أَعبـد لأَبٍ وأُمٍّ تُمَيّـز عـن ثلاثتِهم أُرومُ[5]

فبَعضٌ في قـريش منتمـاه ولا غَيرٌ ومجهـولٌ قديمُ[6]

وبعضهمُ يَهشّ لآل كسرى ويزعـمُ أَنّه عِلْـج لئيمُ

فقـد كثرَتْ مناسبهم علينا وكلُّهمُ عَلى حـال زنيمُ[7]

[عودة إلى قبيح الوجه]

أَخبرني الحسنُ بن عليّ قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أَبي قال : كان صالحُ بن عطيّةَ الأضجم من أبناء الدّعوة ، وكان من أقبح النّاس وَجهاً ، وكان ينزل واسطاً ، فقال فيه دِعبِل : [من السريع]

أَحسنُ مـا في صالح وجهُهُ فقِس على الغائـب بالشاهدِ

---

1 لم تقطع ثمارهما : لم يختتنا .

2 ديوانه : 187 .

3 الديوان : المخرم .

4 ديوانه : 141 .

5 ثلاثة أعبد في الديوان : ثلاثة إخوة . والأروم : الأصول .

6 ولا غير في الديوان : ولاء غير مجهول قديم .

7 الزنيم : الملحق بالقوم وليس منهم .

تأمَّلَتْ عينـــي لــــه خِلقةً تدعـــو إلى تزنيـــة الوالدِ

قال : وقال فيه أيضاً ، وخاطب فيها المعتصم[1] : [من الكامل]

قـــلْ للإمامِ إمامِ آل محمد قولَ امرىء حَدِبٍ عليكَ مُحامِ
أَنكرْتُ أَن تفتّر عنك صنيعةٌ في صالحِ بنِ عطيّـــةَ الحجّامِ
ليس الصنائعُ عنـــدَه بِصنائع لكنّهـــــنّ طوائـــلُ الإسلامِ
اضرِبْ به جيشَ العدوّ فوجهُه جيش من الطاعون والبِرسامِ[2]

[يعرض شعره على مسلم]

أَخبرني محمدُ بنُ خلفِ بنِ المَرْزُبان قال : أَخبرني إبراهيمُ بنُ محمدٍ الورّاقُ قال : حدَّثني الحسينُ بن أبي السّريّ قال : قال لي دِعبِل : ما زلتُ أقول الشعر وأعرضُه على مُسلِم ، فيقول لي : أكتمْ هذا حتى قلت : [من الكامل]

أَيـــن الشبابُ وأَيّـــةً سَلكا لا ، أَين يُطلب ضلّ ؟ بل هلكا

فلمّا أَنشدته هذه القصيدة قال : اذهب الآن فأظهر شعرك كيف شئتَ لَمن شئت .

قال إبراهيمُ : وحدَّثني الفتح غلامُ أبي تمام الطّائيِّ ، وكان أبو سعيد الثّغريّ اشتراه له بثلثمائةِ دينار ليُنشد شعره ، وكان غلاماً أديباً فصيحاً ، وكان إنشاد أبي تمّام قبيحاً ، فكان يُنشد شعره عنه ، فقال : سألت مولاي أبا تمّام عن نَسَب دِعبِل فقال : هو دِعبِل بنُ عليّ الذي يقول : [من الكامل]

ضحك المشيب برأسه فبكى

[تهاجر دِعبل ومسلم]

قال الفتح : وحدَّثني مولاي أَبو تمّام قال : ما زال دِعبِل مائلاً إلى مُسلِم بن الوَليد مُقِرّاً بأستاذيته حتى وَرَد عليه جُرجان فجفاه مسلم ، وكان فيه بخل ، فهجره دِعبِل وكتب إليه[3] : [من الطويل]

أَبـــا مَخْلد كنّا عقيدَيْ مـــودّة هوانـــا وقلبانـــا جميعاً مَعاً مَعا
أَحُوطك بالغيبِ الذي أَنتَ حائطي وأَيجـــع إشفاقـــاً لأَن تتوجّعا[4]

1 ديوان دعبل : 145 .
2 البرسام : التهاب يعرض للحجاب الحاجز .
3 تقدم هذا الشعر في ترجمة مسلم بن الوليد في الجزء 19 : 39 من الأغاني .
4 أيجع : أحس بالوجع .

فصيّرتَني بعد انتكاسك متْهِما لنفسي عليها أرهب الخلق أجمعا
غششْتَ الهوى حتى تداعت أُصوله بنا وابتذلْتَ الوصل حتى تقطَّعا
وأنزلتَ من بين الجوانحِ والحشا ذخيرةَ وُدٍّ طالما قد تَمنعا
فلا تعذلَنِّي ليس لي فيك مطمع تخرّقتَ حتى لم أجِد لك مَرْقعا
فهبك يميني استأكلَتْ فقطعتُها وجشَّمت قلبي صبره متشجّعا

ويُروى : وحملت قلبي فقدها . قال ثم تهاجرا ، فما التقيا بعد ذلك .

[دِعبل خزاعة كلّها]

أخبرني محمد بن خلف قال : حدَّثني إبراهيمُ بنُ محمد قال : حدَّثنا الحسينُ بنُ عليٍّ قال : قلت لابن الكلبيّ : إن دِعبِلاً قُطَعِيّ[1] ، فلو أخبرتَ النّاس أنّه ليس من خُزاعةَ ، فقال لي : يا فاعل ! مِثلُ دِعبلٍ تنفيه خُزاعة ! والله لو كان من غيرها لرغِبَت فيه حتى تدّعيَه . دِعبل واللهِ يا أخي خُزاعةُ كلّها .

[دِعبِل والمطّلب بن عبد الله]

أخبرني محمدُ بنُ المَرْزبان قال : حدَّثني إبراهيمُ بن محمدٍ الورّاقُ عن الحسين بن أبي السريّ عن عبد الله بن أبي الشِّيص قال : حدَّثني دِعبِل قال : حججْت أنا وأخي رَزين وأخذنا كُتباً إلى المطَّلب بنِ عبد الله بنِ مالك وهو بمصر يتولاّها ، فصِرنا من مكّةَ إلى مصرَ ، فصحبَنا رجل يُعرف بأحمدَ بن فلانٍ السراجِ ، نَسِي عبد الله بنُ أبي الشِّيص اسم أبيه ؛ فما زال يحدّثنا ويؤانسنا طول طريقنا ، ويتولّى خدمَتنا كما يتولاّها الرفَقاء والأتباع . ورأيناه حسن الأدبِ ، وكان شاعراً ، ولم نعلمْ ، وكتَمنا نفْسَه . وقد علِمَ ما قصدنا له فعرَضْنا عليه أن يقولَ في المطّلب قصيدة نَنحَله إيّاها . فقال : إن شئتم ، وأرانا بذلك سروراً وتقبُّلاً له ، فعملنا قصيدة ، وقلنا له : تُنشدها المطّلب فإنّك تنتفع بها . فقال : نَعم . ووردْنا مِصْرَ بِهِ ، فدخلْنا إلى المطّلب ، وأوصلْنا إليه كتباً كانت معنا ، وأنشدناه . فسُرَّ بموضِعنا ، ووصْفنا له أحمد السراجَ هذا ؛ وذكرنا له أمره ، فأْذن له ، فدخل عليه ونحن نظنّ أنّه سيُنشد القصيدة التي نحلناه إيّاها ، فلمّا مثَل بين يديه عدَل عنها وأنشده : [من البسيط]

لم آتِ مطّلِباً إلاّ بمطّلب وهمّةٍ بلَغت بي غايةُ الرُّتبِ
أفردتُه برجاءٍ أن تشاركه فيّ الوسائل أو أَلقاه في الكتبِ

قال : وأشار إلى كتبي التي أوصلْتُها إليه وهي بين يديه ، فكان ذلك أشدّ من كلّ شيء مرَّ

1 قطعي : منسوب إلى قطيعة ، بطن من زبيد وقيس عيلان .

بي منه عليّ ، ثم أنشده : [من البسيط]

رحلْت عَنْسي إلى البيتِ الحرامِ على ... ما كان من وصَب فيها ومن نَصَبِ

ألقـى بهـا وبوجهي كلَّ هاجرة ... تكاد تقدحُ بين الجلدِ والعصَبِ

حتى إذا ما قضَتْ نُسْكي ثَنَيت لها ... عِطف الزّمام فأمّت سيّدَ العربِ

فيمّمْتك وقـد ذابـت مفاصلها ... من طول ما تعَبٍ لاقت ومن نَقَبِ[1]

إنّي استجرْت بإستارين مستلِماً ... رُكنَين : مطّلباً والبيتَ ذا الحُجُبِ

فَـذاك للآجـل المأمـولِ ألمَسه ... وأنت للعاجـلِ المرجـوّ والطلبِ

هذا ثنائي وهـذي مصر سانحـةً ... وأنتَ أنتَ وقد ناديْتُ من كَثَبِ

[ولاّه المطّلب أسوان]

قال : فصاح مطّلب ، لبَّيك لبَّيك : ثم قام إليه فأخذ بيده ، وأجلسه معه ، وقال : يا غلمان ، البِدَر ، فأحضِرت ، ثم قال : الخِلَع ، فنُشرت ، ثم قال : الدوابّ ، فَقيدتْ ، فأمر له من ذلك بما ملأ عينَه وأعيننا وصدورَنا وحسدناه عليه ؛ وكان حسدُنا له بما اتّفق له من القَبول وجودة الشعر ، وغيظُنا بكتمه إيّانا نفسَه واحتياله علينا أكثرُ وأعظم . فخرج بما أمر له به ، وخرجنا صِفْرا ، فمكثنا أيّاماً ، ثم ولّى دِعبلَ بنَ عليّ أسوان ، وكان دِعبل قد هجا المطّلب غيظاً منه ، فقال[2] : [من المتقارب]

تُعَلّق مصرُ بـك المخزيات ... وتبصُق في وجهَـك المَوْصِلُ

وعاديتَ قومـاً فما ضَرّهـم ... وشرّفتَ قومـاً فلـم ينبُلوا

شِعارك عنـد الحروبِ النجاء ... وصاحبُك الأخـورُ الأفشلُ

فأنـتَ إذا مـا التقَوا آخـرٌ ... وأنـتَ إذا انهزمـوا أوّلُ

وقال فيه :

اضرِبْ نَدى طلحةِ الطلحاتِ متّئداً ... بلـؤمِ مطّلبٍ فينا وكـن حكَما

تخرجْ خزاعة من لؤمٍ ومن كرمٍ ... فـلا تعدُّ لهـا لؤماً ولا كرما

قال : وكانت القصيدة التي مدح بها دِعبل المطلبَ قصيدته المشهورة التي يقول فيها[3] : [من المنسرح]

---

1 النقب : الحفا .

2 هذه الأبيات من قصيدة سترد فيما بعد برواية مختلفة ، وهي في ديوانه : 126–127 .

3 ديوانه : 33 .

أبعـدَ مصرٍ وبعـدَ مطّلبٍ ترجو الغِنى إن ذا من العجبِ
إن كاثرونـا جئنـا بأسرتـه أو واحدونـا جئنـا بمطّلبِ

[بلغ المطّلب هجاؤه فعزله]

قال وبلغ المطلبَ هجاؤه إيّاه بعد أن ولاّه ، فعزله عن أُسوان ، فأنفذ إليه كتاب العَزل مع مولى له ، وقال : انتظره حتى يصعدَ المِنبر يومَ الجمعة ، فإذا علاه فأوصل الكتاب إليه ، وامنعه من الخطبة ، وأنزلْه عن المِنبر ، واصعد مكانه . فلمّا أن علا المِنبرَ وتنحنحَ ليخطب ناوله الكتاب ؛ فقال له دِعبِل : دَعني أخطب ، فإذا نزلتُ قرأته . قال : لا ، قد أمرني أن أمنَعَك الخطبة حتى تقرأه ، فقرأه وأنزله عن المِنبر معزولاً .

قال : فحدَّثني عبد الله بنِ أبي الشِّيص قال : قال لي دِعبِل قال لي المطّلب : ما تفكّرت في قولك قطّ : [من المنسرح]

إنْ كاثرونـا جئنا بأسرتِه أو واحدونـا جئنا بمطَّلبِ

إلاّ كنتَ أحَبّ النّاس إليّ ، ولا تفكّرْتُ واللهِ في قولك لي : [من المتقارب]

وعادَيْتَ قوماً فما ضرَّهم وقدَّمتَ قومـاً فلم ينبُلوا

إلاّ كنت أبغضَ النّاس إلي .

[معنى إستارين]

قال ابنُ المَرْزبانِ حدَّثني مَن سأل الرّياشيّ عن قوله : إستارين ، قال : يجوز على معنى إستار كذا ، وإستار كذا . وأنشدنا الرياشيّ : [من البسيط]

سعى عقالاً فلـم يترك لنا سَبَدا فكيف لو قد سَعى عمرو عِقالَينِ[1]
لأصبحَ القومُ أوفاضا فلـم يجدوا يـوم الترحـلِ والهيجا جِمالينِ[2]

[هجاؤه المطّلب]

أخبرني حبيبُ بن نصر المهلَّبيّ قال حدَّثنا عبدُ الله بنُ أبي سعدٍ قال : حدَّثني عبدُ العزيز بنُ سهل قال : لما قصد دِعبِل المطّلب بنَ عبد الله بنِ مالك إلى مصرَ ولم يرضَ ما كان منه إليه قال فيه : [من المتقارب]

---

1 سعى : باشر جمع الصدقات . والعقال : زكاة عام من الإبل والغنم . والسَّبد : القليل من الشعر . يقال ماله سبد ولا لبد .
2 أوفاض : فقراء .

أمطَّلبٌ أنت مستعذِبٌ حُمَيّا الأفاعي ومستقبِلُ
فإن أشفِ منك تكن سُبّة وإن أعفُ عنك فما تعقلُ[1]
ستأتيك إمّا وردْتَ العراق صحائفُ يأثِرها دِعبلُ
منمَّقةٌ بين أثنائها مَخازٍ تَحُطُّ فلا تَرحلُ
وضعْتَ رجالاً فما ضرّهم وشرّفتَ قوماً فلم ينبُلوا
فأيُّهم الزَّينُ وسْط المَلا عطيّةُ أمْ صالحُ الأحولُ
أم الباذِجانيّ أمّ عامرٍ أمينُ الحمام التي تَزْجُلُ
تُنَوِّط مصرُ بك المخزيات وتبصُق في وجهكَ الموصلُ
ويومَ السّراةِ تحسّيتَها يطيبُ لدى مثلِها الحنظلُ[2]
تولَّيتَ ركْضاً وفتياننا صدورُ القنا فيهمُ تعمَلُ[3]
إذا الحربُ كنت أميراً لها فحظهمُ منك أن يُقتَلوا
فمِنك الرؤوس غداةَ اللقاءِ ومِمَّن يحاربكَ المُنْصُلُ
شِعارك في الحرب يومَ الوغى إذا انهزَموا : عجِّلوا عجِّلوا
هزائمك الغُرُّ مشهورةٌ يُقرطِسُ فيهن من ينضُلُ[4]
فأنتَ لأوّلهم آخرٌ وأنتَ لآخرهم أوّلُ

أخبرني عمّي قال أنشدنا المبرِّدُ لدِعبِل يَهْجو المطّلبَ بنَ عبد الله ويُعيِّره بغلامَين : عليٍّ وعمرٍو ، وكان يتّهم بهما[5] : [من المتقارب]

فأيرُ عليٍّ له آلة وفَقْحة عمرو له دبّهْ[6]
فَطوراً تصادفه جَعبةٌ وطوراً تصادفه حربَهْ

وأنشدني ابنُ عمّار عن أحمدَ بنِ سليمانَ بنِ أبي شيخ لِدِعبِل يمدح المطّلبَ بنَ عبدِ الله بنِ مالك ، وفيه غناء .

1 فما تعقل في الديوان : فما تفعل .
2 ويوم السّراة في الديوان : ويوم الشراة .
3 تعمل في ل والديوان : تعسل .
4 يقرطس : يصيب الغرض . وتقرطس الرجل : هلك . ينضل : يسبق في الرمي .
5 ديوان دعبل : 17 .
6 الدبة : ظرف الزيت وغيره .

## صوت[1]

[من الكامل]

زَمَني بمطَّلبٍ سُقِيتَ زمانـاً ... مـا كنْتَ إلاّ روضةً وجِنانا

كُلُّ النَّدى إلاّ نداكَ تكلُّف ... لم أَرضَ بعدك كائناً مَن كانا

أَصلحتَني بالبرّ بـل أَفسدتَني ... فتركتَنـي أَتسخّط الإحسانا

وقد أَخبرني بخبره الأوَّل الطويل مع المطّلب الحسنُ بن عليٍّ عن أحمدَ بن محمد حدّان عن أحمدَ بنِ يحيى العدَويّ أن سبب سخطه على المطلب أنّ رجلاً من العلويِّين كان قد تحرّك بطنجة ، فكان يَبُثّ دعاته إلى مصر ، وخافه المطلب ، فوكَّل بالأبواب مَن يمنع الغرباء دخولها .

فلمّا جاء دِعبِل مُنع فأغلظ لِلذي منعه ، فقنّعه بالسوط وحبسه . فمضى رَزِين فأَخبر المطلّب ، فأمر بإطلاقه ، ودعا به فخلع عليه . فقال له : لا أرضى أو تقتلَ الموكَّل بالباب فقال له : هذا لا يمكن لأنّه قائد من قُوّاد السلطان . فغضب ثم أنشده الرّجل الأبيات المذكورة ، فأجازه ، وحَكى أن اسمَه محمدُ بنُ الحجّاج ، لا أحمد بن السراج . وسائر الخبر مثلُه .

[تهاجيه مع المخزوميّ]

وكان سبَب مناقضته أَبا سعد المخزوميٍّ وما خرج إليه الأَمر بينهما قولُ دِعبِل قصيدته التي هجا فيها قبائل نِزار ، فحمي لذلك أبو سعد ، فهجاهم ، فأجابه أبو سعد ، ولجَّ الهجاء بينهما .

ورُوي أنّه نَزل بقوم من بني مخزوم ، فلم يُضَيِّفوه ، فهجاهم ، فأَجابه أَبو سعد ولجّ الهجاء بينهما .

أَخبرني عمِّي والحسنُ بنُ علي الخفّافُ قالا : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسم بنِ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني محمدُ بنُ الأشعث قال : حدَّثني دِعبِل أنّه ورَزِينا العَروضيَّ نزلا بقوم من بني مخزوم ، فلم يَقْروهما ، ولا أحسنوا ضيافتهما فقال دِعبِل : فقلت فيهم[2] : [من البسيط]

عِصابةٌ من بني مخزومَ بِتُّ بهم ... بحيث لا تطمع المِسحاة في الطينِ

ثم قلت لرزين : أَجز فقال : [من البسيط]

في مَضغ أَعراضهم من خبزهم عِوَض ... بنـي النفـاق وأَبنـاءَ الملاعـينِ

---

1 ديوانه : 190 .

2 ديوانه : 90 .

قال ابن الأَشعثُ : فكان هذا أَوَّلَ الأَسباب في مهاجاته لأَبي سعد .

أَخبرني محمدُ بن عِمران الصّيرفيُّ قال : حدَّثني العَنَزيّ قال : حدَّثني عليُّ بن عمرٍو الشيبانيُّ أن الذي هاج الهجاء بين أَبي سعد ودِعبِل قصيدته القحطانيّة التي هجا فيها نِزاراً ، فأجابه عنها أبو سعد ، ولجّ الهجاء بينهما .

أَخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدَّثنا محمدُ بن القاسم قال : حدَّثني أَحمد بنُ أَبي كامل قال : كان سببَ وقوع الهجاء بين دِعبِل وأبي سعد قولُ دِعبِل في قصيدة يفخر فيها بخُزاعةَ ، ويهجو نِزاراً ، وهي التي يقول فيها : [من الهزج]

أَتانـــا طالباً وَغْرا ··· فأَعقبنـــاه بالوَعـــرِ

وتَرْنـــاه فلم يَرضَ ··· فأَعقبنـــاه بالوِتـــرِ

فغضب أَبو سعد ، وقال قصيدته التي يقول فيها لِدِعبل ، وهي مشهورة : [من الهزج]

وبالكرخِ هوًى أبقى ··· على الدهرِ من الدهرِ

هـــوًى والحمـــدُ للهِ ··· كفاني كُلفـــةَ العذرِ

قال : ثم التحم الهجاء بينهما بعد ذلك .

[جيد المخزوميّ لا يروى ويروى رديء دِعبل]

أَخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا محمد بنُ القاسمِ بنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أَحمدُ بنُ هارونَ قال : دخلْتُ على أبي سعدٍ المخزوميِّ يوماً وهو يقول : وأيّ شيء ينفعني ؟ أجوِّد الشعر فلا يُروى ، ويُرذل فيُروى ، ويفضحني برديئه ، ولا أفضحه بجيّدي . فقلْتُ : مَن تَعني يا أَبا سعد ؟ فقال : مَن تراني أعني إلاّ مَن عليه لعنةُ الله دِعبِلاً ! فقلت فيه : [من مجزوء الخفيف]

لَيْسَ لُبْس الطيـــالِس ··· مِـــن لِبـــاسِ الفوارسِ

لا ولا حَوْمَـــةُ الوغى ··· كصُـــدورِ المجـــالسِ

ضَـــرْبُ أَوتـــارِ نَفْنفٍ ··· غيرُ ضـــربِ القوانسِ[1]

وظُهـــورِ الجيـــادِ غيـــ ··· ـــرُ ظهـــورِ الطنافسِ

ليس مَن ضارس الحرو ··· ب كمَن لَـمْ يُضارسِ[2]

بِأَبـــي غـــرسُ فِتيـــةٍ ··· مِـــن كـــرام المغـــارسِ

---

1 نفنف : اسم غلام دعبل وكان مغنياً له . والقوانس : جمع قونس ، وهو أعلى الخوذة .

2 ضارس في ل : مارس . وضارس : جرب .

فِتيـةٌ مـن بنـي المُغـ ـيرةِ شمّ المعـاطسِ
يُطعِمونَ السديـفَ في كلِّ شهبـاءَ دامسِ[1]
في جِفـانٍ كأنّهـا مـن جفـانِ العرائسِ
ثـم يمشونَ في السَّنَوْ رِ مشـيَ العنـابسِ[2]
ويخوضـونَ باللوا ءِ دمـاءَ الأَبـالسِ
نحـنُ خيرُ الأنـامِ عنـ ـدَ قيـاس المُقـايسِ

فواللّهِ ما التفَت إليها في مصرنا هذا إلاّ علماء الشعر : وقال هو فيّ[3] : [من مجزوء الخفيف]

يـا أَبا سعدَ قَوْصَرَهْ زانيَ الأختِ والمَرَهْ[4]
لـو تـراه مُحَنَّباً خلتـه عَقـدَ قنطرَهْ[5]
أَوَ ترى الأَيرَ في استِه قلـتَ ساقٌ بمِقطرَهْ[6]

قال : فواللّهِ لقد رواه صبيان الكتاب ومارّة الطريق والسِّفَل ، فما أَجتاز بموضع إلاّ سمعته من سِفْلَة يَهْذِرُون به ، فمنهم مَن يعرفني فيَعيبُني به ، ومنهم مَن لا يعرفني فأسمعه منه لسهولته على لسانه .

[المخزوميّ يدس عليه ما لم يقله]

أَخبرني محمدُ بن عِمرانَ الصيرفيُّ ومحمدُ بن يحيى الصوليُّ وعمِّي قالوا : حدَّثنا الحسنُ بنُ عُلَيل العَنَزيّ قال : حدَّثني عليّ بن أبي عمرو الشيباني قال : جاءَني إسماعيلُ بنُ إبراهيم بنِ ضَمْرة الخُزاعيُّ ، فقال لي : إنّي سألت دِعبِلاً أن أقرأ عليه قصيدته التي يناقض بها الكميت[7] : [من الوافر]

أَفيقي مـن مَلامـك يا ظعينا كفاكِ اللـومَ مـرُّ الأَربعينا

فقال لي إسماعيل : قال لي دعبِل : يا أبا الحسن فيها أخبار وغَرِيب ، فليكن معك رجل يقرؤها عليّ وأنت معه ، فيكونَ أهونَ عليّ منك . فقلت له : لقد اخترْتُ صديقاً لي يقال له :

---

1 السديف : شحم السنام . والشهباء : السنة المجدبة .
2 السنور : جملة السلاح . والعنابس : جمع عنبس ، وهو الأسد .
3 ديوان دعبل : 80 .
4 قوصره : كناية عن المرأة ، والمنبوذ في لغة أهل البصرة .
5 محنب : الاحديداب في ظهر البعير ووظيفه .
6 المقطرة : خشبة مخروقة توضع في ساق المحبوس .
7 ديوان دعبل : 148–150 .

عليّ ؛ فقال : أَمِن العرب هو ؟ قلت : نعم . قال : مِنْ أيِّ العربِ ؟ قلتُ : مِن بني شيبانَ . قال : شيبانُ كندةَ ؟ فقلت : بل شيبانُ ربيعةَ . فقال لي : ويحك ! أتأتيني برجل أُسمعه ما يكره في قومه ؟ فقلت له : إنّه رجلٌ يَحتملُ ، ويحبُّ أن يسمَع ما له وعليه . فقال : في مثل هذا رغبة فأتني به ، فصِرنا إليه ، فلمّا لقيه قال : قد أخبرني عنك أبو الحسن بما سُررتُ به ؛ أن كنت رجلاً من العربِ تُحبّ أن تَسمع ما لك وعليك لكيلا تُغبَن . فقرأنا عليه الشعر حتى انتهينا في القصيدة إلى قوله : [من الوافر]

مِنَ آي ثَنيّة طلعَت قريش وكانــوا معشراً متنبّطينــا

فقال دِعبِل : معاذ الله أن يكون هذا البيت لي ؛ ثم قال : لعنه الله وانتَقَم منه ، يعني أبا سعد المخزوميّ ، دَسّه واللهِ في هذا الشعر وضرب بيده إلى سكين كانت معه فجَرَد البيت بحدها ؛ ثم قال لنا : أحدّثكم عنه بحديث طَريف :

[يصطلحان ثم يعودان إلى التهاجي]

جاءَني يوماً ببغدادَ أَشدَّ ما كان بيني وبينه من الهجاء ، وبين يدَيّ صحيفة ودواة ، وأنا أُهجوه فيها ، إذ دخل عليّ غلام لي فقال : أبو سعد المخزوميّ بالباب . فقلتُ له : كذبْت . فقال ، وهو عارف بأبي سعد : بلى واللهِ يا مولاي . فأمرته برفع الدواةِ والجلدِ الذي كان بين يَدَي ، وأَذِنت له في الدخول ، وجعلْتُ أحمد اللهَ في نفسي ، فأقول : الحمدُ للهِ الذي أصلح بيني وبينه من هَتْك الأعراض وذِكرِ القبيح ، وكان الابتداء منه . فقُمت إليه وسلّمت عليه وهو ضاحك مسرور ، فأبديتُ له مثلَ ذلك من السرور به ، ثم قلت : أصبحتُ واللهِ حاسداً لك . قال : على ماذا يا أبا عليّ ؟ فقلت : بسَبْقك إيّاي إلى الفضلِ .

فقال لي : أنا اليوم في دعوى عندك ، فقلت : قُل ما أَحببتَ . فقال : إن كان عندك ما نأكله ، وإلاّ ففي منزلي شيء مُعَدّ . فسألت الغلمان فقالوا : عندنا قِدْر أُمْسيّة[1] . فقال : غايةٌ واتّفاق جيّد . فهل عندك شيء نشرَبُه ، وإلاّ وجّهت إلى منزلي ففيه شراب مُعَدّ ؟ فقلت له : عندنا ما نَشرب ، فطَرح ثيابه وردَّ دابّته وقال : أحبّ ألاّ يكون معنا غيرُنا . فتغدَّينا وشربِنا ، فلمّا أن أخذ الشراب منا قال : مُرْ غلامَيك يغنّياني . فأمرت الغلامَين فغنَّياه ؛ فطرِب وفرح ، واستحسن الغناء حتى سرَّني وأطربني معه ، ثم قال : حاجتي إليك يا أبا عليّ أن تأمرَهما بأن يغنِّياني في هِجائك لي ، وكان الغلامان لكثرة ما يسمعانه منّي في هجائي قد حفِظا منه أشياء ولحّناها ، فقلت له : سبحان الله يا أبا سعد قد طَفِئت النائرة[2] ، وذهبت العداوة بيننا ، وانقطع

1 ل : مبيتة .

2 النائرة : الشحناء .

الشرّ . فما حاجتك إلى هذا ؟ فقال لي : سألتكَ بالله إلاّ فعلْتَ ، فليس يَشُقّ ذلك عليّ ، ولو كرهتُه لما سألته . فقلت في نفسي : أترى أبا سعد يتماجن عليَّ ؟ يا غلمان ، غنّوه بما يريد ، فقال غنّوه : [من مجزوء الخفيف]

يـا أبا سعد قَوْصَرَهْ    زانيَ الأخـت والمرَهْ

فغنَّوه ، وهو يحرِّك رأسه وكتفيه ، ويطرب ويصفّق ، فما زِلنا يومنا مسرورَين . فلمّا ثَمِل ودَّعني وقام فانصرف ، وأمرت غلماني فخرجوا معه إلى الباب ، فإذا غلام منهم قد انصرف إليّ بقطعةِ قرطاس ، وقال : دفعها إليّ أبو سعد المخزوميّ ، وأمرني أن أدفعها إليك . قال : فقرأتها ، فإذا فيها : [من المنسرح]

لِدِعبِلٍ مِنّـة يَمنُّ بهـا    فلست حتى الممات أنساها
أدخلَنـا بيتـه فأكرمنا    ودَسَّ بامراتـه فنكناها

فقال : ويْلي على ابن الفاعلةِ ، هاتوا جِلداً ودَواةً . قال : فرَدُّوهما عليّ ، فعُدتُ إلى هجائه ، ولقيته بعد يومين أو ثلاثة ، فما سلَّم عليّ ، ولا سلّمتُ عليه .

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حَدَّثنا عليّ بن عبد الله بن سعد ، أنّه سمع دِعبِلاً يحدّث بخبره هذا مع أبي سعد ، فذكر نحو ما ذكره العَنَزيّ .

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسمِ قال : حدَّثني أحمدُ بنُ أبي كامل قال : رأيت دِعبِلاً قد لقيَ أبا سعد في الرُّصافة ، وعليهما السّواد وسيفاهما على أكتافهما ، فشدَّ دِعبِل على أبي سعد فقنّعه ، فركض أبو سعد بين يديه هارباً ، وركض دِعبِل في أثره وهو يهربُ منه حتى غاب . قال : وكنت أرى أبا سعد يجلس مع بني مخزوم في دار المأمون ، فتظلّموا منه إلى المأمون ، وذكروا أنّهم لا يعرفون له فيهم نسباً ، فأمرهم المأمون بنفيه ، فانتَفَوا منه ، وكتبوا بذلك كتاباً . فقال دِعبِل فيه يذكر ذلك من قصيدة طويلة[1] : [من مجزوء الرمل]

غيرَ أن الصَّيـدَ منهـمْ    قنّعـوه بخَزايَـهْ
كتبوا الصّـكَّ عليـه    فَهْـو بـين النّاسِ آيَـهْ
فـإذا أقبـلَ يومـاً    قيـلَ قد جاءَ النُّفايَـهْ

وقال فيه أيضاً[2] : [من الطويل]

---

1 ديوان دعبل : 163 عن الأغاني .

2 ديوانه : 78 وفيه «الفقرا» بدل «القفدا» .

هـمُ كتبوا الصّكَّ الذي قد علمْتَه عليك وشنّوا فوق هامتك القفدا[1]

قال : وكان إذا قيل له بعد ذلك شيء في نسبهِ قال : أنا عبدُ ابنُ عبد . قال : ونظر دِعبِل فرأى على أبي سعد قَباء مَرَويّاً مصبوغاً بسواد ، فقال : هذا دعيّ على دعيّ .

[هجاؤه عندما اطّلع على دفتر المخزوميّ]

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أحمدُ بنُ مروانَ مولى الهادي قال : لقِيني أبو سعد المخزوميُّ على ظهر الطريق فقال لي : يا أحمد أنا أدرس شِكايتَك إلى أبيك ، قال فقلت : ولِمَ أبقاك الله ؟ قال : فما فعل دفتر البَزاريات ؟ قلتُ : هوذا أجيئك به . فلمّا صلّيتُ الظهر جئت بالدفتر أريده ، فمررْتُ بدِعبِل فدققتُ بابه ، فسمعته يقول لجارية له : يا دراهم ، انظري مَن بالباب . فقالت له : أحمدُ بنُ مروان . فقال : افتحي له . فلمّا دخلْتُ قلت له : أيش هو دراهم من الأسماء ؟ قال : سمّيتم جواريكم دنانير ، فسمَّينا جوارينا بدراهم . ثم قال : ما هذا معك ؟ قلت : دفترٌ فيه شِعر أبي سعد في البزاريات ، فأخذه فنظر فيه وابنهُ عليُّ بنُ دِعبِل بنِ عليٍّ معه ، فلمّا بلغ من نظره إلى شِعره الذي يقول فيه : [من السريع]

مالـتْ إلى قلبكَ أحزانه فهـو مُجِمُّ الهـمِّ خزّانه

قال له ابنه عليّ : فما كان عليه يا أبتِ لو قال في شعره :

عادتْ إلى قلبكَ أحزانه ؟

فقال دِعبِل : صدقْتَ واللهِ يا بنيّ ، أنتَ واللهِ أشعر منه . قال : ثم إنّه أملى عليَّ دِعبِل إملاء[2] : [من البسيط]

ما كنت أحسب أنّ الدّهرَ يُمهلني حتى أرى أحداً يهجـوه لا أحدُ
إنّي لأعجـبُ مِمَّن في حقيبته من المنِـيِّ بُحـورٌ كيـف لا يلدُ
فإن سمِعت بـه بعْتُ القنا عبثاً فقـد أراد قَناً ليست لـه عُقَدُ

ثم صِرْت إلى أبي سعد ، فلمّا رآني من بعيد قال : يا أحمد ، مِن أين أقبلت ؟ قلت : من عند دِعبِل . قال : وما دعبَلْت عنده ؟ فأنشدته شِعر دِعبِل فيه ، وأخبرْتُه بما قال ابنه في شعره ، فقال : صدق والله ، في أيّ سنّ هو ؟ قلت : قد بلَغ . فدَعا بدواة وقرطاس وقال : اكتب فكتبت : [من البسيط]

1 القفد : الصَّفع .
2 ديوان دعبل : 60 .

لا والذي خلقَ الصهباءَ من ذهبٍ والماءَ من فِضَّةٍ لا سادَ مَن بَخِلا
يقولُ لي دِعبِــل في بطنِـه حبلٌ ولو أُصابت ثيابي دِعبِـلاً حَبِلا
ودِعبِلٌ رجلٌ ما شئتَ من رجلٍ لو كان أسفلُه مِــن خلفه رجُلا

قال : ثمّ هجاني أبو سعد ، فقال : [من الوافر]

عدُوٌّ راحَ في ثوبَــيْ صديق شريك في الصَّبوحِ وفي الغَبوقِ
لــه وجهانِ ظاهرهُ ابــنُ عمٍّ وباطنــه ابـنُ زانيــة عتيقِ
يَسُرُّك معلِنــاً ويَسُوءُ سرّاً كذاك يكــون أبناءُ الطريقِ

[بنو مخزوم ينفون المخزوميّ عنهم]

أخبرني عمِّي والحسنُ بن عليٌّ قالا : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثنا أبو ناجية ، شيخٌ من ولد زُهَيرِ بن أبي سُلمى ، قال : حضرْتُ بني مخزوم وهم ببغدادَ ، وقد اجتمعوا على أبي سعد لمّا لجَّ الهجاء بينه وبين دِعبِل ، وقد خافوا لسان دِعبِل ، وأن يقطَعهم ويهجوَهم هجاء يعمّهم جميعاً ، فكتبوا عليه كتاباً ؛ وأشهدوا أنّه ليس منهم . فحدَّثني غيرُ واحد أنّه حينئذٍ أتى بخاتمه النقاشَ ، فنقَش عليه : أبو سعدٍ العبدُ ابنُ العبد بَريء من بني مخزوم تَهاوُناً بما فعلوه .

[المأمون لا يستثار على دعبل]

أخبرني علي بنُ سليمانَ الأَخفشُ قال : حدَّثني محمدُ بنُ يزيدَ قال : كان أبو سعد المخزوميُّ يستعلي على دِعبِل في أوّل أمره ، وكان يدخل إلى المأمون فيُنشده هجاء دِعبِل له وللخلفاء ، ويحرّضه عليه وينشده جوابه ، فلم يجد عند المأمون ما أراده فيه . وكان يقول : الحقّ في يدِك والباطل في يدِ غيرك ، والقول لك ممكن ، فقل ما يكذبه ، فأمّا القتل فإنّي لستُ أستعمله فيمن عظُم ذنبه ، أفأستعمله في شاعر ؟

[ابن أبي الشيص يهجو المخزومي]

فاعترض بينهما ابن أَبي الشيص ، فقال يهجو أَبا سعد : [من مجزوء الرمل]

أَنا بشّرتُ أَبــا سعـ ـد فأعطاني البشارَهْ
بِأَبٍ صِيدَ لــه بالـ ـأَمس في دارِ الإمارهْ
فَهْو يومــاً من تميم وهو يومــاً من فَزارَهْ
كلَّ يــوم لأَبــي سعـ ـد على الأَنسابِ غارَهْ
خزَمتْ مخزومُ فــاه فادعاهــا بــالإشارَهْ

قال : وقال فيه ابن أَبي الشيص أيضاً : [من الهزج]

أبـا سعـد بحـقّ الخمـ ـس والمفروضِ من صومِكْ
أقلْـتَ الحـقَّ في النسبـ ـة أم تحلـمُ في نومِكْ
أبِـنْ لي أيُّها المَعْـرو رُ مِمَّـن أنـتَ في قومِكْ[1]
فولّـى قائـلاً لـو شئـ ـتَ قد أقصرْتَ من لومِكْ
ودعنـي أكُ مَـن شئـتُ إذا لم أكُ مَـن قومِكْ

[دعبل يهجوه]

وقال فيه دِعبِل[2] : [من السريع]

إنّ أبا سعد فتـى شاعـرٌ يُعرَف بالكُنيـة لا الوالدِ
يَنْشُد في حـيّ معدٍّ أباً ضلَّ عن المنشودِ والناشدِ
فرحمـةُ اللهِ على مسلـمٍ أرشدَ مفقـوداً إلى فاقدِ

[الصبيان يصيحون بهجائه]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدّثنا ابنُ مُهْرُوَيْه قال : حدّثني أحمدُ بن عثمانَ الطبريُّ قال : سمعْتُ دِعبِل بنَ علي يقول : لمّا هاجيت أبا سعد أخذت معي جَوْزا ودعَوت الصبيان فأعطيتهم منه ، وقلت لهم : صيحوا به قائلين : [من مجزوء الخفيف]

يـا أبـا سعـد قَوْصَرَهْ زانيَ الأخـت والمَـرَهْ

فصاحوا به ، فغلبْتُه .

[أبو سعد يحرض عليه المأمون مرّة أخرى]

أخبرني الحسنُ بن عليّ ، قال حدَّثني ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني أحمدُ بنُ مروانَ قال : حدَّثني أبو سعد المخزوميُّ واسمه عيسى بنُ خالد بن الوليد قال : أنشدْت المأمون قصيدتي الدالية التي رددت فيها على دِعبِل قوله[3] : [من الكامل]

ويسومني المأمـون خطةَ عاجز أوَما رأى بـالأمس رأس محمـدِ

وأوّل قصيدتي : [من الكامل]

أخـذ المشيبُ من الشبابِ الأغيدِ والنائباتِ مـن الأنـامِ بمرصَدِ[4]

---

1 المعرور : المصاب بالعر ، وهو الجرب ، أو هو الملطّخ بالشرّ .
2 ديوانه : 76 عن الأغاني .
3 ديوانه : 69 .
4 الأنام في ل : الرجال .

ثم قلت له : يا أمير المؤمنين ، ائذن لي أن أجيئك برأسه . قال : لا ، هذا رجل فَخر علينا فافخَر عليه كما فخر علينا ، فأمّا قتله بِلا حجّة فلا .

[يرى وجهه في المرآة فيذكر هجاء أبي سعد له]

أَخبرني عَمّي والحسنُ بنُ عليٍّ عن أَحمدَ بن أَبي طاهر قال : حدَّثني أَبو السَّريِّ عمرٌو الشيبانيُّ قال : نظر دِعبِل يوماً في المرآة ، فجعل يضحك ، وكانت في عَنْفَقَته[1] سَلْعة[2] ، فقلتُ له : مِن أيّ شيء تضحك ؟ قال : نظرتُ إلى وجهي في المرآة ، ورأيت هذه السَّلْعَةَ التي في عَنْفَقَتي ، فذكرتُ قول الفاجر أبي سعد : [من المتقارب]

وسَلْعَـة سَوء بـه سَلْعَةٌ ظلمتُ أبـاه فلم ينتصرْ

[ينشده أحدهم هجاء المخزوميّ له]

أَخبرني محمدُ بن عِمرانَ الصيرفيُّ قال : حدَّثنا الحسن بنُ عُلَيْل العَنَزيّ قال : قال عبدُ الله بنُ الحسن بن أحمدَ مولى عمرَ بن عبد العزيز قال : حدَّثنا محمدُ بنُ عليٍّ الطالبيُّ قال : لقِيت دِعبِل بنَ عليّ ، فحدَّثني أن أبا عمرو الشيبانيَّ سأله : ما هو دِعبِل ؟ فقلت له : لا أدري ، فقال : إنها النّاقة المسنّة . قال محمدُ بنُ عليٍّ الطالبيُّ : ثم تحدَّثنا ساعة ، فقلتُ : أما ترى لأبي سعد يا أبا عليّ وانهماكِه في هجائك ؟ فقال دِعبِل : لكنّي لم أقُل فيه إلاّ أَبياتاً سخيفة يلعب بها الصبيانُ والإماء ، وأَنشدني قوله فيه : [من مجزوء الخفيف]

يـا أَبـا سعد قَوْصرَهْ زانيَ الأخـت والمـرَهْ
لـو تــراه مُحنّبـاً خلتـه عَقـدَ قنطرَهْ
أَو ترى الأَيرَ في استه قلـتَ ساقٌ بمِقطَـرَهْ

قال محمد ، فقلت لدِعبِل : دَعْ عنك ذا ، فقد واللهِ أُوجعك الرجلُ ، فإن أَجبته بجواب مثله انتصفْتَ ، وإلاّ فإنّ هذا اللغو الذي فَخرْتَ به يَسقط وتُفْضَح آخرَ الدَّهر ، قال : ثم أنشدته قول أبي سعد فيه : [من البسيط]

لم يـبقَ لي لــذّةٌ من طِيَّـةٍ بدَدِ ولا المنازلِ من خَيْفٍ ولا سَنَدِ[3]
أَبعــدَ خمسينَ عـادتْ جاهليتُه يا ليت مـا عادَ منها اليومَ لم يَعدِ

1 ل : شعره .
2 السلعة : غدة في البدن تصغر وتكبر .
3 الطية : الحاجة والوطر . بدر : متفرقة . الخيف : ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء . السند : ما قابلك من الجبل .

وما تُريدُ عيونُ العِين من رجل ... كرَّ الجديدان في أيّامه الجُدُدِ
أبدى سرائرَه وَجْداً بغانية ... ولو أطاعَ مشيبَ الرأس لم يجدِ
واستمطرتْ عبراتِ العَين منْزلةٌ ... لم يبقَ منها سوى الآريِّ والوتدِ[1]
وما بكاؤك داراً لا أنيس بها ... إلاّ الخواضبُ من خيطانها الرُّبُدِ[2]
لِدِعبِل وطَرٌ في كلِّ فاحشةٍ ... لَوْ بادَ لؤم بني قحطانَ لم يَبِدِ
ولي قوافٍ إذا أنزلتُها بلداً ... طارتْ بهن شياطيني إلى بَلَدِ
لم ينجُ من خيرِها أو شرّها أحد ... فاحذَر شآبيبَها إن كنت مِن أحدِ
إنّ الطِّرِمَّاحَ نالَته صواعقُها ... في ظلمةِ القبرِ بين الهامِ والصُّرَدِ[3]
وأنتَ أولى بها إذ كنت وارثه ... فابعُد وجهدُك أن تنجو على البُعدِ
تهجو نِزاراً وترعى في أرومتِها ... وتنتَمي في أُناس حاكةِ البُرُدِ
إنِّي إذا رجُل دبَّت عقاربه ... سقيتُه سمَّ حيّاتي فلم يَعُدِ
زدني أزدك هواناً أنتَ موضعه ... ومَن يزيد إذا ما نحنُ لم نَزدِ
لو كنتَ متئداً فيما تُلفقه ... لكان حظك منه حظَ متئدِ
أو كنتَ معتمِداً منه على ثقةٍ ... من المكارمِ قلنا : طَوْل معتمدِ
لقد تقلدْتَ أمراً لستَ نائله ... بلا وليّ ولا مولى ولا عضُدِ
وقد رميتَ بياض الشمس تحسبه ... بياض بطنِك من لُؤم ومن نكَدِ
لا تُوعدنِّي بقوم أنتَ ناصرهم ... واقعد فإنّك نَوْمانٌ من القَعَدِ[4]
لله معتصم بالله ، طاعتُه ... قضية من قضايا الواحدِ الصمدِ

قال ، فلمّا أنشدتها دِعبلاً قال : أنا أشتُمه وهو يشتُمني ، فما إدخال المعتصم بيننا ؟ وشقّ ذلك عليه وخافه ، ثم قال نقيض هذه القصيدة :

منازلُ الحيِّ من غُمدانَ فالنَّضَدِ

وهي طويلة مشهورة في شعره ، هكذا قال العَنَزيّ في الخبر ، ولم يأتِ بها .

---

1 الآري : عود في حائط أو حبل بحلقة تربط بها الدابة .

2 الخواضب : جمع خاضب ، وهو الظليم . الخيطان : جماعات النعام ، واحدها خيط . الربد : الغبر .

3 الهام : نوع من البوم . والصرد : طائر ضخم الرأس يصيد العصافير .

4 النومان : الكثير النوم . والقعد : جمع قاعد .

[دعي على دعي]

حدَّثنا محمدٌ قال : حدَّثنا العَنَزِيّ قال : حدَّثني عبدُ الله بنُ الحسينِ عن محمدِ بن عليٍّ الطالبيِّ قال : عَبَر دِعبِل الجَسر ببغداد ، وأبو سعد واقف على دابته عند الجَسر ، وعليه ثوبُ صوفٍ مشبَّه بالخزّ مصبوغ ، فضرب دِعبِل بيده عَلى فخذه ، وقال : دَعِيٌّ عَلى دَعِيّ .

[دعبل مدخول النسب]

أُخبرني محمدُ بنُ جعفرٍ الصيدَلانيُّ صهر المبرِّد قال : حدَّثني محمدُ بنُ موسى الضبيُّ راوية العَتَّابيِّ ، وكان نديماً لعبدِ الله بن طاهر قال : بينما هو ذاتَ ليلة يذاكرنا بالأدب وأهلِه وشعراء الجاهليةِ والإسلام إذ بلغ إلى ذِكر المحدَثين حتى انتهى إلى ذِكرِ دِعبِل ، فقال : ويحك يا ضَبّيّ ! ، إنّي أُريد أن أُحدّثك بشيءٍ عَلى أن تستره طول حياتي ، فقلت له : أصلحَكَ اللهُ أنا عندك في موضع ظِنة ؟ قال : لا ، ولكن أطيَبُ لنفسي أن تُوثّق لي بالأيمان لأركن إليها ، ويسكنَ قلبي عندها ، فأُحدّثك حينئذٍ .

قال : قلت : إن كنتُ عند الأَمير في هذه الحال فلا حاجة به إلى إفشاء سرّه إليّ ، واستعفيته مراراً فلم يُعفني . فاستحييت من مراجعته ، وقلت : فليرَ الأمير رأيه . فقال لي : يا ضَبّيّ ، قُل : واللهِ . قلتُ : واللهِ ، فأَمرّها عليّ غموساً مؤكَّدةً بالبَيعةِ والطلاق وكلٌّ ما يحلفُ به مسلمٌ . ثم قال : أشَعرْتَ أنّ دِعبلاً مدخول النسبِ ؟ وأمسك ، فقلت : أعزَّ اللهُ الأميرَ ، أفي هذا أخذْتَ العهودَ والمواثيقَ ومغلّظ الأيمانِ ؟ قال : إي والله ، فقلت : ولم ؟ قال : لأنّي رجل لي في نفسي حاجة ، ودِعبِل رجل قد حَمل نفسه عَلى المهالك ، وحَمَل جِذعه عَلى عنقه ، فليس يجد مَن يصلبه عليه ، وأخاف إن بلغه أن يقول فيّ ما يبقى عَلَيّ عاره عَلى الدَّهرِ ، وقصاراي إن ظفرت به وأسلمَته اليمنُ ، وما أراها تفعل ؛ لأنّه اليوم لسانُها وشاعرُها والذابُّ عنها والمحامي لها والمرامي دونها ، فأضربه مائة سوط ، وأُثقِله حديداً ، وأُصيّره في مُطبِق[1] باب الشام .

وليس في ذلك عِوض ممّا سار فيّ من الهجاءِ وفي عقبي من بعدي . فقلت : ما أَراه يفعل ويُقدِم عليك . فقال لي : يا عاجز ، أهوَنُ عليه ممّا لم يكن . أتراه أَقدَم عَلى الرشيد والأمين والمأمون وعلى أبي ولا يقدم عليّ ؟ فقلت : فإذا كان الأمر كذا فقد وُفقَ الأميرُ فيما أخذَه عَلَيّ .

قال : وكان دِعبِلُ صديقاً لي ، فقلت : هذا شيء قد عرفتَه ، فمن أين ؟ قال الأميرُ : إنّه مدخول النسبِ وهو في البيت الرفيع من خزاعة ، لا يتقدّمهم غير بني أُهبانَ مكلّمِ الذئب . فقال : أسمع أنّه كان أيّامَ ترعرع خاملاً لا يُؤبه له ، وكان ينام هو ومسلمُ بنُ الوليد في إزار واحد ، لا يملكان غيره . ومسلمٌ أستاذه وهو غلامٌ أمردُ يخدمه ، ودعبلٌ حينئذٍ لا يقول

1 المطبق : سجن تحت الأرض .

شعراً يفكر فيه حتى قال : [من الكامل]

لا تعجبي يـا سلمَ من رجلٍ ضحك المشيبُ برأسِهِ فبكى

[بداية شهرته]

وغنّى فيه بعض المغنّين وشاع ، فغُنّي به بين يدي الرشيد ، إما ابنُ جامع أو ابنُ المكّيّ ، فطرب الرشيد ، وسأل على قائل الشعر ، فقيل له : دِعبِل بن عليٍّ ، وهو غلام نشأ من خُزاعة . فأمر بإحضار عشرة آلاف درهم وخِلْعة من ثيابه ، فأُحضر ذلك ، فدفعه مع مركب من مراكبه إلى خادم من خاصته ، وقال له : اذهب بهذا إلى خُزاعة فاسأل عن دِعبِل بن عليٍّ ، فإذا دُللتَ عليه فأعطِه هذا ، وقُل له : لِيحضرْ إن شاء ، وإن لم يُجِبْ ذلك فدعه . وأمر للمغنّي بجائزة . فسار الغلام إلى دِعبِل ، وأعطاه الجائزة ، وأشار عليه بالمسير إليه .

فلمّا دخل عليه وسلَّم ، أمَرهُ بالجلوسِ فجلسَ ، واستنشده الشعر فأنشده إيّاه ، فاستحسنه وأمرَه بملازمته وأجرى عليه رزقاً سنيّاً ، فكان أوّلَ مَن حرَّضه عَلى قول الشعر . فوالله ما بلغه أنّ الرشيد مات حتى كافأه على ما فعله من العَطاء السنيِّ ، والغِنى بعد الفقرِ ، والرفعةِ بعد الخمولِ بأقبح مكافأة . وقال فيه من قصيدة مدح بها أهل البيت عليهم السلام ، وهجا الرشيد[1] : [من البسيط]

وليس حـيٌّ مـن الأَحياء نعلمَه من ذي يمانٍ ومن بَكرٍ ومن مُضرِ
إلاّ وهـمْ شركاءُ في دمائِهـم كما تشارَكَ أَيسار عَلى جُـزرِ[2]
قَتـلٌ وأَسرٌ وتحريـقٌ ومنهَبَةٌ فعـلَ الغُزاةِ بأرضِ الرُّومِ والخَزرِ
أرى أُميّـةَ معذوريـن إن قَتلوا ولا أَرى لبنـي العبّاسِ من عذُرِ
اربع بطُوس عَلى القبرِ الزكيّ إذا ما كنت تربَع من دين عَلى وطَرِ
قبران في طُوسَ خيرُ النّاس كلِّهمُ وقبرُ شرِّهـم هـذا مـن العِبَرِ
ما ينفع الرَّجسَ من قُربِ الزكيّ ولا عَلى الزكيّ بقُربِ الرجسِ مِن ضررِ
هيهاتَ كلّ امرىء رهنٌ بما كسبتْ له يداه فخذْ مـا شئتَ أَو فذَرِ

[المأمون يصفح عنه]

يعني قبر الرشيد وقبر الرضا عليه السلام ، فهذه واحدة . وأمّا الثانية فإنّ المأمون لم يزَل يطلبه وهو طائر على وجهه حتى دُسَّ إليه قوله[3] : [من الكامل]

1 ديوانه : 178–179 .

2 أيسار : جمع يسر ، وهم المجتمعون على الميسر .

3 ديوانه : 115–116 .

عِلْـم وتحكيـمٌ وشَيبُ مَفارق طمَّسْنَ رَيعـان الشباب الرائقِ
وإمـارةٌ في دولـةٍ ميمونـةٍ كانت على اللذاتِ أَشغَبَ عائقِ
أَنّى يكـون وليس ذاك بكائـنٍ يَـرِثَ الخلافةَ فاسقٌ عـن فاسقِ
إن كان إبراهيـمَ مضطلعاً بهـا فَلَتصلُحَنْ مـن بعـده لمُخارقِ[1]

فلمّا قرأها المأمون ضحك ، وقال : قد صَفحْتُ عن كلّ ما هجانا به إذ قرن إبراهيمَ بمُخارقٍ في الخلافة ، وولاّه عهدَه .

وكتب إلى أبي أن يكاتبه بالأمان ، ويحمِل إليه مالاً ، وإن شاء أن يُقيمَ عنده أو يصيرَ إلى حيث شاء فليفعل . فكتب إليه أبي بذلك ، وكان واثقاً به ، فصار إليه ، فحمله وخلع عليه ، وأجازه وأعطاه المال ، وأشار عليه بقصد المأمون ففعَل . فلمّا دخل وسلَّم عليه تبسّم في وجهه ، ثم قال أنشدني : [من الطويل]

مدارسُ آياتٍ خلَتْ من تلاوةٍ ومنزلُ وحيٍ مقفرُ العرَصاتِ

فجزع ، فقال له : لك الأمان فلا تخفْ ، وقد روَيتُها ولكني أحبّ سماعها من فيك . فأنشده إيّاها إلى آخرها والمأمون يبكي حتى أخضَل لِحيته بدمعِه ، فوالله ما شعَرنا به إلاّ وقد شاعت له أبيات يهجو بها المأمونَ بعد إحسانه إليه وأنسه به حتى كان أوّلَ داخل ، وآخر خارج من عنده .

[هاشمي لا يرضيه فيهجوه]

أَخبرني محمدُ بنُ خافِ بنِ المَرْزُبان قال : حدَّثني أَبو بكرٍ العامريُّ ، قال : استَدعى بعضُ بني هاشمٍ دِعبِلاً وهو يتولّى للمعتصم ناحية من نواحي الشام ، فقصده إليها ، فلم يقعْ منه بحيث ظنّ وجفاه ، فكتب إليه دِعبِل[2] : [من الكامل]

دَلَّيتَني بغُـرور وعـدكَ في متلاطـمٍ مـن حَوْمة الغرقِ
حتى إذا شِمت العدوُّ وقـد شُهر انتقاصُك شهـرةَ البَلَقِ
أَنشأتَ تحلـفُ أَنّ وُدَّك لي صافٍ وحبلكَ غيرُ منحذقِ[3]
وحسبتَني فَقْعـاً بِقَرْقَـرة فوطئتَني وَطئـاً عـلى حنَقِ[4]

---

1 مخارق : المغني المشهور .
2 ديوانه : 113–114 .
3 منحذق : منقطع .
4 تقدم المثل «فقع بقرقرة» أو «أذل من فقع بقرقرة» .

ونصبتَني علَماً على غَرَضٍ ... تَرْميني الأعداءُ بالحدقِ
وظننتَ أرضَ اللهِ ضيّقةً ... عنّي وأرضُ اللهِ لم تضقِ
مِن غيرِ ما جُرمٍ سوى ثقة ... منّي بوعدكَ حين قلتَ : ثِقِ
ومودّةٍ تحنو عليك بها ... نفْسي بلا مَنٍّ ولا ملقِ
فمتى سألتك حاجةً أبداً ... فاشدُد بها قُفْلاً على غَلقِ
وقفِ الإخاء على شَفا جُرُف ... هارٍ فبعْه بيعةَ الخَلقِ
وأعِدّ لي قُفلاً وجامعة ... فاشدد يدَيّ بها إلى عنقي
أُعفيك ممّا لا تحبُّ بها ... واسدُد عليّ مذاهب الأُفقِ
ما أطولَ الدُّنيا وأعرضها ... وأدلّني بمسالك الطرقِ

[اتّهامه بشتم صفية بنت عبد المطلب]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أبي قال : قدِم دِعبل الدِّينورَ[1] ، فجرى بينه وبين رجل من ولد الزُّبير بنِ العوامِ كلام وعَرْبدة عَلى النبيذ ، فاستعدى عليه عمرَو بن حميد القاضي ، وقال : هذا شتم صفيّةَ بنتَ عبد المطّلب ، واجتمع عليه الغوغاء ، فهرب دِعبل ، وبعث القاضي إلى دارِ دِعبل فوكّل بها وختم بابه . فوجّه إليه برُقعة فيها : ما رأيتُ قطُّ أجهلَ منك إلاّ مَن ولاّك ، فإنّه أجهل ، يقضي في العَرْبدَة على النبيذ ، ويحكم عَلى خصم غائب ، ويقبَلَ عقلُكَ أنّي رافضيٌّ أشتمُ صفيّةَ بنتَ عبد المطّلب ؛ سخِنَتْ عينك ، أفمِن دِين الرافضة شَتْمُ صفيّة ؟ قال أبي : فسألني الزُّبيريُّ القاضي عن هذا الحديث فحدَّثته ، فقال : صدَق واللهِ دِعبِلٌ في قوله ، لو كنتُ مكانه لَوصلته وبرِرته .

[متنسك يعود إلى الندماء]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني إبراهيم بن سهل القارىء قال : حدَّثني دِعبِل قال : كتبتُ إلى أبي نَهشل بن حميد ، وقد كان نسك وترك شُرب النبيذ ، ولزِم دار الحرَم : [من الخفيف]

إنّما العَيشُ في منادمة الإخـ ... ـوانِ لا في الجلوسِ عند الكَعابِ
وبِصِرْفٍ كأنّها ألسُن البر ... قِ إذا استعرَضَتْ رقيقَ السحابِ
إن تكونوا تركتمُ لذّة العيـ ... ـشِ حِذارَ العِقاب يومَ العقابِ

1 الدينور : مدينة من أعمال الجبل .

فدعُــوني ومـــا ألــذُّ وأهوى وادفعوا بي في نحر يــوم الحسابِ

قال : فكان بعد ذلك يدعوني وسائر ندمائي ، فنشرب بين يديه ، ويستمع الغناء ، ويقتصر على الأنس والحديث .

[قصيدة بالمشاركة]

أخبرني الحسنُ قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثنا إبراهيم بنُ المدبِّر قال : كنت أنا وإبراهيمُ بنُ العبّاس رفيقَين نتكسَّبُ بالشعر قال : وأنشدني قصيدة دِعبِل في المطّلب بنِ عبد الله : [من المتقارب]

أمطّلِبٌ أنــت مستعذِب سمامَ الأفاعـي ومستقبِلُ

قال ، وقال لي دِعبِل : نِصفها لإبراهيمَ بنِ العبّاس ، كنتُ أقول مِصراعاً فيجيزُه ، ويقول هو مِصراعاً فأُجيزه .

[هجاء مالك بن طوق]

قال ابنُ مَهْرُوَيْه : وحدَّثني إبراهيم بنُ المدبّر أن دِعبِلاً قصد مالكَ بنَ طَوْق ومدحه ، فلم يرضَ ثوابه ، فخرج عنه وقال فيه[1] : [من السريع]

إنّ ابنَ طَوقٍ وبني تغلِب لو قُتلوا أو جُرحوا قُصْرَهْ[2]

لم يأخذوا مــن دِية درهماً يوماً ولا من أرْشِهِمْ بَعرَهْ[3]

دِماؤهم ليس لهـــا طالبٌ مَطْلولةٌ مثـــلُ دم العُذْرَهْ

وجوهُهـم بيضٌ وأحسابُهم سودٌ وفي آذانهـــم صُفرَهْ

[شعره في عبد الله بن طاهر]

حدَّثنا محمدُ بنُ عِمران الصيرفيُّ قال : حدَّثني العنزِيّ قال : حدَّثنا عبدُ الله بنُ الحسن قال : حدَّثني عمرُ بنُ عبد الله أبو حفص النحويُّ مؤدّب آل طاهر قال : دخل دِعبِلُ بن عليٍّ على عبد الله بن طاهر ، فأنشده وهو ببغداد[4] : [من السريع]

جئتُ بلا حُرمة ولا سببِ إليك إلاّ بحرمـةِ الأَدبِ[5]

فاقض ذِمامي فإنّني رجلٌ غيرُ ملحٍّ عليكَ في الطلبِ

1 ديوانه : 79 .

2 قصره : يقصرون عن إدراك الثأر .

3 الأرش : دية الجراحات .

4 ديوانه : 33 .

5 الديوان : أتيت مستشفعاً بلا سبب .

قال فانتعل عبد الله ، ودخل إلى الحُرَم ، ووجّه إليه بصُرّة فيها أَلفُ درهم ، وكتب إليه : [من الكامل]

أَعجلتَنا فأَتاك عاجلُ برّنا ... ولو انتظرْتَ كثيره لم يَقلِلِ

فخُذْ القليل وكن كأنّك لم تسَلْ ... ونكونُ نحنُ كأنّنا لم نفعلِ

[هجا مالك بن طوق وهرب]

أخبرني أحمدُ بن عاصمٍ الحُلْوانيُّ قال : حدَّثنا أَبو بكر المدائنيُّ قال : حدَّثنا أَبو طالب الجعفريُّ ومحمدُ بنُ أُميّة الشاعرُ جميعاً قالا : هجا دِعبِل بنُ عليٍّ مالكَ بنَ طوق فقال[1] : [من السريع]

سأَلتُ عنكمْ يا بني مالكٍ ... في نازح الأَرضين والدّانيَهْ

طُرّاً فلم تُعرفْ لكم نِسبة ... حتى إذا قلتُ بني الزانيَهْ

قالوا فدَع داراً على يَمْنةٍ ... وتلك ها دارُهمُ ثانيَهْ[2]

لا حدَّ أُخشاه على ... مَن قال أُمّك زانيَهْ

وقال أيضاً فيه : [من مجزوء الكامل]

يا زانيَ ابنَ الزانِ ابـ ... ـن الزانِ ابنَ الزانيَهْ

أَنتَ المردَّد في الزِّنا ... ء على السنينَ الخاليَهْ

ومردَّد فيه على ... كرِّ السنينَ الباقيَهْ

[يبلعه الوالي سلحه]

وبلغَت الأبيات مالكاً ، فطلبه ، فهرب فأَتى البصرة وعليها إسحاقُ بنُ العبّاس بنِ عليِّ بنِ عبدِ الله بنِ العبّاس بنِ عبدِ المطّلب ، وكان بلغه هجاء دِعبِل وابن أبي عُيَينة نِزاراً .

فأَمّا ابنُ أبي عُيَيْنة فإنّه هرب منه فلم يظهر بالبصرة طول أيّامه . وأمّا دِعبِل فإنّه حين دخل البصرة بَعث فقبض عليه ، ودَعا بالنِّطْع والسيف ليضربَ عنقه ، فجحد القصيدة وحلف بالطّلاق على جَحدها ، وبكلّ يمين تبرّىء من الدم أنّه لم يقلها وأنّ عدواً له قالها ، إمّا أبو سعد المخزوميّ أو غيرُه ونسبها إليه ليُغريَ بدمه ، وجعل يتضرّع إليه ويقبّل الأَرض ويبكي بين يديه . فرقَّ له ، فقال : أمّا إذا أعفيتك من القتل فلا بد من أن أشهرَك ، ثم دعا بالعصا فضربه حتى سَلَح ، وأَمر به فأُلقيَ عَلى قفاه ، وفُتح فمُه فرُدّ سَلحه فيه والمقارع تأخذ رجليه ، وهو

1 ديوان دعبل : 164 وقد جعل البيت الرابع أوّل المقطوعة التالية .

2 ثانيه في الديوان : فانية .

يحلف ألاّ يكفّ عنه حتى يستوفيَه ويبلغَه أو يقتله . فما رُفِعت عنه حتى بَلِغَ سلحه كلّه ، ثم خلاَّه ، فهرب إلى الأهواز .

[ اغتياله ]

وبعث مالكٌ بنُ طَوق رجلاً حَصيفاً مِقداماً ، وأعطاه سمّاً وأمره أن يغتاله كيف شاء ، وأعطاه على ذلك عشرة آلاف درهم ، لم يَزلْ يطلبه حتى وجده في قرية من نواحي السُّوس ، فاغتاله في وقت من الأوقات بعد صلاة العَتمة ، فضَرب ظَهر قدمه بُعكازٍ لها زجٌّ مسموم فمات من غد ، ودُفِن بتلك القرية .

وقيل بل حُمل إلى السُّوس ، فدُفن فيها ، وأمر إسحاق بنُ العبّاس شاعراً يقال له : الحسنُ بنُ زيد ويُكنى أبا الذّلفاء ، فنَقض قصيدتَي دِعبل وابن أبي عيينة بقصيدة أوّلها : [من الوافر]

أَمـــا تَنفــكُ متبــولاً حزينــاً تحبُّ البيضَ تَعصي العاذلينا

يهجو بها قبائل اليمن ، ويذكر مثالبهم ، وأمره بتفسير ما نظمه ، وذكرِ الأيّام والأحوال ، ففعل ذلك وسمّاها الدامغة ، وهي إلى اليوم موجودة .

## صوت[1]

[من الوافر]

أَتهجرَ مَـــن تُحِبّ بغيرِ جُرمٍ أَسأتَ إذاً وأَنتَ لـــه ظلومُ

تؤرقني الهمـــومُ وأَنتَ خِلْوٌ لعمرُكَ مـــا تؤرّقــكَ الهمومُ

الشعر لجعيفران الموسوسِ ، أنشدنيه عمّي عن عبدِ الله عثمانَ الكاتبِ عن أبيه عن جدِّه ، وأنشد فيه جَحظةُ عن خالدٍ الكاتبِ له ، وأنشدنيه ابن الوشّاء عن بعض شيوخه عن سلَمة النحويّ له . ووجدته في بعض الكُتب منسوباً إلى أُمّ الضحاك المُحاربيّة ، والقول الأوّل أصحّ . والغناء لابن أبي قَباحة ، ثاني ثقيل بالوُسطى في مجرى البِنصر . وفي أبيات أُخَر من شعر جعيفران غناء ، فإن لم يصحْ هذا له فالغناء له في أشعاره الأخر صحيح ، منها : [من السريع]

مـــا يفعلُ المـــرءُ فهْو أَهلُه كلُّ امــرىءٍ يشبهـــه فعلُهْ

ولا تــرى أَعجز من عاجزٍ سكّتنـــا عـــن ذمّـــه بذلُهْ

الشعر لجعيفران ، والغناء لمتيَّم ، ومِمّا وجدته من الشعر المنسوب إليه في جامعه وفيه له غناء : [من الكامل]

قلبي بِصاحبةِ الشُّنوفِ مُعَلّقُ وتفِـرُّ صاحبةُ الشنوفِ وأَحَقُ

---

1 في الأصوات الثلاثة . انظر شعراء عباسيون منسيون 4 : 371–372 عن الأغاني .

# [ 417 ] ـ أخبار جعيفران ونسبه[1]

[ نشأته ]

هو جعيفرانُ بن عليٍّ بن أَصفرَ بنِ السريِّ بنِ عبدِ الرحمن الأَبناويّ[2] ، من ساكني سُرَّ مَن رأى ، ومولده ومنشؤه ببغداد . وكان أبوه من أبناءِ الجندِ الخراسانيّة ، وكان يتشيّعُ ، ويُكثر لِقاء أبي الحسن عليٍّ بنِ موسى بنِ جعفر .

أَخبرني بذلك أَبو الحسن عليُّ بنُ العبّاسِ بنِ أَبي طلحة الكاتبُ عن أبيه وأَهلِه .

[ شاعر مطبوع اختلط ]

وكان جعيفران أديباً شاعراً مطبوعاً ، وغلبَت عليه المِرّة السوداء ، فاختَلط وبطل في أَكثر أَوقاته ومعظم أحواله ، ثم كان إذا أَفاق ثاب إليه عقله وطبعه ، فقال الشعر الجيد . وكان أَهله يزعمون أنّه من العجم من ولد أُذين .

[أبوه يطرده ويحرمه من الميراث]

فأَخبرني الحسنُ بنُ عليّ الخَفاف قال : حدَّثني محمدُ بنُ مَهرُوَيْه قال : حدَّثني عليُّ بنُ سليمانَ النّوفليُّ قال : حدَّثني صالحَ بن عطيّةَ قال : كان لجُعَيفران الموسوِس قبل أن يَختلِطَ عقلُه أبٌ يقال له : عليُّ بنُ أصفر ، وكان دِهقان الكَرْخ ببغداد ، وكان يتشيَّع ، فظهر على ابنِه جعيفران أنّه خالفه إلى جارية له سرِّيّة ، فطرده عن داره .

وحجَّ فشكا ذلك إلى موسى بن جعفر ، فقال له موسى : إن كنت صادقاً عليه فليس يموت حتى يَفقدَ عقلَه ، وإن كنت قد تحقّقتَ ذلك عليه فلا تساكنه في منزلك ، ولا تطعمْه شيئاً من مالِك في حياتك ، وأخرجه عن ميراثك بعد وفاتك .

فقدِم فطرده ، وأخرجه من منزله . وسأل الفقهاء عن حيلة يُشهِد بها في ماله حتى يخرجَه عن ميراثه ، فدلّوه على السبيل إلى ذلك ، فأشهد به ، وأوصى إلى رجل . فلمّا مات الرجل حاز ميراثه ومَنع منه جعيفران ، فاستعدى عليه أبا يوسف القاضي ، فأحضر الوصيّ ، وسأل جعيفران البينة على نَسبه وتركه أبيه ، فأقام على ذلك بينة عِدّة ، وأحضر الوصيُّ بيّنة

---

1 ترجمة جعيفران الموسوس في الوافي 11 : 168–171 وفوات الوفيات 1 : 297–299 وطبقات ابن المعتز : 281–282 وتاريخ بغداد 7 : 163 ، وعقلاء المجانين : 101–105 . وقد ترجم له وجمع أشعاره د . إبراهيم النجار في شعراء عباسيون منسيون (النجار) 4 : 353–372 .

2 الوافي والفوات : الأنباري ، والنجار : الأنباوي .

عُدولاً على الوصيّةِ يشهدون على أَبيه بما كان احتال به عليه . فلم يَرَ أَبو يوسُف ذلك شيئاً ، وعزم على أن يورِّثه ، فدفعه الوصيّ عن ذلك مَرّات بعِلَل . ثم عزم أبو يوسُف على أن يُسجّل لجعيفران بالمال ، فقال له الوصيّ : أيّها القاضي ، أنا أدفع هذا بحجّةٍ واحدةٍ بقيتْ عندي ، فأبى أبو يوسُف أن يقبلَ منه ، وجعل جعيفران يُحَرّج عليه ، ويقول له : قد ثبت عندك أمري ، فبأيّ شيء تدافعني ؟ وجعل الوصيّ يسأله أن يسمع منه منفرداً ، فيأبى ، ويقول : لا أسمع منك إلاّ بحضرة خصمك . فقال له : أجّلني إلى غد ، فأجّله ، فجاء إلى منزله وكتب رقعة خبّره فيها بحقيقة ما أفتى به موسى بنُ جعفر ، ودفعها إلى صديق لأبي يوسُف ، فدفعها إليه ، فلمّا قرأها دعا الوصيّ واستحلفه أنّه قد صدَق في ذلك ، فحلفَ باليمين الغَموس . فقال له : اغْدُ عليّ غداً مع صاحبك . فحضر وحضر جعيفران معه ، فحكم عليه أبو يوسُف للوصيّ . فلمّا أُمضى الحكم عليه وسوس جعيفران واختلَط منذ يومئذٍ .

وأخبرني بجمل أَخباره المذكورة في هذا الكتاب عليُّ بن العبّاسِ بنِ أَبي طلحة الكاتبُ ، عن شيوخ له أَخذها عنهم وإجازات وجدتها في الكتب ، ولم أَرَ أَخباره عند أحد أَكثر مِمّا وجدتها عنده إلاّ ما أذكره عن غيره فأنسبُه إليه .

[يقف بالرصافة على رجل وينشده شعراً]

قال عليّ بنُ العبّاس : وذَكر عبد الله بنُ عثمان الكاتبُ أَنّ أَباه عثمانَ بنَ محمد حدَّثه قال : كنتُ يوماً بِرُصافة مدينة السلام جالساً إذ جاءَني جعيفران وهو مغضَبٌ ، فوقف عليّ وقال :

استوجَبَ العالَم منّـي القتلا

فقلت : ولِم يا أَبا الفضل ؟ فنظر إليّ نظرة منكَرة خِفْت منها ، وقال :

لمّا شَعرت فـــرأوني فحلا

ثم سكتَ هنيهة ، وقال[1] : [من الرجز]

قالـوا عـــليَّ كذِبا وبُطْلا إنّيَ مجنون فَقدتُ العقلا
قالوا المحال كذِبـا وجهلا أَقبحْ بهذا الفعل منهم فعلا

ثم ذهب لينصرف ، فخِفْت أن يؤذيَه الصبيان ، فقلت : اصبرْ فدَيتكَ حتى أَقومَ معك ؛ فإنّك مغضَب ، وأكره أن تخرج على هذه الحال . فرجع إليّ ، وقال : سبحان الله ، أتراني أنسبهم إلى الكذب والجهل ، وأستقبح فعلهم ، وتتخوّف منّي مكافأتهم ؟ ثم

1 النجار : 363-364 عن الأغاني .

إنّه ولّى وهو يقول : [من الرجز]

لستُ بِراضٍ من جَهول جهلا ولا مجازيــه بِفِعــل فِعــلا
لكنْ أرى الصفحَ لِنفسي فضلاً مَن يُرِد الخيرَ يجدْه سهــلا

ثم مضى .

[يدور في الدار وحده وينشد رجزاً]

وقال عليُّ بنُ العبّاس ، وقال عثمان بنُ محمد : قال أبي : كنتُ أُشرِف مرّة من سطح لي على جُعَيفرانَ وهو في دار وحدَه وقد اعتلّ ، وتحرّكتْ عليه السوداء ، فهو يدور في الدّار طول ليلته ، ويقول[1] : [من الرجز]

طاف بـه طَيف من الوسواسِ نَفّــر عنــه لَــذّةَ النُّعاسِ
فمــا يُــرى يأنس بالأُناسِ ولا يلَــذّ عِشْرَةَ الجُلاّسِ
فهو غريـب بين هذا النّاس

حتى أصبح وهو يردّدها ، ثم سقط كأنّه بَقْلة ذابلة .

[بيت بنصف درهم]

قال عليّ : وحدَّثني عليُّ بن رستمَ النحويّ ، قال : حدَّثني سَلَمة بن محارب قال : مررْت ببغداد ، فرأيتُ قوماً مجتمعِين على رجل ، فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : جعيفران المجنون ، فقلت : قُل بيتاً بنصف درهم . قال : هاته ، فأعطيته ، فقال : [من مجزوء الخفيف]

لَجَّ ذا الهــمُّ واعتلَجَ كلُّ هــمٍّ إلى فــرجِ

[يصيح الصبيان خلفه وهو عريان]

ثم قال : زِد إن شئت حتى أزيدَك .

قال عليّ : وحدَّثني عبد الله بن عثمان ، عن أبيه قال : غاب عنّا جُعَيفران أيّاماً ثم جاءنا والصبيان يَشُدون خلفه وهو عُريانٌ وهم يصيحون به : يا جعيفران يا خرا في الدار . فلمّا بلغ إليّ وقف ، وتفرّقوا عنه فقال : يا أبا عبد الله[2] : [من الهزج]

رأيتُ النّاسَ يدعـوني بمجنـونٍ على حـالي
وما بـي اليومَ من جِنٍّ ولا وِسواسِ بَلبــالِ

---

1 النجار : 362 .
2 النجار : 365 .

ولكنْ قولُهم هذا لإفلاسي وإقلالي
ولو كنتُ أخا وَفْرٍ رَخيّاً ناعمَ البالِ
رأوني حسن العقلِ أحُلُّ المنزل العالي
وما ذاك على خُبرٍ ولكن هيبةُ المالِ

قال : فأدخلْتُه منزلي ، فأكل ، وسقيته أقداحاً ، ثم قلتُ له : تقدِر على أن تغيِّر تلك القافية ؟ فقال : نعم ، ثم قال بديهة غير مفكر ولا متوقف[1] : [من الهزج]

رأيتُ الناسَ يرمونَـ ـيَ أحياناً بوِسواسِ
ومَن يَضبِطُ يا صاحِ مقالَ النّاسِ في النّاسِ
فدَعْ ما قاله النّاسُ ونازع صفوة الكاسِ
فتى حُرّاً صحيح الوُدّ ذا بِرٍّ وإيناسِ
فإن الخلْق مُغْرَون بأمثالي وأجناسي
ولو كنتُ أخا مالٍ أتَوني بين جُلاّسي
يُحِبُّوني ويَحْبوني على العينينِ والراس
ويدعوني عزيزاً غيـ ـرَ أنّ الذلّ إفلاسي

ثم قام يبول ، فقال بعض مَن حضر : أيُّ شيء معنى عشرتِنا هذا المجنون العريان ؟ والله ما نأمنه وهو صاح ، فكيف إذا سَكِر ؟ وفَطِن جُعَيفران للمعنى ، فخرج إلينا وهو يقول[2] : [من مجزوء الرمل]

وندامى أكلوني إذ تغيّبْتُ قليلا
زعموا أنّيَ مجنو نٌ أرى العُرْي جميلا
كيف لا أعرى وما أُبـ ـصرُ في النّاسِ مثيلا
إن يكن قد ساءَكم قُر بي فخلُّوا لي سبيلا
وأتمّوا يومَكم سـ ـرّكُمُ اللهُ طويلا

قال : فرقَقنا له ، واعتذرنا إليه ، وقلنا له : والله ما نلتذّ إلاّ بِقُربك ، وأتيناه بثوب ، فلبسه ، وأتممنا يومنا ذلك معه .

1 النجار : 361 .
2 النجار : 364 .

[يدعو على القاضي]

أخبرني جَحظةُ قال : حدَّثني ميمونُ بن هارونَ قال : تقدّم جُعَيفرانُ إلى أبي يوسُفَ الأعور القاضي بِسُرَّ مَن رأى في حكومة في شيء كان في يده من وَقفٍ له ، فدفعه عنه ، وقضى عليه . فقال له : أراني اللهُ أيُّها القاضي عينيكَ سواء ، فأمسَك عنه ، وأمر بردّه إلى داره .

فلما رجع أطعمه ووهب له دراهم ، ثم دعا به فقال له : ماذا أردتَ بدعائك ؟ أردتَ أن يَرُدّ الله على بصري ما ذهب ؟ فقال له : والله لئن كنْتَ وهبْتَ لي هذه الدراهم لأسخرَ منك لأنت المجنون لا أنا . أخبِرْني كم من أعورَ رأيتَه عَمي ؟ قال : كثيراً ، قال : فهل رأيتَ أعورَ صحّ قطُّ ؟ قال : لا . قال : فكيف توهّمْتَ عليّ الغلط ؟ فضحك وصرفه .

[مدحه أبا دُلَف]

أخبرني محمدُ بنُ جعفرٍ النحويُّ صِهرُ المبرِّد قال : حدَّثني أحمدُ بنُ القاسِمِ البرتيّ قال : حدَّثني علي بن يوسف قال : كنتُ عند أبي دُلَف القاسِمِ بنِ عيسى العِجْليّ فاستأذن عليه حاجبه لجُعَيفرانَ الموسوسِ ، فقال له : أيَّ شيء أصنع بمَوْسوس ؟ قد قضَينا حقوق العقلاء ، وبقي علينا حقوق المجانين ! فقلت له : جُعِلت فداء الأمير ! موسوسٌ أفضلُ من كثيرٍ من العقلاء ، وإن له لساناً يُتَّقى وقولاً مأثوراً يبقى ، فاللهَ اللهَ أن تَحجبه ، فليس عليك منه أذى ولا ثِقَل ، فأذن له ، فلمّا مثَل بين يديه قال[1] : [من السريع]

| | |
|---|---|
| يا أكرمَ العالم موجوداً | ويا أعزّ الناسِ مفقودا |
| لما سألْتُ الناسَ عن واحدٍ | أصبح في الأمّة محمودا |
| قالوا جميعاً إنّه قاسِمٌ | أشبهَ آباءً له صيدا |
| لو عَبدوا شيئاً سوى ربِّهم | أصبحْتَ في الأُمّةِ معبودا |
| لا زِلْتَ في نُعْمى وفي غِبطةٍ | مكرَّماً في النّاسِ معدودا |

قال ، فأمر له بِكُسوة وبألف درهم ، فلمّا جاء بالدراهم أخذ منها عشرة ، وقال : تأمر القَهْرمان أن يُعطيَني الباقي مفرَّقاً كلّما جئت لئلاّ يضيع منّي ؛ فقال للقهرمان : أعطه المال ، وكلّما جاءك فأعطِه ما شاء حتى يفرّق الموت بيننا . فبكى عند ذلك جُعَيفران ، وتنفّس الصعداءَ ، وقال[2] : [من المنسرح]

1 النجار : 370 .

2 لم يرد البيتان عند النجار.

يمـوتُ هـذا الذي أَراه وكلُّ شيء لـه نفـادُ
لو غيرَ ذي العرشِ دام شيءٌ لـدامَ ذا المُفْضِلُ الجـوادُ

ثم خرج . فقال أَبو دُلَفٍ : أنتَ أعلمُ به منّي . قال : وغَبَرَ عنّي مدّة ، ثم لقيني وقال : يا أَبا الحسن ، ما فعل أَميرُنا وسيِّدُنا وكيف حاله ؟ فقلت : بخير وعلى غاية الشّوق إليك . فقال : أنا واللهِ يا أخي أشوقُ ، ولكنّي أعرِف أَهلَ العسكر وشرَّههم وإلحاحَهم ، واللهِ ما أَراهم يتركونه من المسأَلة ولا يتركهم ، ولا يتركه كرمُه أن يُخْلِيَهم من العطيّة حتى يخرجَ فقيراً . فقلت : دَع هذا عنك وزِرْه ، فإن كثرةَ السؤال لا تضرُّ بماله . فقال : وَكيف ؟ أهو أيسرُ من الخليفة ؟ قلت : لا . قال : واللهِ لو يبذل لهم الخليفة كما يبذل أبو دُلَفٍ وأطمعهم في ماله كما يُطمعهم لأفقروه في يومَين ، ولكن اسمع ما قلته في وقتي هذا . فقلت : هاته يا أبا الفضل ، فأنشأ يقول[1] : [من المتقارب]

أَبـا حسنٍ بلِّغَـنْ قاسمـاً بأنّـيَ لم أَجْفُـه عـن قِلى
ولا عـن مَـلال لإتيانـه ولا عن صُدود ولا عن غِنى
ولكـن تعفّفتُ عـن مالـه وأُصفيتُـه مِدْحتـي والثنا
أَبـو دُلَـف سيّدٌ ماجـد سنيّ العطيّـة رَحـب الفِنا
كريـمٌ إذا انتابـه المعتفـو نَ عمَّهـمُ بجزيـل الحِبا

قال : فأبلغتُها أَبا دُلَف ، وحدَّثته بالحديث الذي جرى ، فقال لي : قد لقِيتُه منذ أَيّام ؛ فلمّا رأيتـه وقفْتُ لـه ، وسلّمت عليه ، وتحفّيت به ، فقال لي : سِرْ أيّها الأمير على بركة اللهِ ، ثم قال لي[2] : [من الرجز]

يا مُعديَ الجود على الأموالِ ويـا كريمَ النفْس في الفعالِ
قـد صُنتَني عن ذِلّة السؤالِ بِجُـودك المـوفي على الآمالِ
صانـكَ ذو العزةِ والجلالِ مِـن غِيَر الأيّـام والليالي

قال : ولم يَزَلْ يختلف إلى أبي دُلَف ويَبرّه حتى افترقا .

[يهجو نفسه]

سمعْتُ عبدَ الله بنَ أَحمدَ ، عمَّ أَبي رحمه الله يحدّث فحفظت الخبر ، ولا أَدري أَذكر له إسناداً فلم أَحفظه أم ذكره بغير إسناد ، قال : كان جعيفرانُ خبيثَ اللسان هَجّاء ، لا يسلم عليه أَحد ،

1 النجار : 368 عن الأغاني .
2 ليست مما جمعه النجار .

فاطّلع يوماً في الحُبّ ، فرأى وجهه قد تغيّر ، وعفا شعره فقال[1] : [من المجتث]

ما جَعفرٌ لأبيه ولا له بشبيه
أُضحى لقوم كثيرٍ فكلّهم يدعيه
هذا يقولُ بُنَيّي وذا يخاصمُ فيه
والأمُّ تضحكُ منهم لِعلمها بأبيه

[صحة حدسه في الجارية]

حدَّثني محمد بنُ الحسنِ الكِنديّ خطيب القادسيّة قال : حدَّثني رجل من كتّاب الكوفة قال : اجتاز بي جُعَيفرانُ مرّة فقال : أنا جائع ، فأيَّ شيء عندك تُطعمني ؟ فقلت : سَلْق بِخَرْدَل . فقال : اشتَر لي معه بِطِّيخاً ، فقلت : أفعل ، فادخُل ، وبعثْت بالجارية تجيئه به ، وقدَّمتُ إليه الخبز والخَرْدل والسّلق ، فأكل منه حتى ضجِر ، وأبطأت الجاريةُ ، فأقبَل عليّ وقد غضب فقال[2] : [من مجزوء الخفيف]

[يهجو جارية مضيفه لتأخرها في شراء بطيخ له]

سَلَقتْنا وخَرْدَلتْ ثم ولّت فأَدبَرَتْ
وأَراها بواحدٍ وافِر الأير قدْ خلَتْ

قال فخرجْتُ ، يشهد اللهَ ، أطلبها ، فوجدتُها خالية في الدِّهليز بسائس لي على ما وصف .

## صوت

[من الخفيف]

ولها مَرْبَعٌ بِبُرْقَة خاخٍ ومَصيف بالقصرِ قصرِ قُباء[3]
كفِّنوني إن مِتُّ في دِرع أَروى واجعلوا لي مِنْ بئر عُروة مائي[4]
سُخنةٌ في الشتاء باردة الصيفِ سراجٌ في الليلةِ الظلماء

الشعر للسّريّ بنِ عبد الرّحمن ، والغناء لمعبَد ، ثقيل أوّل بالوُسطى عن الهشاميّ : قال : وفيهما ، يعني الثالث والأوّل ، رمَل مطلَق في مجرى الوسطى .

---

1 النجار : 367 .
2 النجار : 369 عن الأغاني .
3 برقة خاخ : موضع بين الحرمين . وقصر قباء : موضع قرب المدينة .
4 بئر عروة : بالعقيق ، نسبة إلى عروة بن الزبير .

# [ 418] ـ أخبار السري ونسبه[1]

السريُّ بن عبد الرحمن بن عُتبة بن عُوَيمِ بنِ ساعدة الأنصاريّ ، ولجدّه عويم بن ساعدةَ صحبة بالنبيّ ، ﷺ .

[شعره وشخصه]

والسريّ شاعر من شعراء أهل المدينة ، وليس بمُكثِر ولا فحلٍ ، إلاّ أنّه كان أحدَ الغزِلين والفتيانِ والمنادمين على الشراب . كان هو وعُتَير بن سهل بن عبد الرحمن بن عَوف ، وجُبَيرُ بنُ أيمنَ ، وخالدُ بن أبي أيوبَ الأنصاريّ يتنادمون . قال : وفيهم يقول : [من الطويل]

إذا أنت نادمتَ العُتَيرَ وذا النَّدى ... جُبَيراً ونازعتَ الزّجاجـة خالِدا

أمِنتَ بإذنِ اللهِ أن تُقرعَ العصا ... وأن يُنبِهوا من نومةِ السُّكْرِ راقدا[2]

غنّاه الغَريض ثقيلاً .

[هجا النصيب والأحوص فلم يجيباه]

وكان السريّ هذا هَجا الأحوصَ ، وهَجا نُصَيباً ؛ فلم يجيباه .

أخبرني الحِرْميّ بنُ أبي العلاء قال : حدَّثني الزُّبير بن بَكّار قال : حدَّثني عمِّي ، وأخبرني الحسين بن يحيى المِرْداسيّ قال حدَّثنا حمّادُ بن إسحاق عن أبيه عن ابنِ الكلبيِّ قالا : جلس النُّصيب في مسجد النبيّ ، ﷺ ، فأنشدَ ، وكان إذا أنشد لوى حاجبَيه ، وأشار بيده ، فرآه السريُّ بنُ عبدِ الرحمن الأنصاريُّ ، فجاءه حتى وقف بإزائه ثم قال : [من الوافر]

فقدتُ الشعرَ حـين أتى نُصيباً ... ألَم تستَحي مـن مَقْتِ الكرامِ

إذا رَفـع ابنُ ثَوبـةَ حاجبَيه ... حسبتُ الكلبَ يُضربُ في الكِعامِ[3]

قال : فقال نصيبُ : مَن هذا ؟ فقالوا : هذا ابنُ عُوَيم الأنصاريُّ ، قال : قد وهبتُه لله عزَّ وجلَّ ولرسولِه ، ﷺ ، ولعُوَيم بنِ ساعدةَ . قال : وكان لعُوَيم صحبةٌ ونصرةٌ .

[تشبيبه بزينب]

أخبرني الحِرْميُّ قال : حدَّثنا الزُّبيرُ قال : حدَّثني عمِّي عن عبدِ الرحمنِ بن عبد الله العُمَريِّ

---

1 للسري بن عبد الرحمن ترجمة في الوافي 15 : 141-142 .

2 قرع العصا لتنبيه الغافل كما في المثل «لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا» . ويروى من «سكرة النوم» .

3 الكعام : الكمامة .

قال : كان السريُّ قصيراً دميماً أزرقَ ، وكان يهوى امرأة يقال لها زينب ويُشبِّب بها . فخرج إلى البادية فرآها في نِسوةٍ ، فصار إلى راعٍ هناك وأعطاه ثيابَه ، وأخذ منه جُبّته وعصاه ، وأقبل يسوق الغنم حتى صار إلى النِّسوة فلم يحفِلن به ، وظنَنَّ أنّه أعرابيّ ، فأقبل يُقلِّب بعصاه الأرضَ وينظر إليهنّ ، فقلن له : أذهَب منك يا راعيَ الغنمِ شيء فأنتَ تَطلبُه ؟ فقال : نعم . قال : فضربتْ زينب بكُمّها على وجهها وقالت : السريّ والله ، أخزاه اللهُ ! فأنشأ يقول : [من البسيط]

## صوت

مــا زال فينا سقيمٌ يُستَطبُّ له ... مِــن ريحِ زينبَ فينا ليلةَ الأَحدِ

حُزْتِ الجَمالَ ونشراً طيّباً أَرِجاً ... فمــا تُسمَّينَ إلاّ مِسكـةَ البلدِ

أمّا فؤادي فشيء قد ذهبتِ بـه ... فما يضرُّكِ أَلا تَحرُبي جسدي[1]

[المهدي يعجب بغزله]

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدَّثنا أحمد بن أبي خَيْثمةَ قال : حدَّثنا مُصعبٌ الزُّبيْريّ قال ، قال أبي : قال لي المهديّ : أنشدني شعراً غزِلاً ، فأنشدتُه قولَ السريِّ بنِ عبد الرحمن : [من البسيط]

ما زال فينا سقيمٌ يُستَطبُّ له ... من ريحِ زينبَ فينا ليلةَ الأحدِ

فأعجبَتْه ، وما زال يَستعيدها مِراراً حتى حفِظها .

[يشربون النبيذ وتقبل شهادتهم]

أخبرني الحسنُ قال : حدَّثني أحمدُ قال : حدَّثني محمدُ بنُ سلاّم الجُمحيُّ قال : كان السريُّ بنُ عبدِ الرحمن ينادم عُتيرَ بن سَهل بنِ عبد الرحمن بنِ عَوفٍ وجُبيرَ بنَ أيمنَ بن أُمِّ أيمن مولى النبيِّ ، ﷺ ، وخالدَ بنَ أبي أيّوب الأنصاريِّ ، وكانوا يشربون النبيذَ ، وكلّهم كان على ذلك مقبولَ الشهادةِ ، جليلَ القدرِ مستوراً ، فقال السريّ : [من الطويل]

إذا أَنتَ نادمتَ العُتَيْرَ وذا النَّدى ... جُبيراً ونازعتَ الزجاجــةَ خالدا

أَمِنتَ بإذنِ اللهِ أن تُقرَعَ العصا ... وأَن يُنبِهوا من نومةَ السُّكر راقدا

فقالوا : قبحَكَ اللهُ ! ماذا أردت إلى التنبيه علينا والإذاعةِ لسرنا ؟ إنّك لحقيق أَلاّ ننادمَك . قال : واللهِ ما أَردتُ بكم سوءاً ، ولكنّه شِعر طفح فنَفثته عن صدري ، قال : وخالدُ بن أَبي أَيّوب الأنصاريُّ الذي يقول : [من الطويل]

---

1 تحربي : تسلبي .

## صوت

أَلا سقِّني كأسي ودعْ قولَ مَن لَحى ورَوِّ عظامــاً قَصْرُهــن إلى بِلى[1]
فإن بُطُوءَ الكأس مَوْتٌ وحبسَها وإنَّ دِراكَ الكأس عندي هو الحيا[2]

الغِناءُ في هذين البيتين هو لِعبدِ الله بنِ العبّاس الرّبيعيّ ، خفيف رمل بالبِنْصر عن عَمْرو بن بانةَ .

[التمثّل بشعره في طلب الشراب]

أخبرني أبو الحسنِ الأسديُّ قال : حدَّثني سليمانُ بن أبي شيخٍ قال : حدَّثني مصعبُ بنُ عبدالله الزُّبيريُّ قال : حدَّثني مصعبُ بنُ عثمانَ قال : حدَّثني عُبَيدُ الله بن عروةَ بنِ الزُّبيرِ قال : خرجتُ وأنا غلام أدُور في السككِ بالمدينةِ فانتهيتُ إلى فناءٍ مَرشوش وشابٌّ جميلِ الوجهِ جالسٍ ، فلمّا رآني دعاني ، ثم قال لي : مَن أنتَ يا غلامُ ؟ فقلت عُبيدُ اللهِ بنُ عروة بن الزُّبيرِ . فقال : اجلس ، فجلستُ ، فدَعا بالغَداء فتغدَّينا جميعاً ، ثم قال : يا جاريةُ ؛ فأقبلَتْ جاريةٌ تتهادى كأنّها مَهاةٌ ، وفي يدِها قِنِّينيةٌ فيها شرابٌ صاف وقلّةُ ماءٍ وكأسٌ ؛ فقال لها : اسقيني ؛ فصبّت في الكأسِ وسَكَبَتْ عليه ماءً وناولتْه ، فشرب ثم قال : سقّيه ؛ فصبَّتْ في الكأس وسكَبتْ عليه ماءً وناولتْني . فلمّا وجدتُ رائحتَه بَكيتُ ؛ فقال : ما يبكيك يا ابن أخي ؟ فقلت : إنَّ أهلي إن وجدوا رائحةَ هذا منّي ضربوني ، فأقبل على الجاريةِ بوجهِهِ ، وقال لها يخاطبها : [من الطويل]

أَلا سقّني كأسي ودعْ عنكَ مَن أَبى ورَوِّ عظامـاً قَصْرُهــنَّ إلى بِلى

فأخذتْه من يدي وأعطتْه ؛ فشربه ، وقمتُ فلمّا جاوزتُه سألت عنه فقيل لي : هذا خالد بن أبي أيّوب الأنصاريّ الذي يقول فيه الشاعر : [من الطويل]

إذا أَنتَ نادمتَ العُتَيْر وذا النَّدى جُبَيْراً ونازعتَ الزجاجـةَ خالدا
أَمِنتَ بإذنِ اللهِ أَن تُقرعَ العصا وأَن يوقِظُوا من سَكرةِ النَّومِ راقدا
وصرتَ بحمدِ اللهِ في خيرِ عُصبةٍ حسانِ النَّدامى لا تخاف العَرابدا

[ابن الماجِشون يصرّ على إخراجه]

أُخبرنا وكيعٌ قال : حدَّثنا محمد بن عليِّ بنِ حمزةَ قال : حدَّثني أَبو غَسانَ عن محمدِ بن يحيى بنِ عبد الحميد قال : كان السريُّ بن عبدِ الرحمن يختلف إلى قينة ، فجاء ابن الماجِشونِ

1 قصرهن : غايتهن .
2 البطوء : ضد السرعة .

فقال : لا أُدخل حتى يخرج السريّ ؛ فأَخرجتْه فقال السريّ : [من الخفيف]

قَبَّح اللّهُ أهــلَ بيتٍ بِسَلْعٍ أُخرجوني وأدخلوا الماجشونا
أَدخَلوا هِـــرّةً تُلاعب قِرداً مــا نراهمْ يرَوْن مــا يصنعونا

[شعره في الأمتين]

أَخبرني الحسن قال : حدَّثنا أَحمد بن زهيرٍ قال حدَّثني مصعبٌ قال : أَنشدني أَبي لِلسّريّ بنِ عبد الرحمن في أَمَة الحميدِ بنتِ عبدِ الله بنِ عبّاس وفي ابنتها أَمةِ الواحد : [من مجزوء الكامل]

أَمَـــةُ الحميـــدِ وبنتُهـــا ظَبيـانِ في ظـــلِّ الأَراكِ
يَتَتبَّعـــان بَريـــــره وظلالَـــه فهمـــا كذاك[1]
حُـــذيَ الجَمـــالُ عليهما حَذْوَ الشِّراك على الشِراكِ

[يتمنى أن يكون مؤذناً]

أَخبرني محمد بن العبّاس اليزيديُّ قال : حدَّثني محمد بن الحسنِ بن مسعود الزُّرَقيّ قال : حدَّثني يحيى بن عثمانَ بن أبي قَباحةَ الزُّهْريّ قال : أَنشدني أبو غسان صالح بن العبّاسِ بنِ محمدٍ ، وهو إذ ذاك على المدينة ، لِلسريّ بن عبد الرحمن : [من الخفيف]

ليتَنـــي في المؤذِّنـين نَهـاراً إنّهم يبصرون مَن في السطوحِ
فيشيرون أَو يُشار إليهـــــمْ حَبّـذا كلّ ذات جيـد مليحِ

قال : فأَمر صالحٌ بِسَدِّ المنار ، فلم يقدرْ أحدٌ على أن يُطْلِعَ رأسَه حتى عُزل صالح . أخبرني حبيب بن نصرٍ المهلبيّ ، قال : حدَّثنا عبد الله بن شبيب قال : حدَّثني زُبير بن بكّار عن عمِّه : أَنّ السريّ بنَ عبدَ الرحمن وقف على عمرَ بنِ عمرو بنِ عثمانَ ، وهو جالسٌ على بابه والنّاس حولَه ، فأَنشأ يقول : [من الخفيف]

يا ابن عثمانَ يا ابن خيرِ قريشٍ أَبْغِنـــي مــا يَكفُنّـــي بقُباءِ
ربّمـــا بَلَّنـــي نداكَ وجَلَّـــى عـــن جبيني عجاجةَ الغُرَماءِ

فأعمرَه أَرضاً بقُباءٍ ، وجعلها طُعْمةً له أيّامَ حياته ، فلم تَزَلْ في يده حتى مات .

[معبد يغنّي بشعره]

أَخبرني وسواسة بن الموصليّ ، قـال : حدَّثـني حمّاد بن إسحاق عن أَبيه ، عن عزيز بن طلحة ، قال : قال معبد : خرجت من مكّة أُريد المدينة ، فلمّا كنت قريباً من المنزل أُريت

---

1 البرير : ثمر الأراك .

بيتاً فعدلت إليه ، فإذا فيه أسود عنده حُبّان من ماء وقد جَهدني العطش ، فسلّمت عليه واستسقيت ، فقال : تأخّر عافاك الله ؛ فقلت : يا هذا ، اسقني جرعة من الماء فقد كدت أموت عطشاً ، فقال : والله لا تذوق منه جُرعة ولو مِتّ ، فرجعتُ القهقرى ، وأنختُ راحلتي واستظللت بظلّها من الشمس ، ثم اندفعت أغنّي ليبتلَّ لساني : [من الخفيف]

كفّنوني إن مِتُّ في درعِ أَروى   واستقوا لي من بئرِ عروةَ مائي

فإذا أنا بالأسودِ قد خرج إليّ ومعه قدح جيشانيّ[1] فيه سَويق ملت بماء بارد ، فقال : هل لك في هذا أرب ؟ قلت : قد منعتني ما هو أقلّ منه : الماء . فقال : اشرب ، عافاك الله ، ودع عنك ما مضى ، فشربت . ثم قال : أعد ، فديتك ، الصوت ، فأعدته ، فقال : هل لك ، بأبي وأمّي ، أن أحمل لك قربة من ماء ، وأمشي بها معك إلى المنزل وتعيد عليّ هذا الصوت حتى أتزوّد منه ، وكلّما عطشت سقيتك ؟ قلت : افعل ، فَفعل وسار معي ، فما زِلت أُغنّيه إيّاه ، وكلّما عطشت استقيته حتى بلغت المنزل عشاء .

## صوت[2]

[من مجزوء الكامل]

سَلَبَ الشبابُ رِداءه   عنّي ويتبعُه إزارُهْ
ولقد تحلُّ عليّ حلّـ   ـته ويعجبني افتخارُهْ[3]
سائلْ شبابي هل مسكـ   ـتُ بسَوْءَةٍ أو ذَلّ جارُهْ[4]
ما إن ملكتُ المالَ إلاّ   كان لي وله خيارُهْ[5]

ويروى : هل أسأت مساكه .

الشعر لمسكينٍ الدارميّ ، والغناء لِمقّاسة بن ناصح ، خفيف رملٍ بالبِنصر عن عمرو .

---

1 جيشاني : منسوب إلى جيشان ، مخلاف باليمن .

2 ديوان مسكين الدارمي : 36-37 .

3 الديوان : ولقد يحل عليّ حلّته فيعجبني فخاره

4 الديوان :
واسأل شبابي هل أهنـ   ـت مساكه أو ذل جاره

5 الديوان : أم هل كسبت المال إلا عاد لي . . .

# [ 419] ـ أخبار مسكين ونسبه[1]

[ نسبه]

مسكينٌ لقبٌ غَلب عليه ، واسمُه ربيعةُ بنُ عامر بنِ أُنيفِ بن شُرَيح بن عمرٍو بنِ زيدِ بنِ عبد الله بن عُدُسِ بنِ دارمِ بنِ مالك بن زيدِ مناةَ بنِ تميم . وقال أبو عمرو الشيبانيُّ : مسكينُ بن أُنيفِ بن شُريحِ بنِ عمرٍو بنِ عُدُس بنِ زيدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ دارمِ بنِ مالكِ بنِ حنظلةَ بنِ مالكِ بن زيدِ مناةَ بن تميمٍ .

[سبب تلقيبه بمسكين]

قال أبو عمرو : وإنّما لُقب مسكيناً لقوله[2] : [من الرمل]

أنـا مسكينٌ لِمَن أنكـرني ... ولِمَـن يَعرفنـي جِـدَّ نُطُقْ

لا أَبيعُ الناسَ عِرضي إنّنـي ... لـو أَبيعُ الناسَ عِرضي لَنَفقْ

وقال أيضاً[3] : [من الطويل]

سُمّيتُ مسكيناً وكانت لحاجةً ... وإنّي لمسكينٌ إلى اللهِ راغبُ

وقال أيضاً[4] : [من الطويل]

إنْ أُدعَ مسكيناً فلستُ بمنكَرٍ ... وهل تُنكرَنَّ الشمسُ ذَرّ شعاعُها

لَعَمرُكَ ما الأَسماءُ إلاّ علامـةٌ ... منارٌ ومن خيرِ المنارِ ارتفاعها

شاعر شريف من سادات قومه ، هاجى الفرزدق ثم كافّه ، فكان الفرزدق بعد ذلك في الشدائد التي أفلَت منها .

[تهاجيه مع الفرزدق]

حدَّثني حبيبُ بنُ أَوسِ بن نصر المهلبيُّ قال : حدَّثنا عُمر بن شَبَّة عن أَبي عبيدة قال : كان

1 ترجمة مسكين الدارمي في الشعر والشعراء : 455-456 والسمط : 186 وتهذيب ابن عساكر 5 : 303 والوافي 14 : 97 وخزانة البغدادي 3 : 69-73 ومعجم الأدباء (عباس) : 1299-1301 وله أشعار في أمالي المرتضى وأنساب الأشراف وشرح النهج والطبري . وقد جمع شعره خليل إبراهيم العطيّة وعبد الله الجبوري (بغداد 1970) وإليه نشير .

2 ديوان مسكين الدارمي : 56 .

3 ديوانه : 24 .

4 ديوانه : 53 .

زياد قد أَرْعى مسكيناً الدارميَّ حِمًى له بناحية العُذَيب[1] في عام قَحطٍ حتى أُخصب النّاسُ وأُحْيَوا ، ثم كتب له بِبُرٍّ وتَمر وكَساه . قال : فلمّا مات زيادٌ رثاه مسكين ، فقال[2] : [من الوافر]

رأيتُ زيـادةَ الإسلامِ ولّتْ ... جِهـاراً حـين وَدَّعَنا زيادُ

فعارضه الفرزدق ، وكان منحرفاً عن زيادٍ لطلبه إيّاه وإخافته له ، فقال[3] : [من الطويل]

أَمسكينُ أَبكـى اللهُ عينَـك إنّما ... جـرى في ضلالٍ دَمْعُها فتحدّرا

بكيـتَ على عِلْـج بمَيسان كافر ... ككسرى على عِدَّانِه أَو كقيصرا[4]

أَقولُ لـه لمّـا أَتاني نعيُّه : بـه ... لا بظبـي بالصريمـةِ أَعفرا[5]

فقال مسكين يجيبه[6] : [من الطويل]

أَلا أَيُّها المرءُ الذي لستُ قاعداً ... ولا قائماً في القومِ إلاّ انبرى ليَا

فجئني بعـمٍّ مثلَ عمِّـيَ أَو أَبٍ ... كمثل أَبي أَو خالِ صدقٍ كخاليا

كعمرو بن عمرو أَو زرارةَ ذي النَّدى ... أَو البِشْر مِـن كلٍّ فرعتُ الروابيا

قال : فأَمسك الفرزدق عنه ، فلم يجبه ، وتكافّا .

أَخبرني ببعض هذا الخبر أَبو خليفة عن محمد بن سلاّم ، فذكر نحواً ممّا ذكره أَبو عُبيدة وزاد فيه ، قال : والبشر خالٌ لمسكين من النَّمِر بن قاسِط ، وقد فخَر به ، فقال[7] : [من الوافر]

شُرَيحٌ فـارس النُّعمان عمِّـي ... وخالي البِشرُ بشرُ بني هلالِ

---

1 العذيب : موضع قرب القادسية .

2 ديوانه : 30 .

3 ديوان الفرزدق (صادر) 1 : 201 .

4 ميسان : كورة بين البصرة وواسط . وعدانه : زمانه .

5 المثل «به لا بظبي (بالصرائم) أعفرا» : في الدرة الفاخرة 2 : 391 ومجمع الميداني 1 : 190 ومستقصى الزمخشري 2 : 16 وجمهرة العسكري 2 : 207 ، ويضرب للشماتة . والصريمة (الصرائم) : موضع . وأعفر : ليس بالشديد البياض أو في بياضه حمرة .

6 ديوانه : 68 .

7 الديوان :

وآبائـي بنـو عدس بن زيـد ... وخالي البشر بشر بني هلال

شريح فارس النعمان جـدي ... ونازلهـا إذا دعيـت نـزال

وقاتل خاله . . .

ديوانه : 60 ، 63 .

وقاتِـــلُ خالِـــه بأَبيـــه منّـــا سماعَـــةُ لم يبـــع حسباً بمالِ

وأَخبرني عمِّي قال : حدَّثنا الحزنْبَل عن عمرو بن أَبي عمرو ، عن أَبيه بمثل هذه الحكاية ، وزاد فيها ، قال : فتكافّا واتّقاه الفرزدق أن يُعين عليه جريراً ، واتّقاه مسكين أن يعين عليه عبدَ الرحمن بنَ حسّان بن ثابت . ودخل شيوخ بني عبد الله وبني مُجاشع ، فتكافّا .

وأَخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيُّ قال : حدَّثنا أبو غسانَ دَماذُ عن أبي عبيدة عن أبي عمرو قال : قال الفرزدق : نجوتُ من ثلاثة أشياء لا أخاف بعدها شيئاً : نجوتُ من زياد حين طلبني ، ونجوتُ من ابني رُمَيلة وقد نذرا دمي وما فاتهما أحد طلباه قطُّ ، ونجوتُ من مهاجاة مِسكينٍ الدارميِّ ؛ لأنّه لو هجاني اضطرني أن أهدِم شَطر حسَبي وفخري ، لأنّه مِن بُحبوحَة نسبي وأشراف عشيرتي ، فكان جرير حينئذٍ ينتصف منّي بيدي ولساني .

[أشعر ما قيل في الغيرة]

أَخبرني أَحمدُ بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني محمود بن داودَ عن أَبي عِكرمة عامِرِ بنِ عمران عن مسعودِ بنِ بِشر عن أبي عبيدة أنّه سمعه يقول : أشعرُ ما قيل في الغَيْرة قول مسكين الدارميّ[1] : [من المتقارب]

أَلا أَيُّهـــا الغائـــرُ المستشيـــ ـــطُ فيـــمَ تغـــارُ إذا لم تُغَرْ

فمـــا خيرُ عِـــرْس إذا خفتَها ومـــا خيرُ عِرس إذا لم تُزَرْ[2]

تغـــارُ على الناسِ أَن ينظـــروا وهـــل يَفتِن الصالحاتِ النظَرْ

وإنّـــي سأُخـــلي لهـــا بيتها فتحفـــظُ لي نفسها أَو تـــذَرْ

إذا اللهُ لم يُعطنـــي حُبَّهـــا فلن يُعطيَ الحُبَّ سوطٌ مُمَرّْ[3]

[معاوية يفرض له بعد تردد]

أَخبرني هاشمُ بنُ محمد الخزاعيُّ قال : حدَّثني عبدُ الله بنُ عمرِو بن أَبي سعدٍ قال : حدَّثني عبدُ الله بنُ مالك الخزاعيّ قال : حدَّثني عبدُ الله بنُ بَشير قال : أخبرني أَيّوب بن أبي أَيّوب السعديُّ قال : لما قدِم مسكينٌ الدارميّ على معاوية فسأله أن يَفْرض له فأبى عليه ، وكان لا يفرض إلاّ لليمن ، فخرج مِن عنده مسكين وهو يقول[4] : [من الطويل]

---

1 ديوانه : 40–41 .

2 الديوان : وما خير بيت إذا لم يزر .

3 حُبَّها في الديوان : ودها . وسوط ممر : سوط مفتول فتلاً شديداً .

4 ديوانه : 29 . وقد أصبحت أبيات مسكين الدارميّ هذه أمثالاً (انظر مجمع الميداني 1 : 23 و2 : 404 وفصل المقال : 269 ومستقصى الزمخشري 2 : 392 .

أخاكَ أخاكَ إن مَن لا أخاً له كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاحِ
وإن ابنَ عمِّ المرء فاعلم جَناحه وهل ينهضُ البازي بغيرِ جَناحِ
وما طالبُ الحاجاتِ إلاّ مغرّرٌ وما نالَ شيئاً طالب كنجاحِ

قال السعديّ : فلم يزل معاوية كذلك حتى عَزَّت اليمنُ وكثرت ، وضُعضعتْ عدنانُ ، فبلغ معاويةَ أن رجلاً من أهل اليمن قال يوماً : لهَمَمْتُ ألاّ أدَع بالشام أحداً من مضَرَ ، بل همِمْتُ ألاّ أحُل حبوتي حتى أُخرج كل نِزاريّ بالشام ، فبلغَت معاويةَ ، ففرض من وقته لأربعة آلاف رجل من قيس سوى خِندف ، وقَدِمَ على تفِئة[1] ذلك عُطارد بن حاجب عَلى معاوية ، فقال له : ما فعل الفتى الدارميُّ الصبيحُ الوجهُ الفصيحُ اللسان ؟ يعني مسكيناً ، فقال : صالح يا أمير المؤمنين . فقال : أعلمْه أنّي قد فرضت له في شرَف العطاء وهو في بلاده ؛ فإن شاء أن يقيمَ بها أو عندنا فليفعل ، فإنّ عطاءه سيأتيه ، وبشِّره أنّي قد فرضتُ لأربعة آلاف من قومه من خِندِف ؛ قال : وكان معاوية بعد ذلك يُغزي اليمنَ في البحر ، ويُغزي قيساً في البرّ ، فقال شاعر اليمن : [من الطويل]

ألا أيُّها القومُ الذينَ تجمّعوا بَعَكَّا أناسٌ أنتمُ أم أباعرُ
أتُترك قيسٌ آمنينَ بدارهم ونركبُ ظَهر البحر والبحرُ زاخرُ
فواللهِ ما أدري وإنّي لسائل أهمدانُ يُحمى ضَيْمها أم يُحابرُ
أمِ الشرف الأعلى من آولادِ حِمير بنو مالك إذ تَستمر المرائرُ[2]
أأوصى أبوهم بينهم أن تَواصَلوا وأوصى أبوكم بينكم أن تدابروا

قال ، ويقال : إن النجاشيّ قال هذه الأبيات .

أخبرني بذلك عبد الله بن أحمدَ بنِ الحارثِ العدَويّ عن محمدِ بنِ عائد عن الوليدِ بنِ مسلمٍ عن إسماعيلَ بن عَيّاشٍ وغيرِه ، قالوا : فلمّا بلغَت هذه الأبياتُ معاوية بعث إلى اليمن فاعتذر إليهم ، وقال : ما أغزيتكمُ البحرَ إلا لأنّي أتيمن بكم ، وأنّ في قيس نَكَداً وأخلاقاً لا يحتملها الثغر ، وأنا عارِف بطاعتكم ونُصحكم . فأمّا إذ قد ظننتم غير ذلك فأنا أجمع فيه بينكم وبين قيس فتكونون جميعاً فيه وأجعل الغزو فيه عُقَباً[3] بينكم ، فرضُوا فِعل ذلك فيما بعد .

---

1 تفئة ذلك : على حينه وزمانه .
2 تستمر المرائر : تستحكم العزائم .
3 عقب : جمع عقبة ، وهي النوبة .

[تمثل بشر بن مروان بأبياته]

حدَّثني الحسنُ بن عليّ قال : حدَّثنا أحمدُ بنُ زهير بن حرب قال : حدَّثني مصعبُ بنُ عبد الله قال : وحدَّثنيه زُبيرٌ عن عمِّه قال : كان أصاغر ولَد مروان في حِجر ابنه عبد العزيز بن مروان ، فكتب عبد العزيز إلى بِشر كتاباً ، وهو يومئذٍ عَلى العراق ، فورد عليه وهو ثَمِل ، وكان فيه كلام أحفظه ، فأمَر بِشْر كاتبه فأجاب عبدَ العزيز جواباً قبيحاً ، فلمّا ورَد عليه عَلِم أنّه كتبه وهو سكران ، فجفاه وقطع مكاتبته زماناً . وبلغ بشراً عَتْبه عليه ، فكتب إليه : لولا الهفوة لم أحتجْ إلى العذر ، ولم يكن لك في قبوله منّي الفضل . ولو احتَمل الكِتابُ أكثر مِمّا ضمّنته لزدت فيه ، وبَقِيَّةُ[1] الأكابر عَلى الأصاغر من شيمِ الأكارم . ولقد أحسن مسكينٌ الدارميّ حين يقول : [من الطويل]

أَخاكَ أَخاكَ إنَّ مَن لا أَخاً له ... كساعٍ إلى الهيجا بغيرِ سلاحِ
وإن ابنَ عمِّ المرءِ فاعلمْ جَناحُه ... وهل ينهضُ البازي بغيرِ جناحِ

قال : فلمّا وصل كتابُه إلى عبد العزيز دَمَعت عينه ، وقال : إنّ أَخي كان منتشياً ولولا ذلك لما جرى منه ما جرى ، فسلُوا عمّن شهِد ذلك المجلس ؛ فسئل عنهم ، فأخبر بهم ، فقَبِل عذره ، وأقسم عليه ألاّ يعاشر أحداً من ندمائه الذين حضروا ذلك المجلس ، وأن يعزلَ كاتبه عن كتابته ، ففعل .

[الثلاث التي نجا منها الفرزدق]

أَخبرني محمدُ بنُ الحسين الكِنديُّ خطيبُ القادسيّة قال : حدَّثنا عمر بن شَبَّة عن أَبي عُبيدة عن أَبي عمرو قال : كان الفرزدق يقول : نجوتُ من ثلاث أرجو ألاّ يصيبني بَعدهن شرّ : نجوتُ من زياد حين طلبني وما فاته مطلوب قطّ ، ونجوتُ من ضربة رئاب بن رُمَيلة أبي البَذال فلم تقع في رأْسي ، ونجوتُ من مهاجاة مسكينٍ الدارميّ . ولو هاجيته لحال بيني وبين بيت بني عمّي ، وقطع لساني عن الشعراء .

[يفتخر بسواده ونسبه]

أَخبرني محمدُ بنُ خلف بنِ المَرْزُبان قال : حدَّثنا أَبو العيناء عن الأصمعيّ قال : خطب مسكينٌ الدارميّ فتاةً من قومِه فكرِهَته لسواد لونه وقلّة ماله ، وتزوَّجَتْ بعده رجلاً من قومه ذا يسار ليس له مثلُ نسب مسكين ، فمرَّ بهما مسكين ذات يوم ، وتلك المرأة جالسة مع زوجها ، فقال[2] : [من الرمل]

---

1 بقية : إبقاء .

2 ديوان مسكين : 22–24 .

أنـا مسكينٌ لِمَـن يعرفني ... لَونيَ السُّمـرة أَلوانُ العَربْ
مَـن رأى ظبياً عليـه لؤلؤ ... واضحَ الخديْنِ مقروناً بضبْ
أَكْسَبَتْه الـورِقُ البيضُ أَبـاً ... ولقـد كان ومـا يُدعى لأَبْ
رُبَّ مهـزولٍ سمـينٌ بيتُـه ... وسمـينِ البيتِ مهزُولُ النسبْ
أَصبحتْ تُرزَق مِن شحم الذُّرا ... وتخـال اللـؤم ذُرًّا يُنتَهبْ[1]
لا تَلُمهـا إنّهـا مـن نِسوة ... صَخِباتٍ مِلْحُها فوق الرُّكبْ[2]
كشَموسِ الخيـلِ يبدو شَغْبُها ... كلّما قيـل لهـا هالٌ وَهَبْ[3]

[يأمره يزيد أن يرشحه للخلافة في أبيات وينشدها في مجلس أبيه]

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال : حدَّثني حمّاد بن إسحاق الموصليُّ قال : حدَّثني أَبي عن الهيثم بن عديٍّ عن عبد الله بن عيّاش قال : كان يزيد بن معاوية يُؤْثر مسكيناً الدارميّ ، ويَصِلُه ويقوم بحوائجه عند أبيه . فلمّا أراد معاوية البيعةَ ليزيدَ تهيّب ذلك وخاف ألاّ يمالئه عليه النّاس ، لِحُسن البقيّة فيهم ، وكثرة مَن يُرَشَّحُ للخلافة ، وبلغه في ذلك ذَرْء[4] كلام كرِهَهُ من سعيدِ بن العاص ومروانَ بنِ الحكم وعبدِ الله بن عامر . فأمَر يزيدُ مسكيناً أن يقولَ أبياتاً ويُنشدها معاويةَ في مجلسه إذا كان حافلاً وحضره وجوه بني أُمية ، فلمّا اتّفق ذلك دخل مسكين إليه ، وهو جالس وابنه يزيد عن يمينه وبنو أُميّة حواليه وأشراف النّاس في مجلسه ، فمثل بين يديه وأنشأ يقول[5] : [من الطويل]

إنْ أُدْعَ مسكيناً فإنّي ابنُ معشَر ... مِـن النّاسِ أَحمـي عنهمُ وأَذودُ
إليـكَ أَميرَ المؤمنـين رَحْلتُهـا ... تُثيرُ القطـا ليـلاً وهـنَّ هُجودُ
وهاجرةٍ ظلّـتْ كأَنَّ ظباءَ هـا ... إذا مـا اتَّقَتْهـا بـالقرونِ سجودُ

## صوت

أَلا ليتَ شعري ما يقولُ ابن عامر ... ومروانُ أم مـاذا يقـول سعيدُ ؟

---

1 الذرى : أعلى السنام . وفي الديوان : تتفل من شحم الذرى .
2 المثل : «ملحه على ركبته» في مجمع الميداني 2 : 269 وجمهرة العسكري 2 : 232 . وهو مثل يضرب للذي يغضب من كل شيء ويكون سيّىء الخلق .
3 هال وهب : لفظان لزجر الخيل .
4 ذرء : الشيء .
5 ديوان مسكين : 31–34 .

بَنــي خلفــاءِ اللهِ مهـلاً فإنّما يُبوِّئها الرحمــنُ حيـث يريـدُ
إذا المِنبرُ الغربــيّ خــلاَّه ربُّــه فــإنَّ أَميرَ المؤمنــين يزيـــدُ

الغناء لَمعبَد ثقيلٌ أوّلُ بالبِنصَر ، عن عمرو بن بانة :

على الطائرِ الميمونِ والجَدُّ صاعدُ لِكـلِّ أُنـاسٍ طائــرُ وجُـدودُ
فلا زلتَ أَعلى النّاس كعباً ولا تَزَلْ وفــودٌ تُساميهــا إليـك وفودُ
ولا زالَ بَيت المُلك فوقَك عالياً تُشَيَّد أَطنــاب لــه وعَمـودُ
قُدُور ابنِ حرب كالجوابي وتحتها أَثــافٍ كأَمثــال الرئالِ رُكودُ[1]

فقال له معاوية : ننظر فيما قلت يا مسكين ، ونستخير الله . قال : ولَم يتكلّم أَحد من بني أُميّة في ذلك إلاّ بالإقرار والموافقة ، وذلك الذي أَراده يزيد ليَعلم ما عندهم ، ثم وصله يزيد ووصله معاوية فأجزلا صلته .

[مغن يغيّر شطر بيت]

أَخبرني محمدُ بن خلَفٍ قال : حدَّثنا العَنَزيّ قال : حدَّثنا أَبو معاويةَ بنُ سعيدِ بنِ سالم قال : قال لي عَقيد : غنّيت الرشيد :

إذا المِنبر الغربيّ خــلاَّه ربّه

ثم فطِنْت لخطئي ، ورأَيتُ وجه الرشيد قد تغيّر ، قال : فتداركتها وقلت :

فــإن أَميرَ المحسنــينَ عقيدُ

فطرِب ، وقال : أَحسنتَ واللهِ ، بحياتي قلْ :

فــإنّ أَميرَ المؤمنــين عقيدُ

فوالله لأَنت أَحقّ بها مِن يزيدَ بن معاوية ، فتعاظمتُ ذلك ، فحلف لا أُغنّيه إلاّ كما أَمَر ، ففعلت ، وشرب عليه ثلاثة أَرطال ، ووصلني صلة سنيّة .

[عَلّقتْ امرأته على شعره فضربها]

أَخبرني محمدُ بنُ الحسن بنِ دُريد قال : حدَّثنا عبد الرحمن بن أَخي الأَصمعيّ قال : حدَّثني عمِّي قال : كانت لمسكينٍ الدارميّ امرأةٌ من مِنقر ، وكانت فاركاً[2] كثيرةَ الخصومةِ والمُماظَّةِ[3] ،

1 الجوابي : جمع جابية ، وهي الحوض الذي يجمع فيه الماء للإبل . والرئال : جمع رأل ، وهو ولد النّعام .
2 الفارك : المبغضة زوجها .
3 المماظة : المنازعة والمشادة .

فجازت به يوماً وهو ينشد قوله في نادي قومه[1] . [من الكامل]

إنْ أُدْعَ مسكيناً فما قَصَرَتْ قِدْري بيوتُ الحــيّ والجُدْرُ

فوقفَتْ عليه تَسمع حتى إذا بلغ قوله :

نــاري ونــارُ الجارِ واحــدةٌ وإليــه قَبــلي تُنزَلُ القِــدرُ

فقال له : صدقت والله ، يجلس جارُك فيطبُخ قدره ، فتصطلي بناره ، ثم ينزلها فيجلس يأكل وأنت بحذائه كالكلب ، فإذا شبع أطعمك ، أَجَلْ واللهِ ، إن القدرَ لتَنزلُ إليه قبلكَ ، فأعرض عنها ، ومرَّ في قصيدته حتى بلغَ قوله : [من الكامل]

مــا ضرَّ جــاراً لي أُجاوره ألاّ يكــونَ لبيتــه ستــرُ

فقالت له : أَجل ، إن كان له ستر هتكته ، فوثب إليها يضربها ، وجعل قومه يضحكون منهما . وهذه القصيدة من جيدِ شعره .

## صوت

[من البسيط]

يا فرحتا إذ صَرَفْنا أَوجه الإبلِ نحوَ الأحبّةِ بالإزعاجِ والعجَلِ

نحثُّهنَّ ومــا يؤتَيْنَ من دأَبِ لكنَّ للشوقِ حَثّاً ليس للإبلِ

الشعر لأَبي محمد اليزيديّ[2] ، والغِناء لسليمانَ ، ثقيل أَوّل بالبِنصَر عن عمرو ، والهشاميّ .

---

1 ديوان مسكين : 43−45 .

2 شعر اليزيديين (غياض) : 69 .

# [ 420] ـ أخبار أَبي محمد ونسبه[1]

أَبو محمد يحيى بنُ المبارَك ، أَحَد بني عديٍّ بنِ عبد شمس بنِ زيدِ مناةَ بنِ تميم .

سمِعْتُ أَبا عبد الله محمدَ بنَ العبّاس بنِ محمد بن أَبي محمدٍ اليزيديَّ يذكر ذلك ، ويقول : نحنُ مِن رَهْط ذي الرُّمّةِ .

[تسميته اليزيديّ]

وقيل : إنّهم موالي بني عديّ ، وقيل لأَبي محمدٍ : اليزيديُّ لأَنّه كان فيمن خرج مع إبراهيمَ بنِ عبدِ الله بنِ الحسن بالبصرة ، ثم توارى زماناً حتى استتر أمرُه ، ثم اتّصل بعد ذلك بيزيدَ بنِ منصور خالِ المهديّ ، فوصله بالرشيد ، فلم يزل معه . وأَدَّب المأمونَ خاصةً من ولده ، ولم يزل أبو محمد وأولادهُ منقطعين إليه وإلى ولده ، ولهم فيهم مدائح كثيرة جياد .

[ مكانته ]

وكان أَبو محمد عالِماً باللغة والنحو ، راويةً للشعر ، متصرفاً في علوم العرب . أَخذ عن أَبي عمرِو بنِ العلاء ويونُسَ بنِ حبيب النحويِّ وأكابرِ البصريين ، وقرأ القرآن على أبي عمرو بن العلاء ، وجوّد قراءتَه ورواها عنه ، وهي المعوَّل عليها في هذا الوقت . وكان بَنُوه جميعاً في مثلِ منزلتِه من العِلم والمعرفة باللغة ، وحسن التصرّف في علوم العرب . ولسائرِهم عِلمٌ جيّد .

[أولاده الشعراء]

ونحن نَذكر بعْدَ انقضاء أَخباره أَخبارَ مَن كان له شعر وفيه غناء من ولَده ، إذ كنّا قد شرطنا ذِكْر ما فيه صنعة دون غيره .

فمنهم محمدُ بنُ أَبي محمدٍ ، وإبراهيم بن أَبي محمد ، وإسماعيل بنُ أَبي محمد . كلُّ هؤلاء

---

1 ترجمة أَبي محمد اليزيديّ في طبقات ابن المعتزّ : 273–275 والورقة لابن الجرّاح : 27 ومراتب النحويين : 108 وطبقات الزبيدي : 61 وتاريخ بغداد 14 : 146 وتاريخ أَبي المحاسن : 113 والمعارف : 544–597 وأخبار النحويين البصريين : 40 وتهذيب الأزهريّ 1 : 17 ومعجم المرزباني : 487 ومعجم الأدباء (عباس) : 2827–2828 ونور القبس : 80–87 والفهرست : 56 وإنباه الرواة 4 : 25–35 ونزهة الألباء : 53 وابن خلكان 6 : 183–191 وعبر الذهبي 1 : 38 وسير الذهبي 9 : 562 ومرآة الجنان 2 : 3 وطبقات ابن الجزري 2 : 375 والنجوم الزاهرة 2 : 173 وبغية الوعاة 2 : 340 والشذرات 2 : 4 والبلغة : 284 وخزانة البغدادي 11 : 73–76 وشرح الحماسة للمرزوقي : 1549 وغاية النهاية 2 : 375 . وقد جمع د . محسن غياض شعر أبي محمد اليزيديّ وأولاده وأحفاده تحت عنوان «شعر اليزيديين» (بغداد ـ 1972) .

ولَده لصلبه ، ولكلِّهم شعر جيّد .

ومن وَلد ولَدِه أحمدُ بنُ محمدِ بنِ أبي محمد ، وهو أكبرُهم ، وكان شاعراً راوية عالِماً .

ومنهم عُبَيد الله والفضلُ ابنا محمد بن محمدٍ ، وقد رويا عن أكابر أهل اللغة ، وحُمِل عنهما علم كثير . وآخِر مَن كان بقي من علماء أهل هذا البيتِ أبو عبدُ الله محمدُ بنُ العبّاس بنِ محمدِ بنِ أبي محمد ، وكان فاضلاً عالماً ثقة فيما يرويه ، منقطع القرين في الصدق وشدّة التوقّي فيما ينقله .

وقد حَمَلْنا نحن عنه وكثيرٌ من طلبة العِلم ورواته عِلْماً كثيراً ، فسمعْنا منه سَماعاً جمّاً . فأمّا ما أذكر هاهنا من أخبارهم فإنّي أخذْته عن أبي عبد الله عن عمّيه عُبيد الله والفضل ، وأضفْت إليه أشياء أُخر يسيرة أخذتها عن غيره ، فذكرْتُ ذلك في مواضعه ، ورويته عن أهله .

[المأمون يُبينُ رأسي أسيرين]

أخبرني محمدُ بنُ العبّاس اليزيديُّ قال : حدَّثني عمّي عُبَيد الله عن عمِّه إسماعيل بنِ أبي محمد قال : حدثني أبي قال : كان الرشيد جالساً في مجلسه فأُتيَ بأسير من الرّوم ، فقال لِدُفافةَ العبسيّ : قم فاضرب عنقه ، فضربه فنبا سيفه . فقال لابن فليح المدنيّ : قم فاضرب عنقه ، فضربه فنبا سيفه أيضاً . فقال : أصلح اللهُ أميرَ المؤمنين ! تقدمَتْني ضربة عبسيّة . فقال الرشيد للمأمون ، وهو يومئذٍ غلام : قم ، فداك أبوك ، فاضرب عنقه ، فقام فضرب العِلْج ، فأبان رأسه ، ثم دعا بآخر فأمره بضرب عنقه ، فضربه فأبان رأسه ، ونظر إليّ المأمونُ نظر مستنطِق ، فقلت[1] : [من البسيط]

| | |
|---|---|
| أبقى دُفافةُ عاراً بعدَ ضربته | عند الإمامِ لِعَبس آخر الأبدِ |
| كذاك أُسرتُه تنبو سيوفهمُ | كسيف ورقاء لم يقطع ولم يَكَدِ[2] |
| ما بال سيفِكَ قد خانتك ضربتُه | وقد ضربتَ بسيف غيرِ ذي أَودِ |
| هلا كضَرْبَةِ عبدِ الله إذ وقعَت | ففرَّقَت بين رأس العلج والجسدِ |

[الأحوزي يفضله على الكسائي]

قال إسماعيل بن أبي محمد في أخباره : كان حَمّويه ابنُ أُخت الحسن الحاجب وسعيدٌ الجوهريُّ واقفين ، فذكرا أبا محمد ، يعني أباه والكسائيّ ، ففضّل حَمّويه الكسائيّ على أبي محمد ، وفضل سعيد الجوهريّ أبا محمد على الكسائيّ .

وطال الكلام بينهما إلى أن تراضيا برَجل يحكم بينهما ، فتراهنا على أنّ مَن غَلب أخذ برْذَون صاحبه ، فجعلا الحَكَم بينهما أبا صفوان الأحوزيّ ، فلمّا دخل سألاه فقال لهما : لو ناصح

1 شعر اليزيديين : 47 عن الأغاني .

2 هو ورقاء بن زهير العبسي ، وقد نبا سيفه عن خالد بن جعفر بن كلاب قاتل أبيه .

الكسائيُّ نفسه لصار إلى أبي محمد وتعلم منه كلام العرب ، فما رأيتُ أحداً أعلَم منه به ، فأخذ الجوهريّ دابّة حَمّويه . وبلغ أبا محمد اليزيديّ هذا الخبر فقال[1] : [من السريع]

يـا حَمّويـه اسمع ثَناً صادقاً فيك ومـا الصادق كالكاذبِ
يـا جالـبَ الخزي على نفسِه بُعْداً وسُحقاً لـكَ من جالبِ
إنْ فخَـر النّـاسُ بآبائهـم أتيتَهـم بالعجـبِ العاجبِ
قلـت وأدْغمتَ أبـاً خامـلاً أنا ابنُ أختِ الحسن الحاجبِ

[يهجو سلم الخاسر]

قال إسماعيل : وحدَّثني أبي قال : كنتُ ذاتَ يوم جالساً أكتبُ كتاباً ، فنظر فيه سلمٌ الخاسر طويلاً ، ثم قال[2] : [من الخفيف]

أيْر يحيى أخط من كفّ يحيى إنَّ يحيـى بأيـرِه لخَطُوطُ

فقال أبو محمد يحيى : [من الخفيف]

أُمُّ سَلْم بـذاك أعلـمُ شيءٍ إنّهـا تحـت أيـرِه لضَروطُ[3]
ولهـا تـارةً إذا مـا علاهـا أزْمَلٌ مِـن وداقِهـا وأطِيطُ[4]
أُمُّ سَلْم تُعلِّـم الشّعرَ سلمـاً حبّذا شِعـر أمـكَ المنقوطُ
ليتَ شعري ما بالُ سَلْم بنِ عمرو كاسفَ البالِ حين يُذكَر لوطُ
لا يصلّـي عليـه فيمن يصلّي بـل لـه عنـدَ ذكره تَثْبيطُ

فقال له سلم : ويحك ما لك خُبثت ؟ أي شيء دَعاك إلى هذا كلّه ؟ فقال أبو محمد : بدأتَ فانتصرْتُ ، والبادي أظلم[5] .

[يجيب سلم الخاسر إلى طلبه الهجاء]

قال أبو عبد الله محمدُ بنُ العبّاس اليزيديّ حدَّثني عُبَيد الله وعمِّي أبو القاسم عن أبي عليٍّ إسماعيل قال : قال لي أبي : قال سلمٌ الخاسر يوماً : يا أبا محمد ، قل أبياتاً على قول امرىء القيس :

رُبّ رامٍ من بني ثُعَلٍ

1 شعر اليزيديين : 34 .
2 لم يرد البيتان في مجموع شعره .
3 شعر اليزيديين : 59 .
4 أزمل : صوت . ووداق : شبق . وأطيط : أنين .
5 المثل «البادي أظلم» في الدرة الفاخرة 2 : 454 وجمهرة العسكري 1 : 230 ومجمع الميداني 2 : 401 ومستقصى الزمخشري 2 : 388 .

ولا أُبالي أن تهجوني فيها ، فقلت[1] :

رُبَّ مغمومٍ بعافيـةٍ غَمَط النّعماء مـن أَشَرِهْ
مُـوردٌ أمـراً يُسَرّ بـه فـرأى المكروه في صدَرِهْ
وامرىءٍ طالـتْ سلامَتَهُ فرماه الدَّهرُ مـن غِيَرِهْ
بِسِهـام غيرِ مُشوِيـة نقضَتْ منـه عُرا مِرَرِهْ[2]
وكذاك الدّهـرُ مختلِف بالفتـى حالَين من عُصُرِهْ
يخلِـط العُسْرى بمَيسَرة ويَسارُ المـرءِ في عُسُرِهْ
عـقّ سَلم أُمَّـه سفهاً وأبـا سلـم على كِبَرِهْ
كلَّ يـوم خلفَـه رجـل رامحٌ يسعـى علـى أُثَرِهْ
يُولِـج الغُرْمـولُ سبّتهُ كَوُلُوجِ الضّبِّ في جُحُرِهْ

فانصرف سلمٌ وهو يشتِمُه ويقول : ما يَحلّ لأحد أن يكلّمكَ .

[ينظم على قافية هائين]

قال : وقال لي يوماً أبو حنش الشاعر : يا أبا محمد ، قُل أبياتاً قافيتها على هائيْن ، فقلتُ له : على أن أهجوك فيها ، فقال نعم ، فقلت[3] : [من المنسرح]

قلتُ ونفسي جَـمٌّ تأوُّهـا تصبـو إلى إلفهـا وأُندَهُها[4]
سقيـا لصنعاء لا أُرى بلـداً أُوطَنَـه المُوطنـون يشبهُهـا
خِصْبـاً وحُسناً ولا كبهجتها أَعذى بـلادٍ عـذاً وأنزهُها[5]
يعـرفُ صنعاء مَـن أَقامَ بها أَرغَـدُ أَرض عيشاً وأرفهُها
أَبلغْ حضيراً عنّـي أبـا حَنَش عائـرةً نحـوَه أوجّهُها
تأتيـه مثـلَ السهام عامدة عليـه مشهـورةً أُدَهْدِهُها[6]

1 شعر اليزيديين : 57–58 .
2 غير مشوية : لا تخطىء وتصيب المقتل .
3 شعر اليزيديين : 88–89 .
4 أندهها : أزجرها .
5 أعذى : أطيب هواء .
6 دهده الحجر : دحرجه . والمعنى هنا : أرسلها .

كُنَيتُه طرحُ نون كنيتِه إذا تهجيتَها ستفقهُها

يريد إسقاط النّون من أبي حنش حتى يكون أبا حشٌ .

[شعر في مضيفه]

قال أبو عبد الله : وحدَّثني عمِّي قال : حدَّثني الطَّلْحيّ ، وكان له عِلمٌ وأدبٌ ، قال : اجتمعت مع أبي محمدٍ عند يونسَ بنِ الربيع ، وكان قد عادنا فأقمنا عنده ، فاتفق مجلسي إلى جنب مجلس أبي محمد ؛ فقام يونُس لحاجته ، وكان جميلاً وسيماً ، فالتفتَ إليّ اليزيديُّ فقال[1] : [من الخفيف]

وفتـى كالقناةِ في الطّرْفِ منه إن تأمّلتَ طرفَه استرخاءُ

فـإذا الرامحُ المُشيحُ تلاه وضَع الرمحَ منه حيثُ يشاءُ

[يهجو شخصاً يسأله بتعنّت]

قال : وحدَّثني عمِّي عن عمِّه إسماعيل عن أبي محمد قال : كان قُتيبة الخُراسانيّ صاحبُ عيسى بن عمرَ يأتيني فيسألني عن مسائل كالمتعنِّت ، فإذا أجبته عنها انصرف منكسراً ، وكان أفطس ، فقلت له يوماً[2] : [من المنسرح]

أمُخْبِري أنـت يـا قتيبةُ عن أنفِك أم أنـت كاتِمٌ خبرَهْ ؟

بأيِّ جُـرم وأيِّ ذنبٍ ترى سوَّت بخدَّيك أنفَك البَقَرَهْ

فصيَّرتْـهُ كفَيْشة نبتَـت في وجهِ قِرد مفضوضة الكمَرَهْ

قد كان في ذاك شاغِل لكَ عن تفتيشِ بابِ العرفانِ والنكرَهْ

وقلت فيه أيضاً[3] : [من الوافر]

إذا عافـى مَليكُ الناسِ عبداً فـلا عافـاكَ ربُّـك يا قُتَيْبَهْ

طلبتَ النحوَ مذ أن كنتَ طفلاً إلى أن جلّلتك قبُحْـتَ شيبَهْ

فمـا تـزدادُ إلاّ النقصَ فيـه وأنتَ لدى الإيابِ بِشَرِّ أوبَهْ

وكنتَ كغائبٍ قد غابَ حيناً فطـالَ مُقامُـه وأتـى بخيبَهْ

[يلقن قتيبة غريباً فاحشاً]

قال أبـو محمـد : كان عيسى بنُ عمر أعلـمَ النّاس بالغريب ، فأتاني قُتَيبةُ الخُراسانيّ

---

1 شعر اليزيديين : 29 .

2 شعر اليزيديين : 56 عن الأغاني .

3 شعر اليزيديين : 40 .

هذا ، فقال لي : أَفِدْني شيئاً من الغريب أُعايي به عيسى بنَ عُمر ، فقلت له : أُجوَدُ المساويك عند العرب الأراك ، وأجود الأراك عندهم ما كان مُتْمئرّاً ، عُجارماً[1] جيّداً ، وقد قال الشاعر : [من الطويل]

إذا استكْتَ يوماً بالأَراكِ فلا يَكن سواكَـكَ إلاّ المتمئـرَّ العُجارِما

يعني الأير . قال : فكتب قتيبة ما قلت له ، وكتب البيت ، ثم أَتى عيسى بنَ عمرَ في مجلسه ، فقال : يا أبا عُمرَ ، ما أجودُ المساويك عند العرب ؟ فقال : الأراك ، يرحمك اللهُ . فقال له قتيبة : أفلا أهدي إليك منه شيئاً متمئرّاً عُجارماً ؟ فقال : أهدِه إلى نفسك ، وغضب ، وضحك كلُّ مَن كان في مجلسه ، وبقي قتيبة متحيّراً . فعلِم عيسى أنّه قد وقع عليه بلاءٌ ، فقال له : ويلك ! مَنْ فضَحَك وسخِرَ منكَ بهذه المسألة ؟ ومَن أهلكك ودمَّر عليك ؟ قال : أبو محمد اليزيديّ . فضحك عيسى حتى فحص برِجله ، وقال : هذه واللهِ من مَزَحاته وبلاياه . أراه عنك منحرفاً ، فقد فضحك . فقال قتيبةُ : لا أعاودُ مسألتَه عن شيءٍ .

[الخليل يصفيه الود]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني عُبَيدُ اللهِ بنُ محمدٍ اليزيديّ قال : حدَّثني أَخي أَبو جعفر قال : سمعتُ جدِّي أبا محمد يقول : صِرْت يوماً إلى الخليل بن أحمد ، والمجلس غاصٌّ بأهلِهِ ، فقال لي : هاهنا عندي ، فقلت : أضيِّق عليك ، فقال : إنّ الدُّنيا بحذافيرها تضيقُ عن متباغضَين ، وإنّ شِبراً في شِبرٍ لا يضيقُ عن متحابَّينَ . قال : وكان الخليل لأبي محمد صافيَ الوُدّ .

[رأي عالمين أحدهما في الآخر]

حدَّثنا اليزيديّ قال : حدَّثني عمِّي عبيدُ الله قال : حدَّثني أخي أحمدُ قال : سمعتُ جدِّي أَبا محمد يقول : كنتُ ألقى الخليل بنَ أحمدَ ، فيقولُ لي : أُحبّ أنْ يُجمع بيني وبين عبدِ الله بنِ المُقفَّع ، وألقى ابنَ المُقفَّع فيقول : أُحبّ أنْ يُجمعَ بيني وبين الخليلِ بنِ أحمدَ . فجمعْتُ بينهما ، فمرَّ لنا أحسنُ مجلِس وأكثرُه علماً ، ثم افترقنا ، فلقيتُ الخليل فقلتُ له : يا أبا عبد الرحمن ، كيف رأيت صاحبك ؟ قال : ما شئتُ من عِلم وأدب ، إلاّ أنّي رأيت كلامَه أكثرَ من عِلمه ، ثم لقيتُ ابنِ المُقفَّع فقلت : كيف رأيتَ صاحبَك ؟ فقال : ما شئتُ من عِلم وأدب ، إلاّ أنّ عقلَه أكثرُ من علمه .

[بينه وبين الكسائيّ]

حدَّثنا اليزيديّ قال حدَّثني عمِّي عُبَيد الله قال : حدَّثني أَخي أَحمدُ بنُ محمدٍ قال : حدَّثني أبي محمدُ بنُ أبي محمدٍ قال : قال لي أبو محمد : كنّا مع المهديّ بِبَلد في شهر رمضان قبل أن

1 متمئر : الذكر الصلب . والعجارم : الرجل الشديد ويكنى به عن الذكر .

يُستخْلَف بأربعة أَشهر ، وكان الكسائيّ معنا ، فذكر المهديّ العربيّة وعنده شَيْبةُ بن الوليدِ العبسيُّ عمُّ دُفافة . فقال المهديّ : نَبعث إلى اليزيديِّ والكِسائيِّ ، وأنا يومئذٍ مع يزيدَ بنِ المنصور خالِ المهديّ ، والكسائيّ مع الحسن الحاجب . فجاءَنا الرسولُ ، فجئتُ أنا ، فإذا الكسائيُّ على الباب قد سبقني . فقال : يا أبا محمد ، أعوذُ باللهِ من شَرّكَ ، فقلت : واللهِ لا تُؤتى من قِبَلي حتى أوتى من قِبلك .

فلمّا دخلنا عليه أقبل عليّ ، وقال : كيف نسبوا إلى البَحْرَين فقالوا : بَحْرانيٌّ ، ونسبوا إلى الحِصنَين[1] فقالوا : حِصنيّ ولم يقولوا حِصنانيّ كما قالوا بَحرانيّ ؟ فقلت : أصلح اللهُ الأميرَ ! لو أنّهم نسبوا إلى البحرين فقالوا : بحريّ لم يعرف أَإلى البحرَين نسبوا أم إلى البحر ؟ فلمّا جاءوا إلى الحصنين لم يكن موضع آخر يقال له : الحصن يُنسَب إليه غيرُهما[2] فقالوا : حصني .

قال أَبو محمد ، سمِعْتُ الكسائيّ يقول لعمرَ بن بَزيع ، وكان حاضراً ، لو سألني الأَمير لأخبرْته فيها بعِلّة هي أحسن من هذه . قال أبو محمد : قلت : أصلح اللهُ الأميرَ ، إنّ هذا يزعم أنّك لو سألتَه لأجاب بأحسنَ مِمّا أجبْتُ به . قال : فقد سألْته . فقال الكسائيّ : لمّا نسبوا إلى الحصنَين كانت فيه نونان ، فقالوا : حصني اجتزاء بإحدى النونين عن الأخرى ، ولم يكن في البحرَين إلاّ نون واحدة ، فقالوا : بَحرانيّ . فقلْتُ : أصلح اللهُ الأميرَ ! فكيف تَنسب رجلاً من بني جنّان ؟ فإنّه يلزمه على قياسه أن يقول : جنّي . إنّ في جنّان نونين ، فإن قال ذلك فقد سوّي بينه وبين المنسوب إلى الجنِّ .

قال : فقال لي المهديّ وله : تناظرا في غير هذا حتى نسمع . فتناظرْنا في مسائل حفظ فيها قولي وقوله إلى أن قلت له : كيف تقول : إنّ من خير القوم أو خيرَهم نِيّةً زيد ؟ قال : فأطال الفكرَ لا يجيب . فقلتُ : لأن تجيبَ فتخطىء فتتعلّم أحسن من هذه الإطالة . فقال : إنّ من خير القوم أو خيرُهم نِيّةً زيداً . قال : فقلت : أصلح اللهُ الأمير ، ما رَضي أن يلحن حتى لحن وأحال . قال : وكيف ؟ قلتُ : لرفعه قبل أَن يأتيَ باسم إنَّ ، ونصبه بعد رفعه .

فقال شَيْبةُ بن الوليد : أَراد بأَوْ ــ بَلْ ، فرفع هذا معنى . فقال الكسائيّ : ما أَردْتُ غير ذلك . فقلت : فقد أخطآ جميعاً أيّها الأَمير . لو أَراد بأَوْ ــ بَلْ رفع زيداً ؛ لأنّه لا يكون بل خيرُهم زيداً . فقال المهديّ : يا كسائيّ ، لقد دخلْتَ عليّ مع مَسْلَمة النحويّ وغيره ، فما رأَيتُ كما أصابك اليوم . قال : ثُمَّ قال : هذان عالمان ، ولا يقضي بينهما إلاّ أعرابيٌّ فصيحٌ يُلقى عليه المسائلُ التي اختلفا فيها فيجيب . قال : فبعث إلى فصيح من فصحاء الأعراب .

---

1 الحصنين : موضع وقلعة بنواحي الطائف .

2 هناك مواضع كثيرة تسمى بهذا الاسم (ياقوت) .

قال أبو محمد : وأطرقت إلى أن يأتي الأعرابيّ ، وكان المهديّ محبّاً لأخواله ، ومنصورُ بنُ يزيدَ بنِ منصورٍ حاضر ، فقلت : أصلح اللهُ الأمير ! كيف ينشد هذا البيت الذي جاء في هذه الأبيات[1] : [من المنسرح]

يا أيّها السائلي لأُخبِره عمَّن بصنعاءَ من ذوي الحسبِ
حِمْيرُ ساداتُها تقُرّ لها بالفضل طرّاً جحاجح العربِ
وإنَّ مِن خيرِهم وأكرمِهمْ أو خيرَهم نيّةً أبو كربِ

قال : فقال لي المهديّ : كيف تنشده أنتَ ؟ فقلت : أو خيرَهم نيّةً أبو كرب على إعادة إنّ ، كأنّه قال : أو إنَّ خيرَهم نيّةً أبو كَرَب . فقال الكسائيّ : هو واللهِ قالها الساعةَ . قال ، فتبسّم المهديّ ، وقال : إنّك لتشهد له وما تدري . قال : ثم طلع الأعرابيّ الذي بعث إليه فأُلقيَتْ عليه المسائل ، فأجاب فيها كلِّها بقولي . فاستفزّني السرور حتى ضربْتُ بِقُلَنسيَتي الأرض ، وقلت : أنا أبو محمد . فقال لي شيبة : أتَتَكَنّى باسم الأمير ؟ فقال المهديّ : والله ما أراد بذلك مكروهاً ، ولكنّه فعل ما فعل للظَّفر ، وقد ، لَعَمري ، ظفر . فقلت : إنّ اللهَ ، عزَّ وجلَّ ، أنطقك أيّها الأمير بما أنت أهلُه ، وأنطق غيرك بما هو أهله .

[هجاء شيبة بن الوليد]

قال : فلمّا خرجنا قال لي شيبة : أتخطّئني بين يدَي الأمير ؟ أما لتعلَمنّ ! قلت : قد سمعْتُ ما قلت ، وأرجو أن تجد غبّها ، ثم لم أُصبح حتى كتبْتُ رِقاعاً عدّة ، فلم أدع ديواناً إلاّ دسستُ إليه رُقعة فيها أبيات قلتُها فيه ، فأصبح النّاس يتناشدونها ، وهي[2] : [من الخفيف]

عِش بِجَدٍّ ولا يضرُّك نَوك إنّما عَيش من تَرى بالجُدودِ
عِش بِجَدّ وكن هَبنّقة القيـ ـسيّ نَوكا أو شيبَة بنَ الوليدِ[3]
شيب يا شيب يا جُدَيّ بني القعْـ ـقاع ما أنت بالحليمِ الرشيدِ
لا ولا فيك خَلّةٌ من خلال الـ ـخيرِ أحرزْتها لحزم وجودِ
غيرَ ما أنّك المجيد لتقطيـ ـع غناءٍ وضربِ دُفّ وعودِ
فعلَى ذا وذاك يحتمِلُ الدّهـ ـر مجيداً له وغيرَ مجيدِ

---

1 شعر اليزيديين : 35 .

2 شعر اليزيديين : 45–46 .

3 انظر المثل : «أحمق من هبنقة» في الدرة الفاخرة 1 : 135 ومجمع الميداني 1 : 217 وجمهرة العسكري 1 : 342 .

[هجاء خلف الأحمر]

قال : وقال أبو محمد اليزيديّ يهجو خَلفاً الأحمر أستاذ الكسائيّ ، أنشدنيه عمّي الفضل[1] : [من الخفيف]

زعم الأحمرُ المَقيت عـليٌّ والذي أمّه تُقِــرّ بمقتِهْ
أنّه علّـــم الكسائيّ نحواً فلئن كان ذا كذاك فباستِهْ

[الغسانيّ لا يعينه فيستعين بجعفر]

وبهذا الإسناد عن أبي محمد قال : أمر لي الرشيد بمال وحضر شخوصَه إلى السِّنّ[2] ، فأتيت عاصماً الغسانيَّ ، وكان أثيراً عند يحيى بنِ خالد ، فقلت له : إنّ أمير المؤمنين قد أمر لي بمال ، وقد حضر من شخوصه ما قد علمت ، فأحبُّ أن تذكّر أبا عليّ يحيى بن خالد أمرَه ليعجّله إليّ . فقال : نعم ، ثم عدْتُ بعد ذلك بيومين ، فقال لي يتفخّم في لفظه : ما أصبتَ بحاجتك موضعاً . قال : قلت : فاجعلها منك ، أكرمكَ اللهُ ، ببال .

فلمّا خرجْتُ لحقني بعض مَن كان في المجلس ، فقال لي : يا أبا محمد ، إنّي لأربأ بك أن تأتيَ هذا الكلبَ أو تسأله حاجة . قلت : وكيف ؟ قال : سمعته يقول ، وقد ولّيْتَ ، لو أنّ بيدي دجلةَ والفراتَ ما سقَيْتُ هذا منهما شَربة ، فقيل له : ولِم ذاكَ ، أصلحك اللهُ ، فإن له قَدراً وعِلماً ؟ قال : لأنّه من مُضَرَ ، ما رأيت مُضرياً قطّ يحبّ اليمانيّة .

قال : فأحببْت ألاّ أعجَل ، فعُدت إليه من غد فقلت : هل كان منك ، أكرمك اللهُ ، في الحاجة شيء ؟ فقال : واللهِ لكأنّك تطلبنا بدَين . فتحقّق عندي ما بلغني عنه ، فقلت له : لا قضى اللهُ هذه الحاجةَ على يدك ، ولا قضى لي حاجة أبداً إن سألتكها ، والله لا سلّمت عليك مبتدئاً أبداً ، ولا ردَدتُ عليك السلام إن بدأتَني به . ونفَضْت ثوبي وخرجْت .

فإنّي لأسير وأُفكّر في الحيلة لحاجتي إذا براكب يَرْكُض حتى لحقني ، فقال : بعثني إليك أبو عليّ يحيى بن خالد لِتقف حتى يلحقك ، فرجعْت مع رسوله إليه فلقيته ، وكان قريباً ، فسلّمْتُ عليه ثم سايرته ، فقال لي : إنّ أمير المؤمنين أمرني أن آمرك بطلب مؤدّب لابنه صالح ، فإنّي أُحدِّثك حديثاً حدّثني به أبي خالدُ بنُ بَرْمكَ : أنّ الحجّاج بنَ يوسف أراد مؤدّباً لولده ، فقيل له : هاهنا رجل نصرانيّ عالِم ، وهاهنا مسلم ليس علمه كعِلم النصرانيّ ، قال : ادعوا لي المسلم .

---

1 شعر اليزيديين : 41 . وقد ذهب جامع الشعر إلى أن البيتين في علي بن المبارك (علي بن الحسن الأحمر) . غير أنّ عليّاً هذا كان تلميذ الكسائيّ لا أستاذه (بغية الوعاة 2 : 158–159) ، وسيرِد أنّه كانت ثمة مهاجاة بين أبي محمد اليزيديّ وخلف الأحمر . ورواية صدر البيت الأول في معجم الأدباء (2487) : زعم الأحمر المقيت لدينا . . .

2 السن : مدينة على دجلة فوق تكريت .

فلمّا أتاه قال : ألا ترى يا هذا أنّا قد دللنا على نصرانيّ قد ذكروا أنّه أعلَم منك ، غير أنّي كرهْتُ أن أضمّ إلى ولدي مَن لا ينبّههم للصلاة عند وقتها ، ولا يدلُّهم على شرائع الإسلام ومعالمه ؟ وأنت ، إن كان لك عقل ، قادر على أن تتعلّم في اليوم ما يُعلمه أولادي في جمعة ، وفي الجمعة ما يعلّمهم في الشهر ، وفي الشهر ما يعلّمهم في سنة . ثم قال لي يحيى : فينبغي يا أبا محمد أن نُؤثر الدِّين على ما سواه . فقلت له : قد أصبتُ مَن أرضاه ، وذكرت له الحسن بن المسوّر ، فضمّه إليه ، ثم سألني : من أين أقبلت ؟ فأخبرتُه بخبر عاصم وما كان منه ، فقلت له : قد حضر هذا المَسير ، ولست أدري من أي وجه أتقاضاه ؟ فضحك وقال : ولِم لا تدري ؟ الق صديقك جعفراً ، يعني ابنه ، حتى يكلّم أميرَ المؤمنين أو يذكرَني حاجتك ، فقد تركته على المضي الساعة ، فانثنيت إلى جعفر وقلت فيه في طريقي[1] : [من الكامل]

يا سائلي عمّا أُخبِّرُهُ عن جعفر كرماً وعن شيمِهْ
إن ابن يحيى جعفراً رجل سِيطَ السماحُ بلحمه ودمِهْ[2]
فعليه «لا» أبداً محرمةٌ وكلامه وقف على نَعَمِهْ
وترى مُسابقَه ليدركه بمكان حَذْو النّعل من قدمِهْ

فلمّا دخلت إليه أخبرته الخبر ، وأنشدته الأبيات ، وأعلمته ما أمرني به أبوه ، فقال لي : قُل بيتين تذكُره فيهما إلى أن أجدّد طُهراً واكتبهما حتى يكونا معي ، فأذكرَ بهما حاجتك ، فقلت : نعم يا سيِّدي ، وأخذت الدواة وكتبتُ[3] : [من السريع]

أحقُّ مَن أنجز موعودَه خليفةُ اللهِ على خلقِهِ
ومَن له إرث نبيّ الهُدى بالحقّ لا يُدفَع عن حقِّهِ
يُنسب في الهَدْي إلى هَديِهِ برّاً وفي الصدقِ إلى صدقِهِ
ومَن له الطاعَة مفروضة لائحة بالوحي في رَقِّهِ
والراتقُ الفتقِ العظيم الذي لا يقدرُ النّاسُ على رتْقِهِ

قال : فأخذ الشعر ، ومضى إلى الرشيد في حاجتي وأقرأه إيّاه ، فَصَكَّ إليَّ بالمالِ عليه ، وقبضته بعد ذلك بيوم ، وأنشأت أقول في الغسّانيّ[4] : [من الطويل]

1 شعر اليزيديين : 85 عن الأغاني .
2 سيط : خلط .
3 شعر اليزيديين : 62 عن الأغاني .
4 شعر اليزيديين : 78–79 عن الأغاني .

ألا طَرَقَتْ أسماء أم أنتَ حالِم فأهلاً بطيف زارَ والليل عاتِمُ
إذا قيل أيُّ النّاسِ أعظمُ جفوةً وألأمُ قيل الجرمقانيُّ عاصِمُ[1]
دَعيّ أجاءته إلى اللؤمِ دعوةٌ ومغرِس سَوء لؤمه متقادمُ
شَهيدي على أن ليس حرّاً صَليبةً صفيحةُ وجه ابنِ استِها واللهازِمُ
صفيحةُ دَقّاق أبوه شبيهه وجدّاه سَمّاكٌ لئيمٌ وحاجِمُ
أعاصمُ خلٌّ المكرماتِ لأهلِها وأغْضِ عَلى لؤمٍ ووجهُك سالِمُ
فكيف تنال الدّهر مجداً وسؤدَداً وفي كلّ يوم كوكبٌ لك ناجمُ
وأصلك مدخول وفِسقك ظاهر وعَجْبك مهموز وعَرْدك عارِمُ
تُصانعُ غساناً لِتُلحَقَ فيهمُ ورُبّ دَعيّ ألحقته الدراهمُ
فإنْ رابَ رَيبٌ أو أصابَتْكَ شدّةٌ رجعتَ إلى شَلْثى وأنفك راغِمُ

قال : وكان اسم أبيه شاثى ، فصيّره صلْتاً[2] .

إذا عاصماً يوماً أتيتَ لحاجةٍ فلا تلقَه إلاّ وأيرك قائمُ
وعرِّض له من قبلِ ذاكَ بأمرَدٍ وضيءٍ وسيمٍ أثقلَتْه المآكِمُ[3]
وإلاّ فلا تسأله ما عِشت حاجة ولا تبكه إن أعولَتْه المآتمُ

[يعين الغسانيّ على استرداد ضيعته]

قال : فلمّا حدَث ببَني بَرْمك ما حدث قُبضَت ضيعتُه في المقبوض من ضِياع أسبابهم ، فصار إليّ وكلّمني في أمرها ، وسألني كلامَ الجوهريّ في ذلكَ ، فقمت له حتى رُدّت الضيعة عليه ، فجاءني يشكرني ، ويعتذر مِمّا جرى مِن فِعله المتقدّم ، فقلت له : تَناسَ ما مضى ، فلستُ مِمّن يكافىء على سوءٍ أحداً .

[هجاء أبي عبيدة]

قال أبو محمد : كان أبو عبيدةَ يجلس في مسجد البصرة إلى سارية ، وكُنت أنا وخَلَفٌ الأحمر نجلس جميعاً إلى أخرى ، وكان أبو عبيدة من أعْضِه[4] النّاس لِلنّاس وأذكرِهم لَمثالبهم . فقال لأصحابه : أترون الأحمر واليزيديّ إنّما يجتمعان عَلى الوقيعة لِلناس وذِكر

---

1 الجرمقاني : واحد الجرامقة ، قوم من العجم استقرّوا بالموصل .

2 الصلت : اللص .

3 المآكم : جمع مأكمة ، كنى بها عن الردف .

4 أعضه : كثير الأفك والبهتان .

مساويهم ؟ وبلغني ذلك وأنّه قد رمانا بمذهبه ، فقلت لِخَلفٍ : دَعه ، فأنا أكفيكه . فلمّا كان من الأذان جئت أنا وخَلفٌ إلى المسجد ، فكتبتُ عَلى الجصّ في الموضع الذي كان يجلسُ فيه أبو عبيدة : [من البسيط]

صلّى الإلهُ على لوط وشيعتِه أبا عبيدةَ قلْ باللهِ آمينا

قال : وأَصبح النّاس ، وَجاءَ أبو عبيدة ، فجلس وهو لا يعلم ما فوق رأسه مكتوباً . وأقبل النّاس ينظرون إلى البيت ويضحكون ، ورفَع أبو عبيدة رأسه ونظر إليه ، فخجل ، ولم يَزل منكّساً رأسه حتى انصرف النّاس وأنا وخَلَفٌ ناحيةً ننظر إلى ما به ؛ ثم قمنا حتى وقفنا عليه ، فقلنا له : ما قال صاحب هذا البيت إلاّ حقّاً ، نعم فصَلّى الله على لوط ، فأقبل عَلَيَّ وقال : قد علمتُ مِن أين أُتيت ، ولن أُعاود التعرّض لتلك الجهة ، ولم يعد لذكرنا بعد ذلك .

[عقاب يزيد بن منصور]

وقال أبو محمد : اعْتَللْتُ عِلّة من حمى رِبْع[1] طالت عَلَيَّ أشهراً ، فجفاني يزيد بن منصور ، ولم يمرّ بي في عِلّتي ، ولم يتفقّدني كما ينبغي ؛ فكتبتُ رقعةً إليه ضمنتها هذه الأبيات[2] : [من البسيط]

قُلْ للأميرِ الذي يرجو نوافِلَه مَن جاءه طالباً للخيرِ منتابا
إنّي صحبتك دهراً كلَّ ذاك أَرى مِنْ دونِ خَيرِك حُجّاباً وأبوابا
وَكم ضريكٍ أَجاءَته شقاوَتُه إليك إذا أَنشَبتْ ضراؤها نابا[3]
فما فتحتَ له باباً لميسرة وَلا سددتَ له من فاقة بابا
كغائب شاهدٌ يخفى عليك كما من غابَ عنكَ فوافى حظُّه غابا

فلمّا قرأها قال : جفَوْنا أبا محمد ؛ وأحوجناه إلى استبطائنا . واللهُ المستعان ، وبعث إليه بصلة .

[عبث خلف الأحمر به]

أَخبرني هاشم بنُ محمدٍ الخزاعيُّ أبو دُلَف قال : حدَّثني محمدُ بنُ عبد الرحمن بنِ الفهم ، وكان من أصحاب الأصمعيّ ، قال : كان خَلف الأحمر يعبَث بأبي محمدٍ اليزيديّ عبثاً شديداً ، وربّما جدّ فيه وأخرجه مخرج المزح ، فقال فيه ينسبه إلى اللِّواط : [من الكامل]

---

1 حمى الربع : حمى تنوب يوماً وتترك يومين .
2 شعر اليزيديين : 33 عن الأغاني .
3 الضريك : الفقير الهالك .

إنّي ومَـن وَسَج المَطيُّ لـه حُدْبَ الذرى أذقانها رُجُفُ،[1]
يَطْرحـنَ بالبيد السِّحالِ إذا حثَّ النجاءَ الركبُ وازدَهفوا[2]
والمُحْرِمِـين لِصَوتهـم زَجَـلٌ بفِنـاء كعبتِــهِ إذا هتفـوا
وإذا قطَعْـن مسافَ مَهْمَهَـة قَذَفٍ تعرّض دونهـا شَرَفُ،[3]
وافَـتْ بهـمْ خُوص محزَّمة مثلُ القِسيِّ ضوامرٌ شُسُفُ،[4]
مِنّـي إليه غيرَ ذي كـذِبٍ ما إن رأى قـوم ولا عَرَفوا
في غابـر النّاسِ الذين بقُـوا والفُرَّطِ الماضينَ إذ سَلفوا[5]
أحداً كيحيى في الطِّعانِ إذا افـ ـتَرش القنا وتضعضع الحَجَفُ،[6]
في مَعـرك يُلقـى الكَميّ بـه للوجـه منبطحـاً وينحرفُ
وإذا أكـبّ القِـرن يُتبِعـه طعناً دُوَين صَلاه ينخسفُ،[7]
لله دَرُّكَ أيّ ذي نُـــزُلٍ في الحربِ إذ همّوا وإذ وقفوا
لا تخطـىء الوجعـاءَ ألّته ولا تُصـدّ إذا هـمُ زحفوا[8]
ولـه جِيـادٌ لا يُفرِّطها الـ ـإحلال والمضمـار والعلفُ،[9]
جُـرْد يهان لهـا السَّويق وأَلـ ـبان اللّقــاح كأنّها نُزُفُ
مُـرْد وأطفـال تخالهـمُ دُرّاً تَطابـق فوقـه الصَّدَفُ
فهـمُ لديـه يعكُفون بـه والمَـرء منـه اللّيـن واللطفُ
ومتى يشا يُجنَبْ لـه جَذع نَهْـدٌ أسيل الخـدّ مشترفُ،[10]

---

1 وسج لمطي : أسرعت . ورجف : مضطربة .

2 السحال : اللجام . وازدهفوا : خفوا وعجلوا .

3 فلاة قذف : تتقاذف بالسالك .

4 خوص : غائرة العيون لضمورها . وشسف : ضامرة من الهزال .

5 الفرط : المتقدمون .

6 افترش القنا : وقع بعضها على بعض . والحجف : التروس من جلد .

7 الصلا : وسط الظهر .

8 الوجعاء : الدبر . والألة : الحربة العظيمة النصل .

9 لا يفرطها : لا يثيرها للسبق .

10 يجنب : يوضع إلى جنبه . والجذع : ولد الشاة أو البقرة ومشترف : مشرف .

يَمْشي العِرَضْنَةَ تحت فارسه ... عَبْلَ الشوى في متنِهِ قَطفُ[1]
رَبِـــذٌ إذا عرِقــت مَغابِنــه ... ذَهَبَ السكونُ وأَقبل العُنفُ[2]
فأَعــدَّ ذاك لسرجـهِ ولـه ... في كلِّ غاديــةٍ لهـــا عُرُفُ
في حَقْــوه عَــرْدٌ تَقدّمُـه ... صلعاء في خرطومِها قَلَفُ[3]
جـــرداء تُشحَذ بـالبزاقِ إذا ... دُعيَت نزال وهبّ مرتدِفُ[4]
أوفى على قِيـدِ الذراعِ شديـ ... ـدُ الجَلْز في يافوخه جَوَفُ[5]
خـــاظٍ مُمَـــرّ متنُـــه ضَرِم ... لا خانـــه خَوَر ولا قَضَفُ[6]
عَـــرْدُ المَجس بمتنه عُجَـــر ... في جِـذره عن فخْذه جنَفُ[7]
فلـــوَ آن فياضـاً تأمّلـــه ... نـــادى بجهد الويـلُ يلتهفُ
وإذا تمسّحـــه لِعادتـــــه ... ودنا الطّعان فمِدْعَس ثَقِفُ[8]
وإذا رأَى نَفَقـاً رَبـا ونـزا ... حتـى يكــادُ لعابــه يكفُ
لا ناشئاً يُبقـــي ولا رجـلاً ... فِنـداً وهـــذا قلبــه كلِفُ[9]
يـــا ليتنـــي أَدري أمُنجيتـي ... وجناءُ ناجيــةٌ بهـا شَدَفُ[10]
مـــن أَن تعلقنـــي حبائلُـــه ... أَو أَن يواري هامتي لُجُفُ[11]
ولقـــد أَقــولُ حِـذارَ سطوته ... إيهـاً إليك تـــوَقّ يـا خلَفُ
ولـــو آنّ بيتكَ في ذُرا علَـم ... مِن دون قلّـةِ رأسِهِ شَعَفُ[12]

---

1 العرضنة : النشاط في المشي . وعبل الشوى : ضخم الأطراف وقطف : أثر .
2 ربذ : خفيف سريع . والمغابن : جمع مغبن ، وهو الإبط وأصل الفخذ .
3 حقوه : خصره .
4 مرتدف : الذي يركب خلف الركب .
5 جلز الشيء : عصبه . والجوف : سعة .
6 خاظي : مكتنز . والقضف : النحافة .
7 العجر : العقد .
8 مدعس : شديد الطعن .
9 فند : خرف .
10 الشدف : سرعة الوثب .
11 لجف : حفرة .
12 الشعف : جمع شعفة ، وهي رأس الجبل .

زَلِـــقٍ أعاليـــه وأسفلُـــه ... وعـر التنائف بينهـا قذفُ[1]
لَخشيت عَـــرْدَك أن يُبيِّتني ... أن لم يكن لِيَ عنه منصرَفُ

قال الأصمعيّ : فحدَّثني شيخ من آل أبي سفيان بن العلاء أخي أبي عمرو بن العلاء قـال : أُنشدت قصيـدة خلفٍ الفائيّة هذه وأعرابيّ جالس يسمع ، فلمّا سمع قوله : [من الكامل]

فـإذا أُكـب القرنَ أُتبعـه ... طعنـاً دُوَين صَلاه ينخسفُ

قال الأعرابيّ : وأبيك لقد أُحبّ أن يضعه في حاق مَقِيل[2] ضَرْطته .

[يغضب من هجاء خلف]

أخبرني هاشمُ بنُ محمد قال : حدَّثني ابنُ الفهم قال : حدَّثني الأصمعيّ قال : كنتُ مع خَلفٍ جالساً ، فجرى كلام في شيء من اللغة ، وتكلّم فيه أبو محمدٍ اليزيديّ وجعل يَشغَب ، فقال لي خَلَفٌ : دَعْني من هذا يا أبا محمد ، وأخبرني من الذي يقول : [من مجزوء الكامل]

فـإذا انتشيتُ فإنّنـي ... ربّ الخُرَيبة والرُّمَيحِ
وإذا صحـوتُ فإنّنـي ... ربّ الدُّوَيّــة واللوَيحِ

يعرِّض به أنّه معلّم ، وأنّه يلوط ، فغضب اليزيديّ ، وقام فانصرف .

[يهجو مواليه]

أخبرني الحسنُ بن عليٍّ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني طلحةُ الخُزاعيّ قال : حدَّثني أبو سعيد عثمانُ بنُ يوسفَ الحنفيُّ قال : غاضب أبو محمد اليزيديّ مواليَه بني عدِي رهْط ذي الرُّمّة من بني تميم لأمر استنهضهم فيه ، فقعدوا عنه ، فقال يهجوهـم[3] : [من السريع]

يـا أيُّها السائلُ عن قومِنا ... لّمـا رأى بِـزَّةَ أحبـارِهِمْ
وحُسنَ سَمْت منهمُ ظاهراً ... إعلانُهــم ليس كإسرارِهِمْ
سائلْ بهم أحمـرَ أو غيرَه ... يُنبيكَ عن قومي وأخبارِهِمْ
قـومٌ كرامٌ ما عدا أنّهم ... صولتهم منهم على جارِهِمْ
أُسد على الجيرانِ أعداؤهم ... آمنــة تخطــرُ في دارِهِمْ
لو جاءهم مقتبساً جارُهم ... ما قبسوه الدَّهر من نارِهِمْ

---

1 التنائف : جمع تنوفة ، وهي الأرض الواسعة .
2 حاق : وسط . ومقيل : موضع .
3 شعر اليزيديين : 76–77 .

وقد وترناهمْ فلم نخشَ مَن ينهـضُ في سيرةِ أُوتارِهِمْ
أحسنُ قــوم لمواليهــمُ إن أيسروا يوماً لأَيسارِهِمْ
شهادةُ الزّور لهــم عــادة حقّــاً بهــا قيمة أَخبارِهِمْ
وما لهم مجد سوى مسجدٍ بـه تعدَّوا فـوق أَطوارِهِمْ
لـو هُدِم المسجدُ لم يُعرفوا يوماً ولم يسمعْ بأخبارِهِمْ

[يهنىء الرشيد ويمدح المأمون]

أَخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : أَخبرني عمّي عُبَيد الله قال : حدَّثني عمِّي إسماعيل وأخي أحمدُ قالا : لمّا بلغ المأمونُ وصار في حدّ الرجال أمرَنا الرشيد أن نعملَ له خطبة يقوم بها يوم الجمعة ، فعمِلنا له خطبته المشهورة . وكان جَهير الصوت حسنَ اللهجة ، فلمّا خطب بها رَقَّت قلوب النّاس ، وأبكى من سمعه ، فقال أبو محمد اليزيديّ[1] : [من الطويل]

لِتَهْـنِ أَميرَ المؤمنــين كرامــةٌ عليــه بهــا شكرُ الإله وُجوبُ
بــأن وليّ العهــدِ مأمــونَ هاشم بــدا فضلُه إذ قام وهو خطيبُ
ولّما رمـاه النّاس مــن كلِّ جانب بأبصارِهــم والعُود منــه صليبُ
رماهم بقــول أَنصتوا عجباً لــه وفي دونــه للسامعــينَ عجيبُ
ولّما وعَــت آذانُهم مــا أَتى بـه أَنابَتْ ورقَّــت عنـد ذاك قلوبُ
فأَبكــى عيــونَ الناس أَبلغُ واعظ أغــرُّ بِطاحــيُّ النِّجار نجيبُ[2]،
مَهيــبٌ عليـه للوِقــارِ سكينـة جريء جَنـانٍ لا أُكَعّ هيوبُ[3]،
ولا واجــبٌ فــوق المنابرِ قلبُه إذا ما اعترى قلبَ النجيبِ وجيبُ
إذا مـا عــلا المأمونُ أَعوادَ منبرٍ فليس لــه في العالمــين ضريبُ
تَصدَّع عنه النّاس وهــو حديثهم تَحــدَّث عنــه نــازحٌ وقريبُ
شَبيهُ أَميرِ المؤمنــين حَزامــةً إذا وَردَتْ يومــاً عليـه خطوبُ
إذا طاب أَصل في عُروق مِشاجِهِ فأَغصانــه مــن طِيبـه ستطيبُ
فقــل لأَميرِ المؤمنــين الذي بـه يقــدَّمُ عبــدُ الله فهـــو أَديبُ

1 شعر اليزيديين : 29–31 عن الأغاني .
2 بطاحي النجار : من قريش البطاح .
3 أكع : جبان .

كأن لم تغبْ عن بلدة كان والياً عليها ولا التدبيرُ منك يغيبُ
تتبعَ ما يُرضيك في كلِّ أمره فسيرته شخص إليك حبيبُ
ورِثتم بني العبّاس إرثَ محمد فليس لحَيٍّ في التراثِ نصيبُ
وإنّي لأرجو يا ابن عمِّ محمد عطاياكَ والراجيكَ ليس يخيبُ
أثبني على المأمونِ وابني محمداً نوالاً فإيّاه بذاك تثيبُ
جنابُ أميرِ المؤمنين مُبارَكٌ لنا ولكلِّ المؤمنينَ خصيبُ
لقد عَمَّهمْ جُودُ الإمامِ فكلّهم له في الذي حازتْ يداه نصيبُ

## صوت

فلمّا وصلت هذه الأبيات إلى الرشيد أمر لأبي محمد بخمسين ألف درهم ، ولابنه محمدِ بنِ أبي محمد بمثله .

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا الفضلُ بنُ محمدٍ اليزيديُّ قال : حدَّثني أخي أحمد عن أبيه قال : استأذن أبو محمد الرشيدَ وهو بالرقّةِ في الحجّ ، فأذِن له ، فلمّا عاد أنشدنا لنفسه[1] : [من البسيط]

يا فرحتا إذ صرفنا أوجه الإبلِ إلى الأحبّةِ بالإزعاجِ والعَجَلِ
نَحثّهنَّ ولا يُؤتَيْنَ من دأبٍ لكنَّ للشوقِ حثّاً ليس للإبلِ
يا نائياً قرُبَتْ منه وساوسه أمسى قرينَ الهوى والشوقِ والوجلِ
إن طالَ عهدكَ بالأحبابِ مغترباً فإن عهدكَ بالتسهيدِ لم يَطلِ
أما اشتفى الدّهرُ من حرّانَ مُختبلٍ صبٍّ الفؤاد إلى حرّانَ مُختَبَلِ
عِش بالرجاءِ وأمِّلِ قربَ دارهمُ لعلّ نفسكَ أنْ تبقى مع الأملِ

1 شعر اليزيديين : 69–70 .

## أخبار من له شعر فيه صنعة من ولد أبي محمد اليزيديّ وولد ولده فمنهم

## [ 421 ] ـ محمد بن أبي محمد[1]

[شعر له غنى فيه]

ومِمّا يُغنّى فيه من شعره قوله : [من مجزوء الوافر]

### صوت[2]

أتيتُكَ عائـذاً بِكَ منـ ـكَ لما ضاقتْ الحِيَلُ
وصيَّرني هـواكَ وَبي لِحَينـي يُضْـرَبُ المثلُ
فإنْ سلِمَتْ لكم نفسي فمـا لاقيتـه جَلَـلُ
وإن قَتل الهـوى رجلاً فإنِّـي ذلـكَ الرجلُ

الشعر لمحمدِ بنِ أبي محمدٍ اليزيديِّ ، يُكنى أبا عبد الله ، والغناء لسُلَيم بنِ سَلام ، ثقيل أوّل بالبِنصر ، وله أيضاً فيه ماخوريٌّ . وكان سليم صديقَ محمدِ بنِ أبي محمدٍ اليزيديِّ ، كثيرَ العشرة له ، وليس في شيء من شعره صنعة إلاّ لهُ . وله يقول محمد بنُ أبي محمد اليزيديّ[3] : [من الخفيف]

### صوت

بأبـي أنـتَ يـا سُلَيم وأمِّي ضِقتُ ذَرعاً بهجرِ مـن لا أسمِّي
صدَّ عنِّي أقَـرُّ مَـن خلقَ اللـ ـه لعينـي فاشتدَّ غمِّـي وهمِّي
ما اختيالي إنْ كان في القدَر السا بق لِلحَـينِ أن أموتَ بسُقمي ؟

الغناء لسُلَيم ، خفيفُ رمل بالوُسطى عن عمرو .

[ثناء أبي ظبية العكليّ]

أخبرني محمدُ بن العبّاس اليزيديُّ قال : حدَّثني عمِّي عُبَيد الله عن أخيه أبي جعفرٍ عن أبيه محمدِ بن أبي محمد قال : قال لي أبي : نظر إليك أبو ظبية العُكْليّ ، وقد جاءني ، فقال لي ، وقد أقبلْتُ : [من الكامل]

يَلِـد الرجـالُ بَنيهمُ أولادَهمْ وولدْتَ أنتَ أبـاً من الأولادِ

---

1 لمحمد بن أبي محمد اليزيديّ ترجمة في طبقات ابن المعتزّ : 327–329 وتاريخ بغداد 3 : 412 .
2 شعر اليزيديين : 108 .
3 شعر اليزيديين : 114 عن الأغاني .

قال أبو محمد : وكتب أبو ظبية يوماً : [من الطويل]

أيحيى لقد زُرناك نلتمسُ الجَدا وأنتَ امرؤ يرجَى جَداه ونائلُهْ
وما صَنع المعروفَ في الناسِ صانعٌ فيُحْمَدَ إلاّ أنت بالخيرِ فاضلُهْ
تخيركَ الناسَ الخليفةُ لابنه وأحكمْتَ منه كلَّ أمر يحاولُهْ
فما ظَنَّ ذو ظنٍّ من النّاسِ علمه كعلمكَ إلاّ مخطىءِ الظنِّ فائلُهْ[1]
إليكَ تناهتْ غايةُ النّاس كلِّهم إذا اشتبهَتْ عند البصيرِ مسائلُهْ

قال أبو محمد : فكتب إليه[2] : [من الطويل]

أبا ظبيةَ اسمعْ ما أقولُ فَخيْرُ ما يقال إذا ما قيل صُدّق قائلُهْ
إذا شئتَ فانهَدْ بي إلى مَن أردتَه وأمَّلتَ جدواه فإنّي منازلُهْ[3]
فإن يكُ تقصيرٌ ولا يكُ عارفاً بحقِّك فاعذِ لَهُ فتكثرْ عواذلُهْ

[العبّاس بن الأحنف يتمنى بيتين له]

حدَّثني أبو عبد الله محمدُ بنُ العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثني عمِّي عُبَيد الله قال : حدَّثني أخي أحمدُ عن أبي قال : صِرْت إلى العبّاس بن الأحنف ، فقال لي ما حاجتكَ ؟ قلتُ : أمرني أخوكَ وأبي أن أصبر إليك وأستفيدَ منك . فقال لي : أتصير إليّ ؟ ودِدْت أنّي سبقتك إلى بيتين قلتَهما وأنّي لم أقلْ من الشعر شيئاً غيرهما . فدخلني من السرورِ ما اللهُ به عليم ، فقلت : وما هما ؟ فقال : قولك[4] : [من مجزوء الرمل]

يا بَعيدَ الدّارِ موصو لاً بقلبي ولِساني
رُبّما باعدكَ الدهـ ـرُ وأدنتك الأماني

[سرق معنيين من مسلم]

حدَّثني أحمد بن عُبَيد الله بنِ عمّار قال : حدَّثني محمدُ بنُ داودَ الجراحُ قال : حدَّثني أبو القاسمِ عُبَيد الله بنُ محمد اليزيديُّ قال : حدَّثني أحمد بنُ محمد قال : سمعتُ أبي يقول : ما سرقْتُ من الشعرِ شيئاً إلاّ معنيين : قال مُسلم بن الوليد[5] : [من الخفيف]

1 الفائل : الخاطىء الضعيف .
2 شعر اليزيديين : 65 .
3 نهد : نهض ومضى .
4 شعر اليزيديين : 120 .
5 ديوان مسلم : 342 .

ذاك ظبي تحيّر الحسنُ في الأر كانِ منه وحلَّ كلُّ مكانِ
عَرَضَتْ دونه الحِجالِ فما يلـ ـقاكَ إلاّ في النومِ أو في الأماني

فقلت :

يا بعيدَ الدارِ موصو لاً بقلبي ولساني
رُبَّما باعدكَ الدهـ ـرُ وأدنتكَ الأماني

وقال مسلم أيضاً[1] : [من الوافر]

متى ما تسمعي بقتيلِ حُبٍّ أُصيب فإنّني ذاكِ القتيلُ

فقلت أنا :

أتيتكِ عائذاً بكِ منـ ـكِ لما ضاقتْ الحِيلُ
وصيّرني هواكِ وبي لِحَيْني يُضْرَب المثلُ
فإن سلمَتْ لكم نفسي فما لاقيته جَلَلُ
وإنّ قَتل الهوى رجلاً فإنّي ذلك الرجلُ

[يعتب على صديق له فيجيبه]

أخبرني محمدُ بنُ العبّاس قال : حدَّثني عمّي عُبَيد الله عن أخيه أبي جعفر قال : عتَب أبي ، يعني محمدَ بن أبي محمد ، على يونس بنِ الرَّبيع ، وكان صديقَه فكتب إليه[2] : [من الطويل]

سأبكيكَ حيّاً لابكيتكَ ميّتاً بأربعة تجري عليك هُمولا
وأُعفيك من طولِ اللقاءِ وإنّني أرى اليومَ لا أَلقاكَ فيه طويلاً
فكيف بصبري عنكَ لا كيف بعدما حللْتَ محلّاً في الفؤادِ جليلا

قال ، وكتب إليه يونس : [من الوافر]

إلى كَم قد بَليت وليس يَبلى عتاب منك لي أَبداً طويلُ
إذا كثر التجنّي من خليل ولم تُذنبْ فقد ظَلَم الخليلُ

[شعر في قنفذ]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني الحسنُ بن الفهم قال : قال لي أَبو سمير عبد الله بن أَيّوبَ مولى بني أُميّة : باتَ عندي ليلةً محمدُ بنُ أبي محمد اليزيديُّ ، فظهر لنا قُنفذ ، فقلت له : قل فيه

1 ديوان مسلم : 335 .
2 شعر اليزيديين : 110 عن الأغاني .

شيئاً ، فأنشأ يقول[1] : [من الطويل]

وطارقِ ليـــل زارنـــا بعد هَجْعة ... من الليـــلِ إلاّ مـــا تحدث سامرُ
فقلْتُ لعبدِ اللهِ مـــا طارقٌ أتـــى ... فقـــال امـــرؤٌ سبقَت إليه المقادرُ
قَرَينـــاه صفو الزادِ حـــين رأَيته ... وقد جاء خفَّاقَ الحشا وهو سادرُ
جميلُ المحَيّـــا والرّضا فإذا أُبى ... حمَتْه مـــن الضيمِ الرّماح الشّواجرُ
ولستَ تـــراه واضعـــاً لسلاحـــه ... مدى الدهر موتوراً ولا هو واترُ

[حُجب عن المأمون ثم أُذن له]

حدَّثنا اليزيديّ قال : حدَّثني عمِّي الفضل قال : حدَّثني أبو صالح بن يزداد قال : حدَّثني أبي قال : جاء محمدُ بنُ أبي محمد اليزيديُّ إلى باب المأمون وأنا حاضر ، فاستأذن ، فقال الحاجب : قد أخذ دواء وأمرني ألا آذن لأَحد . قال : فأمَرك ألاّ توصل إليه رقعة ؟ قال : لا ، فدَفع إليه رقعة فيها[2] : [من الوافر]

هديَّتَـــي التحيّـــةُ للإمـــامِ ... إمـــامَ العـــدل والملكِ الهمامِ
لأنّـــي لـــو بذلْتُ لـــه حياتي ... ومـــا أحـــوي لقـــلاّ للإمامِ
أَراك مـــن الدواء اللهُ نفعـــاً ... وعافيـــةً تكـــون إلى تمامِ
وأَعقبكَ السلامةَ منـــه رَبٌّ ... يُريـــك سلامـــةَ في كلِّ عامِ
أتـــأذن في السّلامِ بـــلا كلامٍ ... سوى تقبيلُ كَفـــكٌ والسلامِ

قال : فأوصلها ، وخرج فأذِن له ، فدخل وسلَّم وحُمِلَتْ معه ألفا دينارٍ .

[المعتصم يستحسن شعراً قاله]

حدَّثني عمِّي قال : حدّثني الفضلُ اليزيديُّ قال : حدَّثني أخي أحمدُ عن أبي : قال : دخلْتُ إلى المعتصِم وهو ولي عهد وقد طلع القمر ، فتنفّس ثم قال : يا محمد ، قل أبياتاً في معنى طلوع القمر ، فإنّه غاب مدّة كما غاب محبوب عن حبيبه ثم طلع ، فإن كان كما أُحِبّ فلكَ بكلِّ بيت مائة دينار ، فقلت[3] : [من المنسرح]

## صوت

هذا شبيه الحبيبِ قد طلعا ... غابَ كما غابَ ثـــم قد لمعا

---

1 شعر اليزيديين : 104 .
2 شعر اليزيديين : 115 .
3 شعر اليزيديين : 106 عن الأغاني .

وما أرى غيرَه يشاكله ... فاسأله باللهِ عنه ما صنعا
فرَّقَ بيني وبينه قدَر ... هو الذي كان بيننا جمَعا
فهل له عودة فأرقبَها ... كما رأينا شبيهه رجعا

فقال : أحسنت وحياتي ، ثم قال لعَلّويه : غنِّ في هذه الأبيات ، وكان حاضراً ، فغنّى فيها ، وشرب عليها ليلته ، وأمر لي بأربعمائة دينار ولعَلّويَه بمثلها .

لَحْن علّويَه في هذه الأبيات رَمَل .

[حكم المأمون له بثلاثة آلاف دينار]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثنا الفضلُ بنُ محمدٍ قال : حدَّثني أخي عن أبي قال : شكوْت إلى المأمون دَيناً عليّ ، فقال : إنّ عبدَ الله بنَ طاهرٍ اليوم عندي ، وأريد الخلوة معه ، فإذا علمْتَ بذلك فاستدعِ أن يكون دخولُك أو إخراجَه إليك ، فإنّي سأحكم لك عليه بمال . فلمّا علمت أنّهم قد جلسوا للشرب صرت إلى الدار ، وكتبتُ بهذين البيتين[1] : [من السريع]

يا خيرَ ساداتٍ وأصحابِ ... هذا الطفَيليُّ على البابِ
فصيِّروا لي معكمْ مجلساً ... أو أخرجُوا لي بعض أصحابي

وبعثت بهما إليه ، فلمّا قرأهما قال : صدق ، اكتبوا إليه وسلوه أن يختار . فكُتِب إليّ : أمّا وصولك فلا سبيل إليه ، ولكن من تختار لِنخرجَه إليك فتَمضي معه . فكتبْت : ما كنتُ لأختار على أبي العبّاس[2] أحداً . فقال له المأمون : قُم إلى صديقك . فقال : يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تعفيني من ذلك ، أتُخرجُني عمّا شرفْتَني به من منادمتك وتُبدلُني بها منادمة ابن اليزيديّ ؟ قال : لا بدّ من ذلك أو ترضيَه . قال : فليحتكِم . قال : أخاف أن يشتطَ أو تقصِّرَ أنت ، ولكنِّي أحكم فأعدِل . قال : قد رضيتُ . قال : تحمل إليه ثلاثة آلاف دينار معجَّلة . قال : قد فعلت ، فأمَر صاحبَ بيت المال أن يحملَها معي ، وأمر عبدُ الله بِرَدّها إلى بيت المال .

[حرم الجارية فعوضه المأمون بالمال]

حدَّثني الصوليُّ قال : حدَّثني عونُ بنُ محمد قال : كان محمدُ بنُ أبي محمدِ اليزيديُّ يعشق جارية لسحاب يقال لها عُليا ، وكانت من أظرف النساء لساناً وأحسنهنّ وجهاً وغناءً ، فأُعطي بها ثلاثة آلاف دينار فلم تُبع ، واشتراها المعتصم بخمسة آلاف دينار ، وذلك في خلافة المأمون ؛ وكان عليُّ بنُ الهَيثم جونقاً صديقاً لمحمدِ بنِ أبي محمد اليزيديِّ . فبلغ المأمونَ

1 في شعر اليزيديين : 36 ثلاثة أبيات نسبت في المصادر إلى أبي محمد .
2 كنية عبد الله بن طاهر .

الخبرُ ، فدعا محمداً ، وقال : ما قصتك مع عُليّا ؟ قال : قد قلتُ في ذلك أبياتاً ، فإن أذِن أمير المؤمنين أنشدتها . قال : هاتها فأنشده[1] : [من البسيط]

أشكـو إلى اللهِ حُبِّـي للعَلّيينا — وأنّنـي فيهـمُ ألقـى الأمرينا
حَسْبي عليّـاً أمير المؤمنين فقد — أصبحتُ حقّاً أرى حبِّي له دِينا
وحبَّ خِلّي وخُلصاني أبي حسن — أعنـي عليّـا قريـعَ التغلَبيينا[2]
ورِقتـي لبُنَيٍّ لي أُصِيبـت بـه — وَجْدي بـه فوق وجد الآدميينا[3]
ورابع قـد رمـى قلبي بأسهمه — فجُـزْت في حبّـه حـدّ المحبّينا
وبعض مَـن لا أُسمّي قـد تملّكه — فرُحْـتُ عنـه بما أعيا المداوينا
أتـاه بالدِّينِ والدُّنيـا تمكّنُـه — فلم يـدَع ليَ لا دُنيـا ولا دِينا

قال : فقال المأمون : لولا أنّه أبو إسحاق لانتزعتُها منه ، ولكن هذا ألف دينار فخذه عوضاً ، ولقِيني المعتصم في الدّار فقال لي : يا محمد ، قد علمتُ ما آل إليه أمرُ فلانةَ ، فلا تذكرنّها . فقلت : السمعُ والطاعة لأمرك .

[المأمون يقترح عليه شعراً]

أخبرني عليّ بن سليمانَ الأخفشُ قال : حدّثنا أبو العبّاس محمد بنُ الحسنِ بنِ دينار مولى بني هاشم قال : حدّثني جعفرُ بنُ محمد اليزيديُّ عن أبيه محمدِ بنِ أبي محمد قال : كنت عند المأمون فقال لي : يا محمد ، قل شعراً في نحو هذين البيتين : [من الطويل]

صحيحٌ يـودُّ السُّقمَ كيما تعُودهُ — وإن لم تَعُده عـاد عنهـا رسولُها
لِيعلمَ هـلْ ترتـاعُ عندَ شَكاتهُ — كما قـد يروعُ المُشفقات خليلُها ؟

قال فقلت[4] : [من الوافر]

صحيحٌ وَدّ لو أمسى عليلاً — لتكتبَ أو يرى منكم رسولا
رآك تسومُه الهجـران حتـى — إذا ما اعتلّ كنتَ له وَصولا
فودَّ ضَنا الحياةِ بوصلِ يـوم — يكـون على هواكَ لـه دليلا

1 شعر اليزيديين : 117 عن الأغاني .
2 خلصاني : صفيي ، للواحد والجمع . والمقصود هنا صديقه علي بن الهيثم .
3 يعني هنا ابناً له اسمه علي كان قد توفي .
4 شعر اليزيديين : 109 .

هما موتان موت هوى وهَجرٍ ... وموت الهجـر شرُّهمـا سبيلا

قال : فأمر لي بعشرة آلاف درهم .

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ قال : حدَّثني أبو جعفر أحمد بن محمد بن أبي محمد اليزيديّ عن أبيه قال : دخلت على المأمون وهو يشرب ، وعنده عَريب ومحمد بن الحارث بن بُسخُنّر يغنّيانه ؛ فقال : أطعموا محمدًا شيئاً ، فقلت : قد بدأت بذلك في دار أمير المؤمنين ؛ فقال : أما ترى كيف عَتَق هذا الشراب حتى لم يبقَ إلاّ أقلّه ، ما أحسنُ ما قيل في قديم الشراب ؟ فقلت : قول الحَكَميّ[1] : [من المديد]

عتقـت حتى لـو اتَصلتْ ... بلسـانٍ ناطـقٍ وفـمِ

لاحتبتْ في القـومِ ماثلةً ... ثـم قصّت قصّـة الأُممِ

فقال : هذا كان في نفسي ، ثم قال : اسقُوا محمداً رطليْن ، وأعطوه عشرين ألف درهم ، ثم نكت في الأرض ورفع رأسَه ثم قال : يا محمّد : [من البسيط]

إنّي وأنت رضيعا قهوةٍ لطفتْ ... عن العِيان ودقّت عن مَدى الفَهمِ

لم نرتضعْ غيرَ كأسٍ دَرُّها ذهبٌ ... والكأسُ حُرْمتها أُولى من الرَّحمِ

قال : والشّعر له قاله في ذلك الوقت .

وممّا فيه غناء من شعر محمد بن أبي محمد ، أنشدناه محمد بن العبّاس عن عمّه عُبيد الله عن أخيه أحمد[2] : [من المجتث]

**صوت**

أنـت امـرؤ متجـنٍّ ... ولسْت بـالغضبانِ

أنت امـرؤ لك شأنٌ ... فيمـا أرى غير شاني

صرّحْ بما عنـه أكْني ... أكـفّ عنـك لساني

حسْبي أسأتُ فهـلا ... مَنَنْـتَ بـالغفرانِ

ومنها[3] : [من السريع]

**صوت**

يـا أحسنَ الأُمـة في ... عينـي أمـا ترحمُنـي

1 ديوان أبي نواس : 41 .

2 شعر اليزيديين : 121 عن الأغاني .

3 شعر اليزيديين : 118 عن الأغاني .

أَمـا تَـراني كامـداً ... موكَـلاً بـالحزَنِ
أَمـا تـرى فيك مُدا ... راتـي لأَهْـلِ الظنَنِ
أصرفُ طَرْفي عنك خَوْ ... فـاً منه أن يَفْضَحَني
يَـراني اللهُ ومـا ألْـ ... ـغى وإنْ لَـمْ تَـرَني

* * *

## ومِمّن له شعر فيه صنعة من ولد أبي محمد اليزيديّ لصلبه إبراهيم[1]

## صوت

[من مخلع البسيط]

لا تلحَني إن منحتُ عشقاً ... مَن كان للعشق مستحِقا
ولم يقـدِّمْ عـليّ خَلقـا ... ولم أقـدّم عليه خلقا
يملكُ رقّـي ولستُ أبغي ... من مِلكه ما حييت عتقا
لم أرَ فيمـن هوِيت خلقا ... أعطـفَ منـه ولا أرقّـا

الشعر لإبراهيم بن محمد اليزيديّ ، والغناء لأبي العَنْبَس بن حمدون ، خفيف ثقيل مطلق . وفيه لعريب رمل مزموم .

1 شعر اليزيديين : 137 عن الأغاني .

# [ 422] ـ أخبار إبراهيم[1]

[مع عريب]

أَخبرني عمّي قال : حدَّثني الفضلُ بنُ محمد اليزيديُّ قال : حدَّثنا أَحمدُ عن عمِّه إبراهيمَ قال : كنت مع المأمون في بلد الرّوم ، فبينا أنا في ليلة مظلمة شاتية ذاتِ غيمٍ وريح وإلى جانبي قُبّة ، فبرقَت بَرْقةٌ وإذا في القبّة عَريب . قالت : إبراهيمُ بنُ اليزيديّ ؟ فقلت : لبيك ! فقالت : قُل في هذا البرق أبياتاً مِلاحاً لأغنّي فيها ، فقلت[2] : [من الرجز]

مـاذا بقلبي مـن أَليم الخَفَقِ إذا رأيـتُ لَمعـانِ البـرْقِ
مِـن قِبَـل الأُرْدُنِّ أَو دمشقَ لأنَّ مَـن أَهوى بـذاك الأُفْقِ
فارقتُـه وهـو أَعـزُّ الخلـقِ علـيّ والزُّورُ خـلاف الحقِّ
ذاكَ الذي يملكُ منّـي رقي ولستُ أَبغي مـا حييتُ عتقي

قال : فتنفسَت نفساً ظننته قد قطع حيازيمها ؛ فقلت : ويحك على مَن هذا ؟ فضحكت ثم قالت : على الوطن . فقلت : هيهات ! ليس هذا كلُّه للوطن ، فقالت : ويلك ! أفتراك ظننتَ أنّك تستفزّني ؟ والله لقد نظرتُ نظرة مُريبة في مجلس ، فادعاها أَكثرُ من ثلاثين رئيساً ، والله ما علِم أحد منهم لَمن كانت إلى هذا اليوم .

[في سيحان]

أَخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثني الفضلُ بنُ محمدٍ اليزيديُّ قال : حدَّثني أَخي عن عمِّي إبراهيم بن أبي محمد : أنّه كان مع المعتصم لمّا خرج إلى الغزو ، قال فكُتِب في رُفقه فيها فتى من أهلِ البصرة ، ظريفٌ أديبٌ شاعرٌ راويةٌ ، فكان لي فيه أُنس ، وكنّا لا نفترق حتى غزَونا وعدنا . فعاد إلى البصرة ، وكان له بستان حسن بسيحانَ ، فكان أَكثرُ مُقامه به ، وعُزم لي على الشخوص إلى البصرة لحاجة عَرضت لي ، فكان أَكثرُ نشاطي لها من أجله ، فوردْتُها ، ونظرتُ فيما وردتُ له ، ثم سألتُ عنه ، ومضيت إليه ، فكاد أن يُستطار بي فرحاً ، وأقمتُ بسيحانَ معه أيّاماً ، وقلت في بعضها وقد اصطبحنا في بستانه[3] : [من البسيط]

---

1 ترجمة إبراهيم بن أبي محمد اليزيدي في معجم الأدباء (عباس) : 160–163 وتاريخ بغداد 6 : 209 ونور القبس : 89 ومصورة ابن عساكر 2 : 562 وتهذيب ابن عساكر 2 : 311 وإنباه الرواة 1 : 189 ونزهة الألباء : 114 وطبقات الجزري 1 : 29 والوافي 6 : 165 وبغية الوعاة 1 : 434 والمقفى 1 : 332 .

2 شعر اليزيديين : 138 .

3 شعر اليزيديين : 140 .

يـا مسعَديّ بسيحانٍ فدَيتكما حُثّا المدامـة في أكنافِ سيحانا
نَهْر كريم من الفِردوسِ مَخرجه بـذاك خبرنـا مـن كان أنبانا
لا تحسداني رَواحـاً أو مباكرة طِيبَ المسير على سيحان أحيانا
يشطٌّ سيحـان إنسان كلِفْتُ به نفسي تقي ذلك الإنسان إنسانا
ريّـاه ريحاننـا والكأسُ معملة لا شيء أطيبُ من ريّاه ريحانا
حُثا شَرابكما حتـى أرى بكما سُكراً فإنّيَ قد أمسيتُ سكرانا
رَيّـا الحبيب وكأسٌ مـن معتّقه يُهيّجـان لنفس الصّبّ أشجانا
سَقيا لسيحانَ من نهر ومن وطنٍ وساكنيه مـن السكّان مَن كانا
هُـم الذيـن عقَدنـا الودَّ بينهمُ وبيننا وهُـمُ في دَيـرِ مُرّانا[1]

[دعوة إلى مجلس شراب]

أخبرني محمدُ بنُ العبّاس قال : حدَّثني عمّي عُبَيد الله عن جماعة من أهلِنا : أنّ إبراهيمَ بنَ أبي محمدٍ اليزيديَّ كان يعاشر أبا غسان ، مولى منيرة ؛ وكانت لـه جارية مغنّية ؛ يقال لها جـاني ؛ فدَعاه يوماً أبو غسان وجلسنا للشرب ، فقـال لـه : لو دعوْتَ ابنَ أخيك ، يعني أحمد بن محمدَ بنَ أبي محمد ، لنأنس به . فكتب إليه إبراهيم[2] : [من المجتث]

يا أكـرمَ الناسِ طُرّاً وأكـرم الفتيـانِ[3]
بـادرِ إلينـا لكيما تُسقى سُلاف الدِّنانِ
على غِنـاء غـزال مُهَفْهَـفٍ فتّـانِ
اشرَبْ على وجه جاني شرابَـك الخُسَرواني
فمـا لِجـانِ نظيـرٌ ومالُهـا مـن مُدانِ
إلاّ الذي هـو فَـرد ومالـه مـن ثـانِ
أعنـي الهلال لِستٍّ في شهـرِه وثمـانِ
للنّـاسِ بَـدرٌ منيرٌ يُـرى بكلِّ مكانِ
ومـا لنا غيرُ بـدر لـدى أبـي غسانِ

1 دير قرب دمشق مشرف على مزارع ورياض .
2 شعر اليزيديين : 141 عن الأغاني .
3 وأكرم في شعر اليزيديين : وأظرف .

ذِكْراه في كلِّ وقتٍ ... موصولةٌ بلساني
سَبَيْتُه وسباني ... فحُبُّه قد براني
مِن ثم لستَ تَراني ... أَصبو إلى إنسانِ

[في بعض إخوانه]

أَنشدنا أَبو عبد الله اليزيديُّ عن عمِّه الفضلِ لإبراهيمَ بنِ أَبي محمدٍ اليزيديِّ في بعض إخوانه، وقد رأَى منه جفوة، ثم عاد واستصلحه، فكتب إليه[1]: [من الكامل]

مَن تاه واحدة فتِهْ عَشْرا ... كي لا يجوز بنفسه القدرا
وإذا زها أَحدٌ عليكَ فكن ... أَزهى عليه ولا تكن غُمْرا
أَرأيتَ مَن لم ترجُ منفعةً ... منه ولم تحذرْ له ضَرا
لم يُستذَلَّ وتُستذلُّ له ... بل كن أَشدَّ إذا زها كِبرا[2]

[عربدة في مجلس الخليفة]

حدَّثني عمِّي والحسنُ بنُ عليٍّ قالا: حدَّثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُوَيْه قال: حدَّثني أَبي عن جعفرِ بن المأمون قال: دخل إبراهيم بنُ أَبي محمدٍ اليزيديُّ على أَبي وهو يشرب، فأَمره بالجلوس فجلس، وأَمر له بشراب فشرب. وزاد في الشرب فسَكِرَ وعَرْبد، فأَخذ عليُّ بنُ صالحٍ صاحبُ المصلَّى بيده، فأَخرجه فلمّا أَصبح كتب إلى أَبي[3]: [من الطويل]

أَنا المذنبُ الخطّاءُ والعفوُ واسعٌ ... ولو لم يكن ذنب لَما عُرِف العفوُ
ثمِلتُ فأَبدتْ منِّي الكأسُ بعض ما ... كرهتُ وما إن يستوي السكر والصحوُ
ولولا حُمَيّا الكأس كان احتمال ما ... بَدَهتُ به لا شكَّ فيه هو السَّرْوُ[4]
ولا سيما إذ كنتُ عند خليفةٍ ... وفي مجلس ما إن يجوزُ به اللغوُ
تنصلتُ من ذنبي تنصُّلَ ضارعٍ ... إلى مَن لديه يُغْفَرُ العمدُ والسهوُ
فإن تعفُ عنِّي تُلْفِ خطويَ واسعاً ... وإلاّ يكن عفو فقد قصرَ الخطوُ

[حجبه هارون بن المأمون]

حدَّثني عمِّي قال: حدَّثنا الفضلُ بنُ محمدٍ اليزيديُّ قال: جاء عمِّي إبراهيمُ إلى هارونَ

---

1 شعر اليزيديين: 132 عن الأغاني.
2 شعر اليزيديين: لم تسترك.
3 شعر اليزيديين: 143.
4 السرو: الفضل والسخاء في المروءة.

ابن المأمون ، فصادفه قد خلا هو وجماعة من المعتزلة . فلم يصل إليه وحُجب عنه ، فكتب إليه[1] : [من الكامل]

غلبَتْ عليكم هذه القَدَرِيَّهْ فعليكمُ منّي السَّلام تحيَّهْ

آتيكمُ شوقاً فلا ألقاكمُ وهمُ لدَيكم بُكرةً وعشيَّهْ

هارونُ قائدُهم وقد حَفَّتْ به أشياعه وكفى بتلك بليَّهْ

لكنَّ قائدَنا الإمامُ ورأينا ما قد رآه فنحنُ مأمونيَّهْ

[في غلام ألفه ابنه]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني الفضلُ قال : كان لعمّي إبراهيمَ ابنٌ يقال له : إسحاق ، وكان يألف غلاماً من أولاد الموالي . فلمّا خرج المعتصم إلى الشام خرج إبراهيم معه ، وخرج الغلام الذي يألفه في العسكر ، وعرف إبراهيم أنّه قد صحِب فتى من فتيان العسكر غير ابنه ، فكتب عمّي إبراهيم إلى ابنه[2] : [من السريع]

قُل لأبي يعقوب إنَّ الذي يعرفه قد فعلَ الحُوبا[3]

كان محبّاً لكَ فيما مضى فالآن قد صادفَ محبوبا

يركبُ هذا ذا وذا ذا فما ينفك تصعيداً وتصويبا

فرأسُ إسحاقَ فدَيناه قد أظهر شيئاً كان محجوبا

أرى قروناً قد تجَلّلنه منصوبةً شُعِّبن تشعيبا

أظنّه يعجِز عن حملها إذ رُكّبت في الرأسِ تركيبا

يا رحمتا لابني على ضعفه يحملُ منهنّ أعاجيبا

[ابن أخيه يستزيد عنايته]

حدَّثني عمّي قال : حدَّثني فضلٌ اليزيديُّ قال : كتبتُ إلى عمّي إبراهيمَ أستعين به في حاجة لي ، وأستزيده من عنايته بأموري ، وأُطالبه أن يتوفّر نصيبي لديه وفيما أبتغيه منه ، فكتب إليّ[4] : [من المتقارب]

فدَيتك لو لم تكن لي قريباً وكنتُ امرءاً أجنبيّاً غريبا

1 شعر اليزيديين : 145 عن الأغاني .

2 شعر اليزيديين : 127 عن الأغاني .

3 الحوب : الإثم .

4 شعر اليزيديين : 128–130 عن الأغاني .

مـع البرِّ منك ومـا يستجر ... بـه مستخفّـاً إليـك اللبيبا[1]
لمـا إن جعلْت لخلـق سوا ... ك مثـلَ نصيبك منّي نصيبا
وكنـتَ المقـدّم مِمّن أودّ ... وازداد حقّك عندي وُجوبا
تَلطّفْ لمـا قـد تكلّمتُ فيه ... فما زلتَ في الحاجِ شهماً نجيبا
وراوض أبـا حسن إن رأيـ ... ـتَ واحتل بِرِفقك حتى يجيبا
فإن هـو صار إلى مـا تريد ... وإلاّ استعنـتَ عليـه الحبيبا
ومـا لا يخالف مـا تشتهيه ... لِتلفِيَـه غيـرَ شكّ مجيبا[2]
يـودك خاقـان وُدّاً عجيباً ... كذاك الأديـب يحبُّ الأديبا
وأنتَ تكافيه بـل قـد تزيد ... عليـه وتجمـع فيـه ضروبا
تُثيب أخـاك على الودِّ منـه ... وذو اللـبِّ يأنـفُ ألاّ يثيبا
ولا سيّمـا إذ بَـراه الإلـ ... ـه كالبدر يدعو إليه القلوبا
يـرى المتمنِّـي لـه رِدْفَه ... كثيباً وأعلاه يحكـي القضيبا
وقد فاقَ في العلمِ والفهمِ منه ... كما تـمَّ مِلْحاً وحسناً وطيبا[3]
ويبلـغ فيما يقولـون ليس ... يعـاف إذا ناولـوه القضيبا
ولكنّـه وافَـق الزاهديـن ... فخاب وقد ظَنَّ أن لن يخيبا
وإن ركِـب المـرء فيه هوا ... هُ عـاثَ فتطهيره أن يثوبا
إذا زارت الشاة ذئبـاً طبيباً ... فـلا تأمَنـنَّ على الشاةِ ذيبا
وعند الطبيبِ شفـاءُ السقيمِ ... إذا اعتلَّ يومـاً وجاء الطبيبا
ولستَ تـرى فارساً في الأنا ... مِ إلاّ وَثُوبـاً يجيـد الركوبا

[رفقة سفر]

أخبرني محمدُ بنُ العبّاس اليزيديُّ قال : حدَّثني عمِّي عُبَيد الله قال : وحدَّثني أخي أحمد قال : زامل المأمونُ في بعض أسفاره بين يحيى بنِ أكثمَ وعبّادةَ المخنَّث ، فقال عمِّي إبراهيم في ذلك[4] : [من السريع]

وحـاكمٍ زامـلَ عبّـاده ... ولم يـزلْ تلـك لـه عادَهْ

---

1 ما يستجر في الشعر : وما تنجز .
2 تشتهيه في الشعر : أشتهيه .
3 الملح : الملاحة والحسن .
4 شعر اليزيديين : 131 عن الأغاني .

لو جاز لي حُكم لَما جاز أن يحكـم في قيمـةِ لُبّـادَهْ
كم مـن غلام عـزَّ في أهله وافـتْ قفـاه منـه سجادَهْ[1]

[قاضي القضاة يلوط]

وقال في يحيى أيضاً[2] : [من الطويل]

وكنّا نرجّي أنْ نرى العدلَ ظاهراً فأعقبنا بعـدَ الرجـاءِ قُنوطُ
متـى تصلحُ الدُّنيا ويصلحُ أهلُها وقاضـي قضاةِ المسلمينَ يلوطُ !

[المأمون ويحيى بن أكثم]

وأخبرني عمِّي حدَّثنا أبو العيناء قال : نظر المأمون إلى يحيى بنِ أكثمَ يلحظ خادماً له ، فقال للخادم : تعرضْ له إذا قمت ؛ فإنِّي سأقوم للوضوء ، وأمره ألاّ يبرحَ ، وعُدْ إليّ بما يقول لك ، وقام المأمون ، وأمر يحيى بالجلوس . فلمّا غَمزه الخادم بعينه ، قال يحيى : ﴿لولا أنتم لَكنَّا مُؤمنينَ﴾[3] فمضى الخادم إلى المأمون فأخبره ، فقال له : عُدْ إليه فقُل له : ﴿أنحْنُ صَدَدْناكم عَنِ الهُدى بعدَ إذ جاءَكم بَلْ كنتُم مُجرمينَ﴾[4] . فخرج الخادم إليه ، فقال له ما أمره به المأمون ، فأطرَق يحيى وكادَ يموتُ جزعاً ، وخرج المأمون وهو يقول : [من الطويل]

متى تصلحُ الدُّنيا ويصلحُ أهلُها وقاضي قضاةِ المسلمـين يلوطُ !

قُم وانصرفْ ، واتَّقِ اللهَ ، وأصلح نيَّتكَ .

[يرتجل في مجلس المأمون]

حدَّثنا اليزيديّ قال : حدَّثني ابن عمِّي إسحاق بن إبراهيم بنِ أبي محمد اليزيديّ عن أبيه إبراهيم قال : كنتُ عند المأمون يوماً وبحضرته عَريبُ ، فقالت لي على سبيل الوَلَع بي : يا سلعوس ، وكان جَواري المأمون يلقبنَني بذلك عبثاً ، فقلت لها[5] : [من الطويل]

قُلْ لعريـبٍ لا تكوني مسلعسه وكوني كتتريفٍ وكوني كمونسَهْ

فقال المأمون : [من الطويل]

فإن كثرَتْ منكَ الأقاويلُ لم يكن هنالكَ شكٌّ أنّ ذا منكَ وسوسَهْ

قال : فقلت : كذا والله يا أمير المؤمنين أردتُ أن أقول ، وعجبت من ذهن المأمون .

1 السجادة : أثر السجود في الجبهة ، وجعلها في قفاه .
2 شعر اليزيديين : 136 .
3 سورة سبأ ، الآية 31 .
4 سورة سبأ ، الآية : 32 .
5 شعر اليزيديين : 135 .

## مِمَّن غُنِّيَ في شعره من ولد أَبي محمد اليزيديّ

# [ 423 ] ـ أبو جعفر أحمد بن محمد[1]

فمن ذلك[2] : [من البسيط]

### صوت

شوقي إليكَ على الأيّامِ يــزدادُ والقلبُ مُذ غبْتَ للأَحزانِ معتادُ
يا لهفَ نفسي على دهر فُجعتُ به كأَنَّ أَيّامــه في الحسنِ أَعيـادُ

الشعر لأحمدَ بن محمدِ بنِ أَبي محمد ، والغِناء لِبَحر هزج ، وفيه ثاني ثقيل مطلق . ذكر الهِشاميّ أنّه لإسحاق ، وما أراه أصاب ، ولا هو في جامع إسحاق ، ولا يشبه صنعته .

وكان أحمد راوية لعلم أهله ، فاضلاً أديباً ، وكان أسنّ ولَد محمدِ بنِ أبي محمد ، وكان إخوته جميعاً يأْثُرون علوم جدِّهم وعمومتِهم عنه ، وقد أدرك أبا محمد ، وأظنّ أنّه قد روى عنه أيضاً ، إلاّ أنّي لم أذكر شيئاً من ذلك وقت ذكري إيّاه فأحكيَه عنه .

[كتاب عمِّه لما بات عند ابن المأمون]

أَخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال : حدَّثنا الفضلُ بنُ محمدٍ اليزيديُّ قال : حدَّثني أَخي أَبو جعفر قال : كنتُ عند جعفرِ بنِ المأمون مقيماً ، فلمّا أردت الانصرافَ منعني ، فبتّ عنده ، وزارته لما أصبحنا عريبُ في جواريها ؛ وبتّ فاحتبسها من غدٍ ؛ فاستطبتُ المقام أيضاً فأَقمت ، فكتب إليّ عمّي إبراهيم بن محمد اليزيديّ[3] : [من السريع]

شرِدْتَ يـا هذا شُرودَ البعيرْ وطالــت الغيبةُ عنــد الأَميرْ
أَقمــتَ يومَيْــنِ وليليهمـــا وثالثـــاً تُحبــى ببــرٍّ كثيرْ
يــومُ عَريــبٍ مــع إحسانها إن طالت الأيّامُ يــوم قصيرْ

---

1 ترجمة أحمد بن محمد بن أَبي محمد اليزيديّ في معجم الأدباء (عبّاس) : 434-436 وطبقات الزبيديّ : 82-86 وبغية الطلب 2 : 13 وتاريخ بغداد 5 : 117 وإنباه الرواة 1 : 127 والوافي 7 : 388 وطبقات ابن الجزري 1 : 133 وبغية الوعاة 1 : 386 ومصورة تاريخ ابن عساكر 2 : 223 وتهذيب ابن عساكر 2 : 82-83 ومختصر ابن منظور 3 : 289 .

2 شعر اليزيديين : 163 عن الأغاني .

3 شعر اليزيديين : 133-134 عن الأغاني .

لَهـــا أغـــانٍ غيرُ مملولـــة منها ولا تخلُق عنـــد الكرورْ
غيرُ مَلـــوم يـــا أبـــا جعفر أن تؤثرَ اللهوَ ويـــومَ السرورْ
فاجعل لنـــا منك نصيباً فما إن كنتَ عن مجلسنا بالنّفورْ
وصِر إلينا غير مـــا صاغر أصارك الرحمـــنُ خيرَ المصيرْ
إن لم يكن عندي غِنـــاء ولا عُود فعندي القَمْر بالنردشيرْ[1]
والذّكر بالعلمِ الذي قد مضى بأهلِه حادثُ صَرْفِ الدّهورْ
وهـــو جديـــدَ عندنـــا نهجه أعلامـــه تحويه منّـــا الصدورْ
فالحمـــدُ للهِ عـــلى كلِّ مـــا أولى وأبـــلى ولربِّي الشُّكورْ

[في غلام وسيم]

حدَّثنا محمدُ بنُ العبّاس اليزيديُّ قال : حدَّثني عمِّي الفضلُ قال : سمعتُ أخي أبا جعفر أحمدَ بنَ محمد يقول : دخلتُ إلى المعتصم يوماً وبين يديه خادم وضيء جميل وسيم ، فطلعَتْ عليه الشمس ، فما رأيت أحسن منها على وجهه ؛ فقال لي : يا أحمد ، قُل في هذا الخادم شيئاً ، وصفْ طلوع الشمس عليه وحسنها ، فقلت[2] : [من السريع]

قد طلعَتْ شمسٌ على شمسٍ وطـــابَ لي الهوى مع الأُنسِ
وكنتُ أقلي الشمس فيما مضى فصرتُ أشتـــاقُ إلى الشمسِ

[جوابه عن اعتذار]

حدَّثني اليزيديُّ قال : حدَّثني عمِّي الفضل قال : كتب إلى أخي بعض إخوانه مِمّن كان يألفه ويديم زيارته ، ثم انقطع عنه ، يعتذر إليه من تأخُّره عنه ، فكتب إليه[3] : [من السريع]

إنِّي امرؤ أعـــذِر إخواني في تركهم برِّي وإتياني
لأنّه لا لهـــوٌ عندي ولا لي اليومَ جاهٌ عند سلطانِ
وأكثر الإخوان في دهرنا أصحاب تمييز ورُجحانِ
فمَـــن أتاني مُنعماً مُفْضلاً فشكرُه عنـــديَ شكرانِ
ومَن جَفاني لم يكن لومُه عنـــدي ولا تعنيفُه شاني

---

1 القمر : الغَلب في القمار . والنردشير : النرد .
2 شعر اليزيديين : 170 .
3 شعر اليزيديين : 176 .

أعفو عن السيّىء من فِعلهم وأُتبِع الحسنى بإحسانِ
حسْبُ صديقي أنّه واثقٌ منّي بإسراري وإعلاني

[ينشد المأمون في حداثته]

حدَّثني اليزيديّ قال : حدَّثني أبي عن عمِّي عن أبي جعفرٍ أحمدَ بنِ محمد قال : دخلتُ على المأمون وهو في مجلس غاصّ بأهله ، وأنا يومئذٍ غلام ، فاستأذنت في الإنشادِ ، فأذِن ، فأنشدته مديحاً لي مدحتُه به ، وكان يستمع للشاعر ما دام في تشبيب أو وصف ضرب من الضروب ، حتى إذا بلغ إلى مديحه لم يسمع منه إلاّ بيتين أو ثلاثة ، ثم يقول للمنشد : حسبُك ترفّعاً ، فأنشدته[1] : [من الكامل]

يا مَنْ شكوتُ إليه ما ألقاهُ وبذلتُ من وَجدي له أقصاهُ
فأجابني بخلافِ ما أمّلْتُه ولربَّما مُنع الحريصُ مناهُ
أترى جميلاً أن شكا ذو صَبْوة فهجرتَه وغضبتَ من شكواهُ
يكفيك صَمتٌ أو جوابٌ مؤيسٌ إن كنتَ تَكره وصله وهواهُ
موتُ المحبّ سعادةٌ إن كان مَن يهواه يزعمُ أن ذاك رضاهُ

فلمّا صرت إلى المديح قلت :

أبقى لنا اللهُ الإمامَ وزادَه عزّاً إلى العزِّ الذي أعطاهُ
فاللهُ مكرمنا بأنّا معشر عُتقاء من نعم العباد سواهُ

فسرّ بذلك وضحك ، وقال : جعلنا الله وإيّاكم مِمّن يشكر النعمة ، ويحسن العمل .

[غضب المأمون ثم سكن غضبه]

أخبرنا محمدُ بنُ العبّاس قال : حدَّثني أبي عن أخيه أبي جعفر قال : دخلت يوماً على المأمون بقارا ، وهو يريد الغزو فأنشدته شعراً مدحته فيه ؛ أوّله[2] : [من الكامل]

يا قصرُ ذا النّخلات من بارا إنّي حللتُ إليك من قارا[3]
أبصرتُ أشجاراً على نهر فذكرتُ أشجاراً وأنهارا
للهِ أيّامٌ نعِمتُ بها بالقُفْصِ أحياناً وفي بارا[4]

1 شعر اليزيديين : 177 .
2 شعر اليزيديين : 168–169 .
3 بارا : قرية كانت قريبة من بغداد .
4 القفص : قرية أخرى قريبة من بغداد كانت تقصد للنزهة ومجالس الفرح .

إذ لا أَزال أَزور غانيـــــة أَلهـو بهـــا وأَزور خَمّــارا
لا أَستجيب لِمَن دَعا لِهُدًى وأجيــبُ شطّـــاراً ودُعّارا
أَعصي النصيحَ وكلَّ عاذلـة وأُطيــعُ أوتــاراً ومــزمارا

قال : فغضب المأمون ، وقال : أَنا في وجه عدو ، وأحضُ النّاسَ على الغزو ، وأَنت تذكِّرهم نزهة بغداد ؟ فقلت : الشيء بتمامه ، ثم قلت :

فصحوت بالمأمونِ عن سُكُري ورأَيتُ خيرَ الأَمـرِ ما اختارا
ورأَيـــتُ طاعَتَــهُ مؤديــةً لِلفَــرض إعلانــاً وإسرارا
فخلعتُ ثوبَ الهزلِ عن عنقي ورضيتُ دارَ الجِـدّ لي دارا
وظَلِلــتُ معتصماً بطاعتـــهِ وجِــوارِه وكفــى بـه جارا
إنّ حَلَّ أرضاً فهْي لي وطنٌ وأسيرُ عنهـــا حيثمـــا سارا

فقال له يحيى بن أكثم : ما أحسن ما قال يا أمير المؤمنين ! أخبرَ أنّه كان في سكر وخَسار ، فترك ذلك وارعَوى ، وآثر طاعة خليفتِه ، وعلِم أنّ الرشد فيها ؛ فسكن وأَمسك .

[يجيز بيتاً للمأمون]

حدَّثني الصوليُّ قال : حدَّثني محمدُ بنُ يحيى بنِ أَبي عباد قال : حدَّثني هارونُ بنُ محمدِ بنِ عبد الملكِ الزيّاتُ عن أبيه قال : دعا المعتصمَ ذات يوم المأمونُ فجاءه ، فأجلسه في بيت على سَقْفِه جامات ، فوقع ضوء الشمس من وراء تلك الجامات على وجه سيما التركي غلام المعتصم ، وكان المعتصم أوجدَ النّاس به ، ولم يكن في عصره مثله ، فصاح المأمون يا أحمدُ بنَ محمد اليزيديِّ ، وكان حاضراً ، فقال : انظر إلى ضوء الشمس على وجه سيما التركيّ ، أرأيت أحسن من هذا قطّ ؟ وقد قلت : [من السريع]

قد طلعتْ شمسٌ على شمسِ وزالـــتْ الوحشةُ بـــالأنسِ

أَجِزْ يا أَحمدُ ، فقلت : [من السريع]

قد كنت أَشنا الشمس فيما مضى فصرتُ أَشتـاقُ إلى الشمسِ

قال : وفطِن المعتصم ، فعضَّ على شفته لأحمد . فقال أحمدُ للمأمون : واللهِ لئن لم يعلمْ الحقيقة من أمير المؤمنين لأقعنَّ معه فيما أُكره ، فدَعاه المأمون فأخبره الخبر ، فضحك المعتصم . فقال له المأمون : كثَّرَ اللهُ في غلمانك مثله ، إنّما استحسنت شيئاً فجرى ما سمعت لا غيره .

[حقوقه على المأمون]

حدَّثني الصوليُّ قال : حدَّثني عونُ بن محمدٍ قال : حدَّثني أَحمدُ بن محمدٍ اليزيديُّ قال : كنّا بين يدي المأمون ، فأَنشدتُه مدحاً ، فقال : لئن كانت حقوق أصحابي تجِب عليَّ لطاعتهم

بأنفسهم فإنّ أحمد مِمّن تجبُ له المراعاة لنفسه وصُحبته ، ولأبيه وخدمته ، ولَجَدِّه وقديم خدمته وحرمته ، وإنّه لَلْعَريق في خدمتنا . فقلت : قد علّمْتني يا أمير المؤمنين كيف أقول ، ثم تنحَّيتُ ورجعتُ إليه ، فأنشدته[1] : [من الكامل]

لي بالخليفــةِ أَعظـم السببِ فبِــه أَمنتُ بوائـقَ العَطَبِ
ملِــك غذَتني كفّــه وأبــي قَبــلي وجـدِّي كان قبلَ أبي
قـد خصَّني الرحمنُ منــه بما أسمو بـــه في العجمِ والعربِ

فضحك ، وقال : قد نظمتَ يا أحمد ما نثرناه .

هذا آخر أخبار اليزيديِّين وأشعارهم التي فيها صنعة .

## صوت

[من الطويل]

أَفي كُلِّ يومٍ أَنتَ مـن غُبُرِ الهوى إلى الشُّمِّ مـن أَعلامِ ميلاء ناظرُ
بعمشاءَ مــن طولِ البكاءِ كأنّما بهــا خَــزَرٌ أو طرفُهـا مُتخازرُ

عروضه من الطويل ، والغُبْر : البقيّة من الشيء ، يقال : فلان في غبر من علته . وأكثر ما يستعمل في هذا ونحوه ، والشمّ : الطوال ، والأعلام جمع علم وهو الجبل ، قالت الخنساء[2] : [من البسيط]

وإنّ صخــراً لَتأتمّ الهداةُ بـه كأنَّه عَلَــم في رأسِهِ نــارُ

والخزَر : ضيق العين وصغرها ، ومنه سُمِّي الخزر بذلك لصغر أعينهم ، قال الراجز : [من الرجز]

إذا تخازرت ومــا بـي من خَزَرْ ثم كسرت الطرفَ من غيرِ عورْ

والشعر لرجل من قيس يقال له كعب ، ويلقّب بالمخبل . والغناء لإبراهيم ، ثقيل أوّل بالوسطى . ومن النّاس مَن يروي الشعر لغير هذا الرجل وينسبه إلى ذي الرُّمّة[3] ، ويجعل فيه ميّة مكان ميلاء ، ويقال : إنّ اللحن لابن المكيّ ، وقد نسب إلى غيرهما ، والصحيح ما ذكرناه أوّلاً .

1 شعر اليزيديين : 161 عن الأغاني .
2 ديوان الخنساء (صادر) : 49 .
3 ليسا في ديوانه .

# [ 424] ـ أخبار المخبل القيسيّ ونسبه[1]

[تزوّج ابنة عمّه وأحبّ أختها]

قال عبدُ الله بنُ أبي سعد الورّاق ، فيما أخبرني به حبيبُ بنُ نصر المهَلَّبيّ ، إجازة عنه : حدَّثني عليُّ بن الصباح بن الفرات ، قال : أخبرني عليُّ بنُ الحسن بنِ أيّوب النبيل ، عن رباح بن قطيب بن زيد الأسديّ ، قال : كانت عند رجل من قيس يقال له : كعب ، بنتُ عمٍّ له ، وكانت أحبَّ النّاس إليه فخلا بها ذات يوم فنظر إليها وهي واضعة ثيابها ، فقال : يا أمّ عمرو ، هل تَرَينَ أنّ الله خلق أحسنَ منك ؟ قالت : نعم ، أُختي مَيلاء ، هي أحسن منّي .

قال : فإنّي أُحبّ أن أنظر إليها ، فقالت : إنْ علمَتْ بِك لم تخرج إليك ، ولكن كُن من وراء السِّتر ، ففعل ، وأرسلَتْ إليها فجاءتها ، فلمّا نظر إليها عشقها وانتظرها حتى راحتْ إلى أهلِها ، فاعترضها فشكا إليها حبَّها ، فقالت : والله يا ابنَ عمٍّ ، ما وجدتَ من شيء إلاّ وقد وقع لك في قلبي أكثرُ منه . وواعدتَه مرّة أُخرى ، فأتتهما أُمّ عمرو وهما لا يعلمان ، فرأتهما جالسين ، فمضت إلى إخوتها ، وكانوا سبعة ، فقالت : إمّا أن تزوّجوا ميلاءَ كعباً ، وإمّا أن تُكفوني أمرَها .

[رحيله عندما انكشف حبه]

وبلغهما الخبر ، ووقف إخوتها على ذلك ، فرمَى بنفسه نحو الشام حياءً منهم ، وكان منزله ومنزل أهله الحجاز ، فلم يدرِ أهلُه ولا بَنو عمِّه أين ذهبَ ، فقال كعبٌ : [من الطويل]

أفي كلِّ يومٍ أنتَ من لاعجِ الهوى ... إلى الشُّمِّ من أعلامِ ميلاءَ ناظرُ
بعَمْشاءَ من طولِ البكاءِ كأنّما ... بها خَزَرٌ أو طرفُها متخازرُ
تَمنَّى المُنى حتى إذا ملَّت المنى ... جرى واكِفٌ من دمعِها متبادرُ
كما ارْفضّ عنها بعدَما ضمّ ضمّةً ... بخيط الفَتيل اللؤلُؤُ المتناثرُ

[رواية شعره تدل عليه]

قال : فرواه عنه رجل من أهل الشام ، ثم خرج بعد ذلك الشاميّ يريد مكّةَ ، فاجتاز بأُمّ

---

1 ترجمة المخبل القيسي في المؤتلف والمختلف : 271 ، وقال صاحبه لا أعرف نسبه ، وأورد له خمسة أبيات رائية ؛ وفي معجم المرزبانيّ : 235 ، إذ ورد فيه : حجازيّ إسلاميّ أحد المتيمين المشهورين بالعشق وأورد له بيتين يائيّين وبيتاً من النونيّة ؛ وفي تزيين الأسواق : 170–173 ، وفيه : هو أبو خثعم كعب بن مالك أو عبدالله أو خثعم بن لابي بن رباح بن ضمرة ، طائي من عرب الحجاز ، وفيه أيضاً : وكان جواداً سخيّاً شجاعاً مألوف الصورة وأورد ابن حمدون في التذكرة (6 : 154–156) خبر وفاته قريباً ممّا في الأغاني ، وسمّاه كعب بن مالك ؛ وانظره أيضاً في مصارع العشاق (صادر) 2 : 140–143 .

عمرو وأُختها ميلاء ، وقد ضَلَّ الطريقَ ، فسلَّم عليهما ثم سأَلهما عن الطريق ، فقالت أُمّ عمرو : يا ميلاء ، صفي له الطريق ، فذَكر ، لما نادتْ : يا ميلاءُ ، شعر كعبٌ هذا ، فتمثّل به ، فعرفَت أُمّ عمرو الشعر ، فقالت : يا عبدَ الله ، مِن أين أنتَ ؟ قال : رجل من أهلِ الشام . قالت : مِن أين رويتَ هذا الشعر ؟ قال : رويته عن أعرابيّ بالشام . قالت : أَوَ تدري ما اسمه ؟ فقال : سمعتُ أنّه كعبٌ ، فأَقسمَتْ عليه : لا تَبْرح حتى تعرّف إخوتنا بذلك فنُحسن إليك نحنُ وهم ، وقد أنعمتَ علينا . قال : أفعل ، وإنّي لأروي له شعراً آخر ، فما أدري أتعرفانه أم لا ؟ فقالت : نسألكَ باللهِ إلاّ أسمعتنا ، قال : سمعته يقول[1] : [من الطويل]

خليليّ قد قِسْتُ الأُمورَ ورُمتُها ... بِنَفْسي وبالفِتيانِ كلَّ زمانِ
فلم أُخفِ سُوءًا للصديقِ ولم أَجدْ ... خليّاً ولا ذا البَثّ يستويانِ
من النّاسِ إنسانان دَيني عليهما ... مليئانِ لو شاءا لقد قَضَياني[2]
خليليّ أمّا أُمُّ عمرو فمنهما ... وأمّا عن الأُخرى فلا تَسَلاني
بُلينا بهجران ولم أَرَ مثلَنا ... من النّاسِ إنسانَيْن يهتجرانِ
أَشدَّ مصافاةً وأبعدَ من قِلًى ... وأَعْصى لِواشٍ حين يكتفيانِ
تحدَّث طرفانا بما في صدورنا ... إذا استعجَمَت بالمنطقِ الشفتانِ
فواللهِ ما أَدري أَكلُّ ذوي الهوى ... على ما بنا أَو نحن مبتَلَيانِ ؟
فلا تَعْجبا مِمّا بيَ اليومَ من هوًى ... فَبي كلَّ يوم مثلُ ما تريانِ
خليليّ عن أيِّ الذي كان بيننا ... من الوصلِ أَم ماضي الهوى تسلانِ ؟
وكنّا كَريمَي معشرٍ حُمَّ بيننا ... هوى فحفِظناه بحسن صِيانِ
سلاه بأمّ العَمْرو مَن هي إذ بَدا ... به سقمٌ جَمٌّ وطول ضمانِ[3]
فما زادنا بُعدُ المدى نَقْضَ مِرَّةٍ ... ولا رجَعا مِن عِلْمنا ببيانِ[4]
خليليّ لا واللهِ ما لِيَ بالذي ... تريدان من هجرِ الحبيبِ يدانِ
ولا لِيَ بالبين اعتلاءٌ إذا نأَت ... كما أَنتما بالبينِ معتلِيانِ

---

1 هذا الشعر في تزيين الأسواق (28 بيتاً) ومصارع العشاق (18 بيتاً) والتذكرة الحمدونية (11 بيتاً) مع بعض اختلاف في الرواية .

2 مليئان (مليان) : مقتدران .

3 ضمان : مرض ملازم .

4 المرة : فتل الحبل .

[وجد ميلاء قد توفيت فمات غماً]

قال : ونزل الرجل ووضع رحله حتى جاء إخوتها ، فأخبروه الخبر ، وكانوا مهتمّين بكعب ، وكان كعب أظرفَهم وأشعرهم ، فأكرموا الرجل وحملوه على راحلة ودلّوه على الطريق ، وطلبوا كعباً فوجدوه بالشام ، فأقبلوا به ، حتى إذا كانوا في ناحية ماءِ أهلِهم إذا الناسُ قد اجتمعوا عند البيوت . وكان كعب تَرك بُنيّاً له صغيراً ، فزحمه غلام منهم في ناحية الماء ، فقال له كعب : ويحكَ يا غلامُ ! مَن أبوكَ ؟ فقال : رجل يقال له : كعب ، قال : وعَلى أيِّ شيء قد اجتمع النّاس ؟ وأحسّ قلبُه بالشرّ . قال : اجتمعوا على خالتي ميلاء . قال : وما قصّتها ؟ قال : ماتت . فزفر زفرة مات منها مكانَه ، فدُفِن حِذاء قبرها . قال : وقال كعب وهو بالشام : [من الطويل]

أحقّاً عبادَ اللهِ أن لستُ ماشياً … بمرحابَ حتى يُحشَرَ الثقلانِ

ولا لاهِياً يوماً إلى الليلِ كلِّه … ببيضٍ لطيفات الخصورِ رواني

يُمنِّيننا حتى تَرِيعَ قلوبنا … ويَخلِطنَ مَطْلا ظاهراً بِلَيانِ[1]

فعينيّ يا عينيَّ حتّام أنتما … بهجران أُمِّ العمرو تختلجانِ

أما أنتما إلاّ عليَّ طليعةٌ … على قُرْب أعدائي كما تريانِ

فلو أنّ أُمّ العمرو أضحَتْ مقيمةً … بمصرَ وجثماني بِشحْرِ عُمانِ

إذا لرجوتُ اللهَ يجمع شملَنا … فإنّا على ما كان ملتقيانِ

## نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

## صوت

[من الطويل]

من الناسِ إنسانانِ دَيْني عليهما … مليئانِ لو شاءا لقد قضياني

خليليّ أمّا أُمُّ عمرو فمنهما … وأمّا عن الأُخرى فلا تَسَلاني

عروضه من الطويل ، الشعر ، على ما في هذا الخبر ، لِكعب المذكورةِ قصّته ، ورَوى المفضلُ بنُ سلمة وأبو طالب بن أبي طاهر هذين البيتين مع غيرهما لابن الدُّمينة الخَثْعميّ . والغناء لإبراهيم الموصليّ ، خفيف رمل بالوسطى ، ذكره أبو العَنْبَس عنه ، وذكر ابن المكّيّ أنّه لعَلُّويَه . والأبيات التي ذكرنا أنّ المفضلَ بنَ سلمة وابن أبي طاهر روياها لابن الدُّمينة مع

1 تريع : ترجع .

البيتين اللذين فيهما الغناء هي[1] : [من الطويل]

مِــن النّاسِ إنسانان دَيْني عليهما … مليئـــان لـــو شاءا لقد قضياني
خليـــليّ أمّا أمّ عمـــرو فمنهما … وأمّا عـــن الأُخرى فلا تَسَلاني
مَنُوعـــان ظَلاّمان مــا يُنصفانني … بِدَليهمـــا والحُسنِ قـــد خَلَباني
مِن البِيض نجلاء العيــون غذاهما … نعيـــمٌ وعَيشٌ ضـــاربٌ بِجِرانِ[2]
أَفي كلّ يــومٍ أنــت رامٍ بلادَها … بعَيْنـــين إنساناهُمـــا غَرِقـــانِ
إذا اغرَوْرقتْ عيناي قال صحابتي … لقـــد أُولِعـــتْ عينـاكَ بالهَمَلانِ

وقد رُوي أيضاً أنّ هذا البيت :

أَفي كلّ يـــومٍ أنتَ رامٍ بلادَها

لعُروة بنِ حَزام : [من الطويل]

أَلا فاحملاني بارك اللهُ فيكما … إلى حاضرِ الرّوحاءِ ثم ذراني[3]

أخبرني محمدُ بنُ خلف وكيعٌ ، قال : حدَّثني أبو سعيد القيسيّ ، قال : حدَّثني سليمان بن عبد العزيز ، قال : حدّثني خارجة المللي قال : حدّثني مَن رأى عُروةَ بنَ حِزام يطاف به حول البيت ، قال : فقلت له : مَن أنت ؟ قال : أنا الذي أقول : [من الطويل]

أَفي كلّ يـــومٍ أنتَ رامٍ بلادَها … بعَيْنَيْـــن إنساناهمـــا غَرِقـــانِ
أَلا فاحمِلاني باركَ اللهُ فيكما … إلى حاضرِ الرّوحاءِ ثـمّ ذراني

فقلت : زِدني ، قال : لا ، ولا حَرْف .

[التغنّي بالصوت المنسوب إليه يهيج الواثق للإيقاع بشخصين]

ويقال : إنّ الذي هاج الواثقَ على القبض على أحمدَ بنِ الخصيب وسليمان بن وهب أنّه غنّى هذا الصوت ، أعني : [من الطويل]

مِن النّاسِ إنسانانِ دَيْني عليهما

فدعا خادماً كان للمعتصم ، ثم قال له : أَصْدِقْني وإلاّ ضربتُ عنقك . قال : سلْ يا أمير المؤمنين عمّا شئت . قال : سمعتُ أبي وقد نَظر إليك يتمثّل بهذين البيتين ، ويومىء إليكَ إيماءً تعرفه ، فمن اللذان عنى ؟ قال ، قال لي : إنّه وقف على إقطاع أحمد بنِ الخصيب

1 في ديوان ابن الدمينة (168–172) قصيدة نونيّة تشترك مع شعر المخبل في أبيات متعددة .
2 الجران : مقدم عنق البعير .
3 الروحاء : موضع قريب من المدينة .

وسليمان بن وهب ألفي دينار ، وأنّه يريد الإيقاع بهما . فكان كلّما رآهما يتمثّل بهذين البيتين . قال : صدقتني والله ، والله لا سبقاني بهما كما سبقاه ، ثم أوقع بهما .

وأخبرني محمدُ بن يحيى الصُّوليّ ، قال : حدَّثني ميمونُ بنُ هارون ، قال : نظر الواثق إلى أحمد بن الخصيب يمشي ، فتمثّل : [من الطويل]

مِن الناس إنسانان دَيْني عليهما

وذكَر البيتين ، وأشار بقوله : [من الطويل]

خليليّ أمّا أُمّ عمرو فمنهما

إلى أحمدَ بن الخصيب . فلمّا بلغ هذا سليمانَ بن وهب ، قال : إنّا لله ! أحمدُ بن الخصيب واللهِ أُمّ عمرو ، وأنا الأخرى . قال : ونكبهما بعد أيّام . وقد قيل : إنّ محمدَ بن عبد الملك الزيّات كان السبت في نكبتهما .

[ابن الزيّات يحرض الواثق]

أخبرنا محمد بن يحيى ، قال : حدَّثنا عونُ بنُ محمد الكِنديّ ، قال : كانت الخلافة أيّام الواثق تدور على إيتاخ ، وعلى كاتبه سليمان بن وهب ، وعلى أشناس وكاتبه أحمدَ بنِ الخصيب ، فعمل الوزير محمدُ بنُ عبد الملك الزيات قصيدة ، وأوصلها إلى الواثق على أنّها لِبَعض أهل العسكر ، وهي[1] : [من البسيط]

| | |
|---|---|
| يا ابنَ الخلائِف والأَملاكِ إن نُسبوا | حُزْتَ الخلافة عن آبائـك الأُوَلِ |
| أَجُزْتَ أَم رقَدتْ عيناك عن عَجب | فيه البريَّةُ مِن خَوْف ومن وَهَلِ[2] |
| ولّيتَ أَربعـةً أَمـرَ العباد معـاً | وكلُّهمْ حاطـبٌ في حَبْل مُحْتبِلِ[3] |
| هـذا سليمانُ قـد ملَّكتَ راحتَه | مشارقَ الأرضِ من سهلٍ ومن جبلِ |
| ملَّكته السندَ فالشِّحْرين من عَدنٍ | إلى الجزيرةِ فالأطراف من مَلَلِ[4] |
| خلافةٌ قد حواها وحدَهُ فمضَت | أَحكامُه في دمـاء القـومِ والنَّفَلِ |
| وابنُ الخصيب الذي ملَّكت راحته | خلافـةَ الشام والغازيـن والقفلِ |
| فَنِيل مصرٍ فبحر الشام قـد جريا | بِمـا أَرادَ مـن الأَمـوالِ والحُللِ |

1 لم ترد في ديوانه أن فيه (زيادات من الأغاني) .
2 الوهل : الفزع .
3 المحتبل : من يمسك الصيد بالحبالة . وهو من المثل «هو يحطب في حبله» في مجمع الميداني 2 : 386 ، 398 .
4 ملل : موضع في طريق مكة .

كأنّهمْ في الذي قسّمتَ بينهمُ ... بَنُو الرشيدِ زمانَ القَسْمِ للدُّوَلِ
حوَى سليمان ما كان الأَمينُ حوى ... من الخلافةِ والتبليغِ للأَمَلِ
وأحمدُ بنُ خصيب في إمارته ... كالقاسم بنِ الرشيد الجامع السبُلِ
أَصبحتَ لا ناصحٌ يأتيك مستتراً ... ولا علانيةً خوفاً من الحِيَلِ
سَلْ بيتَ مالِكَ أَين المال تعرفه ... وسَل خَراجَك عن أَموالِك الجُمَلِ
كم في حُبوسِكَ مِمّن لا ذُنوب لهمْ ... أسرى التكذُّب في الأقيادِ والكَبَلِ
سُمِّيتَ باسمِ الرشيدِ المرتَضى فَبِه ... قِس الأُمورَ التي تُنجي من الزَّلَلِ
عِشْ فيهمُ مثل ما عاشت يداه معاً ... على البرامكِ بالتهديم للقُلَلِ

فلمّا قرأ الواثق الشعر غاظه وبلغ منه ، ونَكب سليمانَ بنَ وهب وأحمد بن الخصيب ، وأخذ منهما ومن أسبابهما ألفَ ألفِ دينار ، فجعلها في بيت المالِ ، فقال أحمدُ بنُ أبي فَنَن[1] : [من المديد]

نزلَتْ بالخائنين سَنَهْ ... سَنَةٌ للنّاسِ ممتحِنَهْ[2]
سوّغَت ذا النصحِ بغيته ... وأَزالَتْ دولةَ الخونَهْ
فتَرى أَهلَ العفافِ بها ... وهمُ في دولةٍ حسنَهْ
وترى مَن جار هِمّته ... أَن يُؤدِّي كلَّ ما احتجنَهْ[3]

وقال إبراهيم بن العبّاس لابن الزيّات : [من المنسرح]

إيهاً أَبا جعفرٍ وللدَّهر كَرّ ... راتٌ وعمّا يريبُ متَّسَعُ
أَرسلتَ ليثاً على فرائسِه ... وأَنتَ منها فانظرْ متى تَقَعُ
لكنّه قُوتُه وفيكَ له ... وقد تقضَّتْ أَقواتُه شِبَعُ[4]

وهي أبيات ، وقد كان أحمد بن أبي دواد حمل الواثق على الإيقاع بابن الزيّات ، وأمر عليّ بنَ الجَهم فقال فيه[5] : [من الرجز]

لَعائِنُ اللهِ مُوَفّراتِ ... مُصَبّحاتٍ ومهجِّراتِ

---

1 شعر ابن أَبي فنن (شعراء عباسيون ، السامرائي) 1 : 185–186 .
2 السنة : الجدب ، وهنا يعني المحنة .
3 احتجنه : حازه لنفسه .
4 اللطائف : لمظنّة قوّته .
5 ديوان علي بن الجهم (صادر) : 81–82 .

عَلى ابنِ عبـد المَلِك الزيّاتِ عرَّضَ شَملَ المُلـكِ للشتاتِ
يَرمـي الدواويـن بتَوقيعاتِ معَقَّـداتٍ غيرِ مفتوحـاتِ
أَشبه شيء بُرقـى الحَيـاتِ كأنّهـا بالزيـتِ مدهوناتِ
بعد ركوب الطوف في الفراتِ وبَعـد بَيـعِ الزيتِ بالحباتِ
سبحانَ مَن جلَّ عن الصفاتِ هارون يـا ابن سيِّد الساداتِ
أَمَـا تَـرى الأُمورَ مهملاتِ تشكـو إليـكَ عدمَ الكُفاةِ

وهي أبيات . فهمّ الواثق بالقبض على ابن الزيّات ، وقال : لقد صدق قائل هذا الشعر ، ما بقي لنا كاتب . فطرَح نفسه على إسحاق بن إبراهيم ، وكانا مجتمعَين على عداوة ابن أبي دواد . فقال للواثق : أَمِثلُ ابن الزيّات ، مع خدمته وكفايته ، يُفعل به هذا ، وما جنى عليك وما خانك ، وإنّما دَلَّك على خَوَنة أخذْتَ ما اختانوه ، فهذا ذنبه ؟ وبعد ، فلا ينبغي لك أن تَعزل أحداً أو تُعدِ مكانه جماعةً يقومون مقامه ، فمَن لك بِمَن يقوم مقامه ؟ فمحا ما كان في نفسه عليه ورجع له .

وكان إيتاخ صديقاً لابن أبي دواد ، فكان يغشاه كثيراً ، فقال له بعض كتّابه : إنّ هذا بينه وبين الوزير ما تعلم ، وهو يجيئك دائماً ، ولا تأمنُ أن يظنّ الوزير بك ممالأة عليه ؛ فعرِّفه ذلك . فلمّا دخل ابن أبي دواد إليه خاطبه في هذا المعنى ، فقال : إنّي والله ما أجيئك متعزّزاً بك من ذِلّة ، ولا متكثِّراً من قِلّة ، ولكن أمير المؤمنين رتّبك رتبة أوجبت لقاءك ، فإن لقيناك فله ، وإن تأخّرنا عنه فلنفسك ، ثم خرج من عنده فلم يعد إليه .

وفي هذه القصّة أخبار كثيرة يطول ذكرها ، ليس هذا موضعها ، وإنّما ذكرنا هاهنا هذا القدر منها كما يذكر الشيء بقرائنه .

## صوت[1]

[من الرمل]

عِشْ فَحُبِّيـكَ سريعـاً قاتلي والضّنى إن لم تصلني واصلي
ظَفرَ الشوقُ بقلـبٍ دَنِـف فيك والسُّقمُ بِجِسْمٍ ناحلِ[2]
فهُما بـينَ اكتئابٍ وضنًـى تَـرَكاني كالقضيـبِ الذابلِ

الشعر لخالد الكاتب ، والغناء للمسدُودِ ، رمل مطلق في مجرى الوسطى ، وذكر جَحْظة أنّ هذا الرمل أُخِذَ عنه ، وأنّه أوّل صوت سمعه فكتبه .

1 ديوان خالد الكاتب : 381–382 .

2 دنف في الديوان : مدنف . والدنف : الذي يلازمه المرض .

# [ 425] ـ أَخبار خالد الكاتب[1]

[ وسوسته]

هو خالدُ بنُ يزيدَ ، ويكنى أَبا الهَيْثم ، من أَهلِ بغداد ، وأَصله من خُراسان ، وكان أَحد كتّاب الجيْش . وَوُسْوِسَ في آخر عمره ، قيل إنّ السَّوْداء غلبت عليه ، وقال قوم : كان يَهوى جارية لبعضِ الوجوه ببغداد فلم يقدر عليها ، وولاَّه محمدُ بنُ عبد الملك الإعْطاء في الثغور ، فخرج فسمع في طريقه منشداً ينشد ، ومَغنِّية تغنِّي : [من البسيط]

مَـــن كان ذا شجَنٍ بالشام يطلبـــه ... ففي سِوى الشامِ أَمسى الأَهلُ والشجنُ

[اتصاله بعلي بن هشام وإبراهيم بن المهديّ]

فبكى حتى سَقَط على وجهه مغشياً عليه ، ثم أَفاق مختلِطاً . واتّصل ذلك حتى وُسْوِسَ وبطل . وكان اتصل بعليٍّ بن هشام وإبراهيم بن المهديّ . وكان سبب اتصاله بعليّ بن هشام أنّه صحبه في وقت خروجه إلى قمّ ، في جملة كتَّابِ الإعطاء ، فبلغه وهو في طريقه أنّ خالداً يقول الشعر ، فأَنِس به وسُرّ به ، وأحضره فأَنشده قوله[2] : [من السريع]

يا تاركَ الجِسْمِ بلا قلبِ ... إنْ كنتُ أَهواكَ فما ذَنبي ؟
يا مُفْرداً بالحسنِ أَفردتَني ... منكَ بطولِ الهَجرِ والعتْبِ
إن تَكُ عَيْني أَبصرتْ فِتْنَةً ... فهلْ على قلبـيَ من عَتبِ
حَسِيبكَ اللهُ لمـا بـي كما ... أَنَّكَ في فِعلكَ بي حَسْبي

[اتصاله بالمعتصم]

للمسدود في هذه الأبيات رمل طُنْبوريّ مطلق من رواية الهشاميّ ، قال : فجعله علي بن هشام في نُدَمائه إلى أن قُتِل ، ثم صحِب الفضل بن مَرْوان ، فذكره للمعتصم وهو بالماحوزَة[3] قبل أن يَبْني سُرَّ مَن رأى ، فقال خالد[4] : [من مجزوء الكامل]

1 ترجمة خالد الكاتب في تاريخ بغداد 8 : 308 والمنتظم 5 : 35 وبغية الطلب 6 : 121 ومعجم الأدباء (عبّاس) : 1243–1245 وابن خلكان 2 : 232 والوافي 13 : 278 والفوات 1 : 401–402 وطبقات ابن المعتز : 404–406 . وقد حقق ديوانه د . يونس السامرائيّ (1981) .

2 ديوانه : 482–483 .

3 الماحوزة : موضع قرب سامرا .

4 ديوان خالد الكاتب : 533 .

عــزَم السرورُ على المُقا م ِ بِسُرَّ مَــنْ را للإمامِ
بَلَــدُ المَسَرّة والفتــو حِ المستنيراتِ العظــامِ
وتــراه أَشبــهَ منـزلٍ في الأرض ِ بالبلدِ الحـرامِ
فــاللهُ يعمُــرُهُ بِمَـن أَضْحـى بـه عِزُّ الأَنـامِ

فاستحسنها الفضلُ بنُ مَرْوان وأوصلها إلى المعتصم قبل أن يُقالَ في بناء سُرّ مَن رأى شيء ، فكانت أوّل ما أُنشد في هذا المعنى من الشعر ، فتبرَّكَ بها وأمر لخالد بخمسة آلاف درهم .

وذكر ذلك كلَّه إسماعيل بن يحيى الكاتب ، وذكر اليوسفيّ صاحب الرسائل أنّ خالداً قال أيضاً في ذلك[1] : [من المنسرح]

بيَّنَ صَفْوُ الزّمـان عن كَدرِهْ في ضَحِكاتِ الربيع عن زَهَرِهْ
يـا سُرّ مَن را بوركْت مِن بَلدٍ بُــورك في نَبْتــه وفي شجرِهْ
غَـرسُ جُـدود الإمــام ينبته بأبَــكَ والمازِيــارُ مـن ثمرِهْ
فالفتحُ والنصرُ يَنزلانِ بـــه والخِصب في تُرْبه وفي شجرِهْ

فغنّى مخارقٌ في هذه الأبيات ، فسأله المعتصم : لِمَن هذا الشعر ؟ فقال : لخالد يا أمير المؤمنين ، قال : الذي يقول[2] : [من الخفيف]

كيفَ تُرْجى لذاذةُ الاغتماضِ لمريضٍ مــن العيــونِ المِراضِ

فقال محمد بنُ عبد الملك : نعم يا أمير المؤمنين ، هُوَ لَهُ ، ولكن بضاعته لا تزيد على أربعة أبيات . فأمر له المعتصم بأربعة آلاف درهم . وبلغ خالداً الخبرُ ، فقال لأحمدَ بن عبد الوهاب صاحب محمد بنِ عبد الملك ، وقيل لأبي جعفر ، أعزّه الله : إذا بلغتُ المراد في أربعة أبيات فالزيادة فضل .

[دِعبل ينصحه بأن يقتصر على المقطعات]

قال اليوسفيُّ : ولَمّا قال خالد في صفة سُرّ مَن رأى قصيدته التي يقول فيها[3] : [من الخفيف]

اسْقنــي في جرائــرٍ وزِقاقِ لتُلاقــي السرور يــوم التلاقِ
من سُلافٍ كأنَّ في الكأسِ منه عبراتٍ مــن مقلَتي مشتاقِ

1 ديوانه : 512 .

2 ديوانه : 517 .

3 ديوانه : 521 .

في رياضٍ بسُرّ مَن را إلى الكرْ خِ ودَعْني مــن سائرِ الآفاقِ
بـادِّكارَاتِ كل فتـح عظيـم لإمام الهـدى أَبـي إسحاق

وهي قصيدة ، لقيه دِعبِلٌ فقال : يا أبا الهيثم ، كنتَ صاحبَ مُقطَّعات فداخلْتَ الشعراءَ في القصائد الطوال وأنت لا تدوم على ذلك ، ويوشك أن تتعب بما تقول وتُغلَب عليه . فقال له خالد : لو عرفتُ النُّصْحَ منك لِغيري لأطعتك في نفسي .

[هجاء الحلبيّ الشاعر]

قال اليوسفيّ : وحدَّثني أَبو الحسن الشهْرَزانيّ : أَنّ خالداً وقع بينه وبين الحلبيّ الشاعر الذي يقول فيه البحتريّ :

سل الحلبيّ عـن حلب

خلافٌ في معنى شعر ، فقال له الحلبيّ : لا تعدُ طَورَك فأُخرسَك ! فقال له خالد : لستَ هناك ، ولا فيك موضع للهجاء ، ولكن ستعلم أنّي أجعلك ضُحْكة سُرّ مَن رأى . وكان الحلبيّ من أوسخ النّاس ، فجعل يهجو جُبَّتَه وثيابه وطيلسانه ، فمن ذلك قوله[1] : [من السريع]

وشاعرٍ ذي منطـقٍ رائقِ في جبّةٍ كالعارضِ البارقِ
قطعـاءَ شلاّءَ رقاعِيَّـةً دَهْرِيَّةً مرقوعـةَ العاتِقِ[2]
قدّمها العُـرْيُ على نفسِهِ لفضلِها في القَـدَرِ السابقِ

وقوله[3] : [من السريع]

وشاعـرٍ مُقْـدِمٍ لـه قـومُ ليس عليهـمْ في نصرِهِ لَـومُ
قد ساعدوه في الجوعِ كلُّهمُ فَقْـرى فكـلٌّ غَداؤُه الصومُ
يأتيـكَ في جُبّـة مُرَقّعـةٍ أَطـولُ أعمـار مثلِهـا يومُ
وطَيْلسـانٍ كالآل يلبسُـه على قميـص كأنّـه غَيْـمُ
مِـن حَلَب في صميم سِفْلَتِها غِنـاه فقـرٌ وعـزُّه ضَيمُ

قال : وقال فيه[4] : [من المنسرح]

---

1 ديوانه : 520-521 .
2 شلاء : من الشلل ، وهو السواد الثابت .
3 ديوانه : 530-531 .
4 ديوانه : 510-511 .

تـاهَ على ربِّـه فأفقـرهُ ... حتـى رآه الغِنى فأنكرَهُ
فصار من طول حِرفَةٍ علماً ... يقذفه الرزقُ حيثُ أَبصرَهُ[1]
يـا حلبيّاً قضى الإلهُ لَـه ... بالتِّيه والفقرِ حـين صوَّرَهُ
لَوْ خلطوهُ بالمسْكِ وسَّخَه ... أو طَرَحُوهُ في البحرِ كدَّرَهُ

[إبراهيم بن المهدي يستنشده]

حدَّثني جَحْظَةُ ، قال : حدَّثني خالد الكاتب ، قال : دخلتُ على إبراهيم بن المهديّ فاستنشدني ، فقلت : أيّها الأمير ، أنا غلامٌ أقول في شُجون نفسي ، لا أكاد أمدح ولا أهجو ، فقال : ذلك أشدّ لدواعي البَلاء ، فأَنشدته[2] : [من مجزوء الكامل]

**صوت**

عاتبـتُ نفسي في هـوا ... كَ فلـم أَجِدْهـا تَقْبَلُ
وأَطعـتُ داعيَهـا إليـ ... ـكَ ولم أُطِعْ مَن يعذلُ
لا والذي جعـل الوجو ... هَ لحسنِ وجهـكَ تمثُلُ
لا قلـتُ إنّ الصبرَ عنـ ... ـكِ من التّصابي أَجملُ

لجحظة في هذه الأبيات رَمَلٌ مطلق بالوسطى .

قال : فبكى إبراهيم وصاح : وَايْ عليك بإبراهيم ، ثم أَنشدته أَبياتي التي أقول فيها[3] : [من الرمل]

وبكـى العاذلُ مـن رَحْمَتي ... فبُكائـي لِبُكـا العـاذلِ

وقال إبراهيم : يا رشيق ، كم معك من العَيْن ؟ قال : سِتّمائةٌ وخمسون ديناراً . قال : اقسِمْها بيني وبين الفَتى ، واجعَل الكَسْر له صحيحاً . فأعطاني ثلاثمائة وخمسين ديناراً ، فاشتريت بها منزلي بساباطِ الحسن والحسين ، فواراني إلى يومي هذا .

[المرء لا يهب ولده]

حدَّثني جحظة ، قال : حدَّثني خالد الكاتب قال : قال لي عليّ بن الجهم : هب لي بيتَك الذي تقول فيه[4] : [من مجزوء الرمل]

---

1 الحرفة : بضم الحاء وكسرها : الحرمان وسوء الحظّ .
2 ديوانه : 524 .
3 ديوانه : 382 .
4 ديوانه : 500 .

ليتَ ما أَصْبَحَ مِنْ رقّـ ـــة خدَّيــك بقَلْبِكْ

فقلت : يا جاهل ، هل رأيتَ أحداً يهب ولده .

[سالمَ فحورب فاتّجه إلى الهجاء]

وقال أحمد بن إسماعيل الكاتب : لقيت خالداً الكاتب ذات يوم فسألته عن صديقٍ له ، وكان قد باعَدَهُ ولم أعلم ، فأنشأ يقول[1] : [من الكامل]

ظَعَن الغريبُ لغيبة الأبد حــيٌّ المخافة نائــيَ البلدِ

حيــرانَ يُـؤْنسه ويكلؤه يــومٌ تَوَعَّــدَهُ بشرٍّ غدِ

سَنحَ الغُرابُ له بأنكرِ ما تغدو النحوسُ به على أَحدِ

وابتاع أشأمـه بأيمنه الـ ـجَدُّ العَثورُ لـــه يداً بيدِ

حتى يُنيخ بأرضٍ مَهْلكةٍ في حيثُ لم يولدْ ولم يَلدِ

جزعتْ حليلتُهُ عليه فما تخلو من الزفراتِ والكمدِ

نَزَل الزّمانُ بها فأهلكها منه وأهـــدى اليُتمَ للولدِ

ظفرتْ به الأيّامُ فانحسرت عنــه بناقِــرَةٍ ولم تكَدِ[2]

فتركْنَ منــه بعـــد طِيَّتهِ مثل الذي أبقيْن من لُبَدِ[3]

قال ، فقلت له : يا أبا الهيثم مُذْ كَمْ دخلتَ في قول الهجاء ؟ قال : مذ سالمتُ فحوربتُ ، وصافيتُ فتوقّفت .

[غزل في غلام]

وقال الرياشيّ . كان خالد مغرماً بالغلمان المُرْد ، يُنفِق عليهم كلّ ما يُفيد ، فَهوِيَ غلاماً يقال له : عبد الله ، وكان أبو تمّام الطائيّ يهواه ، فقال فيه خالد[4] : [من مخلع البسيط]

قضيبُ بـانٍ جناه وردُ تحملــه وَجْنَــةٌ وخَـدُّ

لَمْ أثْنِ طَرْفي إليــه إلاّ مات عزاءٌ وعاش وجْدُ

مُلِّكَ طَوْعَ النفوسِ حتى علّمه الزهــوَ حين يبدُو

1 ديوانه : 505–506 .

2 الناقرة : الداهية .

3 لبد : آخر نسور لقمان .

4 ديوانه : 503–504 .

واجتَمَعَ الصدُّ فيــه حتّى ليس لخَلْـقٍ سِواه صدُّ

فبلغ أبا تمّام ذلك فقال فيه أبياتاً منها : [من السريع]

شِعْرُكَ هــذا كلُّه مفرطٌ في بَرْدِهِ يــا خالِدُ البارِدُ

فعَلِمها الصبيانُ ، فلم يزالوا يصيحون به : يا خالد يا بارد حتى وَسْوَس . قال : ومِن النّاس مَن يزعُمُ أنّ هذا السبب كان بينه وبين رجل غير أبي تمّام ، وليس الأمر كذلك .

[هجاء أبي تمام]

وكان خالد قد هجا أبا تمّام في هذه القصّة فقال فيه[1] : [من البسيط]

يا معشَرَ المُــرْدِ إنّي ناصح لكمُ والمرءُ في القولِ بَيْن الصدقِ والكذبِ

لا ينكِحَنَّ حبيباً منكــمُ أحــدٌ فإنّ وجعاءَه أعدى مــن الجرَبِ

لا تأمنوا أن تَحوُلـوا بَعـدَ ثالثـةٍ فتركبوا عُمُداً ليستْ من الخشبِ

[جد الأدب وهزله جد]

حدَّثني محمد بن يحيى الصوليّ ، قال : حدَّثني الحسن بن إسحاق قال : حدَّثني خالد الكاتب ، قال : لمّا بويع إبراهيمُ بن المهديّ بالخلافة طلبني ، وقد كان يعرفني ، وكنتُ متصلاً ببعض أسبابه . فأُدخِلْتُ إليه فقال : أُنشدني يا خالد شيئاً من شعرك ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، ليس شعري من الشعر الذي قال فيه رسول الله ﷺ : «إنَّ من الشِّعر لَحِكماً» ، وإنّما أمزح وأهزِل ، فقال : لا تقل هذا ، فإنّ جِدَّ الأدب وهَزْلَه جِدّ ، هات أنشدني ، فأنشدته : [من الرمل]

عِش فَحُبِّيـكَ سريعـاً قاتلي والضَّنى إن لم تَصِلْني واصلي

ظفِرَ الشوق بقَلْــبٍ دَنِف فيــك والسُّقمُ بجسمٍ ناحلِ

فهُمــا بـــين اكتئاب وضنًى تــركاني كالقضيــبِ الذابلِ

قال : فاستملح ذلك ووصلني .

[يركب قصبة فيصيح به الصبيان]

حدَّثني حمزة بن أبي سلالة الشاعر الكوفيّ ، قال : دخلْتُ بغداد في بعض السنين فبينا أنا مارٌّ بِجُنينة إذا أنا برجلٍ عليه مبطنة نظيفة ، وعلى رأسه قُلَنْسية سوداء ، وهو راكب قصَبَة ، والصبيان خلفه يصيحون به : يا خالد يا بارد ! فإذا آذَوْهُ حمل عليهم بالقصبة ، فلم أزَل أطردهم عنه حتى تفرّقوا ، وأدخلته بستاناً هناك ، فجلس واستراح ، واشتريتُ له

1 ديوانه : 500–501 .

رُطَباً فأَكل ، واستنشدته فأَنشدني[1] : [من المنسرح]

قَـدْ حـازَ قلبي فصار يملِكُهُ فكيف أَسْلو وكيف أَتركُهُ !
رَطِيبُ جسمٍ كالمـاءِ تَحْسَبه يَخْطِر في القلبِ مِنْـه مسلَكُهُ
يكادُ يجري من القميصِ من النـ ـعمةِ لـولا القميص يُمسكُهُ

فاستزدتُه ، فقال : لا ، ولا حَرْف .

[حبّه لغلام مقامر]

وذَكر عليُّ بنُ الحسين بن أَبي طلحة عن أَبي الفضل الكاتب ، أنّه دَعا خالداً ذات يوم فأَقام عنده . وخلع عليه ، فما استقرَّ به المجلس حتى خرج ، قال : فأَتبعتُه رسولاً لِيعرف خبره ، فإِذا هو قد جاء إلى غلام كان يحبّه ، فسأَل عنه فوجده في دار القمار ، فمَضى إليه حتى خلع عليه تلك الثياب وقبَّله وعانقه وعاد إلينا . فلمّا جاء خالدٌ أعطيت الغلامَ الذي وجّهنا به دنانير ودَعاه فجاء به إلينا ، وأخفيناه وسأَلنا خالداً عن خبره فكتمه وجَمجم . فغمزنا الرسول فأخرجه علينا ، فلمّا رآه خالد بكى ودَهِش . فقلنا له : لا تُرَعْ ، فإنّ من القصّة كَيْتَ وكيت ، وإنّما أردنا أن نعرفَ خبرَك لا أن نَسوءك . فطابت نفسُه وأجلسَه إلى جنبه ، وقال : قد بُلِيتُ بحبِّه وبالخوف عليه مِمّا قد بُلِيَ به من القمار ، ثم أنشد لنفسه فيه[2] : [من مجزوء الوافر]

مُحِـبٌّ شَفَّـه أَلَمُـهْ وخامَرَ جِسْمَه سَقَمُهْ
وبـاح بِما يُجَمْجِمهُ من الأسرارِ مكتَتِمُهْ
أَمَـا تَرْثي لمكتئب يُحِبُّـك لحمُه ودَمُهْ
يغارُ على قميصك حِيـ ـنَ تَلْبَسه ويتّهمُـهْ

[يدرك جنونه]

وذكر علي بن الحسين أَيضاً أَنّ محمدَ بنَ السريّ حدَّثه أنّه أُطال الغَيبة عن بغداد وقد وُسوِسَ خالد ، فمَرَّ به في الرُّصافة والصبيان يصيحون به : يا غلام الشرَيطيّ يا خالدُ البارد ! ويرجع إليهم فيضربهم ويزيدُ ويرميهم . قال : فقلت له : كيف أنت يا أبا الهيثم ؟ قال : كما ترى ! فقلت له : فَمَنْ تُعاشِر اليوم ؟ قال : مَنْ أحذرُه ، فعجبت من جوابه مع اختلاله . فقلت له : ما قلتَ بعدي من الشعر ؟ قال : ما حفظه النّاس وأُنْسيتُه ، وعلى ذلك قولي[3] : [من الخفيف]

---

1 ديوانه : 522 .
2 ديوانه : 530 .
3 ديوانه : 160 .

كَبِـدٌ شفهـا غليــلُ التصابي بـين عَتْـب وسَخْطَةٍ وعذابِ[1]
كلَّ يـومٍ تَدْمى بجَرح من الشو قِ ونـــوع مجـدَّدٍ من عذابِ[2]
يا سقيمَ الجفونِ أسْقَمْتَ جسمي فاشفني كيف شئت ، لا بِكَ ما بي
إنْ أكُنْ مذْنِبـاً فكُن حَسَنَ العفـ ـوِ أو اجعَلْ سوى الصُّدود عقابي

ثم قال : يا أبا جعفر ، جننت بعدك . فقلت : ما جعلك الله مجنوناً ؛ وهذا كلامك لي ونظمك .

حدَّثني محمدُ بن الطلاس أبو الطيِّب ، قال : حضرْتُ جنازة بعض جيراني ، فلقِيت خالداً في المقبرة فقبضت عليه ، وقلت : أنشدْني ، فذهب ليهرُب منِّي ، فغمزتُ على يده غمزة أوجعَتْه ، فقال : خَلِّ عنِّي أنْشِدْك ، فأرخيت يدي عن يده ، فأنشدني[3] : [من مجزوء الرجز]

لَمْ تَـرَ عـينٌ نَظرَتْ أَحسنَ مـن منظرِهِ
النـورُ والنِّعمـةُ والنَّـ ـعمـةُ في مَخْبـرِه[4]
لا تَصِلُ الألسنُ بالـ ـوصفِ إلى أكثـرِهِ
كَيْف بمَن تَنْتَسبُ الشـ ـمسُ إلى جوهـرِهِ

[ينشد شعراً لأبي تمام ، ثم ينشد شعراً عارضه به]

حدَّثني عمِّي ، رحمه الله ، قال : مَرَّ بنا خالد الكاتب هاهنا والصبيان خلفه يصيحون به ، فجلس إليَّ فقال : فرِّق هؤلاء عنِّي ، ففعلتُ ، وألحَّتْ عليه جارية تصيحُ : يا خالدُ يا باردُ ! فقال لها : مُرِّي يا منتنة الكُسِّ ، ويا مَن كُسّها دُس . فقلت له : يا أبا الهيثم ، أيُّ شيء معنى «دس» هاهنا ؟ قال : تشتهي الأيرَ الصغير والكبير والوسط ، ولا تكره منها شيئاً . وأقبلَ الصبيان يصيحون بتلك الجارية بمثل ما قال لها خالد ، وهي ترميهم وتهرُبُ منهم حتى غابوا معها عنّا ، فأقبل عليَّ خالدٌ متمثّلاً فقال[5] : [من الطويل]

وما أنا في أمري ولا في خصومتي بمهتضَم حَقّـي ولا قـارعٍ سنّي

---

1 وعذاب في الديوان : وعقاب .
2 الديوان : فكل الحشا بها في عذاب .
3 ديوانه : 228 .
4 النَّعمة بفتح النون : الترف .
5 البيت لأعشى بني ربيعة وقد تقدّم في ترجمته 18 : 105 .

فاحْتَبَسْتُهُ عندي يومي ذلك . فلمّا شرب وطابت نفسه ، أنشدنا لأبي تمّام[1] : [من الكامل]

أَحْبابَــه لِـــمَ تفعلونَ بِقلْبِهِ ما ليس يَفْعَلُه بــه أَعداؤهُ ؟
مَطَرٌ مِن العَبراتِ خَدِّي أَرضُه حتى الصباحِ ومُقْلَتايَ سمـاؤهُ
نفْسي فداءُ محمـدٍ ووِقاؤه وكذبتُ ، ما في العالَمِينَ فداؤهُ
أزعمتَ أَنَّ البدرَ يحكي وجهه والغصنُ حين يَميدُ فيه ماؤهُ[2]
اسْكت فأَين بهـاؤه وكمالـه وجمالُـه وحيـاؤه وضياؤهُ[3]
لا تَقْـرَ أَسمـاءَ المَلاحةِ باطلاً فيمـن سِواه فإنهـا أسماؤهُ[4]

ثم قال : وقد عارضه أبو الهيثم ، يعني خالد نفسَه ، فقال[5] : [من الوافر]

فديتُ محمـداً مـن كلِّ سوءٍ يحـاذِر في رَواحٍ أَو غُـدوِّ
أيا قمرَ السماء سَفُلْتَ حتى كأَنّك قـد ضَجِرْتَ من العُلوِّ
رأَيتك مـن حبيبك ذا بِعادٍ ومِمّـن لا يُحِبّـك ذا دُنـوِّ
وحسبُك حسْرَةً لك من حبيبٍ رأَيتَ زمامـه بيَدَيْ عَـدُوِّ

هكذا أَخبرني عمِّي عن خالد ، وهذه الأبيات أيضاً تُرْوى لأبي تمام .

[توجعه لصديق عليل]

وقال ابن أَبي طلحة : حدَّثني الهلاليّ ، قال : مررْتُ بخالد وحوله جماعة يُنشدهم ، فقلت له : يا أَبا الهيثم ، سلَوْتَ عن صديقك ، قال : لا واللهِ . قلت : فإنّه عليل وما عُدْتَه . فسكت ساعة ثم رفع رأسه إليَّ ، وقال[6] : [من الخفيف]

زَعَمُوا أَنّني صحـوتُ وكـلاّ أُشْهِـدُ اللهَ أَنّني لَـن أَمَـلاّ
كيف صبري يا مَن إذا ازداد تِيهاً أَبـداً زدتُـه خضوعـاً وذُلاّ

ثم قال : احفظه وأبلغه عنِّي[7] : [من الوافر]

---

1 ديوان أبي تمّام (عطية) : 381 .
2 البدر في الديوان : الظبي .
3 الديوان :
اسكت فأين ضياؤه وبهاؤه وذكاؤه ووفـاؤه وحيـاؤه
4 الديوان : لا تغني أسماء الملاحة والحجى .
5 ديوان خالد الكاتب : 535–536 وديوان أبي تمام : 415 .
6 ديوان خالد الكاتب : 360 .
7 ديوانه : 354 .

بِجِسْمِيَ لا بِجِسمِك يـا عليـلُ ويكفينـي مـن الأَلَـمِ القليلُ
تَعَـدَّاك السَّقـام إليَّ إنّـي على مـا بـي لعادِيـه حَمولُ[1]
إذا مـا كنتَ يـا أملي صحيحاً فحالفنـي وسالَمَـك النحـولُ
أَلستَ شقيقَ ما ضمَّت ضُلوعي عَلَى أَنّـي لِعِلَّتِـك العليـلُ

[غزله بغلام]

قال : وحدَّثني العبّاس بنُ يحيى أَنّهم كانوا عند عليّ بنِ المعتصم ، فغُنّي في شعر لخالد ، فأَمر بإحضاره ، وطلب فلم يوجدْ ، فوجَّه إلى غلام كان يتعشّقه فأُحضِر ، وسأله عنه فدَلّ عليه ، وقال : كنّا نَشرب إلى السحَر ، وقد مضى إلى حمام فلان ، وهو يخرج ويجلس عند فلان الفقاعيّ ، ودكانُه مألَفٌ للغِلمان المُرْد والمغنّين . فبعث إليه فأُحضر . فلمّا جلس أخرج عليُّ بنُ المعتصم الغلام ؛ وقال : هذا دلَّنا عليك ؛ وهو يزعم أنّك تعشقُه ، فقال له الغلام : نعم أيّها الأمير ، لو لم يكن من فضيحته إيّاي إلاّ أنّه إذا لم يوجد أُحْضِرْتُ وسُئلت عنه . فأقبل عليه خالد وقال : [من السريع]

يـا تـارِكَ الجسمِ بلا قلبِ إنْ كنتُ أَهواكَ فمـا ذنبي
يـا مفـرَداً بالحُسنِ أَفْرَدتني مِنْك بطـولِ الشَّوقِ والحُبِّ
إنْ تَكُ عَينـي أَبصَرَتْ فتنةً فهـلْ على قَلْبـيَ مـن عَتبِ
حَسِيبُكَ اللهُ لمـا بـي كما أَنَّكَ في فعلِـكَ بـي حَسبي

لجحظة فيه رمل ، فاستحْسَنَ عَلِيّ الشعرَ ، وأمر له بخمسين ديناراً .

[اعتذار لغلام]

قال : حدَّثني ابن أَبي المدوّر أَنّه شهد خالداً عند عبد الرحيم بن الأَزهر الكاتب ، وأَنّه دخل عليهم غلامٌ من أولاد الكتّاب ، فلمّا رأى خالداً أعرضَ عنْه ، فقلت له : لِمَ أعرضْتَ عن أبي الهيثم ؟ فقال : والله لو علمتُ أنّه هاهنا ما دخلت إليكم ، ما يبالي إذا شَرِب هذين القدَحين ما قال ولا مَنْ هتَك . فقال لي خالد : ألا تُعينني على ظالمي ؟ فقلت : بلى واللهِ أعِينُك ، فأقبل على الفتى وقال[2] : [من مجزوء الكامل]

**صوت**

هَبْني أَسأتُ فكان ذَنْـ ـبِي مثلَ ذنب أَبي لَهَبْ

1 لعاديه في الديوان : لعادته .
2 ديوانه : 483 .

فأنـا أتـوبُ وكَم أسأْ تَ وكَم أسأتَ ولَم تَتُبْ

فما زلنا مع ذلك الفتى نُداريه ونستعطفُه له حتى أقبل عليه وكلَّمه وحادثه ، فطابت نفسه ، وسُرَّ بقيّةَ يومه .

في هذين البيتين لأبي العَنْبَس خفيف رَمَل بالسبابة في مجرى الوسطى ، ولرذاذ خفيف رمل مطلق .

[تفاحة معضوضة]

وحدَّثني عبد الله بن صالح الطوسيُّ أنّ عليَّ بن المعتصم دَعا خالداً يوماً وهو يشْرَب ، وقد أخرجَتْ إليه وَصِيفةٌ من وُصَفاءِ حَظِيّتِه تفاحة مَعْضوضة مُغلَّفة بعثت بها إليه ستُّها ، فقال[1] : [من البسيط]

تفاحةٌ خرجتْ بالدُّرِّ مِن فِيها أَشهى إليَّ مِن الدُّنيا وما فيها
بيضاءُ في حمرة عُلَّتْ بغاليَةٍ كأنّما قُطِفت من خَدِّ مُهْدِيها
جاءَتْ بها قينةٌ من عندِ غانيةٍ رُوحي من السوءِ والمكروهِ تَفديها
لو كنتُ ميْتاً ونادتْني بنغمتها إذاً لأَسرعتُ من لحدي أُلَبِّيها

فاستحسن عليُّ بن المعتصم الأبيات ، وغُنِّي فيها ، وأَمَرَ لهُ بتخت ثياب وخمسين ديناراً .

1 ديوانه : 536–537 .

# [ 426] ـ أخبار المسدود[1]

[شجي الصوت حاضر البديهة]

المسدودُ من أهلِ بغدادَ ، وكان منزلُه في ناحية دربِ المفضّل ، في الموضع المعروف بِخَراب المسدود ، منسوبٌ إليه .

وأخبرني جحظة أنّ اسمه الحسن ، وكنيته أبو عليّ ، وأنّ أباه كان قَصّاباً ، وأنّه كان مسدودَ فَرْدِ مَنْخِرٍ ومفتوحَ الآخر ، وكان يقول : لو كان مَنْخِري الآخر مفتوحاً لأذهلت بغنائي أهلَ الحُلُوم وذوي الألباب ، وشغَلْت مَن سمعه عن أمر دِينه ودُنياه ومعاشه ومعاده .

قال جحظة : وكان أشجَى الناسِ صوتاً وأحضرهم نادرة ، ولم يكتسب أحد من المغنِّين بطُنبور ما كسبَه . وكان مع يساره وقلّة نفقته يُقرض بالعِينة[2] . وكانت له صنعة عجيبة ، أكثرها الأهزاج . قال جحظة : قال لي مُخارق غلامه : قال لي ، وقد صنع هذين البيتين وهما جميعاً هَزَج : [من المديد]

**صوت**

مَن رَأى العِيسَ عَلَيْها الرِّحال ... إضَمٌ قَصْدٌ لَها أم أُثالْ[3]

لستُ أدري حيثُ حلُّوا ولكن ... حيثمـا حلُّـوا فثَمَّ الجَمالْ

والآخر : [من مجزوء الرمل]

عُجْ بنـا نَجْنِ بِطَرْف الـ ... ـعَينِ تُفّـاحَ الخُدودْ

ونُسَلِّ القلـبَ عمَّـن ... حَظُّنـا منـه الكُـدودْ[4]

ثم قال : واللهِ لا تركتُ بَعدي من يَهزِج . قال جحظة : واللهِ ما كذب !

[نفيه إلى عُمان]

أخبرني جحظة ، قال : كان الواثق قد أذِن لجلسائه ألا يرُدَّ أحد نادرة عن أحد يلاعبه ، فغنّى الواثق يوماً[5] : [من الطويل]

---

1 انظر وفيات الأعيان 2 : 268 .

2 العينة : ضرب من الربا .

3 إضم : أسفل وادي المدينة . وأثال : بلدة وواد .

4 الكدود : الكثير الكد والبخيل .

5 ديوان مجنون ليلى : 135 .

نظرْتُ كأنّي مِن وراء زُجاجةٍ إلى الدّارِ مِن ماءِ الصبابة أَنظرُ

وقد كان النبيذُ عمل فيه وفي الجلساء فانبعث إليه المسدود فقال : أَنت تنظر أبداً مِن وراء زجاجة ، إن كان في عينيك ماء صبابة أو لم يكن . فغضب الواثق من ذلك وكان في عينيه بياض ، ثم قال : خذوا برِجْل العاضِّ بَظْر أمّه ، فسُحِب من بين يديه . ثم قال : يُنفى إلى عُمان الساعة . فنُفي من وقته وحُدِرَ ومعه المُوَكَّلون . فلمّا سلّموه إلى صاحبِ البصرة ، سأله أن يُقيم عنده يوماً ويغنّيه ، ففعل .

فلمّا جلسوا للشرابِ ابتدأ فقال : احذروني يا أهل البصرة على حُرَمكم ، فقد دخلْتُ إلى بلدكم وأنا أزنَى خلق الله . قال : فقال له الجمّاز : أما يعني أنّه أزنى خلقِ الله أُمّاً ؟ فغضب المسدودُ ، وضرب بطُنبوره الأرضَ وحَلَفَ ألاّ يغنّي . فسأله الأميرُ أن يقيمَ عندَه وأمَرَ بإخراج الجماز وكلِّ مَن حَضَر ، فأبى ولجَّ فأحدره إلى عُمان .

[الواثق يطلب إحضاره]

ومكث الواثق لا يسأل عنه سنة ، ثم اشتاقه فكتب في إحضاره . فلمّا جاءه الرسولُ ووصَل إلى الواثق قبّل الأرض بين يديه ، فاعتذر من هفوته وشكَر التفضّل عليه . فأمَره بالجلوس ثم قال له : حدِّثني بما رأيتَ بَعدي . فقال : لي حديث ليس في الأرض أظرف منه ، وأعاد عليه حديثه بالبصرة . فقال له الواثق : قَبَحك اللهُ ما أجهلك ! ويلك ! فأنت سُوقةٌ وأنا ملك ، وكنتَ صاحياً وكنتُ مُنْتَشِياً وبدأتَ القوم فأجابوك . فبلغ بِك الغضب ما ذكرتَه وما بدأتك فتُجيبَني ، وبدأتَني ، من المزح ، بِما لا يحتمله النظير لنظيره ، ويلك ! لا تعاود بعدها ممازحةَ خليفةٍ وإنْ أذِن لك في ذلك ، فليس كلّ أحد يَحضره حلمُه كما حضرني فيك .

[رقعة في هجاء الواثق ورقعة في حاجته]

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ ، قال : حدَّثني عَون بنُ محمد ، قال : سمعتُ حمدونَ بن إسماعيل يقول : لم يكن في الخلفاء أحَد أحلَمَ من الواثِقِ ، ولا أصبَرَ على أذى وخلاف . وكان يُعجبه غناء أبي حَشيشة الطُّنبوريّ . فوجَد المسدود من ذلك ، فكان يَبْلغه عنه ما يكره ويتجاوز عنه . وكان المسدودُ قد هجاه ببيتين ، فكانا معه في رقعةٍ ، وفي رقعة أُخرى حاجة له يريد أن يَرْفعها إليه ، فغلط بين الرقعتين ، فناوله رقعة الشِّعر وهو يَرى أنّها رقعة الحاجة ، فقرأها وفيها : [من الهزج]

مِنَ المسدودِ في الأَنفِ إلى المَسدودِ في العَيْنِ
أَنا طَبْلٌ له شِقٌّ فيا طبلاً بشِقَّيْنِ

فلمّا قرأ الرقعةَ عِلم أنّها فيه ، فقال للمسدود : خلطت في الرقعتين ، فهات الأُخرى

وخُذ هذه واحترز من مثل هذا . والله ما زاده على هذا القول .

[أجوبة موجعة]

أخبرني جحظة ، قال : تحدّث المسدود في مجلس المنتصر بحديث ، فقال له المنتصر : متى كان ذلك ؟ قال : ليلة لا ناهٍ ولا زاجر ، يُعَرِّض له بلَيلةٍ قتل فيها المتوكّل ، فأغضى المنتصر واحتمله .

قال : وقالت الذكوريّة يوماً بين يدي المعتمد : غنِّ يا مسدودُ ، قال : نعم يا مفتوحة ! وقالت له امرأة : كيف آخذ إلى شجرة بابك ؟ قال : قُدّامك ، أطعمكِ اللهُ من ثمرها .

قال : وغنّى بين يدَي المتوكّل ، فسكّته وقال لبكران الشيري : تَغَنَّ أنتَ . فقال المسدودُ : أنا أحتاج إلى مستمع ، فلم يفهم المتوكّل ما قال .

وقَدَّم إليه طَبّاخُ المتوكّل طبقاً وعليه رغيفان ، ثم قال له : أيَّ شيء تشتهي حتى أجيئك به ؟ قال : خبزاً . فبلغ ذلك المتوكّل ، فأمَر بالطبّاخِ فضُرِب مائتي مِقْرعة .

قال جحظة : وحدَّثني بعض الجلساء أنّه لمّا وَضع الطبّاخُ الرغيفَين بين يديه قال له المسدود : هذا حرز فأين النير ؟

قال ودَعاه بعضُ الرؤساء فأهدى له بِرْذَوْناً أشهب ، فارتبطه ليلته ، فلمّا كان من غدٍ نفَق . وبعث إليه يدعوه بعد ذلك ، فكتب : أنا لا أمضي إلى مَن يعرفُ آجال الدوابّ ، فيهب ما قرُب أجله منها .

قال : واستوهب من بعض الرؤساء وبراً ، فأعطاه سمّوراً قد قَرِع بعضُه ، فردّه وقال : ليس هذا سمّوراً ، هذا أشكر[1] .

## صوت

[من الطويل]

أجــدَّك مــا تَعْفُو كُلومُ مُصيبَةٍ    على صاحِبٍ إلاّ فُجعتُ بصاحبِ
تقَطَّع أحشائي إذا مــا ذكرتهمُ    وتنهلّ عيني بالدّموعِ السواكبِ

عروضه من الطويل ، الشعر لسلمة بن عيّاش ، والغناء لحَكَم ، وله في لحنان : رمل بالبنصر ، وهزج بالوسطى .

1 أشكر : لعلّها أُشكُر . بضمّ الهمزة والكاف ، وهو الأديم الأبيض .

## [ 427 ] ـ أخبار سلمة بن عيّاش[1]

سلمةُ بن عيّاش مولى بني حِسْل بنِ عامر بن لؤيّ . شاعرٌ بصريٌّ مِن مخَضْرَمي الدولتين ، وكان يتديَّن ويتصوَّن ، وانقطع إلى جعفر ، ومحمد ابنَيْ سليمانَ بنِ عليّ بنِ عبدالله بن عبّاس ، ومدَحَهما فأكثر وأجادَ . ومِمّا مدَحهما به وفيه غناء قوله : [من الطويل]

**صوت**

أَرِقْتُ وطالت ليلتي بأبانِ ... لِبرْقٍ سَرى بَعد الهدوءِ يَمانِ[2]

يُضيء بأَعلامِ المدينةِ هُمَّدا ... إلى أُمجٍ فالطلح طلح قنانِ[3]

غنّى في هذين البيتين دحمان ، ولَحْنه ثقيل أَوّل بالوسطى عن عمرو ، قال : وفيه لحن لعطرّد يقول فيها : [من الطويل]

ورَدْتُ خَليجَي جعفرٍ ومحمدٍ ... وكلَّ بَدِيءٍ من نَداه سقاني[4]

وإنّي لأَرجو جعفراً ومحمداً ... لأفضلِ ما يُرْجى له مَلَكانِ

هُما ابْنا رسولِ اللهِ وابنا ابنِ عمِّه ... فقد كَرُم الجَدّانِ والأَبوانِ

ومنها ما ذكره محمد بن داود بن الجرّاح قوله : [من الطويل]

**صوت**

أَنارٌ بدَتْ وَهْناً لعينك تُرْمِضُ ... ببغدادَ أَم سارٍ من البرقِ مُومِضُ[5]

يضيء سناه مكْفَهِرّاً كأنّه ... حناتِمُ سودٌ أَو عِشارٌ تَمَخَّضُ[6]

غنّى فيهما عطرّد ثقيلاً أوّل ؛ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق يقول فيها : [من الطويل]

---

1 ترجمة سلمة بن عياش في الوافي 15 : 325 وانظر الحماسة الصغرى : 156 وابن الشجري : 80 وأعلام الزركلي .

2 أبان : جبل .

3 أُمج موضع : والطلح : موضع بين المدينة وبدر ، وهناك موضع آخر بين مكة واليمامة .

4 بديء : عجيب .

5 ترمض : تشتعل .

6 الحناتم : جمع حنتم ، وهو السحابة السوداء .

وَلَوْلا انتظـاري جعفراً ونَوالَه لَما كان في بغدادَ ما أتبرّضُ[1]

وقد وَجدتُ هذا الشعر لابن المولى في جامع شعره من قصيدة له ، وأظنّ ذلك الصحيحَ ، لا ما ذكر محمدُ بنُ داود من أنّها لسلمة بن عيّاش :

[أعطى الفرزدق بيتاً]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثنا عمر بن شبّة وغيره ، قال : قال سلمة بن عيّاش ، وذكر محمدُ بن داود ، عن عسلِ بنِ ذكوان ، عن أبي حاتم ، عن الأصمعيّ ، عن سلمة بن عيّاش مولى بني عامر بن لؤيّ ، قال : دخلت على الفرزدق السجن ، وهو محبوس ، وقد قال قصيدته[2] : [من الكامل]

إنّ الذي سَمَكَ السماءَ بَنَى لنا بَيْتـاً دعائمُـه أَغـرُّ وأَطـوَلُ

وقد أُفحِمَ وأَجبل ، فقلت له : أَلا أَرفِدك ؟ فقال : وهل ذاك عندك ؟ فقلت : نعم ، ثم قلت : [من الكامل]

بَيْـتٌ زُرارةُ مُحْتَـبٍ بفِنائِـه ومُجاشِع وأَبـو الفوارسِ نَهْشَلُ

فاستجاد البيت وغاظه قولي له ، فقال لي : مِمّن أَنت ؟ فقلت : من قريش ، فقال : كلُّ أَيْرِ حمار من قريش ! فَمِن أيِّها أنت ؟ قلت : من بني عامر بن لؤيّ ، قال : لئام والله رَضَعة[3] ، جاورتُهم بالمدينة فما أحمدتُهم . فقلت : أَلأَمُ والله منهم قومُك وأرضع . جاء رسولُ مالكِ بنِ المنذر وأنت سيدهم وشاعرهم ، فأخذ بأُذُنك يقودك حتى احتبسك فما اعترضه أحد ، ولا نصرك . فقال : قاتلك اللهُ ما أنكرك ! وأخذ البيت ، فأدخله في قصيدته .

[غزله ببربر المغنية]

أخبرنا وكيع ، قال : أخبرني محمدُ بن سعد الكَرّانيّ ، قال : حدَّثنا سهل بنُ محمد ، قال : حدَّثني العُتْبيّ ، قال : كان سلمة بن عيّاش وأبو سفيان بن العلاء عند محمد بن سليمان ، وجارية تغنِّيهم وتَسقيهم يقال لها : بربر ، فقال سلمة[4] : [من الطويل]

إلى اللهِ أَشكو مـا أُلاقي من القِلى لأَهلي وما لاقيتُ من حبِّ بَرْبَرِ

على حينَ ودَّعتُ الصبابةَ والصِّبا وفارقتُ أَخْداني وشمَّرتُ مِئزَري

1 يتبرض : يتبلّغ بالقليل من العيش ، ويأخذ الشيء قليلاً قليلاً .

2 بيت الفرزدق والبيت الذي رفده به سلمة في ديوان الفرزدق .

3 رضعة : لئام .

4 أكثر الشعر المنسوب إلى سلمة في بربر سبق أن ورد لمطيع بن إياس في جوهر ضمن ترجمته 13 : 193 .

نـــأى جعفــرٌ عنّـــا وكان لِمثْلِها وأنـــتَ لنا في النائبـاتِ كجعفرِ

[رثاء محمد بن سليمان]

قال : فقال محمد بن سليمان لِسلمةَ : خذْها ، هي لَكَ ، فاستحيا وارتدع ، وقال : لا أريدها فألَحَّ عليه في أخذها . فقال : أَعتِق ما أمْلِك إن أخذتُها ، فقال له أبو سفيان : يا سخينَ العين ، أعتِق ما تَمْلِك وخذها ، فهي خير من كلّ ما تملك ، فلمّا مات أبو سفيان رثاه سلمة فقال : [من الطويل]

لَعَمْــرُك لا تعفُـو كلُـومُ مصيبةٍ على صاحبٍ إلاّ فُجِعتُ بصاحبِ
تَقَطعُ أحشائي إذا ما ذكرتكم وتَنْهلّ عيني بالدّموعِ السواكبِ
وكنتُ امـرءاً جلداً على ما يَنوبني ومعترفــاً بالصبرِ عنــدَ المصائبِ
فهَدَّ أبــو سفيانَ رُكني ولم أكُنْ جَزوعــاً ولا مستنكِراً للنوائبِ
غَنِينا مَعـــاً بِضْعاً وستِّين حِجَّةً خَلِيلَيْ صفاءٍ وُدُّنــا غيرُ كاذبِ[1]
فَأصبحتُ لَمّا حالت الأرضُ دونَه على قُرْبِه مِنِّــي كمَن لم أُصاحبِ

وذَكر محمدُ بن داود عن عسل بن ذَكوان أنّ محمدَ بنَ سليمان قال له : اختر ما شئت غيرها ، لأنّ أبا أيّوب قد وطئها .

[بينه وبين أبي حيّة النميريّ]

أخبرني عليّ بن سليمان الأَخفش قال : حدَّثني محمدُ بن يزيد النحويّ ، قال : حُدِّثت من غير وجه عن سلمَة بنِ عيّاش أنّه قال : قلت لأبي حَيّة النُّميريّ أهْزأُ به : ويحك يا أبا حيّة ! أَتدري ما يقول النّاس ؟ قال : لا ، قلت : يزعمون أنّي أشعر منك ، قال : إنّا للهِ ! هلَك والله النّاس .

[شعر ينسب إليه في بربر]

وفي بَرْبَر هذه يقول سلمةُ بن عيّاش ، وفيه غناء ، وذَكرَ عمرُ بن شبّة أَنّه لمطيع بن إياس : [من مجزوء الوافر]

**صوت**

أَظنُّ الحبَّ من وجْدي سيقتُلُنـــي عـــلى بَرْبَـرْ

---

1 الوافي :

صحبت أبا سفيان عشرين حجة خليـلي صفــاء ودنا غير كاذب

وبَرْبَــرُ دُرَّةُ الغـــوا ص مَــنْ يَمْلِكُها يُحْبَرْ
فخــافي اللّهَ يــا بَرْبَــرْ فقد أُفتَنْتِ ذا العسكرْ
بِحُسْنِ الــدَّلّ والشكلِ وريــحِ المسك والعَنْبرْ
ووجــهٍ يُشْبه البَــدْرَ وعَيْنَــيْ جُــؤْذُر أحورْ

فيه لحَكَم ثلاثة ألحان : رمَل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وخفيف رمل عن هارون بن الزيّات ، وهزج عن أبي أيّوب المدنيّ .

[مطيع يهجو جوهر جارية بربر]

أخبرني إسماعيل بن يونس ، قال : حدَّثنا عمر بن شبّة ، قال : بَرْبرُ جارية آلِ سليمان أُعتِقتْ ، وكان لها جَوار مغنيات ، فيهم جارية اسمها جوهر ، وكان في البصرة فتى يُعرَف بالصحّاف ، حسن الوجه ، فبلغ مطيعَ بن إياس أنّه بات مع جوهرَ جارية بربرَ ، فغاظه ذلك ، فقال : [من الخفيف]

نــاكَ واللهِ جوهرَ الصحّافُ وعلَيهــا قَميصُهــا الأفوافُ[1]
شام فيهــا أيراً له ذا صُلاع لم يَخُنْــه نَقص ولا إخطافُ[2]
زعموها قالت وقد غابَ فيها قائماً في قيامــه استِحْصافُ[3]
وهو في جــارة استها يتلظّى وبهــا شهــوةٌ لــه والتهافُ
بَعْضَ هــذا مهلاً ترفَّق قليلاً مــا كذا يا فتى تُناك الظِّرافُ

قال : وقال فيها ، وقد وجّهت بجواريها إلى عسكر المهدي : [من مجزوء الوافر]

خــافي اللّهَ يــا بَرْبَرْ فقد أُفسدْتِ ذا العسكرْ
أَفضْتِ الفِسقَ في النّاسِ فصار الفسْقُ لا يُنْكرْ
ومَــنْ ذا يملِك النّاس إذا مــا أَقبلَــتْ بَرْبَرْ
وأَعطــافُ جواريهــا كريــح المسكِ والعنبرْ
وجوهــرُ دُرّةُ الغــوا ص مَنْ يَمْلِكهــا يُحبرْ
أَلا يــا جوهــرَ القلْبِ لقد زِدْتِ على الجوهرْ

1 الثوب الأفواف : الرقيق .
2 في ترجمة مطيع : ذا ضلوع . اخطاف : خطأ .
3 استحصاف : شدّة وانتصاب ، واستحصف الحبل : فتله .

وقـد أكملـكِ اللهُ بحُسن الـدّلّ والمنظرْ
إذا غنّيتِ يـا أحسَـ ـنَ خلقِ اللهِ بالمِزهرْ[1]
فهـذا حَزَنـاً يَبْكي وهـذا طرَبـاً يكفُرْ
وهـذا يَشربُ الكأسَ وذا مـن فَـرَح ينعِرْ
ولا واللهِ مـا المهديّ أولى منـك بـالمِنبرْ
فما عِشْتِ ففـي كفّيـ ـك خَلْعُ ابن أبي جعفرْ

قال : فبلغ ذلك المهدي ، فضحك وأمر لمطيع بصلة ، وقال : أنفق هذا عليها وسلها ألاّ تخلعنا ما عاشت .

قال : وفي جوهر يقول مطيع : [من السريع]

جاريةٌ أحسنُ مِن حَلْيِها وفيه فَضْلُ الدُّرّ والجوهرْ
وجِرمُها أطيب من طِيبها والطِّيب فيه المسكُ والعنبرْ
جاءت بها بربرُ مَمْكُورةً يا حبّذا ما جلَبتْ بَرَبَرْ[2]

قال : وقال فيها : [من الرمل]

أنتِ يا جوهرُ عِندي جَوْهَرهْ في بيـاض الدرّة المشتهـرَهْ
وإذا غنّـت فنـارٌ أُضرِمَتْ قَدَحَـتْ في كلّ قلب شَرَرَهْ

## صوت

[من الخفيف]

يا عمودَ الإسلامِ خيرَ عمودِ والذي صيغَ من حياءٍ وجُودِ
إنّ يومـاً أراكَ فيـه ليَـومٌ طلعتْ شَمسُه بسعدِ السعودِ

الشعر لأبي العتاهية[3] يمدح محمدَ الأمين ، والغناء لإسحاقَ ، ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو بن بانة وإسحاق .

---

1 المزهر : العود .
2 ممكورة : ممتلئة الساقين .
3 ديوان أبي العتاهية : 526 .

# [ 428] ـ أَخبار لأُمّ جعفر

[أبو العتاهية ينشدها]

أَخبرني محمدُ بنُ يحيى الصوليّ ، قال : حدَّثنا العلائيّ ، قال : حدَّثني محمدُ بن أَبي العتاهية ، قال : لمّا جَلس الأمينُ في الخلافة أنشده أبو العتاهية[1] : [من الخفيف]

يا ابنَ عمِّ النبيِّ خيرِ البَرِيّـه إنّمـا أَنـتَ رحْمَـةٌ للرّعيَّةْ
يا إمامَ الهُدى الأَمينَ المصَفَّى بِلُبـاب الخلافـةِ الهاشميَّةْ
لكَ نفسٌ أَمّارةٌ لكَ بالخيـ ـر وكـفٌّ بالمكرُماتِ نَدِيَّهْ
إنّ نفساً تحملَتْ منك ما حُمِّـ ـلتَ للمسلمـينَ نفسٌ قَوِيَّهْ

قال : ثم خرج إلى دار أُمّ جعفر ، فقالت له : أنشدْنِي ما أنشدْتَ أمير المؤمنين ، فأنشدها .

فقالت : أين هذا من مدائحك في المهديّ والرشيد ؟ فغضب وقال : إنّما أنشدتُ أمير المؤمنين ما يستملح ، وأنا القائل فيه : [من الخفيف]

يـا عمودَ الإسلامِ خيرَ عمودِ والذي صِيغَ من حياءٍ وَجُودِ
والذي فيه ما يُسَلِّي ذوي الأَحـ ـزانِ عـن كلِّ هالكٍ مفقودِ
إنّ يومـاً أَراكَ فيـه لَيَـوْمٌ طلعَت شمسُه بسعدِ السعودِ

فقالت له : الآن وفيت المديحَ حقّه ، وأمرَت له بعشرة آلاف درهم .

[أبو العتاهية يستنجز أُمّ جعفر وظيفته]

أَخبرني محمد بن يحيى ، قال : حدَّثني محمدُ بنُ موسى اليزيديّ ، قال : حدَّثني محمدُ بنُ الفضل ، قال : كان المأمون يوجّه إلى أُمّ جعفر زُبَيدةَ في كلِّ سنة بمائة ألف دينار جُدُد وألفِ ألفِ درهم ، فكانت تعطي أبا العتاهية منها مائة دينار وألف درهم ، فأغفلَتْه سنة ، فَدَفع إليّ رقعةً وقال : ضَعْها بين يديها فوضعْتها ، وكان فيها[2] : [من الرمل]

خبَّرُوني أَنَّ في ضَرْبِ السَّنَهْ جُدُداً بيضاً وصُفْـرا حَسَنَـهْ
سِكَكاً قد أُحْدِثَـتْ لم أَرَهـا مثلَ مـا كنتُ أَرى كلّ سَنَـهْ

فقالت : إنَّا للهِ ! أَغفلناه . فوجّهت إليه بوظيفة على يَدي .

[استعطاف المأمون لأمّ جعفر]

حدَّثني محمد بن موسى ، قال ، حدَّثنا جعفرُ بنُ الفضل الكاتب ، قال : أَحسّت زُبَيدة

1 ديوان أَبي العتاهية : 680 .
2 ديوان أَبي العتاهية : 649–650 .

من المأمون بجفاء ، فوجّهت إلى أبي العتاهية تُعْلمه بذلك ، وتأمره أن يعمل فيه أبياتاً تَعْطِفه عليها ، فقال[1] : [من الطويل]

**صوت**

أَلا إنَّ ريبَ الدَّهْـرِ يُدني ويُبعدُ ويؤنس بـالأُلاّف طَـوراً ويُفقدُ
أَصابَتْ لريْبِ الدَّهْرِ مني يَدي يَدي فسلّمتُ للأَقْـدارِ واللهَ أَحْمَــدُ
وقلتُ لِرَيْبِ الدَّهرِ إنْ ذهبَتْ يَدٌ فقــد بقيتْ والحمــدُ للهِ لي يَدُ
إذا بَقــي المأمونُ لي فالرشيدُ لي ولي جعفــرٌ لم يفقَــدا ومحمــدُ

الغناء لعلّويه .

قال : فحسُن موقع الأبيات منه ، وعاد لها المأمون إلى أكثر مِمّا كان لها عليه .

وجدت في كتاب محمد بن الحسن الكاتبِ :

حدَّثني هارونُ بنُ مُخارق ، قال : حدَّثني أبي ، قال : ظهرَتْ لأُمّ جعفر جَفْوة من المأمون ، فبعثت إليَّ بأبيات وأمرتني أن أُغنّي فيها المأمون إذا رأيته نشيطاً وأَسْنَتْ لي الجائزة ، وكان كاتبها قال الأبيات ، ففعلْت . فسألني المأمون عن الخبر فعرّفته ، فبكى ورقّ لها ، وقام من وقتِه فدخل إليها فأكبَّ عليها ، وقبلَتْ يديه ، وقال لها : يا أُمّه ، ما جفوتك تعمُّداً ، ولكن شُغِلْت عنكِ بما لا يمكن إغفالُه . فقالت : يا أميرَ المؤمنين ، إذا حَسُنَ رأيك لم يُوحشني شُغلك ، وأَتمَّ يومَه عندها ، والأبيات : [من الطويل]

أَلا إنّ ريبَ الدهرِ يُـدْني ويُبعدُ ويُؤنس بالأُلاّف طَـوراً ويُفْقِـدُ

وذكر باقي الأَبيات مثل ما في الخبر الأوّل .

[أبو العتاهية ينظم على لسانها]

أَخبرني محمد بن يحيى ، قال : حدَّثني الحسن بن عليّ الرازيّ ، قال : حدَّثني أَبو سَهْل الرازقيّ عن أبيه ، قال : عمل أبو العتاهية شعراً على لسان زُبَيْدة بأَمْرِها لمّا قدِم المأمون بغداد ، أوّله[2] : [من الطويل]

لخَيرِ إمامٍ قامَ من خيرِ عنصرِ وأَفضلِ راقٍ فَوق أَعوادِ مِنْبرِ[3]

فذكر محمد بن أحمد بن المرزبان عن بعض كتّاب السلطان : أنّ المأمون لمّا قدِم مدينة السلام ، واستَقرّت به الدار ، وانتظمت له الأُمور ، أمرَت أُمّ جعفر كاتباً لها فقال هذه الأبيات ، وبعَثتْ بها

1 ديوان أبي العتاهية : 518–519 .
2 ديوان أبي العتاهية : 549 .
3 الديوان : وأفضل بسام على . . .

إلى عَلُّويَه ، وسألته أن يصنع فيها لحناً ، ويغني فيه المأمون ففعل ، وكان ذلك مِمّا عطفه عليها ، وأمرت لعلُّويَه بعشرين ألفَ درهم . وقد رُوي أن الأبيات التي أوّلها : [من الخفيف]

يـا عمودَ الإسلامِ خيرَ عمودِ

لعيسى بن زينب المراكبي .

[تنفس عيسى المراكبيّ]

أخبرني محمد بن يحيى ، قال : حدَّثني الحسين بن يحيى الكاتب ، قال : حدَّثنا عليٌّ بن نجيح ، قال : حدَّثني صالح بن الرشيد ، قال : كنّا عند المأمون يوماً وعقيد المغنّي وعمرو بن بانةَ يغنّيان ، وعيسى بن زينب المراكبيّ حاضر ، وكان مشهوراً بالأُبْنَةِ ، فتغنَّى عقيد بشعر عيسى : [من الخفيف]

يا عمودَ الإسلامِ خيرَ عمودِ والذي صِيغَ من حياءٍ وَجودِ
لكَ عندي في كلِّ يومٍ جَديدٍ طُرْفَةٌ تستفادُ يـا ابنَ الرشيدِ

فقال المأمون لعقيد : أنشد باقي هذا الشعر ، فقال : أصونُ سَمْعَ أميرِ المؤمنين عنه ، فقال : هاتِه ويحك ! فقال : [من الخفيف]

كنتُ في مجلسٍ أَنيق ورَيْحا نٍ وراحٍ ومُسْمِعاتٍ وَعُودِ
فتغنَّى عمـرو بن بانـةَ إذ ذا كَ وهْـوَ ممسكٌ بأَيْـر عقيدِ
يا عمودَ الإسلامِ خيرَ عمودِ والذي صِيغَ من حياءٍ وَجُودِ
فتنفّسْتُ ثـم قلـتُ كذا كلُّ محـبٍّ صبٍّ الفـؤاد عميدِ

فقال المأمون لعيسى بن زينب : والله لا فارقتك حتى تخبرني عن تنفّسك عند قبض عمرو على أيْر عقيد : لأيّ شيء هو ؟ لا بُدّ من أن يكون ذلك إشفاقاً عليه ، أو على أن تكون مثله ، لَعَنَ اللهُ تنفسَك هذا يا مُريبُ ! قال : وإنّما سُمِّيَ المراكبيّ لتولِّيه مراكب المنصور ، وأُمّه زينب بنت بشر ، صاحِب طاقاتِ بشر بباب الشام .

## صوت

[من المتقارب]

لقيتُ مـن الغانيـاتِ العُجابا لـو ادرك منِّـي العذارى الشبابا
عـلامَ يُكحِّلـنَ حُـورَ العيـون ويُحْدِثْنَ بَعد الخضابِ الخضابا
ويُبْرِقـنَ إلاّ لِمـا تعلمـونَ فـلا تمنعُـنَّ النساءَ الضِّرابـا

الشعر لأيمنَ بنِ خُرَيم بنِ فاتك الأَسديّ ، والغناء لإبراهيم الموصليّ ، ولحنه من الثقيل الأَوّل بالسبابة في مجرى الوسطى من رواية الهشاميّ .

# [ 429 ] ـ أخبار أَيمن بن خُرَيم[1]

[اعتزل حرب الجمل وصفّين]

وأَيمنُ بنُ خُرَيم بن فاتك الأسديّ لأَبيه صُحبة برسول الله ، ﷺ ، ورواية عنه ، وينسب إلى فاتك ، وهو جدّ أبيه . وهو أيمنُ بن خُرَيم بن الأخرم بن عمرو بن فاتك بن القليب بن عمرو بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار . وكان أيمن يتشيّع ، وكان أبوه أحدَ من اعتزل حربَ الجَمل وصِفّين وما بعدهما من الأحداث ، فلم يحضرها .

[يهوّل قوته فيحسده عبد الملك]

أخبرني الحسنُ بن علي ، قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني النوشجانيّ عن العمريّ عن الهيثم بن عديٍّ ، عن عبد الله بن عيّاش ، عن مجالد ، قال[2] : كان عبد الملك شديد الشغف بالنساء ، فلمّا أسنَّ ضعُف عن الجماع وازداد غرامُه بهنّ ، فدخل إليه يوماً أيمنُ بنُ خُرَيم فقال له : كيف أَنت ؟ فقال : بخير يا أمير المؤمنين . قال : فكيف قوّتُك ؟ قال : كما أُحبّ ، ولله الحمد ، إنّي لآكل الجَذَعَةَ[3] من الضأن بالصاع من البُرّ ، وأشرب العُسّ المَمْلوء ، وأرتحلُ البعيرَ الصعب وأُنْصِبُه[4] ، وأركب المُهر الأرِن[5] فأُذلِّلُه ، وأفترع العذراء ، ولا يُقْعِدُني عنها الكِبرَ ، ولا يمنعني منها الحَصَر[6] ، ولا يُرْويني منها الغُمَر[7] ولا ينقضي منّي الوَطر . فغاظ عبد الملك قولُه وحسَدَه ، فمنعه العطاء وحجبه ، وقصدَه بما كَرِه حتى أثّر ذلك في حاله . فقالت له امرأته : ويحك ! أصْدقْني عن حالِك ؟ هل لك جُرْم ؟ قال : لا والله ، قالت : فأيُّ شيء دارَ بينك وبين أمير المؤمنين آخرَ ما لقيتَه ؟ فأخبرها ؛ فقالت : إنّا لله ! مِن هاهنا أُتيت . أنا أحتال لك في ذلك حتى أُزيل ما جرى عليك ، فقد حسَدَك الرجلُ على ما وصفتَ به نفسَك . فتهيّأت ولبستْ ثيابها ودخلت على عاتكة زوجته ، فقالت : أسألكِ أن تستَعْدي لي أمير المؤمنين على زوجي ، قالت : وما لَه ؟ قالت :

---

1 ترجمة أيمن بن خريم في الشعر والشعراء : 453–455 والإصابة 1 : 94 وتهذيب ابن عساكر 3 : 187 وانظر طبقات ابن سلام 6 : 38–39 والمختار من شعر بشار : 211 والتذكرة الحمدونية 8 : 230–231 .

2 وردت هذه الحكاية في المختار من شعر بشّار والتذكرة الحمدونية ، والخبر فيهما عن معاوية .

3 الجذعة : الصغيرة من الضأن .

4 أنصبه : أتعبه .

5 الأرن : النشيط .

6 الحصر : الضعف عن النساء .

7 الغمر : القدح الصغير .

والله ما أدري أنا مع رجلٍ أو حائطٍ ؟ وإنّ له لسنين ما يعرف فراشي ، فسليه أن يفرِّق بيني وبينه . فخرجتْ عاتكة إلى عبد الملك فذكرَت ذلك له ، وسألتْه في أمرها . فوجَّه إلى أيمنَ بنِ خُريم فحضرَ ، فسأله عمّا شكتْ منه فاعترفَ به . فقال : أوَلم أسألك عاماً أوّلَ عن حالك فوصفْتَ كَيْتَ وكيت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الرجلَ ليتجمّل عند سلطانه ، ويتجلّدُ عند أعدائه بأكثر مِمّا وصفتُ نفسي به ، وأنا القائل[1] : [من المتقارب]

لَقيتُ من الغانياتِ العُجابا ... لو ادْرَكَ منّي الغواني الشبابا
ولكنّ جمعَ النساءِ الحسانِ ... عناءٌ شديدٌ إذا المرءُ شابا
ولو كِلْتَ بالمدِّ للغانياتِ ... وضاعفْتَ فوقَ الثياب الثيابا
إذا لم تُنِلْهُنّ مِن ذاك ذاك ... جحدنْك عندَ الأميرِ الكتابا
يَذُدْنَ بكلِّ عصا ذائدٍ ... ويصبحْنَ كلَّ غداة صِعابا
إذا لم يُخالَطْنَ كلَّ الخِلا ... طِ أصبحَن مُخْرَنْطماتٍ غِضابا[2]
علامَ يُكَحِّلْنَ حُورَ العيونِ ... ويُحدثْنَ بعدَ الخضابِ الخضابا
ويَعرُكنَ بالمسْكِ أجيادَهنّ ... ويُدْنِينَ عندَ الحِجال العيابا
ويُبرِقْنَ إلاّ لِما تعلمونَ ... فلا تحرموا الغانياتِ الضِّرابا

قال : فجعل عبدُ الملك يضحك من قوله ، ثم قال : أُولى لك يا ابنَ خُرَيم ! لقد لقيتَ منهنّ تَرَحاً ، فما ترى أن تصنع فما بينك وبين زوجتك ؟ قال : تستأجلها إلى أجل العِنّين ، وأُداريها لعلّي أستطيعُ إمساكَها . قال : أفْعَل ذلك . وردَّها إليه ، وأمر له بما فات من عطائه ، وعاد إلى برّه وتقريبه .

[يعتزل المتنازعين من بني أميّة]

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخزاعيّ أبو دُلَف ، قال : حدَّثنا الرياشيّ ، قال : ذكر العُتْبيّ أنّ منازعةً وقعتْ بين عمرو بن سعيد وعبد العزيز بن مروان ، فتعصَّب لكلّ واحد منهما أخواله ، وتداعَوْا بالسلاح واقتتلوا ، وكان أيمن بن خريم حاضراً للمنازعة فاعتزلهم هو ورجل من قومه ، يقال له : ابن كُوز ، فعاتبه عبد العزيز وعمرو جميعاً على ذلك ، فقال : [من الوافر]

أأُقْتَلُ بينَ حجّاج بن عمرو ... وبين خصيمه عبدَ العزيزِ

---

1 الأبيات في الشعر والشعراء والمختار من شعر بشّار وعيون الأخبار 4 : 102 مع تفاوت في العدد واختلاف في اللفظ .

2 اخرنطم : رفع أنفه في استكبار وغضب .

أنَقتَلُ ضَلَّةً في غيرِ شيءٍ ... ويَبْقى بعدَنا أَهلُ الكنوزِ
لعمرُ أبيكَ ما أُوتيتُ رشدي ... ولا وُفِّقتُ للحِرْزِ الحريزِ
فإنّي تاركٌ لهما جميعاً ... ومعتزلٌ كما اعتزل ابنُ كوزِ

[غضبه من يحيى بن الحكم]

أخبرني عمّي قال : حدَّثني الكرانيّ ، عن العمريّ ، عن الهيثم بن عديّ ، قال : أصاب يحيى بن الحكم جاريةً في غَزاة الصائفة[1] ، بها وضح[2] ، فقال : أعطوها أيمنَ بنَ خُريم ، وكان مُوضحاً ، فغضب وأنشأ يقول[3] : [من الطويل]

تركتُ بني مروان تندى أكفُّهم ... وصاحبتُ يحيى ضَلّة من ضلاليا
فإنّكَ لو أشبهتَ مروان لم تَقُل ... لقوميَ هُجراً أَنْ أتوكَ ولا ليا

وانصرف عنه ، فأتى عبد العزيز بن مروان ، وكان يحيى مُحَمَّقاً .

[شعره في بني هاشم]

حدَّثني محمد بن العبّاس اليزيديّ ، قال : حدَّثني عمّي الفضل ، قال : حدَّثني مُصْعَب الزُّبيريّ عن أشياخه أن عبد الملك بن مروان قال : يا معشر الشعراء تُشَبِّهوننا مرّة بالأسد الأبخر ، ومرة بالجبل الأوعَرِ ، ومرّة بالبحر الأُجاج ، ألا قلتم فينا كما قال أيمن بنُ خريم في بني هاشم : [من الوافر]

نهارُكُمُ مكابدةٌ وصومٌ ... ولَيْلُكُمُ صلاةٌ واقتراءُ[4]
وَلِيتم بالقُرانِ وبالتزكّي ... فأسرعَ فيكمُ ذاكَ البلاءُ
بكى نجدٌ غداةَ غدٍ عليكم ... ومكّةُ والمدينةُ والجِواءُ[5]
وحقّ لكلِّ أرض فارقُوها ... عليكم لا أبا لكمُ البكاءُ
أأجعلكم وأقواماً سواءً ... وبينكمُ وبينهمُ الهواءُ
وهمْ أرضٌ لأَرْجُلِكم وأنتم ... لأرؤوسهم وأعينهم سماءُ

1 غزاة الصائفة : الغزوة في الصيف .
2 وضح : برص .
3 في الشعر والشعراء ثلاثة أبيات .
4 اقتراء : قراءة .
5 الجواء : اليمامة ، ويطلق على أماكن أخرى .

[عبد الملك يؤدّي عنه الدية]

أخبرني الحسن بن عليّ، عن أحمد بن زهير، عن أبي همّام الوليد بن شجاع، قال: حدَّثنا عبد الله بن إدريس، قال: أصاب أيمنُ بنُ خُرَيم امرأةً له خطأً، يعني قتلها، فوداها عبد الملك بن مروان: أعطى ورثتها ديتها، وكَفَّر عنه كفارةَ القتل، وأعطاه عِدَّةَ جَوار، ووهب له مالاً، فقال أيمنُ: [من المتقارب]

رأيــتُ الغــوانيَ شيئاً عُجابــاً ... لَـوَ انسَ مِنّــي الغـواني الشبابا
ولكــنَّ جمـعَ العذارى الحسانِ ... عنــاءٌ شديـدٌ إذا المــرءُ شابا
ولــو كِلــتَ بالمُــدِّ للغانياتِ ... وضاعفْــتَ فــوقَ الثيابِ ثيابا
إذا لم تُنِلْهــنَّ مِــن ذاك ذاك ... بَغَيْنَــكَ عِنْـدَ الأميـرِ الكذابا
يَــذُدنَ بكــلِّ عَصا ذائــدٍ ... ويُصبحــنَ كلَّ غــداةٍ صِعابا
إذا لم يُخالَطْــنَ كلَّ الخِــلاط ... تراهــنّ مُخرَنْطِمــاتٍ غِضابا
عَــلامَ يُكَحِّلْــنَ حُــورَ العيونِ ... ويُحْدِثْنَ بعدَ الخضابِ الخضابا
ويَعرُكــنَ بــالمسكِ أجيادَهنّ ... ويدنــينَ عنـدَ الحِجـال العِيابا
ويغمِــزنَ إلاّ لَمّــا تعلمــونَ ... فــلا تحرمــوا الغانياتِ الضِّرابا

قال: فبلغني أنّ عبد الملك أُنشد هذا الشعر، فقال: نعم الشفيع أيمَنُ لهنّ.

وأخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز عن عمر بن شبّة وإبراهيم بن أيّوب عن ابن قتيبة، قال: قال له عبدُ الملكِ لمّا أنشده هذا الشعر: ما وصفَ النساءَ أحدٌ مثلَ صفتكَ، ولا عَرّفهنَّ أحد معرفتك. قال: فقال له: لئن كنتُ صدقتُ في ذلك لقد صدقَ الذي يقول[1]: [من الطويل]

**صوت**

فــإن تسألوني بــالنساء فإنّني ... خبيرٌ بــأدواءِ النساءِ طبيــبُ
إذا شابَ رأسُ المــرءِ أو قلَّ مالُه ... فليس لــه في وُدِّهــنّ نصيبُ
يُرِدْنَ ثراءَ المــالِ حيثُ علمنه ... وشَرْخُ الشبابِ عندَهـنّ عجيبُ

فقال له عبد الملك: قد لعمري صَدقْتما وأحسنتما، الشعر لعَلْقَمَة بن عَبَدة، والغناء لبَسْباسَة، ولحنه خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن حبش. وهذه الأبيات يقولها علقمة بن عبدة يمدح بها الحارث ويسأله إطلاق أخيه شأس. وخبرهُ يُذكر وخبر الحارث بعد انقضاء أخبار أيمن بن خُرَيم.

1 ديوان علقمة بن عبده (صادر): 23.

## رجع الحديث إلى أخبار أيمن

[يهجر عبد العزيز إلى بشر]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثنا عمر بنُ شبّة ، قال : حدَّثني المدائنيّ عن أبي بكر الهذليّ ، قال : دخل نُصَيب يوماً إلى عبد العزيز بن مروان ، فأنشده قصيدة له امتدحَه بها فأعجبته ، وأقبل على أيمن بن خرَيم فقال : كيف تَرى شِعرَ مولاي هذا ؟ قال : هو أشعرُ أهل جِلْدتِه . فقال : هو أشعرُ واللهِ منكَ . قال أمِنِّي أيُّها الأمير ؟ فقال : إي واللهِ ، قال : لا واللهِ ، ولكنّك طَرِفٌ[1] ملول . فقال له : لو كنت كذلك ما صبرْتُ على مؤاكلتِك منذ سنة وبك من البرص ما بك . فقال : ائذن لي أيّها الأمير في الانصراف ، قال : ذلك إليك . فمضى لوجهه حتى لحق ببشر بن مروان ، وقال فيه : [من الوافر]

ركبتُ من المقطّم في جُمادى ... إلى بشرِ بن مروان البَرِيدا
ولو أَعطاكَ بشرٌ أَلفَ أَلفٍ ... رأى حقاً عليه أن يزيدا
أميرَ المؤمنين أَقِمْ ببشر ... عمودَ الدِّينِ إنّ له عمودا
ودَعْ بشراً يُقوّمهم ويُحْدِثْ ... لأَهل الزيغ إسلاماً جديدا
وإنّا قد وجدنا أُمَّ بشر ... كأُمّ الأُسْد مِذْكاراً وَلودا
كأنّ التّاجَ تاجَ أَبي هِرَقْلٍ ... جَلَوْهُ لأَعظمِ الأَيامِ عيدا
يُحالِف لونُهُ ديباجَ بشر ... إذا الأَلْوانُ حالفت الخدودا

يُعرِّض بِنَمَشٍ كان بوجه عبد العزيز ، فقبَّله بشرُ بن مروان ووصله ، ولم يَزَل أثيراً عنده .

أخبرني عمِّي ، قال : حدَّثني الكُرانيّ وأبو العيناء عن العُتْبيّ ، قال : لما أتى أيمنُ بن خريم بشرَ بن مروان نظر الناسَ يدخلون عليه أفواجاً ، فقال مَنْ يُؤْذِن لنا الأَمير أو يستأذِن لنا عليه ؟ فقيل له : ليسَ على الأميرِ حِجابٌ ولا سِتر ، فدخل وهو يقول : [من الطويل]

يُرى بارزاً للنّاسِ بشرٌ كأنّه ... إذا لاحَ في أَثوابه قمَرٌ بَدْرُ
ولو شاء بشرٌ أَغلق البابَ دونه ... طماطمُ سودٌ أَو صقالبةٌ شُقْرُ[2]
أَبى ذا ولكن سهَّل الإذنَ للتي ... يكون له في غِبِّها الحمدُ والشكرُ

فضحِكَ إليه بشر ، وقال : إنّا قومٌ نَحْجُبُ الحُرَمَ ، وأَمّا الأَموالُ والطّعامُ فلا ، وأَمر له بعشرة آلاف درهم .

---

1 طرف : لا يثبت على صحبه .

2 طماطم : جمع طمطم ، وهو الذي في لسانه عجمة .

[قلة غناء أهل العراق في الحرب]

أخبرني هاشمُ بن محمد الخزاعيّ أبو دُلَف ، قال : حدَّثني الرياشيّ ، قال : حدَّثنا الأصمعيّ عن المعتمدِ بن سليمان ، قال : لمّا طالت الحربُ بين غَزالة وبين أهل العراق وهمْ لا يُغنون شيئاً ، قال أيمنُ بن خُرَيم : [من المتقارب]

أتــى منهــم مائتــا فــارسٍ ... مــن السافِكِين الحرامَ العَبيطا[1]
وخمسون من مارقاتِ النسا ... ءِ يَسْحَبْنَ لِلْمُندِيات المُرُوطا[2]
وهُــمْ مائتا ألفِ ذي قَوْنَسٍ ... يَئِــط العراقــان منهم أطيطا[3]
رأيتُ غزالــةَ إن طَرَّحَت ... بمكّــةَ هَودَجهــا والغَبيطا
سَمَتْ للعراقــين في جمعها ... فلاقى العراقــان منها بطيطا[4]
ألا يستحي اللهَ أهــلُ العِرا ... قِ إن قَلَّدوا الغانياتِ السُّموطا
وخيــلُ غزالــةَ تسبي النِّساءَ ... وتَحوي النِّهابَ وتحوي النبيطا[5]
ولــو أنَّ لُوطــاً أميرٌ لكــم ... لأسْلَمْتُمُ في المُلمّــاتِ لُوطا

## صوت

[من الطويل]

تصابَيْتَ أم هاجتْ لك الشوقَ زينَبُ ... وكيف تَصابي المـرء والرأسُ أشيبُ
إذا قَرُبــتْ زادتْــك شوقــاً بِقُرْبِها ... وإن جانبتَ لم يُسلِ عنها التجنّبُ
فلا اليأسُ إن ألمتَ يبـدو فترعَوي ... ولا أنــت مردودٌ بمــا جئتَ تطلبُ
وفي اليأسِ لـو يبدُو لكَ اليأسُ راحةٌ ... وفي الأرضِ عمَّــنْ لا يؤاتيك مذهبُ

الشعر لحُجَيَّةَ بن المضرب الكنديّ ، فيما ذكره إسحاق والكوفيّون . وذكر الزُّبير بنُ بَكّار أنّه لإسماعيلَ بنِ يسار ، وذكر غيرُه أنّه لأخيه أحمد بن يسار . والغناء ليونسَ الكاتب ، ولحنُه من الثقيل الثاني بإطلاق الوتر في مجرى البِنصرِ ، وفيه ثقيل أوّل بالبِنصرِ . ذكر حَبَش أنّه لمالك ، وذكر غيره أنّه لمعبد .

---

1 العبيط : الدم الطري .
2 المنديات : المخزيات . والمروط : جمع مرط ، وهو كساء يؤتزر به .
3 القوس : أعلى الخوذة . ويئط : يصوت .
4 بط الجرح : شقه .
5 النهاب : الغنائم . والنبيط : النبط ، وهم قوم كانوا ينزلون أرياف الحيرة .

# [ 430] ـ أَخبار حجية بن المضرب[1]

[مثال في تربية الأيتام]

حدَّثني ابن عمّار ، قال : حدَّثنا سعيد بن يحيى الأُمويّ ، وأَخبرنا به وكيع عن إسماعيل بن إسحاق ، عن سعيد بن يحيى الأُمويّ : قال : حدَّثني المجبر بن قَحْذم ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : لمّا قدِم القاسمُ بنُ محمد بن أبي بكر وأخته من مصر ، وأخبرني بهذا الخبر محمد بن أبي الأزهر ، قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه ، عن الهيثم بن عديّ ، عن عَوانَةَ ، قال : كان القاسمُ بنُ محمد بن أبي بكر يحدّث ، قال : لمّا قَتَلَ معاوية بن حُدَيج الكنْديّ وعمرو بن العاص أبي ، يَعْني محمد بن أبي بكر بمصر ، جاء عمِّي عبد الرحمن بن أبي بكر فاحتملَني وأختاً لي من مصر . وقد جمعتُ الروايتين واللفظ لابن أبي الأزهر ، وخبرُه أتمُّ قال .

فقدِم بنا المدينة ، فبعثَت إلينا عائشة ، فاحتملتنا من منزل عبد الرحمن إليها ، فما رأَيت والدةً قطّ ولا والداً أبَرَّ منها . فلم نَزَل في حِجرها حتى إذا كان ذات يوم وقد ترعرعنا أَلبستنا ثياباً بيضاء ، ثم أجلستْ كلَّ واحدٍ منّا على فخذِها ، ثم بعثَتْ إلى عمِّي عبد الرحمن ، فلمّا دخلَ عليها تكلّمَتْ فحمِدت اللهَ ، عزَّ وجلَّ ، وأَثنتْ عليه . فما رأيتُ متكلِّماً ولا متكلّمة قبلَها ولا بعدَها أبلغَ منها ، ثم قالت : يا أخي إنِّي لم أزَلْ أراكَ مُعْرِضاً عنّي منذ قَبضتُ هذين الصبيَّيْن منك ، ووالله ما قبضتهما تطاولاً عليك ، ولا تُهمَةَ لك فيهما ، ولا لشيء تكرهه ، ولكنّك كنت رجلاً ذا نساء ، وكانا صبيَّين لا يكفيان من أنفسهما شيئاً ، فخشيت أن يَرى نساؤُك منهما ما يتقذرن به من قبيح أمر الصبيان ، فكنتُ أَلطَفَ لذلك وأحقَّ بولايته ، فقدْ قَوِيا على أنفسهما وشبا ، وعرفا ما يأتيان ، فهاهما هذان فَضُمَّهما إليكَ ؛ وكن لهما كحجيّة بن المضربَ أَخي كندة ، فإنّه كان له أخ يقال له : معدان ، فمات وترك أُصَيْبِيةً صغاراً في حجر أخيه ، فكان أبرّ النّاس بهم وأَعطفهم عَلَيْهم ، وكان يؤثرهم على صبيانه ، فمكث بذلك ما شاء الله . ثم إنّه عرض له سفرٌ لم يجد بدّاً من الخروج فيه ، فخرجَ وأوصى بهم امرأته ، وكانت إحدى بنات عمِّه ، وكان يقال لها : زينب ؛ فقال : اصنَعي ببَني أخي ما كنتُ أصنعُ بهم . ثم مضى لوجهه فغاب أَشهراً ، ثم رجع وقد ساءت حال الصبيان وتغيّرت ؛ فقال لامرأته : ويلكِ ! مالي أرى بني معدان مهازيل ، وأرى بَنيّ سِماناً ؟ قالت :

1 ترجمة حجية بن مضرب في السمط : 204–205 وانظر خبره وأبياته في شرح الحماسة للمرزوقيّ : 1176–1177 والتبريزيّ .

قد كنت أُواسي بينهم ، ولكنَّهم كانوا يعبثون ويلعبون . فخلا بالصبيان فقال : كيف كانت زينبُ لكم ؟ قالوا : سيِّئة ، ما كانت تعطينا من القوت إلاّ مِلْءَ هذا القَدَحِ من لبن ، وأَرَوْهُ قدحاً صغيراً ، فغضب على امرأته غضباً شديداً وتركها حتى إذا أراح[1] عليه راعيا إبلِه قال لهما : اذهبا ، فأنتما وإبلكما لبني معدان . فغضبت من ذلك زينبُ وهجرته ، وضربت بينه وبينها حجاباً ؛ فقال : والله لا تذوقين منها صَبوحاً ولا غبوقاً أبداً ، وقال في ذلك .

[شعره في امرأته حين عرف سوء معاملتها لصغار أخيه]

[من الطويل]

لجِجْنا وَلَجَّتْ هذه في التغضّبِ ... ولطَّ الحجابِ بيننا والتجنُّبِ[2]

وخطتْ بفردَيْ إثمدٍ جفنَ عينها ... لتقتلَني وشَدَّ ما حُبُّ زينبِ

تلومُ على مالٍ شفاني مكانُه ... فَلُومي حياتي ما بدا لك واغضبي[3]

رحِمتُ بني مَعْدانَ أنْ قَلَّ مالُهمْ ... وحقٌّ لهم مِنِّي وربِّ المحصَّبِ[4]

وكان اليتامى لا يَسُدُّ اختلالهم ... هدايا لهم في كلِّ قَعْبٍ مشعَّبِ[5]

فقلتُ لعبدَيْنا : أَريحا عليهمُ ... سأجعلُ بَيْتي بيتَ آخَرَ مُعْزِبِ

وقلتُ خذوها واعلموا أَن عمّكمْ ... هو اليومَ أَولى منكمُ بالتكسّبِ

عِيالي أَحقُّ أن ينالوا خصاصةً ... وأَن يشربوا رَنْقاً إلى حين مكسبي

أُحابي بها من لو قصدتُ لمالِه ... حَرِيباً لآساني على كلِّ موكِبِ[6]

أَخي والذي إن أَدْعُه لعظيمة[7] ... يُجِبْني وإن أُغضَب إلى السيفِ يَغضبِ

إلى هاهنا رواية ابن عمّار .

[يحاول رد زينب]

وفي خبر إسحاق قال : فلمّا بلغ زينبَ هذا الشعرُ وما وهب زوجها خرجتْ حتى أَتت المدينة فأسلَمَت ، وذلك في ولاية عمر بن الخطّاب . فقدِم حُجَيَة المدينة فطلب زينب أن تُرَدَّ

---

1 أراح : رد الإبل في الرواح .
2 الحماسة (المرزوقي) : وشد . . . والتنقب . ولط : لزم .
3 إليك واغضبي في الحماسة : إليك فلومي .
4 المحصب : مكان رمي الجمار .
5 الحماسة : رأيت . . . لا تسد فقورهم . والمشعب : المجبور .
6 الحماسة : ذكرت بهم عظام من لو أتيته . . . كل مركب .
7 الحماسة : لملمة .

عليه ، وكان نصرانيّاً . فنزل بالزُّبير بن العوام فأخبره بقصّته ؛ فقال له : إيّاكَ وأَنْ يَبْلُغَ هذا عنك عمر فتلْقَى منه أذى . وانتشر خبر حُجَيّة وفشا بالمدينة وعُلِم فيمَ كان مقدَمُه . فبلغ ذلك عمر ، فقال للزبير : قد بلغني قصّة ضيفك ، ولقد هممتُ به لولا تحرُّمه بالنّزول عليك .

[مدحه الزبير]

فرجع الزُّبيرُ إلى حُجَيَّةَ فأعلمه قول عمر ، فقال حُجَيّة في ذلك : [من البسيط]

إنّ الزُّبيرَ بنَ عوّامٍ تداركني ... منه بسيْب كريم سيْبُه عِصَمُ[1]

نفسي فداؤك مأخوذاً بحُجْزَتها ... إذ شاطَ لحمي وإذ زلّتْ بيَ القدمُ[2]

إذ لا يَقومُ بها إلاّ فَتًى أنِفٌ ... عاري الأشاجعِ في عِرْنينه شَممُ[3]

ثم انصرف من عنده متوجهاً إلى بلده ، آيساً من زينب كئيباً حزيناً ، فقال في ذلك :

تصابيتَ أمْ هاجَتْ لك الشوقَ زينبُ

الأبيات المذكور فيها الغناء .

## صوت

[من الطويل]

خليلي هُبَّا نَصْطَبِحْ بسوادِ ... ونُروِ قُلوباً هامُهُنَّ صوادِ

وقولا لساقينا زيادٍ يُرِقُّها ... فقد هَزَّ بعضَ القوم سقيُ زيادِ

الشعر والغناء لإسحاق ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالبنصر .

---

1 عصم : جمع عصمة ، وهي المنع والصيانة .

2 الحجزة : معقد الإزار . وشاط لحمي : استبيح قتلي .

3 الأشاجع : أصول الأصابع المتصلة بعصب ظاهر الكف .

# [ 431] ـ خبر إسحاق مع غلامه زياد

هذا الشعر يقوله إسحاق في غلام له مملوكٍ خِلاسيٍّ[1] ، يقال له : زياد . كان مولَّداً من مولَّدي المدينة ، فصيحاً ظريفاً ، فجعله ساقيَه ، وذكره هو وغيره في شعره . فمِمَّن ذكره من الشعراء دِعبِلٌ ، وله يقول :

أخبرني بذلك عليّ بن سليمان الأخفش ، عن أبي سعيد السُّكريّ قال : كان زياد الذي يذكره إسحاق في عدّة مواضع ، منها قوله : [من الطويل]

وقــولا لِساقينا زيــادٍ يُرقِّها

وكان نظيفَ السَّقْيِ لَبقاً ، فقال فيه دِعبِل[2] : [من الطويل]

يقــول زيــادٌ قِــفْ بصحبِكَ مَرَّةً ... على الرَّبعِ ، ما لي والوقوفَ على الربْعِ !

## صوت

[من الطويل]

أَدِرْهــا على فَقْــدِ الحبيبِ فربَّما ... شربتُ على نَأيِ الأَحِبّةِ والفَجْعِ

فمــا بلغَتْنــي الكأسُ إلاّ شربتُها ... وإلاّ سَقيتُ الأَرضَ كأساً من الدمعِ

غنّى في البيت الثاني والثالث من هذه الأبيات محمد بن العبّاس بن عبد الله بن طاهر لحناً من خفيف الثقيل الأوّل بالبِنصر .

[نسبة الصوت إلى غير إسحاق]

قال أبو الحسن : وقد قيل : إنّ هذين البيتين يعني :

خليليَّ هُبّا نصطبِحْ بسواد

للأخطل[3] .

[زياد لا يراجع]

أخبرني عليٌّ بن سليمان ، قال : حدَّثني أبي ، قال : قال لي جعفر بن معروف

---

1 الخلاسيّ : المولود من أبوين أبيض وأسود .

2 ديوان دعبل (نجم) : 105 عن الأغاني .

3 انظر حاشية القصيدة 136 في ديوان الأخطل ، وسيؤكّد إسحاق أن الشعر له ، وإنّما اختلط الأمر على الراوي لورود اسم زياد في قصيدة الأخطل .

الكاتب ـ وكان قد جاوز مائةَ سنة ـ : لقد شهدتُ إسحاق يوماً في مجلس أُنس وهو يتغنّى هذا الصوت : [من الطويل]

خليليَّ هبّـا نصطبحْ بسوادِ

وغلامُه زياد جالسٌ على مسْوَرة[1] يَسقي ، وهو يومئذٍ غلام أَمرد أُصفر ، رقيق البدن حلو الوجه . ثم أخذ يراجعه ولا أحدٌ يستطيع يقول له : زِدني ولا أنقصني .

[المغنّي يحبّ أن يقال له أحسنت]

أَخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم الأَنْباريّ ، قال : حدَّثني أَحمد بن الهيثم ، يعني جدَّ أَبي ، رحمه الله ، قال : كنت ذات يوم جالساً في منزلي بِسُرَّ مَن رأى وعندي إخوان لي ، وكان طريقُ إسحاق في مُضيِّه إلى دار الخليفة ورجوعِه منها على منزلي ؛ فجاءَني الغلام يوماً وعندي أصدقاء لي فقال لي : إسحاق بن إبراهيم الموصليّ بالباب ، فقلتُ له : قُلْ لَهُ ، ويلكَ ! يدخلُ ، أوَ في الخلْقِ أَحدٌ يُسْتأْذَنُ عليه لإسحاق ؟

فذهب الغلامُ وبادرتُ أُسعى في أَثره حتى تلقيته ، فدخل وجلس منبسطاً آنساً ، فعرضنا عليه ما عندنا ، فأَجاب إلى الشُّرْبِ ، فأَحضرناه نبيذاً مشمَّساً فشرب منه ، ثم قال : أَتحبّون أن أُغنِّيكم ؟ قلنا : إي واللهِ أطالَ اللهُ بقاءَك ، إنّا نحبُّ ذلكَ . قال : فلِمَ لم تسألوني ؟ قلنـا : هِبْناكَ واللهِ ! قال : فلا تفعلوا ، ثم دعا بِعُود فأحضرْناه ، فاندفع فغنّانا ، فشربنا وطرِبنا . فلمّا فرغ قال : أحسنتُ أَم لا ؟ فقلنا : بلى والله ، جعلنا اللهُ فداءكَ ، لقد أحسنتَ . قال : فما منعكم أن تقولوا لي : أَحسنتَ !

قلنا : الهيْبَةُ واللهِ لك . قال : فلا تفعلوا هذا فيما تستأنفون ، فإنّ المغنِّيَ يُحبُّ أن يقال له : غَنِّ ، ويحبّ أن يقال له إذا غنّى : أحسنتَ ، ثم غنّانا صوتَه : [من الطويل]

خليليَّ هُبّـا نصطبحْ بسوادِ

[إسحاق يعتق زياداً ويزوّجه]

فقلنا له : يا أَبا محمد ، مَن هو زياد الذي عنيتَه ؟ قال : هو غلامي الواقف بالباب ، ادْعُوه يا غلمان . فأُدخِلَ إلينا ، فإذا غلام خِلاسيّ ، قيمته عشرون ديناراً أو نحوُها . فأمسكنا عنه ، فقال : أتسألوني عنه فأُعرِّفكم إياه ويخرجُ كما دخل ، وقد سمعتم شعري فيه وغنائي ؟ أُشْهدكم أنّه حرٌّ لوجه الله ، وأنّي زوّجته أَمَتي فلانةَ ، فأعينوه على أَمره . قال : فلم يَخرج حتى أوصلْنا إليه عشرين ألفَ درهم ، أخرجْناها له من أموالنا .

---

1 المسورة : متكأ من الجلد .

[رثاء إسحاق لزياد]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال : حدَّثني أَبي ، قال : توفِّي زياد غلام إسحاق الذي يقول فيه : [من الطويل]

وقــولا لِساقينا زيــادٍ يُرِقّهــا

فقال إسحاق يرثيه : [من الطويل]

فَقَدْنا زياداً بعــد طــول صَحابة فــلا زال يَسقي الغيثُ قبرَ زيادِ
ستبكيكَ كأسٌ لم تجدْ مَن يُديرُها وظمآنُ يستَبْطي الزجاجــةَ صادِ

[إسحاق يغنّي الأمين في شعر الأخطل]

أَخبرني عمِّي ، قال : حدَّثني ابن المكِّيّ عن أَبيه ، قال : اصطبح محمد الأمين ذات يوم ، وأَمر بالتوجيه إلى إسحاق ، فوُجِّه إليه عِدّةُ رسل ، كلّهم لا يصادفه ، حتى جاءَ أَحدهم به ، فدخل منتشياً ومحمد مغضب . فقال له : أين كنت ويلك ؟ قال : أصبحتُ يا أمير المؤمنين نشيطاً ، فركبت إلى بعض المتنزهات ، فاستطبْت الموضع وأقمت فيه وسقاني زياد ، فذكرْتُ أبياتاً للأخطل وهو يسقيني ، فدار لي فيها لَحْنٌ حسن فصنعته فيها ، وقد جئتك به . فتبسّم ، ثم قال : هات ، فما تزال تأتي بما يُرْضي عنك عند السخط ، فغنّاه : [من الطويل]

**صوت**

إذا مــا زيــادٌ علَّني ثــم علَّني ثــلاثَ زجاجــات لهــنَّ هَدِيرُ
خرجْتُ أَجُرُّ الذيلَ زهواً كأنّني عليــك أَميــرَ المؤمنـــين أَميرُ

قال : بلْ على أبيك ، قَبَّحَ اللهُ فِعلَكَ ، فما يزال إحسانُك في غنائك يمحو إساءَتك في فِعلك ، وأمر له بألف دينار .

الشعرُ في هذين البيتين للأخطل[1] ، والغناء لإسحاق ، رمل بالبنصر . ورواية شعر الأَخطل :

إذا مــا نديمــي عَلَّني ثم علَّني

وإنّما غيَّره إسحاق فقال : «إذا ما زياد» .

أخبرني عليّ بنُ سليمان عن محمد بن يزيد النحويّ : أَنّ عبدَ الملك بنَ مروان قال للأَخطل : ما يدعوك إلى الخمر ؟ فوالله إنّ أوّلها لَمُرّ ، وإنّ آخرها لَسُكّر ! قال : أجل ، ولكن بينهما حالة ، ما مُلْكُك عندها بشيء ، وقد قلتُ في ذلك :

1 المقطوعة 154 في ديوان الأخطل .

إذا مـا نَدِيمـي عَلَّني ثم عَلَّني ثـلاثَ زجاجـات لهـنّ هَديرُ
خرجْتُ أُجرُّ الذيـلَ زهواً كأنّني عليـكَ أَميـرَ المؤمنـينَ أَميرُ

قال : فجعل عبد الملك يضحك .

## صوت[1]

[من الطويل]

أَشارتْ بطَرْفِ العين خِيفـةَ أَهلِها إشارةَ محـزونٍ ولم تتكلَّـمِ
فَأَيقنْت أن الطرفَ قـد قالَ مَرْحَباً وأَهـلاً وسهـلاً بـالحبيبِ المسلِّمِ
هنيئاً لكـم حُبِّـي وصَفوُ مَوَدّتي فقط سِيطَ مِن لَحْمي هواكِ ومن دَمي[2]

الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن عائشة ثاني ثقيل بالبنصر ، وفيه لدحمان ثقيل أوّل بالبنصر . ويقال : إنّه لابن سُرَيج ، وقيل : إنّ الثقيل الأوّل لابن عائشة ، والثقيل الثاني لابن سُريج ، وفيه خفيف ثقيل أوّل ، ينسب إلى ابن سُريج وإلى عليّ بن الجواريّ .

1 ديوان عمر بن أبي ربيعة (صادر) : 345 .
2 الديوان : هنيئاً لكم قتلي . . . ، وسيط : خلط .

# [ 432] ـ خبر لحبابة مع ابن عائشة

[تحتال لتسمع غناءه]

أَخبرني الحسن بن يحيى وابنُ أَبي الأَزهر ، عن حمّاد بن إسحاق ، عن أَبيه ، عن المدائنيّ ، قال : كانت حبابةُ جاريةُ يزيد بن عبد الملك مُعْجَبَةً بغناءِ ابن عائشة ، وكان ابن عائشة حديثَ السنِّ ، فلمّا طالَ عهدها به اشتاقت إلى أن تسمع غناءه ، فلمْ تَدْرِ كيف تصنعُ ، فاختلفت هي وسلاّمةُ في صوت لَمعبد ، فأمر يزيد بإحضاره ووجَّه في ذلك رسولاً . فبعثت حبابة إلى الرسولِ سِرّاً فأمرَته أن يأْتيَ ابنَ عائشة وأميرَ المدينةِ في خفاءَ ، ويبلغهما رسالتها بالخروج مع معبد سرّاً ، وقالت : قُل لهما يَسْتُران ذلك عن أمير المؤمنين .

فلمّا قدِم الرسولُ إلى عاملِ المدينة أبلغه ما قالت حبابةُ ، فأمرَ ابن عائشة بالرحلة مع معبد ، وقال لمعبد : انظر ما تأمرك به حَبابة فانتبِه إليه ، فقال : نعم . فخرجا حتى قدِما على يزيد ، وبلغ الخبرُ حَبابة فلم تدرِ كيف تصنع في أمر ابن عائشة . فلمّا حضر معبد حاكمت سَلاّمَةَ إليه ، فحكم لها ، فاندفعت فغنَّت صوتاً لابن عائشة ، وفيه لابن سُرَيج لحن ، ولحنُ ابن عائشة أشهرهما ، وهو : [من الطويل]

أَشارتْ بِطَرْفِ العينِ خيفــةَ أَهلها

فقال يزيد : يا حبيبتي ؛ أنّى لكِ هذا ولم أَسمعه منك ، وهو على غاية الحسن ؟ إنّ لهذا لَشأناً . فقال : يا أميرَ المؤمنين ، هذا لحن كنتُ أخذتُه عن ابنِ عائشةَ ، قال : ذلك الصبيّ ! قالت : نعم ، وهذا أستاذُه ، وأشارت بيدها إلى معبد ، فقال لمعبد : أهذا لحن ابن عائشة أو انتحلَه ؟ فقال معبَد : هذا ، أصلح اللهُ الأميرَ ، لَهُ . فقال يزيدُ : لو كان حاضراً ما كرهنا أن نسمع منه ، فقال معبد : هو والله مَعي لا يفارقني ، فقال يزيدُ : ويلَك يا معبدُ ! احتملنا الساعة أَمرَكَ ، فزدتنا ما كرهنا ، ثم قال لحَبابةَ : هذا والله عملُك ، قالت : أَجل يا سيِّدي ، قال لها : هذه الشامُ ، ولا تحتمل لنا ما تحتمله المدينة . قالت : يا سيِّدي أنا والله أُحبّ أن أسمعَ من ابن عائشة . فأُحْضِرَ ، فلمّا دخل قال له : هاتِ صوتاً غنتْه حبابة : [من الطويل]

أَشارتْ بطرفِ العــينِ خيفةَ أَهلِها

فغنّاه ، فقال : هو والله يا حبابَةُ مِنه أَحسنُ منه منك : قالت : أَجل يا سيِّدي . ثم قال يزيد : هات يا محمدُ ما عندك ، فغنّى : [من الكامل]

## صوت

قِــف بالمنازلِ قبــل أن تتفرّقــا ... واستنطق الربــعَ المُحيــل المخلِقا
عن عِلْــمِ مــا فعلَ الخليطُ لعلّه ... بجواب رجْعِ حديثهــم أنْ ينطقا
فيَبِــين مِــنْ أخبارهــم لِمُتيّــم ... أمسى وأصبــحَ بــالرسومِ معلّقا
كلِفــاً بهــا أبــداً تَسُحُّ دموعُهُ ... وَسْطَ الدّيــارِ مسائــلاً مستنطقا
ذَرَفَتْ لــه عــينٌ يُرى إنسانُها ... في لُجَّــةٍ مــن مائِهــا مغرورقا
تُذري محاجرُهــا الدمــوعَ كأنَّها ... دُرٌّ وَهــي من سلكِــه مستوسقا[1]

الغناء لابن عائشة ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالوسطى ، وفيه لشارية خفيف رمل مطلق في مجرى الوسطى ، ويقال : إنّ فيه لابن جندب وحُنين لحنين ، قال : فقال له يزيد : أهلاً وسهلاً بك يا ابن عائشةَ ، فأنت والله الحسنُ الوجه ، الحسن الغناء . وأحسنَ إليه ووصله .

ثم لم يرَه يزيد بعد هذا المجلس ، وبعثَت إليه حبابة ببِرٍّ وألطافٍ واتّبعْتها سلاّمة في ذلك .

## صوت[2]

[من الكامل]

لّما سمعتُ الديكَ صاحَ بسُحْرة ... وتوسَّطَ النسرانِ بَطْــنَ العَقْرَبِ
وبدا سُهَيــل في السماءِ كأنّه ... نــورٌ وعارضه هِجــان الرَّبْرَبِ
نبّهتُ نَدماني وقلتُ لــه اصطبحْ ... يا ابن الكرام من الشرابِ الطّيّبِ
صفــراءُ تبرُقُ في الزجاجِ كأنّها ... حدقُ الجرادةِ أو لُعابُ الجُندبِ

الشعر لأبي الهنديّ ، والغناءُ لإبراهيم الموصليّ ، ثاني ثقيل بالبنصر عن عَمْرو .

---

1 مستوسق : مجتمع .
2 ديوان أبي الهندي : 15 .

# [ 433] ـ أخبار أَبي الهنديّ ونسبه[1]

[شاعريته واستفراغ شعره في الخمر]

اسمه غالبُ بنُ عبد القُدُّوس بنِ شَبَث بنِ رِبْعيٍّ . وكان شاعراً مطبوعاً ، وقد أدركَ الدولتين : دولةَ بني أُميّة ، وأوّل دولة ولد العباس . وكان جَزْل الشعر ، حسن الألفاظ ، لطيف المعاني . وإنّما أَخمله وأمات ذِكرَه بُعْدُه من بلاد العرب ، ومُقامَه بِسِجِسْتان وبخراسان . وشغفه بالشراب ومعاقَرته إيّاه ، وفِسْقه وما كان يتّهم به من فساد الدِّين . واستفرغ شِعرَه بصفة الخمر ، وهو أوَّل مَن وصفها من شعراء الإسلام ، فجعل وصفها وَكْدَه وقَصْده ، ومن مشهور قوله فيها ومختاره : [من الوافر]

سقَيتُ أَبـا المُطرَّح إذ أَتاني ... وذو الرَّعثاتِ منتَصِبٌ يصيحُ[2]

شراباً يهـرُب الذِّبـان منـه ... ويَلْثَغ حـين يشربـه الفصيحُ

[أبو نواس وغيره يأخذون معانيه في الخمر]

أَخبرني عليُّ بنُ سليمان الأَخفش ، قال حدَّثني فضل اليزيديّ أنّه سمع إسحاق الموصليّ يوماً يقول : وأنشد شعراً لأبي الهنديّ في صفة الخمر ، فاستحسنهُ وقَرّظه ، فذُكِر عنده أبو نواس ، فقال : ومِن أين أخذ أبو نواس معانيه إلاّ من هذه الطبقة ؟ وأنا أُوجدُكم سَلْخَه هذه المعاني كلَّها في شعره ، فجعل ينشد بيتاً من شعر أبي الهنديّ ؛ ثم يَستخرج المعنى والموضع الذي سَرقه الحسن فيه حتى أتى عَلى الأبيات كلِّها واستخرجها من شعره .

أَخبرني الحسن بنُ عليّ : قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني عبدُ اللهِ بن أَبي سعد . قال : حدَّثني شيخٌ من أهلِ البصرة ، قال : كنّا عند أبي عُبيدة ، فأَنشد منشد شعراً في صفة الخمر ، أُنْسِيه الشيخ ، فضحك ثم قال : هذا أخذه من قول أَبي الهنديّ[3] : [من الطويل]

---

1 ترجمة أبي الهندي في الشعر والشعراء : 572–573 وطبقات ابن المعتزّ : 136–137 والفوات 3 : 169–171 والسمط : 168 و208 وفي اسمه خلاف فهو غالب بن عبد المؤمن (أو ابن عبد القدوس) أو عبد المؤمن أو عبد السلام أو عبد الملك أو أزهر بن عبد العزيز أو عبد الله بن ربعي بن شبث بن ربعي . وانظر مواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية . وقد جمع عبد الله الجبوري شعره (بغداد ـ 1970) .

2 ذو الرعثات : الديك . والرعثة : عثنونه .

3 ديوان أبي الهندي : 29–32 .

سَيُغني أبا الهنديّ عن وَطْبِ سالم ... أباريقُ لم يَعْلَقْ بها وَضَر الزُّبدِ[1]

مُفَدَّمةٌ قُزاً كأن رِقابَها ... رِقابُ بناتِ الماءِ تَفْزَعُ للرَّعدِ[2]

جَلَتها الجوالي حِين طاب مِزاجها ... وَطَيَّبتَها بالمِسكِ والعنبرِ الوَرْدِ

تَمجّ سُلافاً في الأَباريقِ خالصاً ... وفي كلِّ كأس من مَهاً حسن القَدِّ[3]

تَضَمّنها زِقّ أَزبّ كأنّه ... صريعٌ من السودانِ ذو شَعَر جَعْدِ[4]

[يسكر ثلاثة أيّام]

نسخت من كتاب ابن النطّاح ، حدَّثني بعض أصحابنا : أنَّ أبا الهنديّ اشتهى الصّبوح في الحانة ذات يوم ، فأتى خَمّاراً بِسِجِسْتان في محلّة يقال لها : كوه زيان ، وتفسيره : جبل الخُسران ، يباع فيها الخمر والفاحشة ، ويأوي إليها كلّ خاربٍ وَزانٍ وبغيّة ، فدخل إلى الخمّار فقال له : اسقِني ، وأعطاه ديناراً ، فكالَ له ، وجَعل يشرب حتى سَكِرَ ، وجاء قومٌ يسألون عنه فصادفوه عَلى تلك الحال . فقالوا للخمّار : أَلحقنا به ، فسقاهم حتى سكروا ، فانتبه فسأل عنهم ، فعرّفه الخمّار خبرهم ، فقال له : هذا الآن وقت السكر ، الآن طاب ، أَلحقني بهم ، فجعل يشرب حتى سكر ، وانتبهوا فقالوا للخمّار : ويحك ! هذا نائم بعد ! فقال : لا ، ولقد انتبه ، فلمّا عرَف خبرَكم شرب حتى سكِر ، فقالوا : أُلحقنا به ؛ فسقاهم حتى سكِروا . وانتبه فسأل عن خبرهم ، فعرَفه فقال : والله لألحقَنّ بهم ، فشرب حتى سكِر . ولم يزل ذلك دأْبَه ودَابَهم ثلاثة أيّام لم يلتقوا وهم في موضع واحد ، ثم تركوا هُم الشرب عمداً حتى أفاق ، فلَقُوه .

وهذا الخبر بعينه يُحكى لوالبة بن الحُباب مع أبي نواس ، وقد ذُكِر في أخبار والبةَ ، والصحيحُ أنّه لأبي الهنديّ ، وفي ذلك يقول[5] : [من الوافر]

نَدامى بَعْد ثالثةٍ تلاقَوْا ... يَضمُّهمُ بِكُوه زيانَ راحُ

وقد باكرتُها فتُركتُ منها ... قتيلاً ما أصابتني جِراحُ

---

1 الوطب : سقاء اللبن . والوضر : وسخ الدسم .

2 مفدّمة : عليها الفدام ، وهو مصفاة صغيرة . والقز : البعد من كل ما يستقذر . وبنات الماء : الطير ونحوه .

3 رواية الديوان :

تمجّ سلافاً من أباريق صفقت ... وطاسات صفر كلّها حسن القدّ

4 أزب : ذو شعر .

5 ديوان أبي الهندي : 20–22 .

وقالوا أيُّها الخمّارُ مَنْ ذا فقال أخٌ تَخَوّنَه اصطباحُ
فقالوا هاتِ راحَكَ ألْحِقنّا بـه وتَعلَّلوا ثُمَّ استراحوا[1]
فما إنْ لَبّثتهم أن رمَتْهم بحَدٍّ سلاحِها ولها سِلاحُ[2]
وحان تَنبُّهي فسألتُ عنهمْ فقال أتاحَهُمْ قَدَر مُتاحُ
رأوكَ مُجَدَّلاً فاستخبروني فحرّكهم إلى الشرب ارتياحُ
فقلْتُ بِهِمْ فألحقني فهَبّوا فقالوا هل تَنَبَّه حين راحوا[3]
فقال : نعم فقالوا ألحقَنّا بِهِ قد لاحَ للرائي صباحُ
فما إن زالَ ذاكَ الدأْبُ مِنّا ثلاثاً يُستغبُّ ويستباحُ
نَبيتُ معاً وليسَ لنا لقاءٌ ببيتٍ ما لنا فيه بَراحُ

[مات مختنقاً أو من البرد]

أخبرني عمِّي الحسنُ بنُ أحمد ، قال : حدَّثني الحسن بن عُلَيل العنَزيّ ، قال : قال صدقةُ بن إبراهيم البكريّ : كان أبو الهنديّ يشرب معنا بمَرْو ، وكان إذا سكِر يتقلّب تَقَلُّباً قبيحاً في نومه ، فكنّا كثيراً ما نَشُدُّ رِجله لئلاّ يسقط من السطح . فسكر ليلة وشددنا رِجله بحبل . وطولنا فيه ليقدر على القيام إلى البول وغير ذلك من حوائجه ، فتقلَّب وسقط من السطح ، وأمسكه الحبل فبقيَ منكساً وتخنَّق بما في جوفه من الشراب ، فأصبحنا فوجدناه ميتاً . قال صدقة : فمررت بقبره بعد ذلك فوجدت عليه مكتوباً[4] : [من مخلع البسيط]

اجعلوا إنْ مِتُّ يوماً كفَني ورَقَ الكرْمِ وقبري مَعْصَرَهْ
إنَّني أرجو من اللهِ غداً بَعْد شربِ الرّاحِ حُسنَ المغفرَهْ

قال : فكان الفِتيان بعد ذلك يجيئون إلى قبره ، ويشربون ويصبّون القدَح إذا انتهى إليه على قبره .

قال حمّاد بن إسحاق عن أبيه في وفاة أبي الهنديّ : إنّه خرج وهو سكران في ليلة باردة من حانة خمّار وهو ريّان ، فأصابه ثلج فقتله ، فوُجِد من غدٍ ميتاً على الطريق .

---

1 الديوان : فقال هات ألحقنا براح .

2 الديوان : فلم يتمهلوا حتى رمتهم ،

3 الديوان :

فقلت له فسرحني إليهم حثيثاً والسراح هو النجاح

4 ديوان أبي الهندي : 34 .

[امتنع عن الخمر أيّام الحج]

ورَوى حمّاد بنُ إسحاق عن أبيه ، قال : حجَّ نصرُ بن سيّار وأخرج معه أبا الهنديّ ، فلمّا حضَرَت أيّام الموسم قال له : يا أبا الهنديّ ، إنّا بحيث تَرى ، وَفْدُ الله وزُوّار بيته ، فهبْ لي النبيذَ في هذه الأيّام واحتكم عليَّ ، فلولا ما ترى ، ما منعتُك . فضَمِن له ذلك وغلّظ عليه الاحتكام ، ووكّل به نصر بن سيّار بعض نقبائه فلمّا انقضى الأجلُ مضى في السحَر قبل أن يلقَى نصراً ، فجلس في أكمة يشرف منها على فضاء واسع ، فجلس عليها ووضع بين يديه إداوة ، وأقبل يشرب ويبكي ، ويقول[1] : [من الطويل]

أَدِيرا عليَّ الكأسَ إنّي فقَدْتها ... كما فقـد المَفْطومُ دَرَّ المَراضعِ

حليفُ مُدامٍ فارقَ الرّاحُ روحَه ... فظلَّ عليهـا مستهِلَّ المَدامعِ[2]

قال : وعاتب قوم أبا الهنديّ على فِسْقه ومعاقرته الشراب ، فقال[3] : [من الوافر]

إذا صلّيتُ خمساً كلَّ يـومٍ ... فـإنّ اللهَ يغفـرُ لي فُسُوقي

ولَم أُشرِكْ برَبِّ النّاسِ شيئاً ... فقـد أمسكت بالدِّينِ الوثيقِ

وجاهدتُ العَدُوّ ونِلْتُ مـالاً ... يبَلِّغُنـي إلى البيـتِ العتيقِ

فهذا الدِّينُ ليس بـه خفاءٌ ... دَعُوني مـن بُنَيّات الطريقِ[4]

[لا يدفع للعواهر أجرهن]

قال إسحاق : وشرب يوماً أبو الهنديّ بكوه زيان عند خمّارة هناك ، وكان عندها نِسْوةٌ عواهِر ، ففجر بهنّ ولم يعطهنّ شيئاً ، فجعلن يطالبنه بجُعْل فلم ينفعهنّ ، فقال في ذلك[5] : [من البسيط]

آلى يمينـاً أبـو الهنْـديِّ كاذبةً ... لَيُعْطِـينَّ زواني لستِ ماشينا[6]

وغرّهُـنّ فلمّـا أن قضى وطراً ... قـال ارتَحِلْنَ فأَخزى اللهُ ذا دِينا

[سرعة جوابه]

أخبرني عمّي عن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، عن أبي محلم ، قال : خطب أبو الهنديّ

1 ديوانه : 44 بعكس الترتيب .

2 حليف مدام في الديوان : رضيع مدام .

3 ديوانه : 45-46 .

4 بنيات الطريق : الطرق المتشعبة من الجادة .

5 ديوانه : 53 .

6 لست : موضع بعينه .

غالبُ بنُ القُدُّوس بن شَبَث بنِ رِبعيّ إلى رجل من بني تميم ، فقال : لو كنتَ مثلَ أبيك لزَوَّجتك ، فقال له غالب : لكنّك لو كنتَ مثل أبيك ما خطبت إليك .

قال أبو محلّم : ومرَّ نَصر بن سيّار بأبي الهنديّ ، وهو سكرانٌ يتمايل ، فوقف عليه فعذَله وسبّه ، وقال : ضيّعت شرفكَ ، وفضحْتَ أسلافك . فلمّا طال عتابه التفَتَ إليه فقال : لولا أنّي ضيّعتُ شرَفي لم تكن أنت على خراسان ، فانصرف نصر خَجِلاً .

قال أبو محلم : وكان بسِجِسْتان رجل يقال له : برزين ناسكاً ، وكان أبوه صُلِب في خرابة[1] فجلس إليه أبو الهنديّ ، فطفِقَ يعذله ويُعرّض له بالشراب . فقال له أبو الهنديّ : أَحَدُكم يَرى القَذاةَ في عين أخيه ، ولا يرى الخشبة في است أبيه[2] ! فأخجله .

قال أبو محلم : وكان أسرع النّاس جواباً .

## صوت

[من المتقارب]

لقد قُلتُ حين قَـرَّ بتِ العِيسُ يـا نوارُ
قِفُوا فاربعوا قليلاً فلَم يربعوا وسارُوا
فنفسي لهـا حنينُ وقلبي لـه انكسارُ
وصدري بـه غليلُ ودمعـي لـه انحدارُ

الشعر لسعيد بن وهب ، والغناء لسليم رمل بالوسطى عن الهشاميّ ، ومن جامع سليم ونسخة عمرو الثانية .

1 الخرابة : سرقة الإبل .

2 من المثل : «كيف تبصر القذى في عين أخيك وتدع الجذع المعترض في حلقك» . انظر مجمع الميداني 2 : 155 .

# [434] ـ أخبار سعيد بن وهب[1]

[نسبه]

سعيدُ بنُ وهب أبو عثمان مولى بني سلمةَ بن لؤيّ بن نصر، مولده ومنشؤه بالبصرةِ، ثم سار إلى بغدادَ فأقام بها. وكانت الكتابة صناعتَه، فتصرّف مع البرامكة فاصطنعوه، وتقدّم عندهم.

[شغفه بالغلمان والشراب ثم توبته]

وكان شاعراً مطبوعاً، ومات في أيّام المأمون، وأكثرُ شعره في الغزل والتشبيب بالمذكَّر، وكان مشْغُوفاً بالغلمانِ والشراب.

ثم تنسَّك وتاب، وحجَّ راجلاً على قدمَيْه، ومات على توبةٍ وإقلاعٍ ومذهبٍ جميل.

ومات وأبو العتاهية حيّ، وكان صديقه فرثاه.

[رثاء أبي العتاهية له]

فأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش. عن محمد بن مزيد. قال: حُدِّثت عن بعض أصحاب أبي العتاهية. قال: جاء رجل إلى أبي العتاهية، ونحن عنده، فسارّه في شيء فبكى أبو العتاهية، فقلنا له: ما قال لك هذا الرجل يا أبا إسحاق فأبكاك؟ فقال، وهو يحدّثنا لا يريد أن يقول شعراً[2]: [من الخفيف]

قالَ لي ماتَ سعيدُ بن وهب رحـم اللهُ سعيـدَ بنَ وهبِ

يـا أبـا عثمانَ أبكيتَ عَيْني يـا أبـا عثمانَ أوجَعتَ قلبي

قال: فعجبنا من طبعه وأنّه تحدَّث، فكان حديثه شعراً موزوناً.

[توبة وتزهُّد]

وأخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف. قال: حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدَّثني سيبويه أبو محمد، قال: كان سعيد بنُ وهب الشاعر البصريّ، مولى بني سلمة قد تاب وتزهَّد، وترك قول الشعر. وكان له عشرةٌ من البنين وعشرٌ من البنات، فكان إذا وجد شيئاً من شعره خَرقه وأحرقَهُ. وكان امرءاً صدقٍ، كثيرَ الصلاةِ، يزكّي في كلِّ سنة عن جميع ما عنده، حتى إنّه ليُزكّي عن فضّة كانت على امرأته.

---

1 ترجمة سعيد بن وهب في طبقات ابن المعتزّ: 256–261 والوافي 15: 272–273 والفهرست: 123 وتاريخ بغداد 9: 73 والموشح 400–401 والنجوم الزاهرة 2: 188 وانظر أعلام الزركلي ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية.

2 ديوان أبي العتاهية: 415.

[غزله بالغلمان]

أَخبرني عمِّي ، قال : حدَّثني عليّ بن الحسين بن عبد الأَعلى ، قال : حدَّثني أَبو عثمان الليثيّ ، قال : كان سعيد بن وهب يتعشّق غلاماً يتشطّر ، يقال له : سعيد ، فبلغه أنّه توعّده أن يَجْرَحَه ، فقال فيه : [من مجزوء الرمل]

مَنْ عذيـري مِـن سميِّي مَنْ عذيري من سعيدِ ؟
أَنـــا باللحـمِ أَجـــاه ويجـــاني بـــالحديدِ

حدَّثني جحظة ، قال : حدَّثني ميمون بن هارون ، قال : نظر سعيد بن وهب إلى قوم من كُتَّابِ السُّلطان في أحوال جميلة ، فأنشأ يقول[1] : [من السريع]

مَــن كانَ في الدُّنيا له شارةٌ فنحـنُ مِـــن نظّـارَةِ الدُّنْيا
نَرْمُقهـا مــن كَثَـبٍ حَسْرةً كأَنّنـا لفـظٌ بـــلا مَعْنـى
يَعْلُـو بهــا النّـــاسُ وأَيّامُنا تذهـب في الأَرذَلِ والأَدْنى

أَخبرني عمِّي ، قال : حدَّثني عبدُ الله بن أبي سعد ، قال : حدَّثني محمدُ بن عبد الله بن يعقوب بن داود ، قال : حدَّثني عبد الله بن أبي العلاء المغنّي ، قال : نَظَرَ إليَّ سعيدُ بن وهب ، وأنا على باب ميمون بن إسماعيل ، حين اخضَرَّ شاربي ، ومعه إسحاق بن إبراهيم الموصليّ ، فسلّمت على إسحاق فأقبل عليه سعيد ، وقال : مَن هذا الغلام ؟ فتبسَّم ، وقال : هذا ابن صديق لي ، فأقبل عليَّ وقال : [من الكامل]

لا تخرجَـــنَّ مــع الغزيِّ لمغنم إنّ الغـــزيَّ يـــراكَ أَفضلَ مغنمِ[2]
في مثلِ وجهكَ يستحلُّ ذَوو التُّقى والدِّيــنُ والعلمــاءُ كلُّ محـــرَّمِ
مــا أنـــتَ إلاّ غــادةٌ ممكورةٌ لــولا شواربُــك المُطِلَّـةُ بالفمِ

أَخبرني محمدُ بن خلف بن المرزبان ، قال : حدَّثني أَحمد بن أَبي طاهر ، عن أَبي دعامة ، قال : مَرَّ سعيد بن وهب الكسائيّ ، فلقيا غلاماً جميل الوجه ، فاستحسنه الكسائيّ وأراد أن يستميله ، فأَخذ يذاكره بالنحو ويتكلّم به ، فلم يملْ إليه . وأخذ سعيد بن وهب في الشعر ينشده ، فمال إليه الغلامُ ، فبعث به إلى منزله ، وبعث معه بالكسائيّ ، وقال له : حدّثه وآنِسْه إلى أن أجيء ، وتشاغل بحاجة له . فمضى به الكسائيّ ، فما زال يداريه حتى قضى حاجته

1 الأبيات في الوافي 15 : 272 .
2 الغزي : الجيش الغازي .

وأرَبّه ، ثم قال له : انصرف ، وجاء سعيد فلم يره ، فقال[1] : [من المتقارب]

أبو حَسَنٍ لا يَفي ... فمَن ذا يَفي بَعْدَهُ
أثَرْتُ لَه شادِناً ... فصايَدَهُ وحْدَهُ
وأظهر لي غَدْرَةً ... وأخلفني وعْدَهُ
سأطلبُ ما ساءه ... كما ساءَني جُهْدَهُ

[جزعه على ابنه]

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدَّثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال : كان سعيد بن وهب لي صديقاً ، وكان له ابنٌ يكنى أبا الخطّاب ، من أكيَسِ الصبيان وأحسنِهم وجهاً وأدباً ، فكان لا يكاد يفارقه في كلّ حال ، لشدّة شغفه به ، ورقّته عليه . فمات وله عشرُ سنين ، فجزِعَ عليه جزعاً شديداً ، وانقطع عن لذاته . فدخلْتُ إليه يوماً لأعاتبه على ذلك ، وأستعطفهُ ، فحينَ رأى ذلك في وجهي فاضتْ دموعُه ، ثم انتحبَ حتى رحمتُه ، وأنشدني : [من الخفيف]

عَينُ جُودي على أبي الخَطّابِ ... إذ تَوَلّى غَضّاً بماءِ الشبابِ
لم يُقارِفْ ذَنباً ولم يَبْلُغِ الحنـ ... ـثَ مُرَجّى مُطهَّرَ الأثوابِ
فَقَدَتْه عَيْني إذا ما سعى أتـ ... ـرابه مِنْ جماعةِ الأترابِ
إنْ غَدا مُوحِشاً لِداري فقد أصـ ... ـبَحَ أنْسَ الثَّرى وزينَ التُّرابِ
أحمدُ اللهَ يا حَبيبي فإنّي ... بكَ راحَ منه عظيمَ الثوابِ

ثم ناشدني ألاّ أذكِّرَه بشيء ، ممّا جئتُ إليه ، فقُمتُ ولم أخاطبه بحرف .

وقد رأيت هذه الأبيات بعينها بخطّ إسحاق في بعض دفاتره ، يقول فيه : أنشدَني سعيد بن وهب لنفسه يَرْثي ابناً له صغيراً ، وهيَ على ما ذَكره جعفرُ بنُ قدامة عن حماد سواء .

[غلامان يحتكمان إليه]

أخبرني عيسى بنُ الحسين الورّاق ، قال : حدَّثني أبو هِفّانَ ، قال : حدَّثني أبو دعامة ، قال : كان سعيد بن وهب مألفةً لكل غلام أمْرَدَ ، وفتًى ظريف ، وقَيْنة مُحْسنة . فحدَّثني رجل كان يعاشره ، قال : دخل إليه يوماً وأنا عندهُ غلامانِ أمردَان ، فقالا له : قد تحاكمنا إليك : أيُّنا أجمل وجهاً ، وأحسن جسماً ؟ وجعَلْنا لك أجْرَ حُكْمِكَ أن تختار أيُّنا حكَمْتَ له ، فتقضي حاجتكَ منه . فحكم لأحدهما ، وقام فقضى حاجته واحتَبَسَهُما فشربا عنده

1 الأبيات في الوافي 15 : 272 .

نبيذاً ، ثم مالَ على الآخر أيضاً ، وقمتُ معه . فداخلتهما حتى فعلْتُ كفعلِه ، فقال لي سعيد : هٰذا يومُ الغاراتِ في الحارات ، ثم قال : [من المنسرح]

رئمـــانِ جـــاءا فحَكَّمـاني لا حُكْــمَ قـاضٍ ولا أميرِ
هـذا كشمسِ الضحى جمالاً وذا كَبَــدْرِ الدُّجـى المُنيرِ
وفضْــلُ هـذا كـذا على ذا فضــلُ خَميسٍ عـلى عَشيرِ
قـالا أشِرْ بَينَنـا بــرأيٍ ونجعــلُ الفضــل للمشيرِ
تبـاذلا ثُــمّ قمــتُ حتـى أخــذْتُ فضلي مـن الكبيرِ
وكان عيبـــاً بـــأنْ أراني أحْـرَمُ حَظّـي مـن الصغيرِ
فكان منّــي ومِــنْ قرينـي إليهمـــا وثْبَـــةُ المُغيـرِ
فمَنْ رأى حاكِمــاً كحُكْمي أعظـمَ جــوراً بـلا نكيرِ

وقال : وشاعتْ الأبيات حتى بلغت الرشيدَ ، فَدَعا به فاستنشده إيّاها ، فتلكأ ، فقال له : أنشدْ ولا بأس عليك ، فأنشدَه . فقال له : ويلك ! اخترْتَ الكبير سنّاً أو قدراً ؟ قال : بل الكبيرَ قدراً . قال : لو قلت غير هذا سقطتَ عندي واستخْففتُ بك . ووصله .

[مديح الفضل بن يحيى]

أخبرني جعفر بن قدامة ، قال : حدَّثني أبو العيناء ، قال : دخل سعيد بن وهب على الفضل بن يحيى في يوم قد جَلَسَ فيه للشعراء ، فجعلوا ينشدونه ويأمرُ لهم بالجوائز حتى لم يبق منهم أحد . فالتفت إلى سعيدِ بن وهب كالمستنطق ، فقال له : أيّها الوزير ، إنّي ما كنت استعدَدْتُ لهذه الحال ، ولا تقدَّمَت لها عندي مقدِّمة فأعْرِفها ، ولكن قد حضَرني بيتان أرجو أن ينوبا عن قصيدة ، فقال : هاتهما فرُبّ قليلٍ أبلغَ من الكثير ، فقال سعيد : [من الخفيف]

مَـدحَ الفضلُ نفسَه بالفَعـالِ فَعَــلا عـــن مَدِيحنـا بالمقالِ
أمرُوني بمدحِـه قلــتُ كلا كبُر الفضل عن مديحِ الرجالِ

قال : فطرب الفضلُ ، وقال له : أحسنتَ واللهِ وأجَدْتَ ! ولئن قلَّ القولُ ونَزُر لقد اتسعَ المعنى وكثُر .

ثم أمَر له بمثل ما أعطاه كلَّ مَن أنشده مديحاً يومئذٍ ، وقال : لا خير فيما يجيء بعد بيتيك ؛ وقام من المجلس وخرج النّاس يومئذٍ بالبيتين لا يتناشدون سِواهما .

حدَّثني عمّي قال : حدَّثني ميمونُ بن هارون ، قال : حُدِّثت عن الخُريمي ، قال : كان الفضل بنُ يحيى ينافسُ أخاه جعفراً ، وينافسه جعفر ، وكان أنس بن أبي شيخ خاصاً بجعفر ، ينادمُه ويأنس به في خلواته ، وكان سعيد بن وهب بهذه المنزلة للفضل .

فدخلت يوماً إلى جعفر ، ودخل إليه سعيد بن وهب ، فحدّثه وأنشده وتنادر له ، وحكى عن المتنادرين ، وأتى بكلّ ما يَسُرُّ ويُطرب ويُضْحك ، وجعفر ساكت ينظر إليه لا يزيد على ذلك .

فلمّا خرج سعيد من عنده تجاهلْتُ عليه ، وقلت له : مَن هذا الرجل الكثير الهذيان ؟ قال : أوما تعرفه ؟ قلت : لا ؛ قال : هذا سعيد بن وهب صديق أخي أبي العبّاس وخُلصانه وعشيقه . قلت : وأيّ شيء رأى فيه ؟ قال : لا شيءَ واللهِ إلاّ القَذَرُ والبرْدُ والغثاثةُ .

ثم دَخَلْتُ بعد ذلك إلى الفضل ، ودخل أنس بنُ أبي شيخ فحدَّث وندّر ، وحكى عن المضحكين وأتى بكلّ طريفة ، فكانت قصّة الفضل معه قصة جعفر مع سعيد . فقلت له بعد أن خرج من حضرته : مَن هذا المُبرَّد ؟ قال : أولا تعرفه ؟ قلت : لا . قال : هذا أنس بن أبي شيخ صديق أخي أبي الفضل وعشيقه وخاصته . قلت : وأيّ شيء أعجبه فيه ؟ قال : لا أدري والله ، إلاّ القَذر والبرْد وسوء الاختيار .

قال : وأنا والله أعرَفُ بسعيد وأَنَسٍ من الناس جميعاً ، ولكنّي تجاهلتُ عليهما وساعدتهما على هواهما .

[وفاء في النكبة]

حدَّثني عمِّي ، قال : حدَّثني ميمون بن هارون ، قال : قال إبراهيم بن العبّاس : قال لي الفضل بن الرَّبيع ذات يوم : عرَّفَتْنا أيّامُ النّكبة مَن كنّا نجهله من النّاس ، وذلك أنّا احتجنا إلى أن نُودع أموالَنا ، وكان أمرُها كثيراً مفرِطاً ، فكنّا نُلْقيها على النّاس إلقاء ، ونُودعها الثقة وغير الثقة . فكان مِمّن أودَعته سعيدُ بنُ وهب ، وكان رجلاً صعلوكاً لا مالَ له ، إنّما صَحبنا عَلى البطالة : فظننت أنّ ما أودعته ذاهب ، ثم طلبته منه بَعْدَ حين ، فجاءَني واللهِ بخَواتيمه .

وأَودعتُ عليّ بن الهيثم كاتبنا جملة عظيمة ، وكان عندي أَوثق مَنْ أُودعتُه . فلمّا أَمنتُ طالبته بالوديعة ، فجحدنيها وبهتَني وحلف على ذلك . فصار سعيد عندي في السماء ، وبلغتُ به كلّ مبلغ ، وسقط عليّ بن الهيثم ، فما يصل إليّ ولا يلقاني .

[يحاجي جارية رجل من البرامكة]

أخبرني جعفر بن قدامة ، قال : حدَّثني حمّاد بن إسحاق عن أَبيه ، حدَّثني عمرو بن بانة . قال : كان في جواري رجلٌ من البرامكة ، وكانت له جارية شاعرة ظريفة ، يقال لها : حسناء ، يَدْخل إليها الشعراء ويَسألونها عن المعاني ، فتأتي بكلٍّ مستحسنٍ من الجواب ، فدخل إليها سعيد بن وهب يوماً ، وجَلس إليها فحادثها طويلاً ، ثم قال لها بعد ذلك : [من الهزج]

حاجَيْتُكِ يا حَسْنا ءُ في جِنْسٍ مِن الشِّعرِ
وفيما طُولُه شِبرٌ وَقد يُوفي على الشِّبرِ
له في رأسِهِ شَقٌّ نَطُوفٌ بالنَّدى يجري
إذا ما جَفَّ لم يَجْرِ لَدى بَرٍّ ولا بَحْرِ
وإنْ بُلَّ أتى بالعـ ـجبِ العاجبِ والسِّحْرِ
أجيبي لم أُرِدْ فُحْشاً وربِّ الشفعِ والوترِ
ولكن صُغْتُ أبياتاً لها حظٌّ من الزَّجرِ

قال : فغضب مولاها وتغيَّر لونُه ، وقال أتُفْحِشُ على جاريتي وتخاطبها بالخنا ! فقالت له : خَفِّض عليك ، فما ذهب إلى ما ظننت ، وإنّما يعني القلم ، فسُرِّيَ عنه ، وضحك سعيد وقال : هي أُعلم منك بما سَمِعْت .

## صوت[1]

[من الرجز]

دايَنْتُ أَرْوى والديونُ تقضى فمطلَتْ بعضاً وأَدَّتْ بعضا
يا ليتَ أَرْوى إذ لَوتْكَ القَرْضا جادتْ بقرض فشكَرْتَ القَرضا

الشعر لرؤبة بن العجّاج ، والغناء لعمرو بن بانة ، رمل بالوسطى .

1 البيت الأول في ديوان رؤبة : 76 .

# [435] ـ أخبار رؤبة ونسبه[1]

[نسبه]

هو رؤبةُ بن العجَّاج ، واسم العجّاج عبدُ الله بن رؤبة بن حنيفة ، وهو أبو جُذَيْمُ بن مالك بن قُدامة بنِ أُسامة بنِ الحارثِ بن عوف بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم . من رُجّاز الإسلام وفصحائهم ، والمذكورين المقدّمين منهم ، بدويّ نزل البصرة ، وهو من مُخَضْرَمي الدولتين .

مدح بني أُميّة وبني العبّاس ، ومات في أيّام المنصور ، وقد أخذ عنه وُجوهُ أهلِ اللغة ، وكانوا يقتدون به ، ويحتجونَ بشعره ، ويجعلونَه إماماً ؛ ويكنى أبا الجَحَّاف وأبا العجّاج .

[رأي في فصاحته]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وأحمد بن عمّار ، واللفظ له ، قال : حدَّثنا عمر بن شبّة : قال : حدَّثنا خلاّد بن يزيد ، قال : حدَّثني يونس بن حبيب ، قال : كنتُ جالساً مع أبي عمرو بن العلاء ، إذ مرَّ بنا شُبَيْلُ بن عَزْرَة الضّبعيّ ، قال أبو يزيد : وكان علاّمةٌ ، فقال : يا أبا عمرو ، أشعرتَ أنّي سألت رؤبة عن اسمه فلم يدرِ ما هو وما معناه ؟ قال يونس : فقلت له : والله لَرُؤْبةُ أفصح من معدٍّ بن عدنان ، وأنا غلام رؤبة ، أفتَعْرِف أنت روبة وروبة وروبة وروبة ورؤبة ؟ قال : فضَرَب بغلَته وذهب ، فما تكلّم بشيء : قال يونس : فقال لي أبو عمرو : ما يسرّني أنّك نَقَصْتَني منها .

قال ابنُ عمّار في خبره : والرَّوْبَة : اللبن الخاثرُ ، والرَّوْبة : ماءُ الفحلِ ، والرُّوبة : الساعة تمضى من الليل ، والرُّوبةُ : الحاجةُ ، والرُّؤْبة : شَعب القَدح ، قال : وأنشدني بعد ذلك[2] : [من المتقارب]

فأمّـا تميـمٌ تميمُ بنُ مـرٍّ فألفاهـم القـومُ رَوْبى نياما

حدَّثني ابن عمَّارٍ ، قال : حدَّثني عبد الله بنُ أبي سعد ، قال : حدَّثني يحيى بنُ محمد بنِ أعْيَنَ

---

1 ترجمة رؤبة بن العجّاج في طبقات ابن سلام : 761–767 والشعر والشعراء : 495–500 وخزانة البغدادي 2 : 42–47 والمؤتلف والمختلف : 175–177 ولسان الميزان 2 : 464 وابن خلكان 2 : 303–305 وبغية الطلب 7 : 114 وسير الذهبيّ 6 : 162 والوافي 14 : 147 ، وله أخبار منثورة في كتب الأدب كنثر الدرّ والبيان والتبيين وعيون الأخبار والعقد والبصائر والتذكرة الحمدونية . . . إلخ . وقد نشر وليم بن الورد البروسي ديوانه سنة 1903 .

2 ديوان بشر بن أبي خازم : 190 .

المَرْوَزِيُّ ، قال : حدَّثني أبو عبيدة ؛ قال : شهدت شُبَيْلاً الضُّبَعِيّ وأبا عمرو ، فذكر نحوه .

أخبرني أبو خليفة في كتابه إليَّ عَنْ محمدِ بن سَلاَّم ، قال : قلت ليونس : هل رأيتَ عربيّاً قطُّ أفصحَ من رؤبة ؟ قال : لا ، ما كان معدُّ بن عدنان أفصح منه .

قال يونس : قال لي رؤبة : حتى متى أُزَخْرِف لك كلام الشيطان ؟ أما ترى الشيب قد بلغ في لحيتك !

[رواية الحديث]

وقد رَوى رؤبة بن العجّاج الحديث المسند عن رسول الله ﷺ ، ورواه أبوه أيضاً .

أخبرني عبد الله بن أبي داودَ السجستانيّ ، قال : حدَّثنا عبد الله بنُ محمد بنِ خلاَّد ، قال : حدَّثنا يعقوب بن محمد الزهريّ ، قال : حدَّثنا محمد بن إبراهيم ، عن يونس بن حبيب ، عن رؤبة بن العجّاج ، عن أبيه قال : أنشدتُ أبا هريرة[1] : [من الرجز]

الحمدُ للهِ الذي تَعَلَّتِ ... بأمرِه السماءُ واستقلَّتِ

بإذنه الأرضُ وما تغيَّتِ ... أرسَى عليها بالجبال الثبّتِ

الباعثِ الناسَ ليوم المَوْقت

قال أبو هريرة : أشهد أنّك تؤمن بيوم الحساب .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، عن ابن شبّة ، عن أبي حرب البابيّ ، من آل الحجّاج بن باب ، قال : حدَّثنا يونس بن حبيب ، عن رؤبة بن العجّاج ، عن أبي الشعثاء ، عن أبي هريرة ، قال : كنّا مع النبيّ ﷺ في سفر وحادٍ يَحْدُو : [من الرجز]

طافَ الخيالانِ فهاجا سَقَما ... خيالُ لُبْنى وخيالُ تَكتُما

قامتْ تريكَ خشيةً أَنْ تصرِما ... ساقاً بَخَنْداةً وكعباً أَدْرَما[2]

والنبيّ ﷺ يسمعُ ولا ينكرُ .

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حدَّثنا عبد الله بنُ عمرو ، عن محمد بن إسحاق السهميّ ، عن أبي عبيدة الحدّاد ، قال : حدَّثنا رؤبة بن العجّاج عن أبيه ، قال : سمعت أبا عبيدة يقول : السِّواكُ يُذْهِبُ وضَرَ[3] الطعام .

---

1 لم ترد في ديوان رؤبة ولا زياداته .

2 الساق البخنداة : الممتلئة . والأدرم : المستوي .

3 الوضر : وسخ الدسم .

[أبو مسلم يستنشده]

أخبرني عمّي ، قال : حدَّثنا محمدُ بن سعد الكَرَّانيُّ ، قال : حدَّثنا أبو حاتم والأَشْنانْدانيُّ أبو عثمان ، عن أبي عبيدة ، عن رؤبة بن العجّاج ، قال : بعث إليَّ أبو مسلم لمّا أفضت الخلافة إلى بني هاشم ، فلمّا دخلْتُ عليه رأى منّي جَزَعاً ، فقال : اسكن فلا بأس عليك ، ما هذا الجَزَعُ الذي ظهر منك ؟ قلت : أخافُك ، قال : ولِمَ ؟ قلتُ : لأنّه بلغني أنّك تقتل الناسَ ، قال : إنّما أقتل مَن يقاتلني ويريد قتلي ، أفأنت منهم ؟ قلت : لا ، قال : فهل ترى بأساً ؟ قلتُ : لا . فأقبلَ على جلسائه ضاحكاً ، ثم قال : أمّا ابن العَجّاج فقد رخّص لنا ، ثم قال : أنشدني قولك : [من الرجز]

وقاتِمِ الأعماقِ خاوي المخترَق[1]

فقلت : أَو أُنشِدُك ، أَصلحك اللهُ أحسن منه ؟ قال : هات ، فأنشدته[2] : [من الرجز]

قلتُ قولي مستجدٌّ حَوْكا لبّيك إذ دعوتني لَبّيْكا
أحمدُ ربًّا ساقني إليكا

قال : هات كلمتَكَ الأولى ، قلت : أو أُنشدك أَحسن منها ؟ قال : هات ، فأنشدته[3] : [من الرجز]

ما زال يَبْني خَنْدقاً ويهدمُهْ ويَستجيشُ عسكراً ويَهزمُهْ
ومَغنَماً يَجْمَعُه ويقسمه مَرْوانُ لما أن تهاوتْ أَنجُمهْ
وخانه في حكمه مُنَجِّمُهْ

قال : دع هذا وأَنشدني : وقاتم الأعماق ، قلت : أَو أَحسن منه ؟ قال : هات ، فأنشدته[4] : [من الرجز]

رفعتَ بيتاً وخفضتَ بَيْتا وشِدْتَ رُكنَ الدِّينِ إذ بنيتا
في الأَكرمينَ من قريش بيتا

قال : هات ما سألتك عنه ، فأنشدته[5] : [من الرجز]

ما زالَ يأتي الأَمْرَ من أَقطارِهِ على اليمينِ وعلى يسارِهِ

---

1 الأعماق : البعيد وأطراف المفاوز . والمخترق : مكان اختراق المفازة .
2 ديوانه : 181 .
3 ديوانه : 186 .
4 ديوانه : 171 .
5 ديوانه : 174 .

مشمِّــراً لا يُصطَـلى بنـارِه حتى أَقـرَّ الملـكَ في قَرارِهِ
وفَـــرَّ مـــروانُ على حمـــارِهِ

قـال : ويحَك ! هـات ما دعوتُك له وأَمرتك بإنشاده ، ولا تنشد شيئاً غيره ، فأَنشدتـه : [من الرجز]

وقاتِـم الأعماقِ خاوي المخترَق

فلمّا صرت إلى قولي :

يَرمـي الجلاميـدَ بجُلْمُودٍ مِدَق

قال : قاتلك الله ! لَشَدَّ ما استصلبتَ الحافر ! ثم قال : حسبك . أَنا ذلك الجُلْمُود المدقّ .

قال : وجيءَ بمنديل فيه مال فوضع بين يديَّ ، فقال أبو مسلم : يا رؤبة ، إنّك أتيتنا والأموال مشفوهة[1] ، وإن لك لعودةً إلينا وعلينا مُعوَّلا ، والدَّهر أطرقُ مُسْتَتِبٌ ، فلا تجعل بجَنْبَيْكَ الأَسِدَّة[2] .

قال رؤبة : فأَخذت المِنديل منه ، وتاللهِ ما رأَيتُ أَعجميّاً أَفصحَ منه ، وما ظننتُ أَنّ أَحداً يَعْرف هذا الكلام غيري ، وغيرُ أبي .

قال الكَرَّانيّ : قال أبو عثمان الأشناندانيّ خاصة : يقال : اشتفَّ ما في الإناء ، وشَفَهَهُ : إذا أتى عليه ، وأنشَدَ : [من الوافر]

وكادَ المـــالُ يَشفَهه عِيـــالي ومـــا ذُو عَيْلتي مَنْ لا أَعُولُ

[يفضل الفأر على الدواجن]

أَخبرني عليّ سليمان الأَخفش ، قال : حدَّثني : محمد بن يزيد ، وأَخبرني إبراهيم بن أَيّوب ، قال : حدَّثني ابن قتيبة ، قال : كان رؤبة يأكل الفأر ، فقيل له في ذلك وعوتب ، فقال : هو واللهِ أنظَفُ من دَواجنكمْ ودَجاجكم اللواتي يأكلن القَذَر ، وهل يأكل الفأرُ إلاّ نَقيّ البرّ ولُباب الطعام ؟

[رحلة للقاء الوليد بن عبد الملك]

أَخبرني محمدُ بنُ الحسن بنِ دُرَيْد ، قال : حدَّثنا أَبو حاتم ، عن أَبي عبيدة ، عن رؤبة ، قال : لمّا ولّي الوَليدُ بنُ عبد الملك الخلافةَ بَعث بي الحجّاجُ مع أبي لنلقاه ، فاستَقبلَنا الشّمال حتى صرنا بباب الفراديس[3] .

---

1 مشفوهة : نافده .

2 المثل «لا تجعلن بجنبك الأسدّة» في مجمع الميداني 2 : 233 . والأسدة : العيوب كالعمى والصمم والبكم . ومعنى المثل : لا يضيقن صدرك فتسكت عن الجواب كمن به صمم أو بكم .

3 باب الفراديس : أحد أبواب دمشق .

قال : وكان خروجنا في عامٍ مُخْصِب ، وكنت أُصَلِّي الغداة ، وأَجتني من الكَمأَة ما شئت ، ثم لا أُجاوز إلاّ قليلاً حتى أَرى خيراً منها ، فأَرمي بها وآخذ الأُخَر ، حتى نَزَلْنا بعض المياه ، فأُهدي لنا حَمَل مُخرْفَج[1] ووطب لبنٍ غليظٍ وزبدة كأنّها رأس نعجة حُوشِيّة[2] . فقطّعَنا الحملَ آراباً[3] ، وكررْنا عَلَيهِ اللبن والزبدة ، حتى إذا بلغ إناه انتشلنا اللحم بغير خبز .

ثم شربتُ من مرقه شَرْبة لم تزل لها ذِفْرَياي[4] ترشحان ؛ حتى رَجعنا إلى حَجْر .

فكان أوّل مَن لَقينا من الشعراء جريراً ، فاستَعْهدَنا ألاّ نُعين عليه . فكان أوّلَ مَن أَذَن له من الشعراء أبي ثم أنا . فأقبلَ الوليد على جرير فقال له : وَيلك ! ألا تكون مثل هذين ؟ عَقدا الشِّفاه عن أعراض النّاس ، فقال : إنّي أظلمُ فلا أصبر .

ثم لقِينا بعد ذلك جرير فقال : يا بني أُمِّ العجّاج ، واللهِ لئن وضعتُ كَلْكلي عليكما ما أغنت عنكما مقطَّعاتكما ، فقلنا : لا والله ما بَلَغه عنّا شيء ، ولكنّه حَسدنا لما أذنَ لنا قبله ، واستُنشِدنا قبله .

[جرير يتوعّد بالهجاء]

وقد أَخبرني ببعض هذا الخبر الحسن بنُ عليّ ، قال : حدَّثنا محمدُ بن القاسم بنِ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أحمد بن الحارث الخرَّاز عن المدائنيّ ، قال : قال روح بن فلان الكلبيّ : كنتُ عندَ عبد الملك بن بشر بن مروان فدخَل جرير ، فلمّا رأى العجّاج أَقبل عليه ثم قال له : واللهِ لئن سَهِرْتُ لك ليلة ليقِلّن عنك نفعُ مقطعاتك هذه ، فقال العجّاج : يا أبا حَزْرة ، والله ما فعلت ما بَلَغك ، وجعل يعتذرُ ويحلفُ ويخضَع ؛ فلمّا خرج قال له رجل : لشَدّ ما اعتذرت إلى جرير ؛ قال : والله لو علمتُ أنّه لا ينفعني إلاّ السُّلاح لسلَحْتُ .

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثنا عمر بن شبّة ، عن أَحمد بن معاوية عن الأصمعيّ ، عن سليمان بن أخضر ، عن ابن عون ، قال : ما شَبَّهْتُ لهجة الحسن البصريّ إلاّ بلهجة رؤبة ، ولَم يوجد له ولا لأبيه في شعرهما حرفٌ مُدْغمٌ قَطّ .

[أشعر النّاس]

أَخبرني محمد بن الحسن بنِ دُرَيد ، قال : أَخبرني عبد الرحمن بن أخي الأصمعيُّ عن عمِّه ، قال : قيل ليُونُس : مَن أشعر النّاس ، قال : العَجّاجُ ورؤبةُ ؛ فقيل له لِمَ ولم نَعنِ الرُّجاز ؟ فقال :

---

1 الحمل المخرفج : السمين .

2 الحوشية : نسبة إلى الحوش ، وهو عندهم أرض الجنّ ، وإليه تنسب الإبل وغيرها .

3 الآراب : جمع إرب ، وهو العضو .

4 الذفرى : العظم البارز خلف الأذن .

هما أشْعر من أهل القصيد ، إنّما الشعرُ كلامٌ : فأجوده أشعَره ، قد قال العجّاج :

قـد جَبَرَ الدِّيـنَ الإلهُ فجبر

وهي نحو من مائتي بيت موقوفة القوافي ولو أُطلقت قوافيها كانت كلّها منصوبة ، وكذلك عامّة أراجيزهما .

[اللغويّون يقعدون له]

أخبرني أبو خليفة في كتابه إليّ عن محمدِ بنِ سلاّم : عن أبي زيد الأنصاريّ والحكم بن قنبر : قالا : كنّا نقعد إلى رؤبة يوم الجمعة في رَحبة بني تميم : فاجتمعنا يوماً فقطعنا الطريق ، ومرَّت بنا عجوزٌ فلم تقدر عَلى أن تجوزَ في طريقها ، فقال رؤبة بن العجّاج[1] : [من الرجز]

تَنَحَّ للعجُـوزِ عـن طَرِيقهـا إذا أَقبلَتْ رائحـةً مـن سُوقِها

دَعْهـا فما النحويُّ من صديقِها

[يستعين بـالوالي على الصبيان]

أخبرني أحمد بن عبد العزيـز الجوهـريّ وأحمـد بن عبيد الله بن عمّار ، قـالا : حدَّثنـا عمرُ بنُ شبّة ، قـال : حدَّثنا أبو زيد سعيدُ بنُ أوس الأنصاريّ النحويّ ، قال : دخل رؤبة بن العجّاج السوق وعليه بَرْنَكانٌ[2] أخضر ، فجعل الصبيان يعبثون به ، ويَغرزون شَوك النخل في بَرْنَكانِه ويصيحون به : يا مَرْذُوم يا مرذوم ! فجاء إلى الوالي فقال : أرسل معي الوَزَعَة ، فإن الصبيان قدْ حالوا بيني وبين دخولِ السوق ، فأرسَلَ معه أعواناً فشدَّ على الصبيان ، وهو يقول[3] : [من الرجز]

أَنْحى على أمّكَ بالمرذُومْ أَعورُ جَعْـدٌ مِـن بَني تميمْ

شَرّابُ أَلبـانِ خلايـا الكُوم[4]

ففرّوا من بين يديه فدخلوا داراً في الصيارفة ، فقال له الشُّرَطُ : أينَ هُم ؟ قال : دخلوا دارَ الظالمين ، فسمِّيَت دار الظّالمين إلى الآن لقول رؤبة ، وهي في صيارفة سوق البصرة .

[الراجز المتحدي]

وذَكر أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ ، قال : قدِم البصرة راجزٌ من أهلِ المدينة ، فجلس إلى حلقةٍ فيها الشعراء ، فقال : أنا أرجَز العرب ، أنا الذي أقول : [من الرجز]

1 ديوانه : 181 .

2 برنكان : كساء .

3 لم ترِد في ديوانه ولا زياداته .

4 الخلايا : المخلاة للحلب . والكوم : جمع كوماء ، وهي الناقة العظيمة السنام .

مَرْوانُ يُعْطي وسعيدٌ يمنعُ    مروانُ نَبْعٌ وسعيدٌ خِرْوَعُ[1]

وَدِدتُ أنّي راميت مَن أُحِبُّ في الرجز يداً بيد ، والله لأنّا أرجز من العجّاج ، فلَيْتَ البصرة جمعت بيني وبينه . قال : والعجّاج حاضر وابنه رؤبة معه . فأقبل رؤبة على أبيه فقال : قد أنصَفَكَ الرّجل ، فأقبلَ عليه العجّاج وقال : هاأنذا العجّاجُ ، فهلمّ ! وزحف إليه ، فقال : وأيُّ العجّاجين أنت ؟ قال : ما خِلتُك تعني غيري ، أنا عبدُ الله الطويل ، وكان يُكْنى بذلك ، فقال له المدَنيُّ : ما عَنَيتك ولا أردتك ؛ فقال : وكيف وقد هتَفتَ بي ؟ قال : وما في الدُّنيا عجاجٌ سواك ؟ قال : ما علِمتُ ، قال : لكنّي أعلم ، وإيّاه عَنَيْتُ . قال : فهذا ابني رؤبة ، فقال : اللهمّ غَفراً ، ما بيني وبينكما عَمَلٌ : وإنّما مرادي غيرُكما ، فضحك أهل الحلقة منه ، وكفّا عنه .

[محاورة زائرين]

أخبرني أبو خليفة في كتابه ، عن محمد بن سلاّم : عن يُونُس ، قال : غَدَوْت يوماً أنا وإبراهيم بن محمد العُطارديُّ على رؤبة : فخرج إلينا كأنّه نَسْرٌ ، فقال له ابن نوح : أصبحتَ والله كقولك[2] : [من الرجز]

كالْكرَّزِ المشدودِ بين الأوتادْ    ساقَطَ عنه الريشَ كَرُّ الإبرادْ[3]

فقال له رؤبة : والله يا ابن نوح ما زلتُ لك ماقِتاً ، فقلت : بل أصبحت يا أبا الجَحّاف كما قال الآخر : [من المتقارب]

فأبقينَ منهُ وأَبْقى الطرا    دُ بَطْناً خميصاً وصُلْباً سمينا

فضحك : وقال : هات حاجتَك .

[من رجزه وقد استأذن فلم يؤذن له]

قال ابن سلاّم : ووقف رؤبة على باب سليمان بن عليّ يستأذنُ : فقيل له : قد أخذ الإذْريطُوسَ[4] فقال رؤبة[5] : [من الرجز]

يا مُنزلَ الوحي على إدريسِ    ومُنزلَ اللعنِ على إبليسِ

وخالقَ الإثنَين والخميس    بارِكْ له في شُرِب إذْرِيطُوسِ

---

1 النبع : شجر صلب تتّخذ منه القسي والسهام . والخروع : شجر ضعيف هش المكسر .

2 ديوانه : 28 .

3 الكرّز : البازي سقط ريشه . والإبراد : من أبرده : أي فتره .

4 الاذريطوس : دواء .

5 لم ترِد في ديوانه ولا زياداته .

[يخطئه سلم بن قتيبة]

أخبرني الحسن بن يحيى قال : قال حمّاد : أخبرني أبي عن الأصمعيّ قال : أنشد رؤبة سَلْم بن قتيبة في صفة خيل :

يَهْوِينَ شتَّى ويقعْنَ وُقَّفا

فقال له : أخطأت يا أبا الجَحّاف : جعلته مقيداً فقال : أَدْنني أيّها الأمير ذَنَب البعير أَصِفْه لك كما يجب .

[جاء الخوان فارفعوا]

أخبرني أبو خليفة في كتابه إليّ ، عن محمد بن سلاّم ، عن عبد الرحمن بن محمد ، عن علقمة الضَّبِّيّ ، قال : خرج شاهين بنُ عبد الله الثقفيّ برؤبة إلى أرضه ، فقعدوا يَلعَبُون بالنَّرْدِ فلمّا أتَوْا بِالخوان قال رؤبة[1] : [من الرجز]

يا إخوتي جاءَ الخِوانُ فارفعوا حنّانةً كِعابُها تُقَعْقِعُ
لم أَدْرِ ما ثَلاثُها والأَربَعُ

قال : فضحكنا ورفعناها ، وقُدِّم الطّعام .

[بموته دفن الشعر واللغة والفصاحة]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد ، عن محمد بن عبد الله بن مالك عن أبيه عن يعقوب بن داود ، قال : لقيتُ الخليلَ بنَ أحمدَ يوماً بالبصرة فقال لي : يا أبا عبد الله دَفَنّا الشعرَ واللغةَ والفصاحةَ اليوم ، فقلتُ : وكيف ذاك ؟ قال : قال : هذا حين انصرفتُ من جنازةِ رؤبةَ .

## صوت

[من الطويل]

لَعَمري لقد صاحَ الغرابُ ببينهم فأوجعَ قلبي بالحديثِ الذي يُبدي
فقلتُ له أفصحتَ لا طِرتَ بعدها بريش فهل للبَينِ ويحكَ مِن ردِّ

الشعر لقيس بن ذَريح[2] ، وقد تقدّمت أخباره والغناء لعمرو بن أبي الكَنّات ، ثقيل أَوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى .

1 لم ترِد في ديوانه ولا زياداته .

2 ديوان قيس لبنى (صادر) : 42 .

# [436] ـ أخبار عمرو بن أبي الكنّات[1]

[أحسن النّاس غناء]

هو عمرُو بنُ عثمانَ بنُ أَبي الكنّات ، مولى بَني جُمَح ، مكي مغنٍ ، محسنٌ موصوفٌ بطيبِ الصوتِ من طبقة ابن جامع وأصحابِه ، وفيه يقول الشاعر : [من الخفيف]

أَحسنُ النّاسِ فاعلمـوه غِناء رجُل مـن بنـي أَبي الكَنَّاتِ

وله في هذا الشعر غناء مع أَبيات قبله لَحنٌ ابتداؤه :

## صوت

عفَـتِ الدّار بالهِضاب اللواتي بِسَوارٍ ؛ فملتقـى عرفـاتِ[2]

فالجريّـان أُوحشا بعـدَ أَنس فدِيارٌ بالرّبـعِ ذي السَّلِماتِ

إنّ بالبِينَ مربعاً مـن سليمى فإلى محضريـن فالنخـلاتِ

وبعده البيت الأوّل المذكور .

الغناء في هذا الشعر لعمرو بنِ أَبي الكنّات ، وطريقته من الرمَل بالوسطى . وقيل : إنّه لابن سُرَيج ، وقيل : بلْ لحن ابن سُريج غيرُ هذا اللحن ، وليس فيه البيت الرابع الذي فيه ابنُ أَبي الكَنَّات .

ويكنى عمرُو بنُ أَبي الكنَّات أَبا عثمان ، وذكر ابنُ خرداذبه أَنّه كان يكنى أَبا معاذ ؛ وكان له ابن يغنّي أيضاً يقال له : درّاج ؛ ليس بمشهور ولا كثير الغناء .

[الرشيد يفضله على سائر المغنّين]

فذكر هارون بنُ محمدِ بنُ عبد الملك الزيّاتُ في الخبر الذي حكاه عنه من أَخباره أَنّ محمد بن عبد الله المخزوميّ حدَّثه قال : حدَّثني محمدُ بن عبد الله بن فروة قال : قُلت لابن جامع يوماً : هل غَلبك أحد من المغنّين قطّ ؟ قال : نعم ؛ كنتُ ليلة ببغدادَ إذ جاءَني رسولُ الرشيدِ

1 لعمرو بن أَبي الكنّات ترجمة في نهاية الأرب 4 : 308–312 وهي قريبة ممّا في الأغاني .

2 رواية في نهاية الأرب :

عفت الدار بالهضاب اللواتي بـين ثـور وملتقى عرفات

سوار : من قرى البحرين . وثور : جبل بمكّة . والباقي : أَسماء مواضع . والسلمات : الحجارة .

يأمرني بالركوب ؛ فركبتُ حتى إذا صِرتُ إلى الدّار ، فإذا أنا بفضلِ بنِ الربيع معه زَلْزَلٌ العَواد وبَرْصوماً ؛ فسلمَّتُ وجلستُ قَليلاً ، ثم طَلَع خادم فقال للفضل : هل جاء ؟ فقال : لا ، قال : فابعث إليه ؛ ولم يزَل المغنّون يدخلون واحداً بعد واحد حتى كنّا ستّة أو سبعة .

ثم طلع الخادم فقال : هـل جـاء ؟ فقال : لا ، قال : قُم فابعث في طلبه ؛ فقام فغاب غير طويل ، فإذا هو قد جاء بعَمْرو بن أبي الكَنَّات ؛ فسلّـم وجلس إلى جنبي فقـال لي : مَن هؤلاء ؟ قلتُ مغنون ؛ وهذا زَلْزَل ، وهذا بَرْصوماً . فقال : والله لأُغنينك غناء يخرِق هذا السقف وتجيبه الحيطان ولا يفهمون منه شيئاً . قال : ثم طلع الخصيّ فدَعا بكراسيّ ؛ وخرجت الجواري . فلمّا جلسنَ قال الخادم للمغنِّين : شدّوا[1] ، فشدُّوا عيدانهم ، ثم قال : تغنَّ يا ابنَ جامع ؛ فغنّى سبعة أو ثمانية أصوات . ثم قال : اسكت ولْيُغنِّ إبراهيم الموصليّ ؛ فغنّى مثل ذلك أو دونه . ثم سكت ؛ فلم يزل يمرّ القوم واحداً واحداً حتى فرغوا .

ثم قال : لابن أَبي الكَنَّات : غنِّ ، فقال لِزَلْزَل : شدّ طبقتك ، فشدّ . ثم أَخذ العود من يـده فجسّه حتـى وقف عَلى الموضع الذي يريده ؛ ثم قال : على هذا وابتدأ بصوت أوّله : أَلا لا ؛ فوالله لقد خيِّل لي أنّ الحيطان تجاوبه ، ثمّ رجّع النغم فيه . فطلع الخصيّ فقال له : اسكت ، لا تتمّ الصوت ، فسكت .

ثم قال : يُحبس عمرُو بن أَبي الكَنَّات ، وينصرف باقي المغنِّين ، فقمنا بأَكسف حال وأَسوإ بال ، لا والله ما زال كلّ واحد منّا يسأل صاحبه عن كلّ شعر يَرْويه من الغناء الذي أوّله : ألا لا ، طمعاً في أن يعرفه أو يوافق غناءه ، فما عرفه منّا أحد ، وبات عمرو ليلته عند الرشيد ، وانصرف مِن عنده بجوائز وصِلات وطُرف سنيّة .

[يزحم بغنائه الحاج في عرفة]

قال هارونُ : وأَخبرني محمدُ بنُ عبد الله عن موسى بنِ أَبي المهاجر قال : خرج ابنُ جامعٍ وابنُ أبي الكَنّات حين[2] دفعا من عرفـة حتى إذا كانا بين المأزِمين جلس عمرو على طرفَ الجبـل : ثم اندفع يغنّي ، فوقف القِطارات ، وركِب النَّاسُ بعضَهم بعضاً حتى صاحوا واستغاثوا : يا هذا ، اللهَ اللهَ . اسكت عنا يَجُز النّاس ، فضبط إسماعيل بنُ جامع بيده على فيه حتى مضى النّاس إلى مُزْدلفة .

[يحتشد الناس على الجسور لغنائه]

قال هارون : وحدَّثني عبدُ الرحمن بنُ سليمانَ عن عليِّ بن أَبي الجهم قال : حدَّثني مَن

1 ل : سووا .

2 نهاية الأرب : حين دفع الإمام .

أثق به قال[1] : واقفتُ ابنَ أبي الكَنّات المدينيّ على جَسر بغداد أيّام الرشيد ، فحدَّثته بحديث اتصل بي عن ابن عائشة أنّه فعله أيّام هشام ، وهو أنّ بعض أصحابنا حدَّثني قال : وقف ابنُ عائشة في المَوسم فمرَّ به بعضُ أصحابِه ، فقال له : ما تعمل ؟ فقال : إنِّي لأعرف رجلاً لو تكلَّم لحبَس الناسَ ، فلم يذْهب أحدٌ ولم يجيء . فقلت له : ومَن هذا الرجل ؟ قال : أنا ، ثم اندفع يغنِّي[2] : [من الوافر]

## صوت

جَرتْ سُنُحاً فقلت لَها أَجيزي ... نوى مشمولة فمتى اللقاءُ ؟
بنفسي مَـــن تذكُّـــره سَقام ... أُعالجـــه ومطلبُـــه عَنَـــاءُ

قال : فحبَس النّاس ، واضطربت المحامل ، ومَدَّت الإبل أعناقها ، وكادت الفتنةُ تقع . فأُتي به هشام فقال : يا عدوَّ اللهِ أردتَ أن تفتنَ النّاس ؟ فأمسك عنه وكان تيّاهاً . فقال له هشام : ارفُق بتيهك . قال : فقال ابن عائشة : حقٌّ لِمَن كانت هذه قدرتَه على القلوب أن يكون تيّاهاً . فضحك وأطلقه . قال : فنزق ابن أبي الكَنّات ، وكان معجَباً بنفسه ، وقال : أنا أفعل كما فعل ، وقدرتي على القلوبِ أكثر من قدرته كانت ، ثم اندفع فغنّى في هذا الصوت ونحن على جسر بغداد .

وكان إذ ذاك على دجلة ثلاثة جسور معقودة ، فانقطعت الطرقُ ، وامتلأت الجسورُ بالنّاس ، وازدحموا عليها ، واضطربت حتى خيف عليها أن تتقطّع لثقل مَن عليها من النّاس . فأُخِذ فأُتِي به الرشيد ، فقال : يا عدوَّ الله أردتَ أن تفتنَ النّاس ؟ فقال : لا واللهِ يا أميرَ المؤمنين ، ولكنّه بلغني أنّ ابنَ عائشة فعَل مثل هذا في أيّام هشام ، فأحببت أن يكون في أيّامك مثلُه فأُعجب من قوله ذلك ، وأَمَرَ له بمال ، وأمَرَه أن يغنّي ، فسمع شيئاً لم يسمعْ مثله فاحتبسه عنده شهراً يستزيده في كلِّ يوم استأذنه فيه في الانصراف يوماً آخر حتى تمَّ له شهر . فقال هذا المخبر عنه : وكان ابن أبي الكَنّات كثير الغِشيان لي : فلمّا أبطأ توهمتُه قد قتل ، فصار إليَّ بعد شهر بأموال جسيمة ، وحدَّثني بما جرى بينه وبين الرشيد .

[سمع غناؤه على بعد ثلاثة أميال]

قال هارونُ : وأخبرني محمدُ بنُ عبد الله المخزوميُّ عن عثمان بنِ موسى مولانا قال : كنّا يوماً باللاحجة ومعنا عمرو بن أبي الكَنّات ، ونحن على شرابنا إذ قال لنا قبل طلوع الشمس : مَن تحبّون أن يجيئكم ؟ قلنا : منصورٌ الحجَبيّ . فقال : أمهلوا حتى يكون الوقت الذي

1 تقدم خبر ابن عائشة وإيقافه الناس في الموسم في ترجمته 2 : 132 . ونقل ابن حمدون هذا الخبر وخبر إيقاف ابن أبي الكنات الناس على جسور بغداد في التذكرة الحمدونية 9 : 12-13 .

2 تقدم البيتان والشرح في ترجمة ابن عائشة ، والأول منهما لزهير في شرح ديوانه : 59 .

ينحدر فيه إلى سوق البقر ، فمكثنا ساعة ثم اندفع يغنّي : [من الخفيف]

أحسنُ النّاس فاعلموه غناءً رجلٌ من بني أبي الكنّاتِ

عفتِ الدّار بالهضاب اللواتي بسَوارٍ فملتقى عرفاتِ

فلم نلبثْ أن رأينا منصوراً من بُعد قد أقبل يركُض دابته نحونا ، فلمّا جلس إلينا قلنا له : من أين علمتَ بنا ؟ قال : سمعتُ صوت عمرو يغنّي كذا وكذا وأنا في سوق البقر ، فخرجتُ أركضُ دابتي حتى صِرتُ إليكم ، قال : وبيننا وبين ذلك الموضع ثلاثة أميال .

قال هارون ، وأخبرني محمد بن عبد الله ، قال : أخبرني يحيى بنُ يَعلى بنِ سعيد قال : بينا أنا ليلة في منزلي في الرمضة أسفل مكّة إذ سمعتُ صوت عمرو بن أبي الكنّات كأنّه معي ، فأمرتُ الغلامَ فأسرجَ لي دابتي ، وخرجتُ أُريده ، فلم أزَل أتبع الصوت حتى وجدتُه جالساً على الكثيب العارض ببطن عُرَنَةَ[1] يغنّي : [من الطويل]

## صوت

خذي العفوَ منّي تستديمي مودَّتي ولا تنطقي في سَورتي حينَ أغضبُ

ولا تنقريني نَقرةَ الدُّفِّ مرّةً فإنّكِ لا تدرينَ كيف المغيَّبُ

فإنّي وجدتُ الحبَّ في الصَّدرِ والأذى إذا اجتمعا لم يلبثِ الحبُّ يذهبُ

عروضه من الطويل ، ولحنه من الثقيل الثاني بالوسطى من رواية إسحاق . والشعر لأسماء بنِ خارجة الفزاريّ ، وقد قيل : إنّه لأبي الأسود الدّؤليّ ، وليس ذلك بصحيح . والغناء لإبراهيم الموصليّ ، وفيه لحنٌ قديمٌ للغريضِ من رواية حمّاد عن أبيه .

1 بطن عرنة : واد بحذاء عرفة .

# [ 437 ] ـ أسماء بن خارجة وابنته هند

[وصيته لابنته]

أخبرني اليزيديّ عن أحمدَ بنِ زُهير عن الزُّبير بن بكّار قال[1] : زَوّج أسماء بنُ خارجة الفزاريُّ بنته هنداً من الحجّاج بن يوسف ، فلمّا كانت ليلة أراد البناء بها ، قال لها أسماء بن خارجة : يا بنيّة ، إنّ الأمّهاتِ يؤدّبنَ البنات ، وإنّ أمّكِ هلكَت وأنتِ صغيرة ، فعليك بأطيب الطيِّب الماء ، وأحسن الحُسن الكحل . وإيّاكِ وكثرةَ المعاتبةِ ، فإنّها قطيعة للوُدِّ ، وإيّاكِ والغَيرةِ فإنّها مفتاحُ الطلاقِ . وكوني لزوجكِ أمَةً يكن لكِ عَبداً ، واعلمي أنّي القائل لأمّكِ : [من الطويل]

خذي العفوَ منّي تستديمي مودّتي

وذكر الأبيات . قال : وكانت هند امرأةً مجرِّبةً قد تزوّجها جماعة من أمراء العراق ، فقبلَت من أبيها وصيّته . وكان الحجّاج يصفها في مجلسه بكلِّ خير ، وفيها يقول بعض الشعراء يخاطب أباها[2] : [من الوافر]

جـزاكَ اللهُ يـــا أسماءُ خيراً كما أرضيـتَ فَيْشلَـة الأميرِ
بِصدع قد يفوحُ المسكُ منه عليـه مثـــل كِركرةِ البعيرِ[3]
إذا أخــذَ الأميرُ بمَشعبيهـا سمعـتَ لهـا أزيـزاً كالصريرِ
إذا لقحــتْ بــأرواحٍ تراهـا تجيدُ الرَّهز مـن فوقَ السريرِ

[واحدة بواحدة]

قال مؤلّف هذا الكتاب : الشعر لعُقَيْبة الأسديّ . أخبرني الجوهريُّ وحبيبُ المهلّبيُّ عن ابن شبّة قال[4] : لمّا قدِم الحجّاجُ الكوفةَ أشار عليه محمدُ بنُ عُمير بنِ عُطارد أن يخطبَ إلى أسماء ابنته هند ، فخطبها فزوّجه أسماءُ ابنته ، فأقبل عليه محمد متمثّلاً يقول : [من الوافر]

أمِنْ حَذر الهُزال نكحتَ عبداً فصهرُ العبــدِ أدنـــى للهزالِ

---

1 الوصية والشعر في التذكرة الحمدونية 3 : 339 .
2 التذكرة الحمدونية 4 : 75 .
3 كركرة البعير : القرص الصلب في صدره الذي يبرك عليه .
4 انظر الخبر مفصلاً في التذكرة الحمدونية 8 : 234–235 .

فاحتملها عليه أسماءُ وسكت عن جوابه . ثم أقبل على الحجّاج يوماً وهندٌ جالسةٌ ، فقال : ما يمنعك من الخِطبةِ إلى محمد بن عمير ابنتَه فإنّ من شأنها كيتَ وكيتَ . فقال : أتقولُ هذا وهندٌ اسمعُ ؟ فقال : موافقتك أحبُّ إليّ من رضا هند . فخطبها إلى محمد بنِ عمير ، فزوّجه إيّاها ، فقال أسماءُ لمحمدِ بنِ عُمَير ، وضربَ بيده على منكبه : [من الطويل]

دونـكَ مـا أسديته يا ابنَ حاجبٍ ... سواء كعَينِ الديكِ أو قُـذّةَ النسرِ[1]

بقولِكَ للحجّاجِ إن كنتَ ناكِحاً ... فلا تعـدُ هنـداً مـن نساءِ بني بدرِ

فـإن أباهـا لا يـرى أنّ خاطباً ... كفـاءٌ لـه إلاّ المتوجَ مـن فِهرِ

فزوجتُهـا الحجّـاج لا متكارهـاً ... ولا راغبـاً عنـه ونِعمَ أخو الصهرِ

أردتَ ضِراري فاعتمدتَ مسرّتي ... وقد يُحسِنُ الإنسانُ من حيثُ لا يدري

فإن تَرَهـا عـاراً فقد جئتَ مثلها ... وإن ترَها فخراً فهل لـك من شكرِ

[حبّها لعبيد الله بن زياد]

قال المدائنيّ حدّثني الحرمازيّ عن الوليد بن هشام القحذميّ وكان كاتبَ خالداً القسريَّ ويوسُفَ بنَ عمر أن هنداً بنت أسماء كانت تحت عُبيدِ الله بنِ زيادٍ ، وكان أبا عذرها ، فلمّا قتلَ ، وكانت معه ، لبِسَتْ قَباء ، وتقلّدت سيفاً ، وركِبت فرساً لعُبيد الله كان يقال لها : الكامل ، وخرجت حتى دخلَت الكوفة ليس معها دليلٌ ، ثم كانت بعد ذلك أشدَّ خلق اللهِ جزعاً عليه ، ولقد قالت يوماً : إنّي لأشتاق إلى القيامةِ لأرى وجه عُبيدِ الله بنِ زياد .

[بشر بن مروان يتزوّجها]

فلمّا قدِم بشرُ بنُ مروان الكوفة دُلَّ عليها ، فخطبها ، فزُوِّجها ، فولدت له عبدَ الملك بنَ بشر . وكان ينال من الشراب ويكتم ذلك ، وكان إذا صلّى العصرَ خلا في ناحية من داره ليس معه أحد إلاّ أعينُ مولاه صاحبُ حمام أعينَ بالكوفة ، وأخذ في شأنه . فلم تزَل هندٌ تتجسّس خبره حتى عرفته . فبعثَت مولى لها ، فأحضرها أطيب شراب وأحدّه وأشدّه وأرقّه وأصفاه ، وأحضرَت له طعاماً علمت أنّه يشتهيه ، وأرسلَت إلى أخويها : مالكٌ وعيينةُ . فأتياها ، وبعثَت إلى بشر واعتلّت عليه بعلّة ، فجاءها فوضعَت بين يديه ما أعدّته ، فأكل وشرب ، وجعل مالك يسقيه ، وعيينة يحدِّثه ، وهند تريه وجهها . فلم يزَل في ذلك حتى أمسى ، فقال : هل عندكم من هذا شيء نعود عليه غداً ؟ فقالت : هذا دائم لك ما أردتَه ، فلزمها وبقي أعينُ يتتبّع الديار بوجهه

1 المثل «أصفى من عين الديك» في مجمع الميداني 1 : 417 والدرة الفاخرة 1 : 250 وجمهرة العسكري 1 : 538 ومستقصى الزمخشري 1 : 210 . وقذة النسر : ريشه . ولعلّه يشير إلى المثل «(جزيته) القذة بالقذة» .

ولا يرى بشراً ، إلاّ أَن يبحث عن أَمره فعرفه ، وعلِم أنّه ليس فيه حظّ بعدها . قال ومات عنها بشر فلم تجزع عليه ، فقال الفرزدق في ذلك[1] : [من الطويل]

فإنْ تَكُ لا هندٌ بكتهُ فقد بَكَتْ عليه الثريّا في كواكبها الزُّهرُ

[يخلف عليها الحجّاج]

ثم خَلَفَ عليها الحجّاجُ ، وكان السبب في ذلك فيما ذكره المدائنيّ عن الجِرمازيّ عن القحذميّ ، وأخبرني به مَن هاهنا أحمدُ بنُ عبد العزيز عن ابن شبّة عن عثمانَ بنِ عبد الوهّاب عن عبدِ الحميد الثقفيّ قالا : كان السبب في ذلك أنّه بعث أبا بُردةَ بنَ أبي موسى الأشعريّ ، وهو قاضيه ، إلى أسماء يقول له : إنّ قبيحاً بي مع بلاء أمير المؤمنين عندي أن أُقيم بموضع فيه ابنا أخيه بِشرٍ لا أضمّهما إليّ ، وأتولّى منهما مثلَ ما أتولّى من ولَدي . فاسأل هنداً أن تطيب نفساً عنهما .

وقال عمرُ بن شبّة في خبره : وأعلِمْها أنّه لا بدّ من التفرقة بينها وبينهما حتى أؤدّبهما . قال أبو بُردة : فاستأذنت فأُذِن لي وهو يأكلُ وهندٌ معه ، فما رأيتُ وجهاً ولا كفّاً ولا ذراعاً أَحسن من وجهها وكفّها وذراعها ، وجعلَت تُتحفني وتضع بين يَديّ .

قال أَبو زيد في خبره : فدَعاني إلى الطعام ، فلم أَفعلْ ، وجعلَت تعبث بي وتضحك ، فقلت : أما والله لو علمتِ ما جئتُ له لبكيتِ . فأمسكت يدها عن الطعام فقال : أسماءُ : قد منعتَها الأكل فقُل ما جئت له . فلمّا بَلّغْتُ أسماءَ ما أُرسلتُ به ، بكت ، فلَم أرَ واللهِ دموعاً قطّ سائلة من محاجرَ أحسنَ من دموعها على محاجرها . ثم قالت : نعم أُرسل بهما إليه ، فلا أحد أحقَّ بتأديبهما منه .

وقال أَسماءُ : إنّما عبد الملك ثمرة قلوبنا ، يعني عبد الملك بنَ بشر ، وقد أَنِسنا به ، ولكن أَمَرَ الأَمير طاعة ، فأَتيت الحجّاج ، فأعلمته جوابها وما رأيته من جوابها وهيئتها . فقال : ارجع فاخطبها عليّ فرجعْتُ وهما على حالهما . فلمّا دخلتُ قلت : إنّي جئتكَ بغير الرسالة الأولى . قال : اذكر ما أحببتَ . قلت : قد جئتُ خاطباً . قال : أعلى نفسك فما بنا عنك رغبة ؟ قلت : لا ، على مَن هو خيرٌ لها منّي ، وأعلمتُه ما أمرني به الحجّاج . فقال : ها هي تسمع ما أدّيت ، فسكَتَتْ فقال أسماءُ : قد رضيَتْ ، وقد زوّجتها إيّاه .

فقال أَبو زيد في حديثه : فلمّا زَوّجها أَبوها قامت مبادِرة وعليها مُطْرَف ، ولم تستقلّ قائمة مِن ثقل عجيزتها حتى انثنتْ ومالَت لأحد شقيها مِن شَحمها ، فانصرفتُ بذلك إلى

1 ديوان الفرزدق 1 : 217 .

الحجّاج ، فبعث إليها بمائة ألف درهم وعشرين تختاً مِنْ ثياب وقال : يا أَبا بردةَ ، إنِّي أُحِبُّ أن تسلمها إليها ، ففعلتُ ذلك وأرسلتُ من سلمه إليها ، فأرسلتْ إليّ : جئتَ قاضياً ورجعتَ دلالاً فأرسلت إليّ من المال بعشرين ألفاً ، ومن الثيابِ تختين . فقلت : ما أَقبل شيئاً حتى أستطلع رأي الأَمير . ثم انصرفتُ إليه فأعلمتهُ ، فأَمرني بقبضة ووصلني بمثله .

وقال : أبو زيد في حَديثه : فأَرسل إليها بثلاثين غلاماً مع كلِّ غلام عشرة آلاف درهم ، وثلاثين جارية مع كلّ جارية تختٌ من ثياب ، وأمر لي بثلاثين ألفاً وثياباً لم يَذكر عددَها . فلمّا وصل ذلك إلى هند أمَرت بمثل ما أمر لي به الحجّاج ، فأبيتُ قبوله ، وقلت : ليس الحجّاج مِمّن يُتَعَرَّضُ له بمثل هذا . وأتيت الحجّاج فأَخبرته . فقال : قد أحسنتَ وأضعَف اللهُ لكَ ذلكَ ، وأَمَر له بستينَ ألفاً ، وبضعفِ تلك الثياب ، وكان أوّلَ ما أصبته مع الحجّاج .

وأَرسلَ إليها : إنِّي أكره أن أبيتَ خِلواً ولي زوجة . فقالت : وما احتباس امرأة عن زوجها وقد ملكها وآتاها كرامته وصداقها ، فَأصلحت من شأنها ، وأَتته ليلاً .

قال : المدائنيّ : فسمعتُ أنّ ابن كناسة ذكر أنّ رجلاً من أَهلِ العِلم حدَّثه عن امرأة من أهله قالت : كنتُ فيمَن زفّها . فدَخلنا عليه وهو في بيتٍ عظيم في أقصاه ستارة ، وهو دون الستارة عَلى فرشه ، فلمّا أَن دخَلت سلَّمتْ ، فأوْمأ إليها بقضيب كان في يده . فجلسَت عند رِجْليه ، ومكثت ساعة وهو لا يتكلَّم ونحن وقوف ، فضَرَبت بيدها على فخذه ، ثم قالت : أَلم تَبعد من سوء الخلق ؟ قال : فتبسّم ، وأَقبل عليها ، واستوى جالساً . فدعونا له وخَرجنا وأُرخيت الستور .

[طلاق هند]

قال : ثم قدِم الحجّاج البصرةَ ، فحملها معه . فلمّا بنى قصرَهُ الذي دون المحدثَة[1] الذي يقال لـه : قصرَ الحجّاج اليوم قال لها : هل رأَيتِ قطّ أَحسن من هذا القصر ؟ قالت : ما أَحسنه ! قال : أصدقيني ، قالت : أمّا إذ أَبيتَ فوالله ما رأيت أحسن من القصر الأحمر . وكان فيه عُبيد الله بنُ زياد ، وكان دار الإمارة بالبصرة ، وكان ابن زياد بناه بطين أحمر . فطلق هنداً غضباً بما قالته ، وبعث إلى القصر فهدمه ، وبناه بلبن . ثم تعهّده صالح بنُ عبد الرحمن في خلافة سليمان بن عبد الملك ، فبناه بالآجرّ ، ثم هُدِم بعد ذلك فأُدخل في المسجد الجامع .

[الحجّاج يحنّ إلى هند]

قال : القحذميّ عن محمد بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزوميّ :فخرجنا يوماً نعود عبد الملك بن بشر ، فسلّمنا عليه وعُدناه معه . ثم خرجنا وَتخلف الحجّاج ، فوقفنا

---

1 المحدثة : قرية بواسط .

ننتظره ، فلمّا خرجَ التفت فرآني ، فقال : يا محمدُ وَيحكَ ! رأيتُ هنداً الساعة فما رأيتها قطّ أجمل ولا أشبّ منها حين رأيتها ، وما أنا بمُمسٍ حتى أراجعها . فقلتُ : أصلح اللهُ الأميرَ ، امرأة طلّقتها على عتْب يرى النّاس أنّ نفسك تتبعها ، وتكون لها الحجّة عليك . قال : صدقت ، الصبر أحجى .

قال : محمدٌ : واللهِ ما كان منّي ما كان نظراً ولا نصيحةً ، ولكنّي أَنِفت لرجل من قريش أن تداس أُمّه في كلّ وقت .

[الحيّة في النّار]

أخبرني الحسين بنُ يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المدائنيّ عن جويريّةَ بن أسماء عن عمّه قال : حججتُ ، فإنّي لفي رُفقة من قومي إذ نزلنا منزلاً ومعنا امرأة ، فنامت وانتبهتْ وحيّةٌ مطويّةٌ عليها ، قد جمعت رأسها وذنبها بين ثدييها ، فهالنا ذلك وارتحلنا . فلم تزل منطوية عليها لا تضيرها حتى دخلنا الحرَم فانسابت ، فدخلنا مكّة وقضينا نُسكنا ، فرآها الغريض فقال : أيْ شقِيّة ، ما فعلَت حيّتك ؟ فقالت : في النار : قال : ستعلمين مَن أهل النار ؟ ولم أفهم ما أراد ، وظننتُ أنّه مازحها ، واشتقتُ إلى غنائه ، ولم يكن بيني وبينه ما يوجب ذلك . فأتيتُ بعضَ أهلِه ، فسألتُه ذلك ، فقال : نعم ، فوجَّه إليه أن اخرج بنا إلى موضع كذا ، وقال لي : اركب بنا ، فركبنا حتى سِرْنا قدرَ مِيل ، فإذا الغريضُ هناك ، فنزلنا ، فإذا طعام مُعَدٌّ ، وموضع حسنٌ . فأكلنا وشربنا ، ثم قال : يا أبا يزيد ، هات بعض طرائفك فاندفع يغنّي ، ويوقع بقضيب[1] : [من الطويل]

مرضتُ فلم تحفلْ عليّ جَنوبُ ... وأُدنفتُ والمَمشى إليّ قريبُ
فلا يُبعد اللهُ الشبابَ وقولَنا ... إذا ما صبونا صبوة سنتوبُ

فلقد سمعنا شيئاً ظننتُ أنّ الجبال التي حولي تنطق معه : شَجا صوت ، وحُسْن غناء . وقال لي : أتحبّ أن نَزيدك ؟ فقلت : إي واللهِ . فقال : هذا ضيفك وضيفنا ، وقد رغِب إليك وإلينا ، فأسعِفْه بما يريد . فاندفع يغنّي شعر مجنون بني عامر[2] : [من الطويل]

عفا اللهُ عن ليلى الغداةَ فإنّها ... إذا وَلِيَتْ حكماً عليّ تجورُ
أأتركُ ليلى ليس بيني وبينها ... سوى ليلة ؟ إنّي إذاً لصبورُ

فما عقَلت لِما غنّى من حسنه إلاّ بقول صاحبي : نجور عليك يا أبا يزيد . فقلت : وما

1 ديوان حميد بن ثور (صادر) : 8 .
2 ديوان مجنون ليلى : 139 وديوان أبي دهبل : 77–78 .

معناك في ذلك ؟ فقال : إنّ أبا يزيد عرّضَ بأنّي لمّا وليت الحكم عليه جُرت في سُؤالي إيّاه أكثر من صوت واحد . فقلت له ، بعدَ ساعة ، سرّاً : جُعلتُ فداءك ، إنّي أريدُ المضيّ وأصحابي يريدون الرحلةَ ، وقد أبطأتُ عليهم ، فإن رأيت أن تسأله ، حاطه اللهُ من السوء والمكروه ، أن يزوّدني لحناً واحداً . فقال لي : يا أبا يزيد ، أتعلَم ما أنهى إلينا ضيفُنا ؟ قال : نعم ، أرادك أن تكلّمني في أن أغنّيه قلت : هو والله ذلك ، فاندفع يغنّي : [من الطويل]

خذي العفوَ منّـي تستديمي مودَّتي ... ولا تنطقي في سَورتي حـينَ أغضبُ
فإنّي رأيتُ الحبَّ في الصدرِ والأذى ... إذا اجتمعـا لم يلبثِ الحـبُّ يذهبُ

[نسبة وصية أسماء لابنته إلى أبي الأسود]

فقال : قد أخذنا العفو منك ، واستدَمْنا مودّتك ، ثم أقبل علينا فقال : ألا أحدِّثكم بحديث حسن ؟ فقلنا : بلى . قال : قال شيخ العلم وفقيه النّاس وصاحب عليٍّ ، صلواتُ الله عليه ، وخليفة عبد الله بنِ العبّاسِ على البصرة أبو الأسود الدؤليّ لابنته ليلَة البناء : أيْ بُنَيّة ، النساء كنّ بوصيّتك وتأديبك أحقَّ منّي ، ولكن لا بُدّ مِمّا لا بُدّ منه . يا بُنيّة ، إنّ أطيبَ الطيب الماء ، وأحسن الحسن الدهن ، وأحلى الحلاوة الكحل . يا بُنيّة ، لا تكثري مباشرة زوجك فيملَّك ، ولا تباعدي عنه فيجفَوكِ ويعتلَّ عليك ، وكوني كما قلتُ لأمِّك : [من الطويل]

خُذي العفو منّي تستديمي مودَّتي ... ولا تنطقي في سَورتي حين أغضبُ

فقلت لـه : فدَتـكَ نفسي ، ما أدري أيّهما أحسن : أحديثك أم غِناؤك ؟ والسلام عليكم . ونهضتُ فركبتُ وتخلّف الغريضُ وصاحبه في موضعهما ، وأتيت أصحابي وقد أبطأتُ ، فرحَلنا منصرفين حتى إذا كنّا في المكان الذي رأيت فيه الحيّة منطوية على صدرِ المرأة ونحن ذاهبون ، رأيتُ المرأة والحيّةُ منطوية عليها ، فلم ألبث أن صفَرت الحيّة ، فإذا الوادي يسيل علينا حيّات فنهشنها حتى بقيت عظاماً . فطال تعجّبنا من ذلك ، ورأينا ما لَم نَرَ مثلَه قطّ . فقلتُ لجاريةٍ كانت معها : ويحك ! أخبرينا عن هذه المرأة ، قالت : نعم أثقلت ثلاث مرّات ، كلَّ مرّة تلِد ولداً ، فإذا وضعته سجَرت التنور ثم ألقته فيه : فذكرتُ قول الغريض حين سألها عن الحيّة ، فقالت : في النار . فقال : ستعلمين مَن في النّار .

## نسبة ما في هذه الأصوات من الغناء

فمنها : [من الطويل]

### صوت

مرِضتُ فلم تحفَلْ عليَّ جَنوبُ ... وأُدنفتُ والمَمشَى إليَّ قريبُ

فلا يُبعد اللهُ الشبابَ وقولَنا إذا ما صبونا صبوة سنتوبُ

عروضه من الطويل . الشعر لحُميدِ بنِ ثَورٍ الهلاليّ ، والغناء لِلغريضِ من رواية حماد عن أَبيه ، وفيه لِعَلُّويَه ثقيل أَوّل بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة ومنها : [من الطويل]

## صوت

عفا اللهُ عن ليلي الغداةَ فإنَّها إذا وليتْ حكماً عليّ تجورُ
أَأَتركُ ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلة إنّي إذاً لصبورُ !

عروضه من الطويل ، والشعر ، يقال : لأَبي دَهبلٍ الجُمَحيّ ، ويقال : إنّه لمجنون بني عامر ، ويقال : إنه لعمرَ بنِ أَبي ربيعةَ . والغناء لابن سُرَيج خفيف رمَل بالوسطى ، عن عمرو بن بانة ، وفيه للغريض ثاني ثقيل بالوسطى ، وفي الثاني والأوّل خفيف ثقيل أَوّل بالبنصر مجهول .

أَخبرني الحِرْميّ عن الزُّبير عن محمد بن الضحاك عن أبيه قال : قال أَبو دِهبلٍ : [من الطويل]

أَأَترك ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلة إني إذاً لصبورُ
هبوني امرءاً منكم أَضلَّ بعيرَه له ذمّةٌ إنّ الذِمامَ كبيرُ
ولَلصاحب المتروك أَعظمُ حرمة على صاحبٍ من أَن يَضلَّ بعيرُ

قال الزُّبير وقال عمّي : هذه الأَبيات لمجنون بني عامر .

قال أحمدُ بنُ الحارثِ الخرازُ عن المدائنيّ عن أَبي محمدٍ الشيبانيّ قال : قال عبد الملك بن مروان لعمر بن أَبي ربيعة : أَنت القائل : [من الطويل]

أَأَترك ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلة إنّي إذاً لصبورُ !

قال : نعم . قال فبئس المحبّ أنت : تركتها وبينها وبينك غُدوة . قال : يا أَمير المؤمنين ، إنّها من غُدوات سُليمانَ ، غدوُّها شهر ، ورواحها شهر .

أَخبرني اليزيديّ عن أَحمدَ بن يحيى وابن زهير قال حدَّثني عمرُ بنُ القاسم بنِ المعتمر الزهريُّ قال : قلت لأَبي السائب المخزوميّ : أَما أحسنَ الذي يقول : [من الطويل]

أَأَترك ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلة إنّي إذاً لصَبُورُ
هبوني امرءاً منكم أَضلّ بعيرَه له ذمةٌ إن الذِمامَ كبيرُ
ولَلصاحب المتروك أَعظمُ حُرمة على صاحبٍ مِن أَنْ يضلَّ بعيرُ ؟

فقال : بأَبي أَنت ، كنتُ والله أُجنّبك وتثقل عليّ ، فأَنا الآن أحبّك وتخفّ عليّ ، حيث تعرف هذا .

## صوت

[من الوافر]

مِن الخفِراتِ لم تفضحْ أُخاها ... ولم تَرفَعْ لوالدها شَنارا
كأَنّ مَجامعَ الأَردافِ منها ... نقاً دَرجتْ عليه الريحُ هارا
يعافُ وصالَ ذات البَذل قلبي ... ويتّبع الممنَّعةَ النَّوارا

الخفِرة : الحيِيةَ ، والخَفَر : الحياء . والشَّنار : العار . والنقا : الكثيب من الرمل . درجت عليه الريح : مرّت . هار : تهافت وتداعى . قال الله تبارك وتعالى : ﴿على شفا جُرُفٍ هارٍ﴾[1] ويعاف : يكره . والنوار : الصعبة الممتنعة الشديدة الإباء .

عروضه من الوافر : الشعر للسُّلَيك بنِ السُّلَكة[2] ، والغناء لابن سُريج ، رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لابن الهِرْبِذ لحن من رواية بذل ، ولم يذكرْ طريقته . وفيه لابن طنبورة لحنٌ ذكره إبراهيم في كتابه ولم يجنّسه .

1 سورة التوبة ، الآية : 109

2 شعر السليك : 55 .

# [ 438 ] ـ أخبار السُّليك بن السُّلكة ونسبه[1]

هو السُّلَيك بنُ عمرو ، وقيل : بنُ عميرِ بنِ يثربيّ ، أحدُ بني مُقاعس ، وهو الحارثُ بنُ عمرِو بنِ كعب بنِ سعدِ بنِ زَيد مناةَ بن تميم . والسُّلَكة : أمّه ، وهي أَمَةٌ سوداءُ .

[من الصعاليك العدائين]

وهو أحد صعاليك العربِ العدّائين الذين كانوا لا يُلحَقون ، ولا تعلَق بهم الخيل إذا عدَوا . وهم : السُّلَيك بنُ السُّلَكة ، والشّنفَرى ، وتأبّط شرّاً ، وعمرو بن برّاق ، ونفيل بن براقة . وأخبارهم تذكر على تواليها هاهنا إن شاء الله تعالى في أشعار لهم يُغنَّى فيها ؛ لتتصل أحاديثهم .

فأمّا السُّلَيك فأخبرني بخبره الأخفشُ عن السكريّ عن ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ ، قال : وقرىء لي خبره وشعره على محمدِ بنِ الحسنِ الأحول عن الأثرم عن أبي عبيدة . أخبرني ببعضه اليزيديّ عن عمّه عن ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ عن المفضّل ، وقد جمعتُ رواياتهم ، فإذا اختلفت نسبتُ كلّ مرويٍّ إلى راويه .

[يستودع بيض النعام ماء في الشتاء ليشربه في الصيف]

قال أبو عبيدة : حدَّثني المنتجعُ بنُ نَبْهان قال : كان السُّلَيك بنُ عميرٍ السعديُّ إذا كان الشتاءُ استَودع بِبَيض النّعام ماءَ السماء ثم دفنه ، فإذا كان الصيف وانقطعَت إغارة الخيل أغار . وكان أدلّ من قطاة[2] ، يجيء حتى يقف على البيضة . وكان لا يغير على مُضَر ، وإنّما يغيرُ على اليمن ، فإذا لم يمكنه ذلك أغار على ربيعة .

وقال المفضل في روايته : وكان السُّلَيك من أشدّ رجال العرب وأنكرِهم وأشعرِهم ، وكانت العرب تدعوه سلَيك المقانب[3] . وكان أدلّ النّاس بالأرض ، وأعلَمهم بمسالكها ، وأشدَّهم عَدْواً على رجليه ، لا تعلَق به الخيل ؛ وكان يقول : اللهمّ إنّك تهيّىء ما شئت لما

---

1 ترجمة السليك بن السلكة في الشعر والشعراء : 281–285 والمؤتلف والمختلف : 202–203 وشرح مقامات الحريري للشريشي 1 : 388–393 وأمثال الضبي : 13–14 وفصل المقال : 270 ، 307 وكتب الأمثال الأخرى تحت الأمثال الواردة في قصته ، وانظر أعلام الزركلي ومواضع متفرقة من الكامل للمبرّد والتذكرة الحمدونية .

2 المثل «أهدى من قطاة» في مجمع الميداني 2 : 409 وجمهرة العسكريّ 2 : 353 .

3 المقانب : جمع مقنب ، وهو جماعة من الخيل للغارة .

شئت إذا شئت . اللهمّ إنّي لو كنت ضعيفاً كنت عبداً ، ولو كنت امرأة كنت أَمَة . اللهمّ إنّي أَعوذ بك من الخَيبة ، فأمّا الهَيبةُ فلا هيبةَ .

[ غارة ]

فذكروا[1] أنّه أُملقَ حتى لم يَبقَ له شيء فخرج على رِجليه رجاء أن يصيب غِرّة من بعض مَن يَمرُّ به فيذهبَ بإبله ، حتى أمسى في ليلة من ليالي الشتاء باردة ، مُقْمرةٍ فاشتمل الصماءَ ، ثم نام ، واشتمال الصماء : أن يَرُدّ فَضلة ثوبه على عضده اليمنى ، ثم ينام عليها ، فبينا هو نائم إذ جَثم رَجل فقعد على جنبه فقال : استأسر ، فرفع السُّليك إليه رأسه ، وقال : الليل طويل وأنت مقمر[2] . فأرسلَها مثلاً ، فجعل يَلْهَزه[3] ويقول : يا خبيثُ استأسر . فلمّا آذاه بذلك أخرج السُّليك يده ، فضمّ الرجل إليه ضَمّة ضرَط منها وهو فوقه ، فقال السُّليك : أضَرَطاً وأنت الأعلى[4] ؟ فأرسلها مثلاً ، ثم قال : مَنْ أنتَ ؟ فقال : أنا رجل افتقرتُ ، فقلت : لأخرجَنَّ فلا أرجعُ إلى أهلي حتى أستغنيَ ، فآتيَهم وأنا غنيّ ؛ قال : انطلق معي . فانطلقا ، فوجدا رجلاً قصّتُه مثل قصّتهما ، فاصطحبوا جميعاً حتى أتوا الجَوفَ : جوف مراد .

فلمّا أشرفوا عليه إذا فيه نَعَم قد ملأ كلُّ شيء من كثرته ، فهابوا أن يُغِيروا فيَطردوا بعضها ، فيَلحقَهم الطلب . فقال لهما سُلَيك : كُونا قريبا منّي حتى آتي الرِّعاء فأعلمَ لكما عِلمَ الحيّ ، أقَريب أم بعيد . فإن كانوا قريباً رجعت إليكما ، وإن كانوا بعيداً قلت لكما قولا أومىء[5] إليكما به فأغيرا . فانطلقَ حتى أتى الرِّعاء ، فلم يزلْ يستنطقهم حتى أخبروه بمكان الحيّ ، فإذا هم بعيد ، إن طُلبوا لم يُدركوا . فقال السُّليك للرِّعاء : ألا أُغنّيكم ؟ فقالوا : بلى غنّنا ، فرفع صوته وغنّى[6] : [من البسيط]

يا صاحبيّ ألا لا حيّ بالوادي سوى عَبيد وآمٍ بين أذوادِ[7]

---

1 أورد ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 7 : 136 .

2 المثل «الليل طويل وأنت مقمر» في مجمع الميداني وجمهرة العسكري 2 : 189 ومستقصى الزمخشري 1 : 344 وفصل المقال 339 وأمثال العرب للمفضل الضبّيّ : 62 .

3 يلهزه : يضربه بجمع يديه .

4 المثل «أضرطاً وأنت الأعلى» في مجمع الميداني 1 : 284 وجمهرة العسكري 1 : 86 وأمثال الضبيّ : 13 وفصل المقال : 339 .

5 ل : أوحي إليكما .

6 شعره : 51 .

7 آم : جمع أمة .

أتنظرانِ قريباً رَيثَ غفلتِهمْ ... أَمْ تغدوانِ فإنَّ الربحَ للغادي[1]

فلمّا سمعا ذلك أتيا السُّليك ، فأطردوا الإبل فذهبوا بها ولم يبلغ الصَّريخُ الحيّ حتى فاتوهم بالإبل .

[غارة أخرى]

قال المفضل : وزعموا أَنّ سُلَيكاً خرج ومعه رجلان من بني الحارث بنِ امرىء القيسِ بنِ زيدِ مناةَ بن تميم يقال لهما : عمرو وعاصم وهو يريد الغارة ؛ فمرَّ على حيّ بني شيبان في ربيع والنّاس مخصبون في عشيّة فيها ضباب ومطر ، فإذا هو ببيت قد انفرد من البيوت وقد أمسى . فقال لأصحابه : كونوا بمكان كذا حتى آتيَ أهل هذا البيت ، فلعلّي أن أُصيب لكم خيراً ، أو آتيَكم بطعام . قالوا : افعل ، فانطلق وقد أمسى وجنَّ عليه الليلُ ، فإذا البيتُ بيت رُوَيم ، وهو جدّ حَوْشبِ بنِ يزيدِ بن رُوَيم ، وإذا الشيخ وامرأته بفناء البيت .

فأتى السُّليك البيت من مؤخّره فدخله ، فلم يلبثْ أن راحَ ابنه بإبله . فلمّا أراحها غضب الشيخ ، وقال لابنه : هلاّ عشيتَها ساعة من الليل . فقال له ابنه : إنّها أبت العَشاء . فقال : العاشية تهيج الآبية[2] ، فأرسلَها مثلاً . ثم غضب الشيخ ، ونفَض ثوبه في وجهها ، فرجعتْ إلى مراتِعها ومعها الشيخ حتى مالتْ بأدنى روضة ، فرتَعتْ ، وجلس الشيخ عندها لتتعشّى ، وغطّى وجهه بثوبه من البردِ ، وتبعه سُليك .

فلمّا وجد الشيخ مغتراً ختَله من ورائه ، فضربه فأطار رأسه ، وصاح بالإبل فطردها ، فلم يشعر صاحباه ، وقد ساء ظنّهما وتخوّفا عليه ، حتى إذا هما بالسُّلَيك يطردها فطرداها معه ، وقال سلَيك في ذلك[3] : [من الطويل]

وعاشيةٍ راحتْ بِطاناً ذعَرتُها ... بسوط قتيل وسْطها يُتسيّفُ[4]

كأنّ عليه لونَ بُرد محبَّر ... إذا ما أَتاه صارخُ يتلهّفُ[5]

فبات لها أَهلُ خلاءٌ فناؤهم ... ومرّت بهمْ طير فلم يتعيّفوا[6]

---

1 الربح : الغلبة والفوز .

2 المثل «العاشية تهيج الآبية» في مجمع الميداني 2 : 9 وجمهرة العسكري 2 : 57 ومستقصى الزمخشري 1 : 331 وفصل المقال : 516 وأمثال العرب : 63 . والعاشية التي ترعى ليلاً .

3 شعره : 59–60 .

4 الميداني : بصوت قتيل .

5 المبرد المحبر : الموشى . وهنا محبر بالدم .

6 فبات لها في ل : فقلت لها .

وباتوا يظنـــونَ الظنونَ وصُحبتي إذا ما عَلوا نشزاً أَهلّوا وأَوجفوا
وما نلتُها حتى تصعلكتُ حِقبة وكِدتُ لأَسبابِ المنيّـــةِ أعرِفُ[1]
وحتى رأَيتُ الجوعَ بالصيفِ ضرّني إذا قمتُ تغشاني ظلال فأَسدِفُ[2]

[حيلة للغارة]

وقال الأثرم في روايته عن أَبي عبيدة : خرج سُلَيك في الشهر الحرام حتى أَتى عُكاظ ، فلمّا اجتمع الناس ألقى ثيابه ، ثم خرج متفضّلاً مترجّلاً ، فجعل يطوف الناسَ ويقول : مَن يصف لي منازل قومه ، وأَصِف له منازل قومي ؟ فلقيَه قيسُ بنُ مكشوحٍ المراديُّ ، فقال : أَنا أَصِف لك منازل قومي ، وَصِف لي منازل قومك . فتواقفا وتعاهدا ألاّ يتكاذبا .

فقال قيسُ بن المكشوح : خذْ بين مَهَبِّ الجنوب والصَّبا ، ثم سِرْ حتى لا تدري أَين ظلّ الشجرة ؟ فإذا انقطعَت المياه فسِر أربعاً حتى تبدو لك رملةٌ وقفٌّ[3] بينها الطريق ، فإنّك ترد على قومي مراد وخثعم .

فقال السُّليك : خُذ بين مطلع سهيل ويدِ الجوزاء اليسرى العاقد لها من أُفق السماء ، فثَمّ منازل قومي بني سعد بن زيدِ مناة .

فانطلق قيسٌ إلى قومه فأَخبرهم الخبر ، فقال أَبوه المكشوح : ثكِلتْكَ أُمُّكَ . هل تدرِيَ مَن لقيت ؟ قال : لقيتُ رجلاً فُضُلاً[4] كأنّما خرج من أهله ، فقال : هو والله سُلَيك بن سعْد .

فاستعلق واستعوى السُّلَيك قومه فخرج أحماس[5] من بني سعد وبني عبد شمس ، وكان في الربيع يعمِد إلى بَيض النّعام فيملؤه من الماء ويدفنه في طريق اليمن في المفاوز . قال : فإذا غزا في الصيف مرَّ به فاستثاره . فمرَّ بأَصحابه حتى إذا انقطعت عنهم المياه قالوا : يا سُلَيك أَهلكتنا ويحك ! قال : قد بلغتُم الماء ، ما أقربكم منه ! حتى إذا انتهى إلى قريب من المكان الذي خبّأ الماءَ فيه طلبه فلم يجدْه ، وجعل يتردّدُ في طلبه . فقال بعضُ أَصحابه لبعض : أَين يقودكم هذا العبد ؟ قد والله هلكتُم ، وسمع ذلك ثم أصاب الماء بعد ما ساء ظنّهم ، فهمَّ السُّلَيكُ بقتلِ بعضِهم ، ثمّ أمسَكَ .

فانصرفَت عنه بنو عبد شمس في طوائف من بني سعد . قال : ومضى السُّلَيك في بني

---

1 أعرف : أصبر .
2 يسدف : تظلم عيناه من الجوع .
3 القفّ : المرتفع من الأرض .
4 فضل : رجل في ثوب واحد .
5 أحماس : شجعان .

مقاعس ومعه رجل مِن بني حرام يقال له : صُرَد . فلمّا رأى أصحابه قد انصرفوا بكى ومضى به السُّلَيك ، حتى إذا دنَوا من بلاد خثعم ضلَّت ناقةُ صُرَد في جوف الليل ، فخرج في طلبها ، فأصابه أُناس حين أصبح ، فإذا هم مراد وخثعم ، فأسروه ، ولحقَه السُّليك فاقتتلوا قتالاً شديداً .

وكان أوّلَ مَنْ لقيَه قيسُ بن مكشوح ، فأسرَه السُّلَيك بعد أن ضربه ضربةً أشرفَت على نفسه ، وأصاب من نَعمهم ما عجز عنه هو وأصحابه ، وأصاب أُمّ الحارث بنتَ عوف بنِ يربوعٍ الخثعميّةَ يومئذٍ ، واستنقذ صُرَد من أيدي خثعم ، ثم انصرف مسرعاً ، فلحق بأصحابه الذين انصرفوا عنه قبل أن يصلوا إلى الحيّ ، وهم أكثر من الذين شهدوا معه ، فقسمها بينهم على سهام الذين شهدوا . وقال السُّليك في ذلك[1] : [من الطويل]

بكى صُرَدٌ لّما رأى الحيَّ أَعرضَت ... مهامُـه رمـلٍ دونهمْ وسُهوبُ

وخوّفـه ريـبَ الزّمـانِ وفقرَه ... بـلادُ عـدو حاضر وجَدوبُ

ونـأيٌ بَعيدٌ عـن بلادِ مقاعس ... وأَن مخاريـقَ الأُمـورِ تَريبُ

فقلتُ لَـه لا تُبـكِ عينكَ إنّها ... قضيّةُ مـا يُقضى لهـا فتثوبُ[2]

سيكفيك فَقدَ الحيّ لحمٌ مغرَّض ... وماء قُدور في الجِفانِ مشوبُ[3]

أَلـم تَـرَ أَنّ الدهـرَ لونـان لونُه ... وطَوران : بِشْر مـرّة وكَذُوبُ[4]

فما خير مَن لا يرتجي خيرَ أوبة ... ويُخشى عليـه مِريـة وحروبُ[5]

رددتُ عليـه نفسه فكأنّمـا ... تلاقـى عليـه منسِر وسَرُوبُ[6]

فما ذرَّ قرن الشمس حتـى أُريته ... قُصـار المنايـا والغبـار يثوبُ[7]

وضاربتُ عنـه القومَ حتى كأنّما ... يصعّـد في آثارهـم ويصُوبُ[8]

---

1 شعره : 44–46 .

2 شعره : لنا فنؤوب .

3 فقد الحي : شراب الحيّ . ومغرض : طري .

4 طوران في ل : وثاران .

5 مرية في ل : سرية ، وهي جماعة الخيل .

6 المنسر : مقدمة الجيش . والسروب : جماعات الخيل .

7 ل : حتى رأيته مصاد المنايا . ومصاد وقصار : الغاية .

8 يصوب : ينحدر .

وقلتُ لـه خـذ هَجْمة حِميريّةٍ وأَهلاً ولا يبعُـد عليك شَروبُ[1]
وليلـةَ جابـانٍ كررتُ عليهمُ على ساعـة فيها الإياب حبيبُ[2]
عشيّةَ كرّت بـالحراميِّ ناقـة بحـيٍّ هـلاً تُدعى به فتُجيبُ[3]
فضاربتُ أُولى الخيل حتى كأنّما أُميـل عليهـا أيـدَعٌ وصبيبُ

الأيدع : دم الأخوين ، والصبيب : الحِناء .

[ينذر قومه فيكذبونه]

قال أَبو عبيدة[4] : وبلغني أَنّ السَّليكَ بنَ السُّلَكة رأته طلائع جيش لبَكرِ بن وائل ، وكانوا جازوا منحدرين ليغيروا على بني تميم ولا يعلم بهم أحد ، فقالوا : إن عَلم السُّلَيك بنا أَنذر قومه ، فبعثوا إليه فارسين على جوادين ، فلمّا هايجاه خرج يمحَصُ كأنّه ظبيٌ ، وطارداه سحابة يومه ، ثم قالا : إذا كان الليل أعيا ، ثم سقط أو قَصَر عن العدْو ، فنأخذه .

فلمّا أصبحا وجدا أثره قد عثر بأصل شجرة فنزعها[5] ، فندرتْ قوسُه فانحطمت ، فوجدا قِصْدة[6] منها قد ارتزّت[7] بالأرض ، فقالا : ما لَهُ ، أخزاه الله ؟ ما أشدّه ! وهمّا بالرّجوع ، ثم قالا : لعلّ هذا كان من أوّل الليل ثم فتر ، فتبِعاه ، فإذا أثره متفاج[8] قد بال فرَغا في الأرض وخدّها ؛ فقالا : ما لَهُ قاتله الله ؟ ما أشدّ متنَه ! والله لا نتبعه أبداً ، فانصرفا . ونمى[9] إلى قومه وأنذرهم ، فكذبوه لبعد الغاية ، فأنشأ يقول[10] : [من الطويل]

يكذّبني العَمْـران عمرُو بـن جندب وعمرو بـن سعد والمكذِّب أَكذبُ
لعمرُكَ مـا ساعيتُ مَن سعى عاجز ولا أَنـا بـالواني ففيـم أُكذَّبُ[11]

---

1 الهجمة : مجموعة من الإبل . وشروب : شراب .
2 جابان : مخلاف باليمن .
3 كرّت في ل : كدت .
4 انظر التذكرة الحمدونية 7 : 345 والكامل : 738–739 والدرة الفاخرة 1 : 305 .
5 ل : فنزا عنها .
6 قصده : قطعة .
7 ارتزت : ثبتت .
8 متفاج : متباعد ما بين رجليه .
9 ل : وتمّ .
10 شعره : 47–48 .
11 رواية الشعر :
سعيت لعمري سعي غير معجز ولا نأنـىء لـو أننـي لا أكذب

ثكلتكما إنْ لم أكُن قد رأيتُها كراديسَ يهديها إلى الحيِّ موكِبُ[1]
كراديسَ فيها الحَوْفَزان وقومه فوارس همّام متى يَدْعُ يركبوا

يعني الحَوْفَزان بن شريك الشيبانيّ .

تفاقدتمُ هل أنكرنّ مغيرة مع الصبحِ يهديهنّ أشقر مغربُ

تفاقدتم : يدعو عليهم بالتفاقد .

[يقتل زوجته]

قال ، وجاء الجيش فأغاروا على جمعهم . قال : وكان يقال للسُّلَيك : سُلَيك المقانب ، وقد قال في ذلك فرار الأسديّ ، وكان قد وجد قوماً يتحدّثون إلى امرأته من بني عمّها فعقرها بالسيف ، فطلبه بنو عمّها فهرب ولم يقدروا عليه ، فقال في ذلك[2] : [من الطويل]

لَزُوار ليلى منكم آل برثُن على الهولِ أمضى من سُلَيك المقانبِ
يزورونها ولا أزورُ نساءهم ألهفى لأولادِ الإماء الحواطبِ

[غارة على بني عوار]

وقال أبو عبيدة : أغار السُّلَيك على بني عَوار بطن من بني مالك بن ضُبَيعة ، فلم يظفر منهم بفائدة ، وأرادوا مساورته .

فقال شيخ منهم : إنّه إذا عدا لم يُتعلّق به ، فدعوه حتى يرد الماء ، فإذا شرب وثقُل لم يستطع العَدْو ، وظفرتم به . فأمهلوه حتى ورد الماء وشرب ، ثم بادروه ، فلمّا علِم أنّه مأخوذ خاتلهم وقصد لأدنى بيوتهم حتى ولجَ على امرأة منهم يقال لها : فُكَيهة ، فاستجار بها ، فمنعته ، وجعلته تحت دِرعها ، واخترطت السيف ، وقامت دونه ، فكاثروها فكشفَت خِمارها عن شعرها ، وصاحت بإخوتها فجاءوها ، ودفعوا عنه حتى نجا من القتل ، فقال السُّلَيك في ذلك[3] : [من الوافر]

لعمرُ أبيكِ والأنباءُ تنمى لنعم الجار أخت بني عُوارا
من الخفِرات لم تفضحْ أباها ولم تَرفَعْ لإخوتها شَنارا
كأن مجامعَ الأردافِ منها نَقاً درَجت عليه الريحُ هارا

---

1 الكراديس : القطع العظيمة من الخيل .
2 لم يرِد البيتان في مجموع شعره .
3 شعره : 55–56

يَعافُ وصال ذات البَذل قلبي ويتّبـــع الممنّعـــة النّــوارا
وما عجزت فُكَيهة يوم قامتْ بنصلِ السيفِ واستلبوا الخِمارا

[أطلق أسيره فأثيب]

أَخبرني الأخفشُ عن السكّريِّ عن أَبي حاتمٍ عن الأصمعيّ أنّ السُّلَيك أَخذ رجلاً من بني كنانةَ بنِ تَيم بن أُسامةَ بن مالكِ بنِ بكرِ بنِ حبيبِ بنِ غَنْمِ بن تغلبَ يقال له : النُّعمانُ بنُ عُقْفانَ ، ثم أطلقه وقال[1] : [من الوافر]

سمعتُ بجمعهم فرضختُ فيهم بنُعمــانَ بن عُقْفانَ بنِ عمرو
فــإنْ تكفرْ فإنِّــي لا أُبــالي وإن تشكــرْ فإنِّي لستُ أَدري

قال : ثم قدِم بعد ذلك على بني كنانة وهو شيخ كبير ، وهُم بماء لهم يقال له : قُباقِبٌ ، خلف البِشْر ، فأتاه نعمان بابنيه الحكَمِ وعثمانَ ، وهما سيِّدا بني كنانة ، ونائلةَ ابنتِه ، فقال : هذان وهذه لك ، وما أملك غيرهم ؛ فقالوا : صدق ؛ فقال : قد شكرتُ لك وقد رددتُهم عليك .

[يسبق في شيخوخته الشباب]

فجمعَتْ له بنو كنانة إبلاً عظيمة فدفعوها إليه ، ثم قالوا له : إن رأَيت أَن ترينا بعض ما بقي من إحضارك . قال : نعم ، وأبغوني أربعين شابّاً ، وأبغوني درعاً ثقيلة ، فأتوه بذلك ، فلبس الدّرع ، وقال للشبّان : الحقوا بي إن شئتم . وعَدا ، فلاث العدوَ لَوثاً ، وعَدوا جَنَبَته فلم يلحقوه إلاّ قليلاً ، ثم غاب عنهم وكرّ حتى عاد إلى الحيّ هو وحده يُحضِر والدرع في عنقه تَضْرب كأنّها خِرْقة من شدّة إحضاره .

أَخبرني به هاشم بن محمد الخزاعيّ عن عبد الرحمن بن أَخي الأصمعيّ ، عن عمِّه فذكر فيه نحو ما تقدّم .

[مقتله]

وقال السكّريّ في خبر مقتله : إنّه لقى رجلاً من خَثعم في أَرض يقال لها : فخة ، بين أَرض عُقَيل وسعد تميم ، وكان يقال للرجل : مالكُ بنُ عُمير بنِ أبي ذراع بنِ جُشَمَ بنِ عوف ، فأخذه ومعه امرأة له من خفاجة يقال لها : النَّوار ، فقال له الخثعمـيّ : أَنا أَفـدي نفسي منك ، فقال له : السُّلَيك : ذلك لك ، على أَلاّ تَخيس بي ، ولا تطلع عليّ أحداً من خَثعم . فحالفه على ذلك ، ورجع إلى قومه ، وخلّف امرأته رهينة معه ، فنكحها السُّلَيك ،

---

1 شعره : 58 .

وجعلَت تقول : احذر خثعم ؛ فإنّي أخافهم عليك ، فأنشأ يقول[1] : [من الطويل]

تُحذّرني كــي أحذَرَ العام خثعماً وقد علمَت أنّي امرؤ غيرَ مُسلَمِ

ومــا خثعــمٌ إلاّ لئــامٌ أذلّــة إلى الذلّ والإسحاق تنمى وتنتمي[2]

قال : وبلغ ذلك شبلَ بنَ قلادةَ بنِ عمرَ بنِ سعد ، وأنسَ بنِ مدرك الخثعميّين ، فخالفا إلى السُّلَيك ، فلم يشعر إلاّ وقد طرقاه في الخيل ، فأنشأ يقول[3] : [من الرجز]

مَـن مبلـغٍ جِذمـي بأنّي مقتولْ

يـا رُبّ نَهب قد حويتُ عُثكولْ[4]

ورُبّ قِـرن قـــد تركتُ مجدولْ

وربَّ زوجٍ قـد نكحــتُ عُطبولْ[5]

وربَّ عــانٍ قـد فككتُ مكبولْ

وربَّ وادٍ قــد قطعــتُ مسبولْ

قال أنس للشبل : إن شئت كفيتك القوم واكفني الرجل ، وإن شئت اكفني القوم أكفِك الرجل . قال : بل أكفيك القوم ، فشدّ أنس على السُّلَيك فقتله ، وقَتل شبل وأصحابُه مَن كان معه .

وكاد الشرّ يتفاقم بين أنس وبين عبد الملك ، لأنّه كان أجاره حتى وَداه أنس لمّا خاف أن يخرج الأمر من يده ، وقال : [من البسيط]

كَم مِن أخ لي كريمٍ قد فُجعتُ به ثــم بقيتُ كأنّي بعــدَه حَجَرُ

لا أستكينُ على ريبِ الزّمانِ ولا أغضي على الأمرِ يأتي دونه القدرُ

مـِرْدَى حُروب أُدير الأمرَ حابلَه إذ بعضُهم لأمــور تعتري جَزَرُ

قـد أطعــنُ الطعنةَ النجلاء أُتْبعها طَرْفاً شديداً إذا ما يَشخَصُ البصرُ

ويومَ حمضة مطلوب دَلفتُ لــه بــذاتِ وَدْقــين لمـا يُعفها المطرُ

وذكر باقي الأبيات التي تتلو هذه :

1 شعره : 67 .

2 الإسحاق : الابعاد . ويقال سحقاً لهم .

3 شعره : 63-64 .

4 العثكول : العذق .

5 العطبول : الفتية الجميلة الطويلة العنق .

إنِّي وقتلي سُلَيكاً ثم أعقِلَه

كما ذكَره مَن روينا عنه ذلك .

أخبرني هاشمُ بنُ محمدٍ عن عبد الرحمن بنِ أخي الأصمَعيّ عن عمِّه فذكر ما تقدّم .

[يجعل لعبد الملك ابن مويلك إتاوة ليجيره]

قال أبو عبيدة وحدَّثني المنتَجعُ بنُ نَبهان قال : كان السُّلَيك يعطي عبدَ الملك بنَ مُوَيلكٍ الخثعميَّ إتاوةً من غنائمه على أن يجيره فيتجاوزَ بلاد خثعم إلى مَن وراءهم من أهلِ اليمن ، فيُغيرَ عليهم . فمرَّ قافلاً من غزوة فإذا بَيت من خثعم أهلُه خُلوف[1] وفيه امرأة شابّة بَضّة ، فسألها عن الحيّ فأخبرتْه ، فتسنمها ، أي علاها ، ثم جلس حَجْرَةً[2] ، ثم التَقَم المَحجَّة[3] . فبادرَتْ إلى الماء فأخبرتْ القوم ، فركب أنس بنُ مُدركٍ الخثعميّ في طلبه فلحقه ، فقتله . فقال عبد الملك : والله لأقتلَنَّ قاتله أو ليَدِيَنّه ، فقال أنس : واللهِ لا أدِيه ولا كرامة ، ولو طَلب في ديته عِقالاً لما أعطيته . وقال في ذلك : [من البسيط]

إنِّي وقتلي سُلَيكاً ثم أعقِلَه ... كالثورِ يُضربُ لما عافتْ البقرُ[4]
غضبتُ للمرءِ إذ نيكتْ حليلتُه ... وإذ يُشَدّ على وَجعائها الثَّفَرُ[5]
إنِّي لتاركُ هاماتٍ بمجزَرة ... لا يزدهيني سوادُ الليلِ والقمرُ
أغشى الحروبَ وسِربالي مضاعَفة ... تغشى البنانَ وسيفي صارمٌ ذكرُ

[غناء بشعره نبّه فتاة إلى وضعها]

أخبرني ابنُ أبي الأزهر عن حمّادِ بنِ إسحاق عن أبيه عن فُلَيح بن أبي العوراء قال : كان لي صديق بمكةَ ، وكنّا لا نفترق ولا يكتم أحدٌ صاحبَه سرّاً ، فقال لي ذات يوم : يا فُلَيحُ ، إنِّي أهوى ابنة عمٍّ لي ولم أقدر عليها قطّ ، وقد زارتني اليوم فأحبّ أن تَسُرّني بنفسك ، فإنِّي لا أحتشمك . فقلت : أفعل ، وصرت إليهما ، وأُحضر الطعام فأكلنا ، ووُضع النبيذ فشربنا أقداحاً ، فسألني أن أُغنِّيَهما ، فكأنَّ اللهَ ، عزَّ وجَلَّ ، أنساني الغناء كلّه إلاّ هذا الصوت : [من الوافر]

1 خلوف : غياب الرجال وبقاء النساء في الحي .
2 حجرة : ناحية .
3 التقم المحجة : استقبلها .
4 المثل «كالثور يضرب لما عافت البقر» في مجمع الميداني 2 : 142 وجمهرة العسكري 1 : 288 ومستقصى الزمخشري 2 : 204 وفصل المقال : 387 .
5 الوجعاء : الدبر . والثفر : السير في مؤخر السرج .

من الخفِراتِ لم تفضحْ أباها ولم تُلحقْ بإخوتِها شَنارا

فلمّا سَمعته الجارية قالت أحسنت يا أخي ، أعِد ، فأعدتُه . فوثبَتْ وقالت : أنا إلى اللهِ تائبة ، واللهِ ما كنت لأفضح أبي ولا أرفعَ لإخوتي شناراً . فجَهَد الفتى في رجوعها فأبَت وخرجَت ، فقال لي : ويحك ما حملك على ما صنعت ؟ فقلتُ : والله ما هو شيء اعتمدتُه ، ولكنّه أُلقي على لساني لأمر أُريدَ بك وبها . هكذا في الخبر المذكور .

وقد رواه غير من ذكرتُه عن فُلَيح بن أبي العوراء ، فأخبرني اليزيديّ عن عمِّه عبيد الله قال : كان إبراهيم بن سَعدان يؤدِّب ولد عليّ بنِ هشامٍ ، وكان يغنّي بالعود تأدّباً ولعباً . قال : فوجّه إليّ يوماً عليّ بنُ هشام يدعوني ، فدخلت فإذا بين يديه امرأة مكشوفة الرأس تلاعبه بالنَّرْد ، فرجعتُ عجِلاً ، فصاح بي : ادخل ، فدخلْت ، فإذا بين أيديهما نبيذ يشربان منه ، فقال : خُذ عوداً وغنِّ لنا ، ففعلتُ ، ثم غنَّيتُ في وَسَط غنائي : [من الوافر]

مِن الخفِراتِ لم تَفضحْ أباها ولم ترفَعْ لإخوتها شَنارا

فوثبت من بين يديه ، وغطّت رأسها ، وقالت : إنّي أُشهدُ اللهَ ، أنّي تائبة إليه ، ولا أفضح أبي ولا أرفع لإخوتي شَناراً . ففَتَر عليّ بن هشام ولم ينطقْ وخرجَتْ من حضرته ، فقال لي : ويلك ، مِن أين صبّك الله عليّ ؟ هذه مغنّية بغداد ، وأنا في طلبها منذ سنة لم أقدر عليها إلاّ اليوم ، فجئتني بهذا الصوت حتى هربَت . فقلت : والله ما اعتمدتُ مَساءتك ، ولكنّه شيء خطر على غير تعمّد .

## صوت

[من الطويل]

أمَسلَمَ إنّي يا ابنَ كلِّ خليفة ويا جبلَ الدُّنيا ويا ملِكَ الأرضِ
شكرتُك إنَّ الشكرَ حظٌّ من التقى وما كلُّ مَن أوليتَه نعمة يَقضي

الشعر لأبي نُخَيلة الحِمانيّ ، والغناء لابن سُرَيج ، ثقيل بالوسطى عن يحيى المكّيّ .

# [ 439] ـ أخبار أبي نخيلة ونسبه[1]

[كنيته اسمه]

أبو نُخيلَة اسمه لا كنيته ، ويكنى أبا الجُنيد ، ذكر الأصمعيّ ذلك وأبو عمرو الشيبانيّ وابن حبيب ، لا يعرف له اسم[2] غيره ، وله كنيتان : أبو الجُنيد وأبو العِرماس ، وهو ابن حزن بن زائدةَ بن لقِيط بن هَرِم بن يَثْرَبيّ ، وقيل : بن أثربي بن ظالِم بنِ مُجاسرِ بنِ حمّاد بن عبد العُزى بنِ كعبِ بن لُؤيّ بن سعدِ بن زيدِ مناةَ بن تميم .

[عقوقه أباه]

وكان عاقاً بأبيه ، فنفاه أبوه عن نفسه ، فخرج إلى الشام وأقام هناك إلى أن مات أبوه ، ثم عاد وبقي مشكوكاً في نسبه ، مطعوناً عليه . وكان الأغلب عليه الرجز ، وله قصيد ليس بالكثير .

[اتصاله بمسلمة]

ولمّا خرج إلى الشام اتّصل بمَسْلَمة بن عبد الملك ، فاصطنعه وأحسن إليه وأوصله إلى الخلفاء واحداً بعد واحد ، واستماحهم له فأغنَوه ، وكان بعد ذلك قليل الوفاء لهم . انقطع إلى بني هاشم ، ولَقّب نفسه شاعر بني هاشم ، فمدح الخلفاء من بني العبّاس ، وهجا بني أميّة فأكثر .

[يغري المنصور بخلع عيسى بن موسى]

وكان طامعاً نطفاً ، فحمله ذلك على أن قال في المنصور أرجوزة يغريه فيها بخلع عيسى بن موسى وبعقد العهد لابنه محمد المهديّ ، فوصله المنصور بألفي درهم ، وأمَره أن يُنشدها بحضرة عيسى بن موسى ففعل . فطلبه عيسى فهرب منه ، وبعث في طلبه مولى له ، فأدركه في طريق خراسان ، فذبحه وسلخ جلده[3] .

[يهجو عند المطل ويمدح عند الإجابة]

أخبرني هاشمٌ الخُزاعيّ عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال : رأى أبو نُخيلة على شَبيب حلّة فأعجبَته ، فسأله إيّاها ، فوعده ومطله ، فقال فيه : [من الرجز]

1 ترجمة أبي نخيلة الحماني الراجز في الشعر والشعراء : 501 والمؤتلف والمختلف : 296-297 وخزانة البغدادي 1 : 163-165 والسمط : 135 والموشح : 343-344 وطبقات ابن سعد : 63-64 وانظر أمالي اليزيدي : 198 وأمالي المرتضى 1 : 580 ، 582 وأعلام الزركلي ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية .

2 في الشعر والشعراء : يعمر ؛ وفي المؤتلف : يعمر بن حزن .

3 ل : وجهه .

يا قـوم لا تُسوّدوا شبيباً    الملذان الخائـنَ الكذوبا[1]
هل تلـدُ الذِّيبةُ إلاّ الذيبا

قال : فبلغه ذلك ، فبعث إليه بها فقال : [من الرجز]

إذا غدتْ سعـدٌ على شبيبِها    على فتاهـا وعـلى خطيبِها
مِن مطلعِ الشمس إلى مغيبِها    عجبتَ مـن كثرتها وطيبِها

[يخشى لسان خالد بن صفوان]

حدَّثني حبيبُ بنُ نصرٍ المهلَّبيُّ عن عمر بن شبّة ، قال : حدَّثني الرِّعل بن الخطّاب قال : بنى أبو نخيلة داره ، فمرَّ به خالد بن صفوان وكان بينهما مداعبة قديمة ، ومودّة وكيدة ، فوقف عليه فقال أبو نخيلة : يا ابن صفوان ، كيف ترى داري ؟ قال : رأيتك سألتَ فيها إلحافاً ، وأنفقتَ ما جمعت إسرافاً . جعلتَ إحدى يديك سَطحاً ، وملأتَ الأُخرى سَلحاً ، فقلتَ : مَن وضع في سَطحي وإلاّ ملأتُه بسَلْحي ، ثم ولّى وتركه .

فقيل له : ألا تهجوه ؟ فقال : إذن واللهِ يركب بغلته ، ويطوفُ في مجالس البصرة ، ويصف أبنيتي بما يعيبها . وما عسى أن يضرَّ الإنسان صفةُ أبنيته بما يَعيبها سنةً ثم لا يعيد فيها كلمة .

[تأدّب في البادية]

أَخبرني الحسنُ بنُ عليّ الخَفّاف عن ابن مَهْرُوَيْه عن أَبي مسلم المستملي عن الحِرمازيّ عن يحيى بن نجيم قال : لمّا انتفى أبو نُخيلة من أبيه خرج يطلب الرزق لنفسه ، فتأدّب بالبادية حتى شعر وقال رجزاً كثيراً وقصيداً صالحاً وشهر بهما ، وسار شعره في البدو والحضر ، ورواه الناسُ . ثم وفدَ إلى مَسْلَمة بنِ عبد الملك فرفع منه ، وأعطاه ، وشفع له ، وأوصله إلى الوليد بن عبد الملك ، فمدحه ، ولم يزلْ به حتى أغناه . قال يحيى بن نجيم : فحدَّثني أبو نُخيلة قال : وردت على مَسلمَة بن عبد الملك فمدحته ، وقلت له : [من الطويل]

أَمَسْلَمَ إنّـي يـا ابـنَ كلِّ خليفة    ويـا فارسَ الهيجا ويا جبلَ الأرضِ
شكرتُك إنّ الشكرَ حبلٌ من التُّقى    ومـا كلُّ مَـن أُوليتَه نعمة يَقضي
وألقيـتَ لمـا أن أُتيتكَ زائـراً    عليّ لحافـاً سابغَ الطـولِ والعرضِ
وأحييتَ لي ذكري وما كان خاملاً    ولكـنّ بعض الذكر أَنبهُ مِن بعضِ

[ينشد أرجوزة لرؤبة]

قال : فقال لي مسلمةُ : مِمّن أَنتَ ؟ فقلت : من بني سعد . فقال : ما لكم يا بني سعد والقصيد وإنّما حظّكم في الرجز ؟ قال : فقلت له : أنا والله أرجز العرب ، قال : فأَنشدني من

---

1 الملذان : الذي لا يَصْدُقُ في مودته .

رجزك ، فكأنّي واللهِ لما قال ذلك لم أَقل رجزاً قطّ ، أنسانيه الله كلّه ، فما ذكرتُ منه ولا من غيره شيئاً إلاّ أرجوزة لرؤبة كان قالها في تلك السنة ، فظننتُ أنّها لم تَبلغ مَسْلَمة ، فأَنشده إيّاها ، فنكس رأسه وتتعتعتُ ، فرفع رأسه إليّ وقال : لا تُتعبْ نفسَكَ ، فأنا أروَى لها منك . قال : فانصرفتُ وأنا أكذب الناس عنده وأخزاهم عند نفسي حتى تلطّفت بعد ذلك ومدحته برجز كثير ، فعرفني وقرّبني . وما رأيتُ ذلك أثّر فيه ، يرحمه اللهُ ولا قرّعني به حتى افترقنا .

[مزيد من مدحه لمسلمة]

وحدَّثني أَبو نُخيلة قال : لمّا انصرف مَسْلَمة من حرب يزيدَ بنِ المهلّب تلقيته ، فلمّا عاينته صحت به : [من الرجز]

مَسْلَم يــا مَسْلَمةَ الحـروبِ ... أَنت المصفَّى من أَذى العيوبِ

مُصاصةٌ مــن كَـرَم وطيب ... لـولا ثقاف ليس بالتدريبِ[1]

تفري به عن حُجُب القلوب ... لأمست الأمّــة شاءَ الذيبِ

فضحك وضمّني إليه ، وأَجزل صلتي .

[رجل من عشيرته يوصله إلى هشام]

حدَّثني هاشمُ بنُ محمد الخزاعيّ قال : حدَّثنا عبدُ الرحمن ابنُ أَخي الأَصمَعيّ عن عمِّه ، وأخبرني بهذا الخبر أحمد بنُ عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني عليّ بنُ محمد النَّوفليّ عن أبيه ، وقد جمعت روايتهما وأكثر اللفظ للأصمعيّ ، قال : قال أبو نُخيلة : وفدت على هشام بن عبد الملك فصادفت مسلمة قد مات ، وكنت بأخلاق هشام غِرّاً وأنا غريب ، فسألت عن أخص النّاس به ، فذُكِر لي رجلان : أحدهما من قيس ، والآخر من اليمن ، فعدلْتُ إلى القيسيّ بالنزارية فقلت : هو أقربهما إليّ ، وأجدرهما بما أُحب ؛ فجلست إليه ، ثم وضعت يدي على ذراعه وقلت له : إنِّي مستثيبك لتمَسّني رحِمك .

أنا رجلٌ غريبٌ شاعرٌ من عشيرتك ، وأنا غيرُ عارفٍ بأخلاقِ هذا الخليفة ، وأَحببتُ أَن ترشدني إلى ما أعمل فينفعُني عنده ، وعلى أن تشفعَ لي وتوصلني إليه . فقال : ذلك كلّه لك عليّ . وفي الرجل شِدّة ، ليس كمَن عهدتَ من أهله ، وإذا سئل وخُلِط مدحه بطلبِ حَرم الطالب ، فأخلص له المدح ، فإنه أجدَر أن ينفعَك ، واغد إليه غداً فإنِّي منتظرك بالباب حتى أوصلك ، واللهُ يعينـكَ . فصرتُ من غد إلى باب هشام ، فإذا بالرجل منتظر لي ، فأدخلني معه ، وإذا بأبي النّجم قد سبقني فبدأ فأنشده قوله[2] : [من الرجز]

---

1 الثقاف : آلة تسوّى بها الرماح .

2 ديوان أبي النجم (صادر) : 275-276 .

إلى هشام وإلى مروانِ بيتان ما مثلهما بيتانِ
كفّاكَ بالجودِ تَباريان كما تبارى فرسا رِهانِ
مالَ عليّ حَدَثُ الزّمانِ وبيعَ ما يغلو من الغلمانِ[1]
بالثمنِ الوَكْسِ من الأثمانِ والمهر بعد المُهر والحصانِ[2]

قال : فأطال فيها وأكثر المسألة حتى ضجرَ هشام ، وتبيّنتُ الكراهة في وجهه ، ثم استأذنتُ فأَذِن لي : فأنشدته : [من الرجز]

لّما أتتني نغيةُ كالشّهدِ والعسلِ الممزوجِ بعد الرقدِ[3]
يا بَرْدَها لُمشْتَفٍ بالبَرْدِ رفعْت من أطمارِ مستعِدٍّ
وقلتُ لِلْعِيسِ اعتلى وجِدّي فَهْي تَخدّى أبرح التخدّي[4]
كم قد تعسّفتُ بها من نجد ومُجْرَهِدّ بعد مُجْرَهِدٍّ[5]
قد ادّرَعْنَ في مَسير سَمْدِ ليلاً كلَون الطيلسان الجَرْدِ[6]
إلى أميرِ المؤمنينَ الُمجدي رَبِّ مَعَدّ وسوى معدِّ
مِمّن دَعا مِن أصيدٍ وعبد ذي المجدِ والتشريفِ بعد المجدِ
في وجهه بدرٌ بدا بالسّعدِ أنت الهُمام القَرْمُ عند الجدِّ
طُوِّقتها مجتمِع الأشُدّ فانهلّ لما قمتَ صوبُ الرعدِ

قال : حتى أَتيت عليها وهممتُ أن اسأله ، ثم عزَفَتْ نفسي وقلت : قد استنصحتُ رجلاً ، وأخشى أن أخالفه فأُخطىء ؛ وحانت منّي التفاتة فرأيت وجه هشام منطلقاً . فلمّا فرغتُ أقبلَ على جلسائه فقال : الغلامُ السّعديّ أشعر من الشيخ العِجْليّ ، وخرجت . فلمّا كان بعدَ أيام أتتني جائزته ، ثم دخلتُ عليه بعد ذلك ، وقد مدحته بقصيدة فأنشدته إيّاها فألقى عليّ جُبّةَ خزّ من جِبابه مبطنةً بِسَمّور ، ثم دخلت عليه يوماً آخر ، فكساني دُوّاجا[7] كان عليه من خزّ أحمر مبطنٍ بسَمّور ، ثم دخلت عليه يوماً ثالثاً فلمْ يأمرْ لي بشيء ، فحملتني

1 الديوان : حدب الزمان ، أي شدّته ومشقّته .
2 الوكس : البخس .
3 نغية : نغمة ، وفي رواية : لما سمعت . والرقد : الرقاد .
4 تخدّى : تسرع . وفي الخزانة : أحسن التخدي .
5 مجرهد : مكان لا نبات فيه .
6 سمد : مستمر . والجرد : الخلق .
7 الدواج : الثوب الواسع .

نفسي على أن قلت له : [من الرجز]

كسوتنيها فهي كالتِّجفافِ من خزكَ المصونةِ الكِثافِ[1]
كأنّني فيها وفي اللِّحافِ من عبدِ شمس أو بني منافِ
والخزّ مشتاقٌ إلى الأفوافِ[2]

قال ، فضحك ، وكانت عليه جبّة أفواف ، وأدخل يده فيها ونزعها ورمى بها إليّ ، وقال : خُذها ، فلا بارك الله لك فيها .

[يغير أرجوزته ليجعلها في السفاح]

قال محمدُ بنُ هشام في خبره خاصة : فلمّا أُفضت الخلافة إلى السفاح نقلها إليه وغيّرها وجعلها فيه ، يعني الأرجوزة الداليّة ، فهي الآن تنسب في شعره إلى السفاح .

[الفرزدق يفضل السجن على شفاعته]

أخبرني محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال : حدَّثني أحمد بن الهيثم بن فراس قال : حدَّثني أبو عمر الخصاف عن العتبيّ قال : لمّا حبَس عمرُ بن هبيرة الفرزدق وهو أمير العراق أبى أن يُشفّع فيه أحداً ، فدخل عليه أبو نُخَيلة في يوم فِطر ، فوقف بين يديه وأنشأ يقول : [من الرجز]

أُطلقتَ بالأمس أسير بَكر فهل ، فَداك نَفَري وَوفْري
مِن سببٍ أو حُجّة أو عذر يُنْجي التميميَّ القليلَ الشكرِ
من حَلَق القَيدِ الثِّقالِ السُّمر ما زالَ مجنوناً على استِ الدَّهرِ
ذا حسب ينمو وعقل يحري[3] هبه لأخوالك يومَ الفطرِ

قال : فأمر بإطلاقه ، وكان قد أطلق قبله رجلاً من عِجل جيء به من عين التمر[4] قد أفسد ، فشفعَتْ فيه بكرُ بن وائل فأطلقه . وإيّاه عنى أبو نُخَيلة . فلمّا أُخرِج الفرزدق سأل عمَّن شفع له فأُخبر ، فرجع إلى الحبس وقال : لا أريمه ولو متّ . انطلق قَبلي بكري وأُخرجتُ بشفاعة دَعيّ ، والله لا أخرجُ هكذا ولو من النار . فأُخبر ابنُ هبيرة بذلك فضحك ودعا به فأطلقه ، وقال : وهبتك لنفسك . وكان هجاه فحبسه لذلك ، فلمّا عُزِل ابن هُبيرة وحُبس مدحه الفرزدق ، فقال : ما رأيت أكرم منه ، هجاني أميراً ومدحني أسيراً .

[كانت الشفاعة في غير الفرزدق]

وجدتُ هذا الخبرَ بخَطّ القاسمِ بنِ يوسف ، فذكر أنّ أبا القاسم الحضرَميّ حدَّثه أنّ هذه

---

1 التجفاف : آلة للحرب تلبسها الفرس والإنسان للوقاية .

2 الأفواف : البرود اليمانية والثياب الرقيقة .

3 يحري : ينقص .

4 عين التّمر : بلدة قريبة من الأنبار .

القصّة كانت لأبي نُخيلة مع يزيدَ بن عُمرَ بنِ هُبيرة ، وأنّه أُتي بأسيرين من الشُّراة أُخذا بعين التمر : أحدهما أبو القاسم بنُ بِسطام بن ضِرار بن القعقاع بن معبَد بن زُرارة ، والآخر رجل من بكر بن وائل . فتكلّم في البكريّ قومُه فأطلقه ، ولم يتكلّمْ في التميميّ أحدٌ ، فدخل عليه أبو نُخيلة فقال : [من الرجز]

الحمـــدُ للهِ وليِّ الأَمـــــرِ هــو الذي أَخــرج كلَّ غِمْرِ[1]
وكلَّ عُــوّار وكلَّ وَغْـــرِ من كلِّ ذي قلب نقيِّ الصدرِ[2]
لمّا أَتــتْ مــن نحوِ عينِ التمرِ سِتُّ أثــاف ، لا أثافي القِدرِ
فظلّت القضبانُ فيهــم تجري هَبْراً هــو الهبر وفــوق الهبرِ
إنّــي لمهــدٍ للإمــامِ الغَمْرِ شعري ونُصحَ الحبّ بعد الشعرِ[3]

ثم ذكر باقي الأبيات كما ذُكرت في الخبر المتقدّم .

[هجاء الضيف]

أخبرني أبو الحسن الأسديُّ أحمدُ بنُ محمد قال : حدَّثني محمد بن صالح بن النّطاح قال : ذكر عن العتبيّ أنّ أبا نُخَيلة حجّ ومعه جَرِيب من سَوِيق قد حلاّه بقَنْد[4] ، فنزل منزلاً في طريقه ، فأتاه أعرابيّ من بني تميم وهو يقلب ذلك السّويق ، واستحيا منه فعرض عليه ، فتناول ما أعطاه فأتى عليه ، ثم قال : زِدني يا ابن أخ ، فقال أبو نُخَيلة : [من الرجز]

لَمّــا نزلنــا منــزلاً ممقوتــاً نُريــدُ أن نَرحــلَ أو نبيتــا
جئتَ ولم نَدْرِ مــن اينَ جيتا إذا سقيــتَ المُزبـد السّحتيتــا
قلت أَلا زِدني وقــد رَويتــا

فقام الأعرابيّ وهو يسبّه .

وحدَّثني بهذا الخبر هاشمُ بنُ محمد أبو دُلَف الخُزاعيّ قال : حدَّثنا أبو غسّان دماذ عن أبي عبيدة قال : كان أبو نُخَيلة إذا نزلَ به ضيف هجاه . فنزل به يوماً رجل من عشيرته ، فسقاه سويقاً قد حلاّه ، فقال له : زِدني ، فزاده . فلمّا رحل هجاه وذكر الأبيات بعينها ، وقال في الخبر قال أبو عبيدة : السِّحتيت : السويق الدُّقاق .

1 الغمر : الحقد .
2 العوار : يعني هنا الفساد والشر . والوغر : الضغينة .
3 الغمر هنا : الكريم الخلق .
4 القند : عسل قصب السكر الجامد .

[اعتذاره من مدح الأمويين]

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال : حدَّثنا محمد بن زكريّا الغَلابيّ قال : حدَّثني ابن عائشة قال : دخل أبو نُخَيلة على أبي العبّاس السفّاح فسلَّم ، واستأذن في الإنشاد ، فقال له أبو العبّاس : لا حاجة لنا في شِعرك ، إنّما تنشدنا فضلات بني مروان ، فقال : يا أمير المؤمنين : [من الرجز]

كنّــا أُناساً نرهــبُ الأَملاكا إذ ركبوا الأعنــاق والأوراكا

قــد ارتَجَينــا زمنــاً أباكا ثُــمَّ ارتجينا بعــدَه أَخاكا

ثــم ارتجينــا بعــده إيّاكا وكان مــا قلتُ لِمَن سواكا

زُوراً فقــد كفّر هــذا ذاكا

فضحك أَبو العبّاس ، وأَجازه جائزةً سنيّة ، وقال : أَجل ، إنّ التوبةَ لتكفرُ ما قبلها ، وقد كفّر هذا ذاك .

وأَخبرنا أَبو الفيّاض سَوّار بن أَبي شراعة قال : حدَّثني أَبي عن عبد الصمد بن المعذَّل عن أبيه قال : دخل أبو نُخَيلة على أبي العبّاس ، قال وكان لا يجترىء عليه مع ما يعرفه به من اصطناع مَسْلمة إيّاه ، وكثرة مديحه لبني مروان حتى علِم أنّه قد عفا عمّن هو أكبرُ محَلاً من القومِ وأَعظم جرماً منه . فلمّا وقف بين يديه سلَّم عليه ، ودَعا له وأثنى ، ثم استأذنه في الإنشادِ ، فقال له : ومَن أَنتَ ؟ قال : عبدك يا أميرَ المؤمنين أبو نُخيلة الحِمّانيّ . فقال : لا حيّاكَ اللّهُ ، ولا قرَّب دارَكَ يا نضْو السوء . ألستَ القائل في مَسْلمةَ بنِ عبد الملكِ بالأمس : [من الطويل]

أَمَسْلَم يــا مــن سادَ كلَّ خليفةٍ ويا فارسَ الهيجا ويا قمرَ الأرضِ ؟

واللهِ لولا أنّي قد أمّنت نظراءك لما ارتدّ إليك طرفك حتى أخضِبَك بدمِك . فقال أَبو نُخيلة : [من الرجز]

كنّا أُناساً نرهب الأَملاكا

وذكر الأَبيات المتقدّمة كلَّها مثل ما مضى من ذكرها . فتبسّم أَبو العبّاس ، ثم قال له : أَنت شاعر وطالب خير ؛ وما زال النّاس يمدحون الملوك في دولهم ، والتوبة تكفرُ الخطيئةَ ، والظّفرُ يزيلُ الحقدَ . وقد عفَونا عنك ، واستأنفنا الصنيعة لك . وأنتَ الآن شاعرنا فاتَّسِم بذلك فيزولَ عنك مِيسم بني مروان ، فقد كفّر هذا ذاك ، كما قلت . ثم التفت إلى أَبي الخصيب فقال : يا مرزوق ، أدخله دار الرقيق فخيِّره جارية يأخذها لنفسه . ففعل واختار جاريةً وطفاءَ[1] كثيرةَ اللحمِ فلم يحمدْها ، فلمّا كان من غد دخل على أبي العبّاس وعلى رأسه وصيفة حسناء تذبّ عنه ، فقال له : قد عرفتُ خبر الجارية التي أخذتَها بالأمس وهي

1 الوطفاء : الكثيرة شعر الحاجبين .

كذناكونه فاحتفظ بها ، فأنشأ يقول : [من الرجز]

إنّـي وجـدتُ الكذناذَنُوّكا غيرَ مَنيـك فابغنـي مُنَيّكا

حتـى إذا حركتُـه تَحَرَّكا

فضحك أبو العبّاس ، وقال : خُذ هذه الوصيفة ، فإنّك إذا خلوتَ بها تَحرّك من غير أن تحرّكه .

[هرب من دين باليمامة]

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخزاعيّ قال : حدَّثنا أبو غسان دَماذ عن أبي عُبيدة قال : ادّان أبو نُخيلة من بقّال له يقال له : ماعزٌ الكلابيُّ باليمامة ، وكان يأخذ منه أوّلاً أوّلاً ، حتى كثر ما عليه وثقل ، فطالبه ماعز فمطلَه ، ثم بلغه أنّه قد استعدى عليه عامل اليمامة ، فارتحل يريد الموصل ، وخرج عن اليمامة ليلاً ، فلم يعلم به ماعز إلاّ بعد ثلاث . وقد نجا أبو نُخَيلة وقال في ذلك : [من الرجز]

يا ماعزَ الكُرّاثِ قـد خزيتـا لقـد خدعت ولقـد هجيتا

كِـدتَ تَخصينا فقد خُصيتا وكنتَ ذا حظّ فقـد مُحيتا

ويحَـكَ لم تعلمْ بمَـن صُليتا ولا بـأيّ حَجَـر رُميتـا

إذا رأيـت المُزبـدَ الهَبوتـا يركب شِدْقاً شَدْقماً هَريتا[1]

طِـرْ بجناحيـك فقـد أُتيتا حَـرّان حـرّان فهيتاً هِيتا

والموصلَ الموصلَ أو تَكْريتـا حيـثُ تبيع النَبـطُ البيوتا[2]

ويأكلـونَ العـدَسَ المَـريتا[3]

وقال أيضاً لماعز هذا : [من الرجز]

يـا ماعـزَ القَمل وبَيتَ الذّلّ بِتْنا وباتَ البغـل في الإصطبلِ

وبـاتَ شيطانُ القوافي يُمْلي على امرىء فَحْلٍ وغيرُ فحلِ

لا خيرَ في عِلمي ولا في جهلي لو كان أُودَى ماعـز بنخلي

مـا زال يَقلِيني وعَيْمي يغلي حتى إذا العَيم رمَى بالجفلِ[4]

---

1 الهبوت : القاهر . الشدقم : الواسع وكذلك الهريت .

2 حران وهيت وتكريت : أسماء مدن .

3 المريت : المجروش .

4 العيم : شدّة العطش وشهوة اللبن . وفي بيروت : وعمّ يقلي . والجفل : الجرف والقشر . ومعناه أن الغضب جعله يقلي ويرمي بالقبيح .

طبّقــت تطبيق الجُراز النصلِ[1]

[يمدح الربيع وسائسه]

نسخت من كتاب اليوسفيّ . حدَّثني المنمقُ بن جمّاع عن أَبيه قال : كان أَبو نُخَيلة نَذلاً يرضيه القليل ، ويسخطه ، وكان الربيع يُنزله عنده ، ويأمر سائساً يتفقّد فرسه ، فمدح الربيع بأرجوزة ، ومدح فيها معه سائسه فقال : [من الرجز]

لولا أَبو الفضل ولولا فضلُه ما اسْطِيع باب لا يُسنّى قُفْلُهُ

ومـــن صلاح راشد إصطبلُه نِعـمَ الفتى وخيرُ فعــل فعلُهُ

يَسْمَن منــه طِرفــه وبغلُهُ

فضحك الربيع ، وقال : يا أَبا نُخَيلة أَترضى أَن تَقرِنَ بي السائس في مديح ؟ كأنّك لو لم تمدحه معي كان يضيع فرسك .

[يمدح الخباز]

قال : ونزل أَبو نُخَيلة بسليمان بن صعصعةَ ، فأَمر غلامه بتعهّده ، وكان يغاديه ويراوحه في كلِّ يوم بالخبز واللحم ، فقال أبو نخيلة يمدح خبّاز سُليمانَ بنِ صعصعة : [من الرجز]

بــارَك ربِّــي فيكَ من خبّازِ ما زلت إذ كنتَ على أُوفازِ[2]

تنصبُّ باللحمِ انصباب البازِ

[شعره وقد رأى اجتهاد العمّال في أرض له]

أُخبرني هاشم بنُ محمّدٍ الخزاعيُّ قال : حدَّثنا عيسى بن إسماعيل تِينةُ قال : حدَّثنا أَحمدُ بنُ المعذَّل عن عليّ بن أبي نُخَيلة الحِمانيّ قال : دخلتُ مع أَبي إلى أرض له وقد قدِم من مكّة ، فرآها وقد أضرَّ بها جفاء القيِّم عليها وتهاونه بها ، وكلّما رآه الذين يسقونها زادوا في العمل والعِمارة حتى سمعتُ نقيضَ الليف ، فقلت : الساعةَ يقول في هذا شعراً ، فلم أَلبث أن التفت إليّ وقال : [من الطويل]

شاهـــد مـــالاً رَبُّ مـــالٍ فساسَهُ سياسة شهم حـــازم وابـــن حازمِ

أَقامَ بها العصْرينِ حينــاً ولم يكن كمَن ضنَّ عن عُمرانهـا بالدّراهمِ

كأَنَّ نقيضَ الليــفِ عـــن سعفاته نقيضُ رحـال المَيسِ فوق العياهمِ[3]

---

1 الجراز : السّيف القاطع .

2 على أوفاز : معجل . والوفز : المكان المرتفع .

3 نقيض الرحال : صوتها ، والميس : التبختر . العياهم : جمع عيهم ، وهو الناقة الشديدة السريعة .

وأضحتْ تغالى بالنباتِ كأنّها  على متنِ شيخ من شيوخ الأعاجمِ[1]
وما الأصل ما روّيتَ مضرب عِرقه  من الماء عن إصلاح فرع بنائمِ

أخبرني بهذا الخبر محمدُ بنُ مزيد عن أبي الأزهر البُوشَنجيّ قال : حدَّثنا حمّادُ بنُ إسحاق الموصليُّ عن النضر بن حديد عن أبي محضة عن الأزرق بن الخميس[2] بن أرطاة ، وهو ابن أُخت أبي نُخيلة ، فذكر قريباً مِمّا ذكِر في الخبر الذي قبله .

[يهجو ويمدح]

وأخبرني عيسى بن الحسن الورّاق المَرْوَزيُّ قال : حدَّثنا عليُّ بنُ محمد النَّوفليّ قال : حدَّثني أبي قال[3] : ابتاع أبو نُخَيلة داراً في بني حِمّان ليصحّح بها نسبَه ، وسأل في بنائها ، فأعطاه النّاسُ اتّقاء للسانه وشرّه ، فسأل شبيب بن شبة فلم يعطِه شيئاً واعتذر إليه ، فقال : [من الرجز]

يا قومِ لا تسوّدوا شبيباً  المَلَذانَ الخائنَ الكذوبا
هل تلدَ الذِّيبةُ إلاّ الذيبا

فقال شبيبُ : ما كنت لأعطيه على هذا القول شيئاً ، فإنّه قد جعل إحدى يديه سطحاً ، وملأ الأُخرى سلحاً ، وقال : مَن وضع شيئاً في سطحي وإلاّ ملأته بسلحي ، من أجل دار يريد أَن يصحّح نسبه بها ، فسفر بينهما مشايخ الحيّ حتى يعطيَه ، فأبى شبيبٌ أن يعطيه شيئاً ، وحلف أبو نُخَيلة ألاّ يكفّ عن عِرضه أو يأخذَ منه شيئاً يستعين به . فلمّا رأى شبيب ذلك خافه ، فبعث إليه بما سأل . وغدا أبو نُخيلة عليه وهو جالس في مجلسِه مع قومه ، فوقف عليهم ، ثم أنشأ يقول : [من الرجز]

إذا غدَتْ سعدٌ على شبيبها  على فتاها وعلى خطيبِها
مِن مطلعِ الشمسِ إلى مغيبِها  عجبْتُ من كثرتِها وطيبِها

[حكاية انتحاله أرجوزة مرّة أخرى]

أخبرني محمدُ بنُ الحسنِ بن دُرَيد قال : حدَّثنا أبو حاتم عن أبي عُبيدة قال : دخَلَ أبو نُخَيلة على عُمَر بنِ هبَيْرة ، وعنده رؤبة قد قام من مجلسه فاضطجع خلف ستر ، فأنشد أبو نُخيلة مديحه له ، ثم قال ابن هبيرة : يا أبا نُخيلة ، أيَّ شيء أحدثتَ بعدنا ؟ فاندفع يُنشده أرجوزة لرؤبة ، فلمّا توسّطها كشف رؤبة الستر ، وأخرج رأسه من تحته ، فقال له : كيف أنتَ يا أبا نُخَيلة ؟ فقطع إنشاده وقال : بخير أبا العجّاج ، فمعذرة إليك ما علمتُ بمكانَك .

---

1 تغالى : ترفع إلى أقصى الغاية كما يغالى بالسهم .

2 ل : مخيس .

3 تقدّم خبر هجائه ومدحه شبيباً لمناسبة غير هذه .

فقال له رؤبةُ : ألم ننهك أن تعرض لشعري إذا كنتُ حاضراً ، فإذا ما غبتُ فشأنك به ! فضحك أبو نُخيلة ، وقال : هل أنا إلاّ حسنة من حسناتك ، وتابعٌ لك ، وحامل عنك . فعاد رؤبة إلى موضعه فاضطجع ، ولم يراجعه حرفاً . والله أعلم .

[يريد صلة على المديح وأخرى على الشبه]

أخبرني هاشم بنُ محمد قال : حدَّثنا دَماذُ عن أبي عبيدة : أنّ أبا نُخَيلة قدِم على المهاجِر بن عبد الله الكِلابيّ ، وكان أبو نُخيلة أشبه خلق الله به وجهاً وجِسماً وقامة ، لا يكاد الناظر إلى أحدهما أن يفرّق بينه وبين الآخر ، فدخل عليه فأنشده قوله فيه : [من الرجز]

يـا دارَ أمّ مالك ألا اسلمي — على التنائيّ من مُقام وانعَمي
كيف أنا إنْ أنتِ لم تَكلّمي — بالوحْي أو كيف بأن تجمجمي
تقـولُ لي بنتي مـلامَ اللُّوَّم — يـا أبتـا إنّـك يوماً مؤتمي
فقلت كلاّ فاعلمي ثم اعلمي — أنّـي لِميقات كتـاب محكَم
لو كنتُ في ظلمة شَعب مظلم — أو في السماءِ أرتقـي بسلَّم
لانصبَّ مقداري إلى مُجْرَنْثَمي — إنّي وربّ الراقصاتِ الرسَّم[1]
وربِّ حـوض زمزم وزمزم — لأستبين الخيرَ عنـد مَقدَمي[2]
وعنـد تَرحاليَ عـن مُخيَّمي — عَلى ابنِ عبد الله قَرْمِ الأقرمِ
فإنَّنـي بالعِلـمِ ذو ترسُّم — لم أدرِ مـا مهاجِـرُ التكرّمِ
حتى تبيّنت قضايـا الغشّم — مُهاجِرُ يـا ذا النّوالِ الخِضرِمِ
أنتَ إذا انتُجعتَ خيرُ مُغْنِـم — مُشترَك النائـل جـمُّ الأنعُمِ
ولِتَميمٍ منـك خيرٍ مُقْسَم — إذا التقوا شتـى معـاً كالهُيَّمِ
قـد عَلِـم الشام وكلُّ موسم — أنّـكَ تحلو لي كحلو المعجَمِ
طوراً وطوراً أنتَ مثلَ العلقمِ

قال ، فأمر له المهاجر بناقة ، فتركها ومضى مغضباً ، وقال يهجوه : [من الرجز]

إنّ الكلابـيّ اللئيـم الأثرما — أعطى على المِدْحَةِ نابا عِرْزِما[3]
مـا جبرَ العظـم ولكن تمّما

1 مجرنثمي : مستقري ، واجرنثم : سقط من علو إلى أسفل .
2 لأستبين في ل : لآتينّ الخير .
3 الناب العرزم : التي هزلها الكبر . وعلى المدحة في ل : على مدحيه .

فبلغ ذلك المهاجرُ ، فبعث فترضّاه ، وقام في أمره بما يحبّ ، ووصله ، فقال له أبو نُخَيلة : هذه صلة المديح ، فأين صلة الشَّبَه ؟ فإنّ التشابه في النّاس نسبٌ . فوصله حتى أرضاه ، فلم يزلْ يمدحه بعد ذلك حتى مات ، ورثاه بعد وفاته فقال : [من الطويل]

خليليّ ما لي باليمامةِ مقعدٌ ولا قُرّةٌ للعينِ بعد المهاجرِ

مضى ما مضى من صالح العيش فاربعا على ابنِ سبيل مزمِع البيْنِ عابرِ

فإن تكُ في مَلحودة يا ابنَ وائلٍ فقد كنتَ زينَ الوفدِ زينَ المنابرِ

وقد كنتَ لولا سَلُّك السيف لم ينَم مقيم ولم تأمنْ سبيلُ المسافرِ

لَعَزَّ على الحيَّين قيسٍ وخِندفٍ تَبكّي عليٌّ والوليد وجابرِ

هوى قمرٌ من بينهم فكأنّما هوى البدر من بين النجوم الزواهرِ

[خاصمته أخته فهجاها]

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخزاعيّ قال : حدَّثنا دَماذُ عن أبي عبيدة قال : تزوَّجَت أخت أبي نُخيلة برجل يقال له ميار ، وكان أبو نخيلة يقوم بمالِها مع مالِه ، ويرعى سَوامها مع سَوامه ، ويستبدّ عليها بأكثر منافعها ، فخاصمته يوماً من وراء خدرها في ذلك . فأنشأ يقول : [من الرجز]

أظلُّ أرعى وتُراهِزينا مُلَملَما ترى له غضونا[1]

ذا أُبَنٍ مقوماً عُثنونا يطعنُ طعناً يقضبُ الوتينا[2]

ويهتك الأعفاجَ والرُّبينا يذهب ميّار وتقعدينا[3]

وتفسدين أو تُبَذِّرينا وتمنحين استك آخرينا

أَيرُ الحمارِ في استِ هذا دينا

[ولدت امرأته بنتاً فطلّقها ثم راجعها]

أخبرني هاشم بنُ محمد الخزاعيُّ قال : حدَّثنا دَماذ عن أبي عبيدة قال : تزوّج أبو نُخيلة امرأة من عشيرته ، فولدت له بنتاً ، فغمّه ذلك ، فطلّقها تطليقة ثم ندِم ، وعاتبه قومه فراجعها . فبينما هو في بيته يوماً إذ سمع صوت ابنته وأُمُّها تلاعبها ، فحرّكه ذلك ورَقَّ لها ، فقام إليها فأخذها ، وجعل ينزيها ويقول : [من الرجز]

يا بنتَ مَن لم يَكُ يهوى بنتا ما كنتِ إلاّ خمسة أو ستا

---

1 ململم : مجتمع مدور .

2 أبن : عقد كالتي في العود . والوتين : عرق في القلب .

3 والرُّبينا في ل : الرئينا .

حتى حللتِ في الحشى وحتى فَتَتِّ قلبي مِنْ جوًى فانفتّا[1]
لأنتَ خيرٌ من غلامٍ أنتى يُصبح مخموراً ويمسي سَبتا[2]

[أحبّ النساء]

أخبرني جعفرُ بنُ قُدامةَ قال : حدَّثني هارونُ بنُ محمدِ بنِ عبد الملك الزيّاتُ قال : حدَّثنا أبو هِفان قال : حدَّثني أصحابنا الأهتميّون قالوا : دخل عِقال بنُ شَبّة المجاشعيّ على المهديّ فقال له : يا أبا الشَّيظم ، ما بقى من حبك بناتِ آدم ؟ وما يعجبك منهنّ ؟ التي عُصِبت عَصْب الجانّ[3] ، وجُدِلَت جَدْل العنان ، واهتزّتِ اهتزاز البان ، أم التي بَدُنت فعظمت وكمَلت فتمّت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين أحبُّهما إليَّ التي وصفها أبو نُخيلة ، فإنّه كانت له جاريةٌ صغيرةٌ وهبَها له عَمُّك أبو العبّاس السفاح ، فكان إذا غشيها صغرت عنه ، وقلَّتْ تحته ، فقال : [من الرجز]

إنّي وجدتُ الكذناذَنوّكا غيرَ منيك فابغني منيِّكا
شيئاً إذا حرّكته تحرّكا

قال ، فوهب له المهديّ جارية كاملة فائقة متأدّبة بديعة ، فلمّا أُصبح عِقال غدا على المهديّ متشكّراً ، فخرج المهديّ وفي يده مُشط يُسرّح به لحيته وهو يضحك . فدَعا له عِقال وقال له : يا أمير المؤمنين مِمَّ تضحك ؟ أدام اللهُ سرورك . قال : يا أبا الشيظم ، إنّي اغتسلت آنفاً من شيء إذا حرّكته تحرّك ، وذكرتُ قولك الآن لمّا رأيتك ، فضحكت .

[رثاء الجنيد المرّي]

أخبرني محمدُ بنُ جعفرٍ النحويُّ صهرُ المبرِّد قال : حدَّثني أحمدُ بنُ القاسم العجليّ البرتيُّ قال : حدَّثني أبو هفّان قال : حدَّثتني رقيةُ بنت حَمَل عَن أبيها قالت : كان أبو نُخيلة مدّاحاً للجنيدِ بن عبد الرحمن المريِّ ، وكان الجنيدُ له محبّاً ، يكثر رفده ويقرّب مجلسه ، ويحسن إليه . فلمّا مات الجنيد قال أبو نُخيلة يرثيه : [من الطويل]

لعمري لئن رَكبُ الجنيد تحملوا إلى الشام من مرٍّ وراحَت ركائبُهْ[4]
لقد غادرَ الركبُ الشآمون خلفهم فتى غطفانيّاً يُعلل جانبُهْ

---

1 ل : فتت في القلب جوى فانفتا .
2 أنتى : تأخّر . السبت : النوّام .
3 الجان : ضرب من الحيات .
4 ركائبه في ل : كتائبه .

فتـــى كان يسري للعدوّ كأنّما ... سُروب القطا في كلِّ يوم كتائبُهْ[1]

وكان كأن البـــدرَ تحـــت لوائـــه ... إذا راحَ في جيشٍ وراحَتْ عصائبُهْ

[حبه لابنه علي]

أخبرنا محمدُ بنُ جعفرٍ قال : حدَّثني أَحمدُ بنُ القاسم قـال : حدَّثنـي أَبو هِفّانَ عن عبدِ الله بنِ داودَ عن عليٍّ بن أبي نُخيلة ، قال : كان أَبي شديد الرقة عليَّ معجباً بي ، فكان إذا أكل خصّني بأطيب الطعام ، وإذا نام أضجعني إلى جنبه ، فغاظ ذلك امرأته أُمَّ حمّاد الحنفيةَ ، فجعلت تعذُله وتؤنبه ، وتقول : قد أَقمتَ في منزلك ، وعكفتَ على هذا الصبيّ ، وتركت الطلب لولدك وعيالك . فقال أَبي في ذلك : [من الوافر]

ولـــولا شهوتـــي شَفَتَيْ عليٍّ ... رَبعتُ على الصحابةِ والركابِ

ولكـــنّ الوسائـــلَ مـــن عليٍّ ... خلَصنَ إلى الفؤادِ من الحجابِ

قال ، فازدادت غضباً ، فقال لها :

وليس كأُمّ حمّـــاد خليـــلٌ ... إذا ما الأمرُ جلَّ عن الخطابِ

منعمـــةً أُرى فتقـــرّ عينـــي ... وتكفيني خلائقُهـــا عتـــابي

فرضيت وأَمسكت عنّا .

[لولا أبان هلكت نمير]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني هارونُ بنُ محمدِ بن عبد الملك قال حدَّثني سهلُ بنُ زكريا قال : حدَّثني عبدُ الله بنُ أحمدَ الباهليُّ قال : قال أَبان بنُ عبدِ الله النميري يوماً لجلسائه ، وفيهم أبو نُخيلة : واللهِ لَوددتُ أنّه قيل فيّ ما قيل في جرير بن عبد الله : [من الرجز]

لولا جريـــرٌ هَلَكَتْ بجيلَهْ ... نِعمَ الفتى وبئست القبيلَهْ

وأَنـّني أُثبت على ذلك مالي كلّه ، فقال له أبو نُخيلة : هلُم الثواب ، فقد حضرني من ذلك ما تريد ، فأمر له بدراهم : فقال : اسمع يا طالب ما يخزيه : [من الرجز]

لـــولا أَبانٌ هلكت نُمَيرُ ... نعم الفتى وليس فيهم خَيرُ

[لا يؤذن له على أبي جعفر]

أَخبرني محمدُ بنُ عِمران الصيرفيُّ قال : حدَّثنا الحسنُ بنَ عُليل العنَزيُّ قال : حدَّثنا سَلَمةُ بنُ خالدٍ المازنيُّ عن أبي عبيدة قال : وقف أبو نُخيلة على باب أبي جعفر واستأذن ، فلم يصلْ ، وجعلت الخراسانيّة تَدخل وتخرج ، فتهْزأُ به ، فيرون شيخاً أعرابيّاً جِلفاً فيعبثون به ، فقال له رجل عرفه : كيف أنت أبا نُخيلة ؟ فأنشأ يقول : [من الرجز]

---

1 سُروب في ل : عجاج القطا .

أصبحتُ لا يملكُ بعضي بعضاً أشكو العُروق الآبضات أبضا[1]
كما تَشكّى الأرحبيُّ الغرْضا كأنّما كان شبابي قَرضا[2]

فقال له الرجل: وكيف ترى ما أنت فيه في هذه الدولة؟ فقال: [من الرجز]

أَكثرُ خلق اللهِ مَن لا يُدرى مِن أيّ خلق الله حين يُلقى
وحُلّةٌ تُنشرُ ثم تُطوى وطيلسانٌ يُشتَرى فيُغْلى
لعبدِ عبدٍ أو لمولى مولى يا ويحَ بيتِ المالِ ماذا يَلقى

[هبات أبان بن الوليد]

وبهذا الإسناد عن أبي عبيدة أنّ أبا نُخيلة قدِم عَلى أبانِ بنِ الوليد فامتدحه، فكساه ووهب له جارية جميلة، فخرج يوماً من عنده، فلقيَه رجل من قومه، فقيل له: كيف وجدتَ أبانَ بن الوليد يا أبا نُخيلة؟ فقال: [من الرجز]

أَكثرَ واللهِ أبانٌ مَيْري ومن أبانِ الخيرِ كلُّ خيري
ثوبٌ لِجِلدي وحِرٌ لأيري

[العسل والماء البارد دواء التخمة]

نسخت من كتاب اليوسفيّ حدَّثني خالدُ بن حميدٍ عن أبي عمرٍو الشيبانيِّ قال: أَقحمت السنَة أبا نُخَيلة فأتى القعقاع بن ضِرار، وهو يومئذٍ على شُرطة الكوفة، فمدحه، وأنزله القعقاعُ بن ضِرار وابنَيه وعبدَيه وركابَهم في دار، وأقام لهم الأنزال، ولِركابهم العُلوفَة. وكان طباخ القعقاع يجيئُهم في كلِّ يوم بأربع قصاع، فيها ألوان مطبوخة من لحوم الغنم، ويأتيهم بتَمر وزُبد. فقال له يوماً القعقاع: كيف منزلك أبا نُخيلة، فقال: [من الرجز]

ما زال عنّا قَصَعاتٌ أَربعُ شَهرين دَأْبا ذُوّد ورجعُ
عَبداي وابناي وشيخٌ يرفعُ كما يقومُ الجَملُ المطبَّعُ[3]

قال: وكان أبو نُخيلة يكثر الأَكل فأصابته تُخَمَة، فدخل على القعْقاع فسأله: كيف أَصبحت أبا نخيلة؟ فقال: أصبحتُ واللهِ بشماً، أمرْتَ خبازك فأتاني بهذا الرّقاق الذي كأنّه الثياب المبلولة، قد غمسه في الشحم غمساً، وأتبعه بزبد كرأس النعجةِ الخُرْسيّة، وتمرٍ كأنّه عَنز رابضة، إذا أخذْتُ التمرة من موضعها تَبِعها من الرُّبِّ كالسلوك الممدودة؛

1 الآبضات: المتقبضة.

2 الأرحبي: النجيب، نسبة إلى قبيلة أرحب. الغرض: حزام الرحل.

3 الجمل المطبع: المثقل بالحمل.

فأمعنت في ذلك ، وأعجبني حتى بَشِمتُ ، فهل من أقداح جياد ؟ وبين يدي القعقاع حجّام واقف وسُفرةٌ موضوعة فيها المواسي ، فإذا أُتي بِشُرّاب النبيذ حلقَ رؤوسهم ولحاهم . فقال له القعقاع : أتطلب منّي النبيذ وأنتَ ترى ما أَصنع بِشرابه ؟ عليك بالعسل والماء البارد ، فوثب ثم قال : [من الرجز]

قـد علِمَ المظَـلّ والمبيتُ ... أنِّي مِن القعقاع فيما شِيتُ
إذا أَتـتْ مائـدةٌ أُتيـتُ ... بِبِـدَع لست بهـا غُذِيتُ
وُلِّيتُ فاستشفِعتُ واستُعدِيتُ ... كأنّنـي كنـت الذي وُلِّيتُ
ولـو تمنيـتُ الذي أعطيتُ ... ما ازددتُ شيئاً فوق ما لقيتُ
أَيا ابـن بيتٍ دونَه البيوتُ ... أَقصرْ فقد فوق القِرى قُريتُ
مـا بين شرابي عسلٌ منعوتُ ... ولا فُـرات صَـرِد بيّوتُ[1]
لكنّني في النـومِ قـد أُريتُ ... رطـلَ نبيذ مُخفِس سُقيتُ[2]
صلبـاً إذا جاذبتـه رويتُ

فغمزه على إسماعيل ابن أخيه ، وأوْمأ إلى إسماعيل ، فأخذ بيده ومضى به إلى منزله ، فسقاه حتى صلح .

[يمدح السفاح ويغضب الجالسين]

أَخبرني هاشمُ بنُ محمدٍ الخُزاعيُّ قال : حدَّثنا قَعنبُ بنُ المحرزِ وأَبو عمرٍو الباهليُّ قالا : حدَّثنا الأصمعيّ قال : دخل أبو نُخَيلة على أبي العبّاس السفاح ، وعنده أبو صفوانَ إسحاقُ بنُ مسلمٍ العُقيليُّ ، فأنشده قوله : [من الرجز]

صادتْك يـومَ الرملتين شَعْفَرُ ... وقـد يصيدُ القانصَ المزعفَرُ[3]
يـا صورةً حسّنهـا المصوّر ... لِلرِّيم منها جيدُهـا والمَحجَرُ

يقول فيها في مدح أبي العبّاس :

حتى إذا ما الأوصياءُ عسكروا ... وقام مِـن تِبر النبيّ الجوهرُ
ومِن بنـي العبّاس نَبع أُصفر ... ينميـه فـرعٌ طيّب وعنصرُ

---

1 الصرد : الخالص . والبيّوت : البارد .
2 مخفس : سريع المفعول .
3 شعفر : اسم امرأة .

أَقبــلَ بالنّاسِ الهوى المستبهِر — وصاح في الليــلِ نهــار أنورُ
أَنــا الذي لو قيل إنّي أَشعرُ — جلّى الضبابَ الرجز المخبِّرُ[1]
لّما مضت لي أَشهر وأَشهر — قلــت لنفس تُزدَهــى فتصبرُ
لا يستخفنَّك ركــب يَصدرُ — لا مُنجــد يَمضي ولا مُغوِّرُ
وحالفي الأنبار فهــي المحشرُ — أَو يسمعَ الخليفــةُ المطهَّرُ
مِنّي فإنّــي كلَّ جنح أُحضر — وإن بالأنبــارِ غيثــاً يهمُرُ
والغيثُ يُرجى والديارُ تنضُرُ — مــا كان إلاّ أَن أَتاها العسكرُ
حتى زهاهــا مسجــد ومِنبر — لم يبقَ من مــروانَ عين تنظرُ
لا غائــبٌ ولا أنــاس حُضّر — هيهــاتَ أُودى المنعم المعقرُ
وأَمست الأنبــارُ داراً تُعمَــر — وخرِبــتْ مـــن الشآم أَدوُرُ
حِمصٌ وبــابُ التّبن والموقَّر — ودمّــرت بعــد امتناعٍ تدمرُ
وواسطٌ لم يبـــقَ إلاّ القرقر — منها وإلاّ الديربان الأخضرُ[2]

(ومنها) :

أَين أَبو الورد وأَين الكوثرُ

أَبو الورد هذيل بن زفر ، وكوثر بن الأسود صاحب شرطة مروان .

وأَين مروانُ وأَين الأشقرُ — وأَين فَــلّ لم يَفُت محيّرُ
وأَين عاديّكــم المُجَمْهَر — وعامرٌ وعامـــر وأعصُرُ

قال : يعني عامرَ بنَ صعصعةَ ، وعامرَ بنَ ربيعة ، وأَعصُرَ باهلةَ وغنيٍّ ، قال : فغضب إسحاق بن مسلم ، وقال : هؤلاء كلّهم في حِرِ أمّك أَبا نُخيلة . فأنكر الخليفة عليه ذلك ، فقال : إنّي والله يا أمير المؤمنين قد سمعت منه فيكم شرّاً من هذا في مجالس بني مروان . وما لَه عهد ، وما هو بوفيّ ولا كريم . فبان ذلك في وجه أَبي العبّاس ، وقال له قولاً ضعيفاً : إنّ التوبةَ تغسل الحَوْبَةَ ، والحسناتِ يذهبنَ السيئاتِ ، وهذا شاعرُ بني هاشم . وقام فدخل ، وانصرف النّاس ، ولم يعطِ أَبا نُخيلة شيئاً .

---

1 المخبّر في ل : المحبر .

2 القرقر : النواحي الظاهرة من البلد . والديربان : دير أبان من قرى غوطة دمشق وواسط : لعلّه يقصد بلدة بالجزيرة ، فجميع البلدان التي ذكرها في بلاد الشام .

[شعره في تولية المهدي]

وأخبرني أَحمد بنُ عُبيد الله بنِ عمار الثقفيُّ حدَّثنا عليُّ بنُ محمدِ بنِ سليمانَ النّوفليُّ قال: حدَّثني أبي عن عبدِ الله بن أبي سُلَيم مولى عبد الله بنِ الحارث قال: بينا أنا أسيرُ مع أبي الفضل يَعني، سُليمانَ بنَ عبد الله، وحدي بين الحِيرةِ والكوفة، وهو يريدُ المنصورَ، وقد همَّ بتولية المهديّ العهدَ وخلْعِ عيسى بن موسى، وهو يَرُوض ذلك، إذا هو بأبي نُخَيلة الشاعرِ، ومعه ابنان له وعبد، وهم يحملون متاعه. فقال له: يا أَبا نُخَيلة، ما هذا الذي أَرى؟ قال: كنت نازلاً على القعقاع بنِ معبَد أحدِ ولَد معبَد بن زُرارة، فقلت شعراً فيما عزم عليه أمير المؤمنين من تولية المهديّ العهدَ ونزعِ عيسى بنِ موسى، فسألني التحوّل عنه، لئلاّ ينالَه مكروه من عيسى إذ كان صنيعته. فقال سليمان: يا عبدَ الله، اذهبْ بأَبي نُخَيلة فأنزِله منزلا وأحسِنْ نُزُله وبِرّه، ففعلت. ودخل سليمانُ إلى المنصور فأخبره الخبر، فلمّا كان يوم البَيعة جاء بأبي نُخَيلة فأدخله على المنصور، فقام فأنشد الشعر على رؤوس الناس، وهي قصيدته التي يقول فيها: [من الرجز]

بَـل يـا أُمينَ الواحدِ الموحَّدِ ... إنّ الذي ولاّكَ ربُّ المسجدِ
ليس وليّ عهدنـا بالأَسعدِ ... عيسى فزحلفهـا إلى محمـدِ
من عند عيسى معهداً عن معهد ... حتـى تُـؤدَّى مـن يدٍ إلى يدِ

قال: فأَعطاه المنصور عشرة آلاف درهم، قال: وبايع لمحمد بالعهد، فانصرف عيسى بن موسى إلى منزله. قال: فحدَّثني داودُ بنُ عيسى بنِ موسى قال: جمعَنا أَبي فقال: يا بَنيّ، قد رأيتم ما جرى، فأيُّما أحبُّ إليكم: أن يقال لكم: يا بَني المخلوع، أَو يقال لكم: يا بني المفقود؟ فقلنا: لا، بل يا بَني المخلوع. فقال: وُفّقتم بَنيّ. وأوّل هذه الأرجوزة التي هذه الأبيات منها: [من الرجز]

لم يُنسنى يـا ابنةَ آل معبَدِ ... ذكراكِ تكـرارُ الليالي العُوّدِ
ولا ذواتُ العَصَب المـوَّرد ... ولـو طَلَبْنَ الـوُدّ بالتودّدِ[1]
ورُحنَ في الدُّرّ وفي الزبرجدِ ... هيهاتَ منهنّ وإن لم تَعهدي
نَجديّةٌ ذاتُ مَعـانٍ منجـد ... كأنّ ريّاهـا بُعَيـد المَرقَدِ[2]

1 العصب: نوع من البرود.

2 معان: منزل.

ريّا الخُزامى في ثَرًى جَعْدٍ ندي ... كيفَ التصابي فِعلَ من لم يهتدِ
وقد علَتْني ذرأة بادي بَدِي ... وَرْثيـةٌ تنهـض في تشدّدي[1]
بعدَ انتهاضي في الشبابِ الأملدِ

يقول فيها : [من الرجز]

إلى أميرِ المؤمنـينَ فاعمِـد ... إلى الذي يُندي ولا يَندَى نَدي
سيري إلى بحـرِ البحارِ المزْبد ... إلى الذي إن نفِدت لم ينفَدِ
أو ثَمَّدَتْ أَشراعها لم يَثمِدِ[2]

ويقول في ذكر البيعة لمحمد بعد الأبيات التي مضت في صدر الخبر :

فقـد رضينا بالغـلامِ الأمردِ ... وقـد فَرغنـا غير أن لم نشهدِ
وغيرَ أنّ العَقـد لم يؤكَـد ... فلـو سمعنا قولكَ امدُدِ امدُدِ
كانت لنا كزعقة الوِرد الصدي ... فنـادِ للبيعة جمعـاً نَحشُدِ[3]
في يومنا الحاضر هـذا أو غـدِ ... واصنعْ كما شئـتَ ورُدّ يُردَدِ
وَرِدَّه منـك رداء يرتـدِ ... فهـو رِداء السابـق المقلَّدِ
وكان يروى أنّهـا كأن قـد ... عادت ولو قد نقِلَت لم تُرددِ
أقول في ذكرى أحاديثَ الغدِ ... للهِ دَري مـن أخٍ ومنشدِ
لو نلتُ حظّ الحبشيِّ الأسودِ

يعني أبا دُلامة .

[خبر آخر عن أرجوزة العهد للمهدي]

فأخبرني عبدُ الله بنُ محمدٍ الرازيُّ قال : حدَّثنا أحمدُ بنُ الحارثِ قال : حدَّثنا المدائنيُّ ، أنّ أبا نُخيلة أظهر هذه القصيدة التي رواها الخدم والخاصة ، وتناشدتها العامة . فبلغت المنصور فدعا به ، وعيسى بن موسى عنده جالس عن يمينه ، فأنشده إيّاها ، وأنصت له حتى سمعها إلى آخرها . قال أبو نخيلة : فجعلتُ أرى فيه السرور ، ثم قال لعيسى بن موسى : ولئن كان هذا عن رأيك لقد سررتَ عمّك ، وبلغتَ من مرضاته أقصى ما يبلغه الولد البار السارّ . فقال

1 الذرأة : الشيب في ابتدائه .
2 ثمدت أشراعها : نزفت مواردها .
3 كزعقة في ل : كدعكة . والورد : القوم يردون الماء .

عيسى : لقد ضلَلتُ إذاً وما أنا من المهتدين . قال : أبو نخيلة : فلما خرجتُ لحِقَني عِقالُ بنُ شبّة فقال : أمّا أنت فقد سررتَ أميرَ المؤمنين ، ولئن تمَّ الأمرُ فلعمري لتصيبنّ خيراً ، ولئن لم يَتم فابتغِ نَفقاً في الأرض ، أو سُلَّماً في السماء . فقلت له :

عَلِقت معالقَها وصرّ الجندُب[1]

[خبر ثالث عن هذه الأرجوزة]

قال المدائنيّ : وحدَّثني بعض موالي المنصور قال : لمّا أراد المنصور أن يعقِد للمهديّ أحبّ أن تقول الشعراء في ذلك ، فحدَّثني عبدُ الجبّار بنُ عُبيد الله الحِمانيّ قال : حدَّثني أبو نُخيلة قال : قدمتُ على أبي جعفر ، فأقمتُ ببابه شهراً لا أصلُ إليه ، فقال لي عبدُ الله بنُ الربيع الحارثيّ : يا أبا نُخَيلة ، إنّ أميرَ المؤمنين يريد أن يقدّم المهديَّ بين يدَي عيسى بنِ موسى ، فلو قلتَ شيئاً تحثّه على ما يريد . فقلت : [من الرجز]

ماذا على شَحْط النَّوى عناكا ... أم ما مَرى دمعَك من ذكراكا ؟

وقد تبكّيتَ فما أبكاكا

وذكر أرجوزة طويلة يقول فيها :

خليفةَ اللهِ وأنتَ ذاكا ... أسنِدْ إلى محمدٍ عصاكا

فأحفَظُ النّاس لها أدناكا ... وابنُك ما استكفيتَه كفاكا

وكلُّنا منتظرٌ لذاكا ... لو قلتَ هاتوا قيل هاك هاكا

[مقتله وسلخ وجهه]

قال : فأنشدته إيّاها ، فوصلني بألفي درهم ، وقال لي : احذر عيسى بنَ موسى ، فإنّي أخافه عليك أن يغتالك . قال المدائنيّ : وخلَع أبو جعفر عيسى بنَ موسى ، فبعث عيسى في طلب أبي نُخيلة ، فهرب منه ، وخرج يريد خراسان ، فبلغ عيسى خبرُه ، فجرّد خلفَه مولى له يقال له قَطَريّ ، معه عِدّة من مواليه ، وقال له : نَفْسَك نفسك أنْ يفوتَك أبو نُخَيلة . فخرج في طلبه مُغِذّا للسير ، فلحقه في طريقه إلى خراسان ، فقتله وسلخ وجهه .

ونسختُ من كتاب القاسمِ بنِ يوسفَ عن خالدِ بنِ حَمَل أنّ عليّ بن أبي نُخيلة حدَّثه أنّ المنصور أمر أبا نُخيلة أن يهرُب إلى خراسان ، فأخذه قطريّ وكتَفَه فأضجعه ، فلمّا وضع السكين على أوداجه قال : إيه يا ابن اللخناء ، ألست القائل :

---

1 المثل «علقت معالقها وصرّ الجندب» في مجمع الميداني 2 : 15 وجمهرة العسكري 2 : 32 ومستقصى الزمخشري 2 : 167 وأمثال العرب : 167 ، ومعناه : قد وجب الأمر ونشب فجزع الضعيف من القوم .

علِقَت معالقَها وصرّ الجندب

الآن صَرّ جندُبُك . فقال : لعن اللهُ ذاك جندُباً ، ما كان أشأم ذكره ! ثم ذبحه ، قَطَري ، وسَلخ وجهه ، وألقى جسمه إلى النّسور ، وأقسم لا يريم مكانَه حتى تمزّق السباعُ والطيورُ لحمَه ، فأقام حتى لم يبقَ منه إلاّ عظامه ، ثم انصرفَ .

[شماتة أبي الأبرش]

أخبرنا جعفرُ بنُ قُدامةَ قال : حدَّثنا أبو حاتم السجستانيُّ قال : حدَّثني الأصمعيّ عن سعيد بنِ سَلْم عن أبيه قال : قلتُ لأبي الأبرش : مات أبو نُخَيلةَ ، قال : حتفَ أنفه ؟ قلتُ : لا ، بل اغتيلَ فقتلَ . فقال : الحمدُ للهِ الذي قطع قلبَه ، وقبض روحَه ، وسفكَ دمَه ، وأراحني منه ، وأحياني بعدَهُ . وكان أبو نُخيلةَ يهاجي الأبرش ، فغلبه أبو نُخَيلةَ .

## صوت

[من مجزوء الكامل]

ولقد دخلْتُ على الفتا ةِ الخِدرِ في اليومِ المطيرِ
فدفعتُهـــا فتدافعـــتْ مشيَ القطاةِ على الغديرِ
فلثمتُهـــــا فتنفّسَتْ كتنفّسِ الظبـــي البهيرِ

الشعر للمنخَّل اليشكريّ ، والغناء لإبراهيم ، ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرٍو وأحمدَ المكيٍّ .

* * * *

# الفهرس